

مجلة الفكر والفن المعاصر

# لقلعة

العددان (١٧٦) (١٧٧)

يوليه - أغسطس ١٩٩٧

الدولة والحاجات الثقافية للمصريين

الغرب متفرد لا كوني !! الغرب نفيس لا متفرد !!



الأصا... ح

نحتيلا ل... ثورية

الغلاف الأمامي :

نحت للفنان : جمال عبد الناصر

مجلة الفكر والفن المعاصر  
شهرية تصدر يوم ١٥ من كل شهر. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

العددان (١٧٦)، (١٧٧)  
يوليو. أغسطس ١٩٩٧  
الثمن في مصر: جنيهان

بولية. أغسطس ١٩٩٧

الثمن في مصر: جنيهاً

العراق ١٥٠٠ قلى - الكويت ١,٢٥٠ دينار - قطر ١٥ ريال - البحرين ١,٥٠٠ دينار - سوريا ٧٥ ليرة - لبنان ٣٠٠٠ ليرة - الأردن ١,٢٥٠ دينار - السعودية ٢٠ ريال - السودان ٤٧٠٠ قى - تونس ٤ دينار - الجزائر ٢٨ ديناراً - المغرب ١٥ درهم - اليمن ١٧٥ ريال - ليبيا ١,٦ دينار - الإمارات ١٥ درهم - سلطنة عمان ١,٥٠٠ ريال - غزة والضفة والقدس ٠٠٠ سنتاً للندى - بنى - الولايات المتحدة دولاران

### الاشتراكات في مصر:

الإشتراكات من الخارج [عن سنة ١٢ عددًا]:

العنوان: مجلة القاهرة - جمهورية مصر العربية - القاهرة -  
١١١٧ كورنيش النيل - فاكس ٥٧٥٤٢١٣ ت/ ٥٧٨٩٤٥٥ .

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

نائب رئيس التحرير

المستشار الفلي

مدير التحرير

سكرتير التحرير

أَمِينَا الْحَرِير

السماح عبدالله

### المخرجان المنقذان

مادلين أيوب فرج

# القائمة

العددان ١٧٦ - ١٧٧

يوليو - أغسطس ١٩٩٧

## فهرست:

### المواجهات

الإصلاح الاجتماعي بدلاً للثورة الاجتماعية

أسيد شكري رائد جمعية الفلاح

١٨٨٧ - ١٩٩٩، أمين عز الدين ٨

الدولة والحاجات الثقافية للمصريين

سيد الهجراني ٢٨

### الفصول والشايات

الغرب متغير لاكولي

سامويل ب. هنتنجتون ٤٤

رفود

ت: ناصر الحارثي ٥٤

العدوان العثيون

نعم تشرمكي ٥٨

ترجمة: أسامة القفاش

٥٨

في نهاية التاريخ وصراع الحضارات

جيد الترماب المسوري ٧٦

الأسبوعية في الغرب والإقطاع

٨٦

الكولي القادم

مهدى بندي ٨٦

الفلسفة وإشكالية العلاقة بين

٩٢

الشرق والغرب

علاء حمروش ٩٢

### المراجعات

العشوائية وبكته المجتمع في: دليل والمارة

٩٦

تأويلات على متن قهارم البياض

١٠٢

شعر السؤال الفلسفي

إدريس الخليل ١٠٢

في الرؤية الجبلية

ياسين الناصر ١١٠

تصولات الفيتوري

كمال نشأت ١١٤

ثنائية القيمة والواقع والتعبير في

١٢٠

«مريم النور»

### الإيقاعات والرؤى

الملف:

مختارات من الشعر الأمريكي المعاصر

ترجمة: بندر نويق ١٢٤

يوم سعيد من أيام أغسطس

تقيس وانجل ١٣٤

ترجمة: شوقي فهمي

١٣٤

### الشعر:

قبل شتاءات باردة

عبدالمعزم رمضان ١٤٢

الإبداع الفني استثمار قومي مستقبلي

مصطفى كركاذ

السحابة التي في المرأة

جمال القصاص ١٤٥

قرب ضوء هارب

حسن فتح الباب ١٥١

النهر يا عمر

محمود نسيم ١٥٣

في العشق قصائد ثلاث

أحمد زكي ١٥٤

النور

في العشق قصائد ثلاث ١٥٧

أماحار

إبراهيم اليوسف ١٥٩

شهوة

محمد الحسيني ١٦٢

لوعة كروكية لتعبية العنات الثلاث

عبد فؤاد ١٦٦

ثلاثة أشياء نسلجها بفخر على

١٦٩

جد رائنا الصدنة

لجاء على ١٦٩

### التخصص:

سأحدثكم عن حرب الملك

فؤاد قدويل ١٧٢

أغسطس الصغير

عاطف سليمان ١٧٧

أجعل صورة رأيها

ليثال سالم ١٨٠

لحم «القريب»

خالد إسماعيل ١٨٢

السيرة الذاتية لثلاثة من المحور

ناجي الشكري ١٨٦

داخل صندوق حكم

أحمد غريب ١٨٨

إسرا .. إسرا .. يا إسرا ..

أشرف الشافسي ١٩٠

### الإشارات والتبنيات:

مازق المسرح العربي

١٩٤

بين نوستالوجيا الفكر وجمود الإبداع

وإله كمال ١٩٤

أوبرا الصحن البصري

مجدى فرج ١٩٤

مخطوطة شعرية لمحمد فريد أبو حديد

نبيل فرج ١٩٤

بين الجنون والبهجة

عبدالمعزم رمضان ١٩٤

عالم فريز هيرتسوج

مجد فريد ١٩٤

الوحات الداخلية للنان : محمود بقشيش

ق

# من المصير

## إشكالية الخطاب الثقافي المصري

بحيث أصبح المواطن المصري أسير التقاليد والمثالية فيما يقرأ أو يسمع من تحليلات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تدبر الرأس وتلثقه في الحيرة والبلهية. ولما تعارض تعدد الآراء والرؤى والمناهج، فلما ضد الحوار الخلاقي المستلبر والنسج في المعرفة ورفض المطلق واليقين والأحكام الجاهزة التراتبية والقمعية... غير أننا نشاهد عن مصير كل ما الدار الفكرى المقتدر لبرامج وخطط وإستراتيجيات تترجم هذه الرؤى والمناهج إلى سياسات توجه قوى الشعب وتجعله يقبض على مصوره ويخطط لمستقبله وسط عالم الغيب الواحد والسيد الأمريكى الذى بدأ يشكل خطورة الهمينة على شئون العالم وفى مواجهة حضارية شاملة وتاريخية للعدو الإسرائيلى والمسيهوبوية العالمية التى تخطط وتعمل بتكثيف لتهميش دور مصر التاريخى وقدرها وقاطية تواجدا فى قلب عالمها العربى وفاعها المستميت عن حقوق الشعب الفلسطينى وعقله فى إقامة دولته المستقلة.

فى النهاية، فإن إشكالية الخطاب الثقافى المصرى تتبع من تغير وتحول البلى والساقات الاجتماعية والاقتصادية وعدم تعدد ملامح وسمات مستقرة لها نتيجية الكم الوفسير من القوانين والإجراءات الانتقالية، وهذا بشكل خطير على العقل المصرى يبله عن إدراك قوانين الضرورة الطبيعية والاجتماعية وباتالى فقدانها السيطرة على حركتها والتحكم فى اتجاهاتها وبالتالي يضع منه المستنكر. ■

منذ منتصف السبعينيات وعقب الانقلاب على أساسيات المشروع الناصرى للنهضة شهد ويشهد المجتمع المصرى تحولات صدامية سياسية واقتصادية لعل أبرزها التحول من النظام الشمولى - نظام الاتحاد الاشتراكى إلى التعددية الحزبية المحكومة والمقتنة من سلطة الدولة وحزبها القومى؛ الحزب الوطنى والذى لا يزال يستمد شرعيته من ثورة يوليو ١٩٥٢ وانتصارات أكتوبر ١٩٧٣ بجانب بروز دور الثقافات المهنية ونشأة بحرية الحركة والتغيير فى مساحة من الديمقراطية عن جماهيرها مما شكل توازنًا سياسيًا فى جدل الحركة السياسية للمجتمع.

كذلك بدأ التحول من الاقتصاد المركزى والتخطيط وعمليات التأميم إلى آليات اقتصاد السوق والانفتاح وقوانين الاقتصاد الرأسمالى وبدأ بتراجع دور القطاع العام الذى يتم الآن تفكيكه ويهوى وخصمته فى قيادة العملية الاقتصادية وبروز نشاط القطاع الخاص وزادت نسبة عثله فى المشاركة فى عمليات التنمية والإنتاج والتسويق.

هذا التناقض بين الحرية الاقتصادية المتنامية وفتح الأبواب على مصراعيها للاستثمار الأجنبى والعربى وفى الوقت نفسه سيطرة الدولة على الإعلام العربى والمسموع بجانب وجود صحافة قومية ملك لجنس الشورى أدى إلى مآل فى سيولة ومنطلقات توجهات الخطاب الثقافى فهو يتبدى فى مزيج غير متآلف ومتوازن بين فكر الدولة ورويتها لأركان العقد الاجتماعى والسواسة الخارجية وبين عديد من قوى المعارضة والاختلاف غير المتجانسة والمختلطة والمثالية؛ قوى ناصرية وقوى راديكالية وقوى يسارية وقوى أصولية إسلامية معتدلة ومعترفة، وقوى باهتة ليس لها وزن على الساحة السياسية وتأثير فعال فى الشارع المصرى

قائمة إشكالية يغيب عن معظم مفكرينا ومفكرينا مواجهتها بحسم ووضوح رغم كثرة التناقضات والتحليلات والتلمسيلات المتناقضة والمتصارعة والتى يلقى كل منها صلاحيات الأخرى، وهو قراءة وتأويل وتحليل عناصر مكونات الخطاب الثقافى المصرى الآن، والذى يهائى خطف فى الأوبال والثقافية فى المناهج والرؤى أدت به إلى نوع من المثوانية جعل من الصعب على المثلكى والقارى استيعابه واعتناقه كدليل عمل وقانون لفساد ومفاح حياة بحكم اختياراته وسلوكياته الثقافية ويوصله من الوقوع فى الثقافية والضباب والعيث وبالتالي الإحباط والانسكان.

وقبل محاولة تحديد وتحليل وإبراز عناصر الخطاب الثقافى المصرى يتعين علينا أن نشير بوضوح لوضعية فكرية معقدة ومتسببة تكاد تشكل أزمة فكرية محتدمة وهى بروز هذا الخطاب فى جو وسباق التناقض والاستقطاب بين قطبي أفكار ورؤى ونظريات الحداثة وما بعد الحداثة والتى تعكس تحولات لاهثة للثورة التكنولوجية ومجتمع المعلومات وعلوم الاتصال والأقمار الصناعية وشبكات المعلومات العالمية وأمنها الإنترنت ولغة الإلكترونيات وبين قطب مضاد هو أدنى مرجعيات الفكر الأصولى الإسلامى المتطرف الجاهلى الظلامى المهادى للعنصرية التكدية والعلمانية والرافض للفكر النسبى والحوار والتعددية وأسس المجتمع المدني.

وإن نقسرب من فهم وتعريف هذا المآلز الفكرى ودلائله المتعددة المستويات إلا بالعودة السريعة لقراءة المرجعية السياسية والاقتصادية المتناقضة والتى يمر بها مجتمعنا الآن والتى تبرز وتعزى جذور أزمة الخطاب الثقافى كانعكاس للخطاب السياسى.

عبد الحليم عبد الحليم

# المجلة

## زان

قا

ما طبيعة الجسر الذي يكن أن يصل بيننا والعالم، ونحن على مشارف الألف الثالثة

من الميلاد؟

أهو الجسر النواهي الذي يشير إلى مجتمع منعزل، يتسلخ بأوامره عن اكتمال عالمه واستغائه عن كل صلة بالخارج المحيط؟ أم يكون جسراً صلياً يبدأ طرفه المصلاص لنا من ترتيب أدواتنا المعرفية وتضديد زاوية النظر التي يجب أن نتوجه منها إلى العالم، ثم يمتد مستتداً ومدعوياً بالرغبة الأصلية في معرفة أنفسنا، نقاط ضعفنا قبل مناطق قوتنا، يمتد الجسر ويقوى هيكله ودعاماته من السعي باتجاه المعرفة، وبالتالي تحديد غاياتنا، طموحنا للمستقبل في تقاطعه مع ما يروج به العالم من مصالح وأهداف، الأمر الذي يحتاج لأذنان وأخيلة قادرة على استيعاب ما سوف يضاف إلى تاريخ التقدم الإنساني وما سيتراكم من مآثر.

في القاهرة، نتمسك بأن يكون الجسر بيننا وبين العالم من حولنا هو جسر من المعرفة، فنجد باب المواجهات يشتمل على دارسيتين لأسباب الإصلاح الاجتماعي والثقافي في مصر، الجانبين المرتبطين حتماً بالإصلاح السياسي، أو بتنظيم العلاقة بين الدولة وسائر فئات المجتمع، وخصوصاً الفئات الفقيرة منها، الدراسة الأولى لأمين عز الدين، يستقرئ فيها سيرة حياة سيد شكري (١٨٨٧ - ١٩٦٩)، رائد الإصلاح

الاجتماعي ومؤسس جمعية «الفلاح»، التي لعبت دوراً كبيراً في تأكيد فكرة الإصلاح الاجتماعي، أو إعادة صياغة العلاقات بين الطبقات المعوزة للمجتمع، فيما يعود بالمائدة على المجتمع ويكنبه، في الوقت نفسه، الآثار السلبية للثورة أو للانقلاب، في تنبئه لمسار سيد شكري يستعرض أمين عز الدين حال المجتمع المصري في الفترة ما قبل ثورة ١٩١٩ وحتى ثورة ١٩٥٢، وهي الفترة التي ماجت بالأحداث والتحولت السياسية والاجتماعية وانتهت بوصول الجيش إلى الحكم.

وإذا كانت دراسة أمين عز الدين قد عنيت باستقراء هذه الحقبة من التاريخ المصري الحديث، انطلاقاً من فكرة الإصلاح الاجتماعي، فإن دراسة سيد البحراوي وهي الدراسة المتعممة لهذا الباب تعنى باستعراض الحاجات الثقافية للأغلبية المصرية من الموظفين والعمال والفلاحين المتكثرين بدفع ما عليهم من ضرائب، دون أن يحصلوا على الحد الأدنى من احتياجاتهم الثقافية، مما يؤكد ضرورة إحراز إصلاح اجتماعي لضمان استمرار العقد الذهني بين الدولة وطبقات المجتمع، يستخدم سيد البحراوي مصطلح «الحاجات الثقافية، بمعناه الواسع، الذي يشمل - إضافة لعناصر الثقافة المعروفة من إبداع فني وفكري وأدبي - عناصر التعليم والإعلام والمؤسسات الدينية والرياضية، وهو ما يشكل المدخل لمعرفة النسق الذي ينظم الأفكار والمعتقدات والمشارع لأبناء هذا المجتمع في لحظة الراية، منهجياً من

دراسته الموثقة بالإحصاءات، إلى أن الثقافة سلمة مرتفعة الثمن لا يقدر على شرائها معظم المصريين وخاصة من ينتمون إلى الطبقات الفقيرة رغم أنهم الممولون الأساسيون للثقافة المصرية.

ويشتمل باب الفصول والغايات على عدد من الدراسات ضمن محور يناقش فكرة صراع الحضارات التي طرحها صامويل هنتنغتون، فأصبحت الشغل الشاغل للمفكرين والكُتّاب في هذه اللحظة، على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، يكتب هنتنغتون في تكرر «الغرب متفرد لا كوتى، سبها في توضيح ما يجعل الغرب غريباً مثل الدين واللغة ومركزية القانون والمجتمع المدني متوسلاً بإزاء الروح القومية الغربية وغير الغربية في سبيل شغل الصراع الظاهري الناشئ من انهيار الاتحاد السوفيتي كقطب متناوئ للغرب، ومستبدلاً بـ «الامة الإسلامية، والامة الصينية، الطرف الثاني أو الآخر الضروري لتحقيق لعبة الصراع الدولي - في سياق الرد على هذا الطرح تأتي مداخلات كل من جون إيكيتري وتوني سميث ودافيد هاول ويروس نسايوم وجميعها تصب في نقد ما يمثل طرح هنتنغتون من أيديولوجية جاهزة للقوميين في كل مكان. يأتي ثالث مقال نعيم تشومسكي، «العدوان المشين، أوعيد تعريف مصميات تبدو متنبئة في سياق الممارسة العملية بينما يبدو أساسها المرجعي ناصعاً ومستقراً، من هذه المصميات: الحق والعدالة والعدوان، يستعرض تشومسكي في جراءة

خصائص ثلاث: الثورة على القلم والدعوة إلى الحرية، روح التصوف، والاقتراب من العالم بكل ما فيه. وتأتي الدراسة الأخيرة في هذا الباب «القيمة والواقع المتخيل في مريم النور، قراءة من الشاعر ميلاد زكريا يوسف في رواية الكاتبة اللبنانية رجاء نعمة «مريم النور».

في باب الإيقاعات والروى تواصل «القاهرة، تقديم مختلف الشبارات والتوجهات الإبداعية جنباً إلى جنب، حريصين في ذلك على انتخاب النماذج الأكثر اكتمالاً في كل تيار لتتضح في النهاية السمات العامة للفرقطة الإبداعية مصرياً وعربياً إلى حد ما، في «المختارات، يقدم الشاعر والمترجم بدر توفيق متشخيصات من الشعر الأمريكي المعاصر لخمسة شعراء مبرزين، كما ترجم شوقي فهم قصة للكاتب الأمريكي تيمس ويليامز: «يوم سعيد من أيام أغسطس، بالإضافة إلى أشعار وقصص لـ عبد النعم رمضان وجمال القصاص وحسن فتح الباب وإبراهيم اليوسف ومحمود نسيم وفؤاد كنديل وعاطف سليمان، وخالد إسماعيل وأحمد غريب وغيرهم.

أخيراً، تجدر الإشارة إلى التضماع عضو جديد إلى أسرة تحرير «القاهرة، وهو الصديق والشاعر أحمد طه، وهو ليس غريباً عن أسرة التحرير، فأهلاً ومرحباً به داخل الأتون وكان الله في عوننا جميعاً. ■

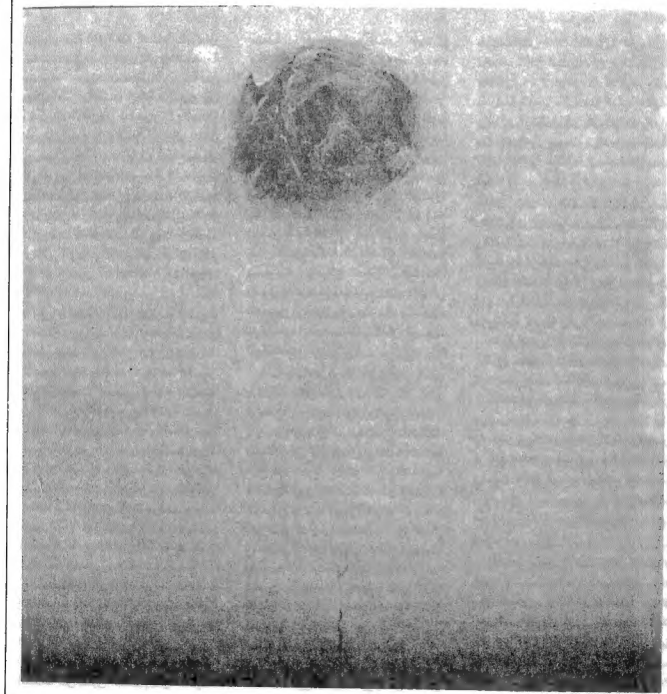
ك. ع

متصاعدة من الترشيد المادي. ويكتمل هذا المحور بمقالتين، الأولى لـ علاء حمروش «الفلسفة وإشكالية العلاقة بين الشرق والغرب»، ويقرأ مهدى بندق في المقال الثاني «الأصولية في الغرب والإقطاع الكوني القادم، نشأة الأصولية الكاثوليكية في الغرب الأوروبي وصعودها ثم سقوطها اقتراناً بصعود وسقوط الإقطاع مع قيام الثورة الفرنسية، هذا القوس الذي ترتبط فيه الأصولية بالإقطاع، يعيد طرحه مهدى بندق على اللحظة الحاضرة، فيما يسميه «الإقطاع الكوني، حيث تحل المجتمعات المتقدمة محل اللوريات في العصور الإقطاعية، وتحل المجتمعات المتخلفة محل الأبقان في هذه المجتمعات.

أما باب المراجعات فيحتوي خمس دراسات نقدية تطبيقية، يكتب عبد الرحمن أبو عوف، متنازلاً رواية سلوى بكر «ليل ونهار: «العشوائية وتفكك المجتمع في ليل ونهار، متتبّعاً إشكالية طرح الموضوع الروائي بين التلقائية والعفوية وبين القصد العمدي المغلّاتى التبررة، ويكتب إدوار الخراط «تأويلات على متن قهارس البياض. شعر السؤال الفلسفي، عن ديوان ماجد يوسف «فهارس البياض»، ويكتب ياسين التصوير، في الرؤية الجبلية، متتبّعاً موقع قصيدة سيف الرحبي على غارطة الشعر العربي الحديث من خلال ديوانه «جبال»، أما «تحولات الفيتوري، فهو عنوان الدراسة التي يتتبّع فيها كمال نشأت تطور الفيتوري من خلال

وموضوعية تطور هذه المسلمات وتطور استخدامها من قبل القوى العالمية وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية من خلال بعض الأحداث الدالة فيقارن بين التعريف الأمريكي للديوان في حادثة غزوها «لبنان، واعتقالها للجنرال دانييل أورتيجا وسجنه كمجرم في أحد سجونها أو ضربها فيقتام بالأسلحة الكيميائية وذلك مقارنة بحادثة أخرى بدت فيها الولايات المتحدة الراعي الأول للأمن والسلام العالميين وهي حادثة غزو العراق للكويت، منتهياً إلى نتائج تعري الوجهة الفصح للقلب الواحد ويسمى النظام العالمي الجديد.

في مقالته «نهاية التاريخ وصراع الحضارات، يربط عبد الوهاب المسيري بشكل مدعش بين الحل النازي للمسألة اليهودية والذي يعتمد تنقيب العنصر الألماني فيما يسمى «الرايخ الثالث، وبين النزوع الصهيوني لإقامة الهيكل الثالث بتطهير القدس وفلسطين من أصحاب الأرض الأصليين (ال فلسطينيين) وبين الاستتساخ والاستعمار، في ذلك يقرأ النموذج الثامن وراء الأديولوجيات العلمانية (النازية - الماركسية - الليبرالية) مما يمكن تعريفه بالتطور أحادي الخط أو الحائون العلمي الطبيعي الواحد للتطور، الذي تخضع له المجتمعات والظواهر البشرية. فالنظرة إلى العالم باعتباره مادة استعمالية والنظر إلى الإنسان باعتباره جزءاً من العالم، هي نظرة أساسية يقوم عليها النظامان العلمانيان: القديم والجديد انطلاقاً من كون التقدم هو عملية





# المواجبات

٨ الإصلاح الاجتماعي بديلاً لثورة الاجتماعية [سيد شكرى رائد جمعية الفلاح « ١٨٨٧ -

١٩٦٩ »]، امين عز الدين. ٩ الدولة والحاجات الثقافية للمصريين ، سيد البحراوي.



# الإصـ الاجـتماعـي بـديـ لـثـورة الاجـتماعـية

سيد شكرى  
رائد جمعية الفلاح

١٩٦٩، ١٨٨٧

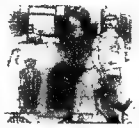
## أمين عز الدين

ولد الدكتور سيد شكرى<sup>(١)</sup> عام ١٨٨٧ بقرية «ميت بعلبى» مركز «ميت غمر - دقهلية»، من «عائلة «بحروج» الميسرة الحال بفنخل أملاكها من الأراضي الزراعية الخصبة، ويفضل ترابط أبنائها ومعيشتهم الجماعية المصممة على أساس عملى فى توزيع العمل بينهم والمشاركة فى الخبرات والمطلوبات بالعدل والقسايس<sup>(٢)</sup> يضاف إلى ذلك اهتمام الأسرة بتعليم أبنائها مع توازن فى الاختيار بين التعليم الدينى بالأزهر وبين التعليم العلمانى الحديث، ولتمكين أبنائها من أن يهملوا التعلم دين عقبات، استأجرت الأسرة منزلاً فسيحاً (أربع) بحارة حوش قدم فى حى المغرلين وباب الخلق بالقاهرة، ليكون مقراً لمعيشة أبنائها من المزارعين بالأزهر ومن تلاميذ وطلبة المدارس الحديثة، كما يستقبل الوافدين من رجال الأسرة ونسائها لزيارة أضرحة الأجداد أو للعلاج.

وتمثالاً لانتظام تزيين هذا المقر، اقتنت الأسرة مركباً شراعياً فى مجرى الرياح الترفيقي قرب مدينة بنها، لتنتقل الزاد والزاد إلى المقرمرة كل شهر تدرس بها فى «ميداء» بولاق ومنه بالعديرات «الكارو» إلى «حوش قدم» وأُسند الإشراف على مجمل هذه العملية إلى الشقيق الأصغر الشيخ سليم بحروج.



## الإصلاح الاجتماعي بديلا لثورة الاجتماعية



كان سيد شكري ثالث ابن من أبناء الأسرة بلحق بالتعليم الحديث ولا يخطر في مراتب التعليم الديني بالأزهر، وكان التحاقه بمدرسة الأمريكان (بكتري يوسف رزق) (١٦) - أحد كتفوة ميت بيموش، - أول درجة بالنسبة له في سلم التعليم الحديث، ومنها نال الشهادة الابتدائية عام ١٩٠١، انتقل بعدها إلى القاهرة ليواصل دراسته بالجهيزي (الثانوي) بمدرسة التوفيقية.

ورثع الفتى سيد شكري في تلك المرحلة من مراحل تكوينه التربوي تحت تأثير عاملين رئيسيين: أولهما شخصية أخيه الأكبر المهندس حسين بك حلمي المقيم بمنزل الأسرة في حوش قدم، والذي يتولى مسئولية الإشراف على زلزاله من الطلبة والمهندسين والمرضى والزلازلين. وكان حسين بك حلمي في واقع الأمر من أوائل المهندسين المصريين الذين تقدموا في المناصب الحكومية ليحلوا محل المهندسين البريطانيين وقد شغل في أخريات أيامه منصب مدير تنظيم القاهرة الذي كان وقتاً على الأجانب والبريطانيين خاصة. ولابد أن الفتى سيد شكري قد بهرهت مكانة أخيه، كما بهرهت اهتماماته الفريدة بطرم الفك واللى مكنه من تأسيس مرصد حلوان وإدارته فترة من الزمن.

وثانيهما: التحاقه بالمدرسة التوفيقية، وهي مدرسة أبناء الثروات، حيث قضى بها، وهو الفتى الريفي، أربع سنوات يرقب مظاهر الفوارت الاجتماعية وأثره على زملائه من أبناء الفقراء، وزاد الطين بلة أن الدراسة في التوفيقية - وفي غيرها من المدارس الحكومية - كانت سلسلة من التعذيب البدني والنفسي؛

فالمعقوبات الشديدة توقع على الطلبة لأهون سبب، والمدرسون الإنجليز الساديون يستعذبون إهانة الطلبة والهزه بهم. ومن خلال هذه التجربة، نشربت روحه بالعداء والكراهية ضد الإنجليز. والأرجح أنه حمل من وراء تلك التجربة رواسب فكرية عميقة رافقته طوال حياته، وجعلت من عداله للمستعمر الأجنبي موقفاً أصيلاً ودائماً مع مرور الأيام، ولم تكن تجربته تلك تختلف عن تجارب زملاء عاصروه في مدرسة التوفيقية مثل سلامة موسى ومصطفى حمتون المنصوري ممن انشغلوا بقضايا التحرر الوطني والتغيير الاجتماعي في مصر.

أتى سيد شكري دراسته التحجيزية (الثانوية) في ١٩٠٤، ثم التحق بالمدرسة العليا للطب عام ١٩٠٥، حيث وجد نفسه وسط أقرانه من طلبة المدارس العليا الذين ساءم للزعيم الفالد محمد فريد بالشيبيبة الوطنية والشيبيبة الحرة، واعتبرهم عدد تشكيل الحزب الوطني في ديسمبر ١٩٠٧، ريسد الحزب وطافه المفجزة.

وإذا نعرف على وجه التحديد متى انضم سيد شكري لتنظيمها إلى الحزب الوطني، وإن كنا نرجح أن يكون ذلك قد تم في الفترة من ديسمبر ١٩٠٧ (تاريخ تشكيل الحزب) وأكتوبر ١٩١٠، تاريخ تخرجه في مدرسة الطب، ففي تلك الفترة كان الحزب، بقيادة محمد فريد، يدعم قدراته التنظيمية بضم وتنشيط طلبة المدارس العليا وخرجوها، لخلل صفوفه، وتسكينهم في أرفع المواقع القيادية للحزب وللتنظيمات الجماهيرية التي أنشأها وأهمها نقابة الصنائع اليدوية ومدارس الشعب وأندية العمال والنحارات الزراعية، وحتى بعض الجمعيات السرية للكفاح الوطني.

ولضمان المزيد من الارتباط بين الحزب وبين الشبيبة الحرة، أقسمت لائحة الحزب الطرق لناصر المتقنين الشباب لكي يشغروا المراكز القيادية في مستوى أرفع الحزب القاعدية (لجان القرى والمراكز) ولجان عواصم المديرية، وفي مستوى المؤتمر السنوي للحزب أو الجمعية العمومية، واللجان القيادية المندقة عنها وهي اللجنة الإدارية واللجنة التنفيذية العليا.

كما أقمع الحزب عدداً من المواقع القيادية للشبيبة الحرة في نقابة الصنائع اليدوية، وأوسع وأقوى التنظيمات الجماهيرية التي أسسها الحزب، فقد تمس قانون، هذه النقابة على نوع فريد من العضوية يمتنع به المتقنون تحت اسم الساعدين وأعضاء الشرف. ويمرور الزمن أصبح هؤلاء هم القادة الفعليون للنقابة، فضلاً عن مسؤوليات حملوها في إدارة وتشغيل مدارس الشعب والأندية الرياضية التي أنشأها الحزب للعمال، ومن أبرز هؤلاء الشبان على بك ثروت ناظر مدرسة الصنائع بالمنصورة (سابقاً) والذي كان أول رئيس للنقابة، وإسماعيل زهدي الحامى، أول سكرتير لها. وفي انتخابات النقابة التي جرت في يناير ١٩١٣ انتخب سعادة عبد الكريم حسن رئيساً يعارنه عشرة أعضاء من الساعدين، منهم: محمد لطفي جمعة، محمد أفندي صالح، الحاميان، ومن الأطباء: د. حافظ أفندي عفيفي ود. إبراهيم الشوربجي ود. عثمان ليبي ود. محمد توفيق.

وكان أفراد هذه المجموعة من الأطباء، وجميعهم من زملاء د. سيد شكري، يفرعون بخدماتهم بالإناء أعضاء النقابة والدارسين بمدارس الشعب. وقد التمس دائرتهم لضم زملاءً جديداً تذكر منهم د. حسن مرزوق الجراح ود. فوزي أبو السعود (المعروف) والصيدلي نصر جودة ود. أحمد أفندي عيسى الذي كانت عيادته المقر المبكر لعقد جلسات للجنة الإدارية للنقابة.

وتميزت تلك المرحلة المبكرة من حياة د. سيد شكري (من عام ١٩١٠ تاريخ تخرجه إلى عام ١٩١٤ تاريخ نشوب الحزب العامية الأولى) بعديتين مهمتين في سيرته:

أولهما: سفره إلى دبلن (إيرلندة) عام ١٩١١ للحصول على دبلوم عالٍ في أمراض النساء والجراحة، وقد عاد بعدها إلى مصر عام ١٩١٢ حاملاً أحلامه الوطنية لكفاح من أجل الاستقلال وأحلامه الاجتماعية لتوفير الخدمات لأبناء وطنه من الفقراء والفلاحين. ولا يغيب عن أذهاننا أن إيرلندة كانت حينذاك في ثورة كبرى بقيادة الزعيم الفالد ديباليرا الذي كان موضع إعجاب المصريين. وقد صادف كفاح الشعب

الأيرلندي هوى عميقاً في نفس سيد شكري واعتبره نموذجاً ومثلاً رائعاً يمكن للشعب المصري أن يسج على مثوله في كفاحه ضد المستعمر البريطاني.

**ثانيهما:** انضمامه فور عودته من دبلن إلى البعثة الطبية المصرية التي شكلها الحزب الوطني عام ١٩١٢ لخدمة المجاهدين العرب في الحرب العالمية الأولى، ولا شك أن اختياره عضواً في تلك البعثة أكبر دليل على مكانته داخل الحزب الوطني وتنظيماته الجماهيرية، وقد حملت البعثة معها، وعلى نفقة الحزب الوطني وبخموله كاملاً، الأدوية والإسافات الطبية، وهناك راقت المجاهدين بقيادة البطل سليمان النباروني وهم يخوضون المعارك البطولية ضد الغزاة الطليان في مناطق زوارة وجندوبة وورقلة وغيرها، حتى «انكسر العرب» كما يقولون، نتيجة خيانة الأتراك لهم. وعادت البعثة عبر حزمهم ووطنهم في مارس ١٩١٤ والحرب العالمية الأولى تنذر بالانقراض.

**خرج د. سيد شكري من هاتين التجربتين، أيرلندا الثالثة وطرابلس الغرب المتصدية للغز الأجنبي، بمزيد من الاقتناع بأن الطريق إلى الاستقلال يمر فقط - من فوهة البندقية، وليس من خلال الكلام والخطب والمفاوضات. وزاد من وهج تلك الأفكار والقتاعات عنده، تعرفه في طرابلس الغرب على البطل عزيز المصري، وما اعتقد بهلها من صداقة حميمة استمرت طوال حياتهما، وأكثر من نصف قرن.**

#### الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)

وجاءت سنوات الحرب في مصر بكل ما حملته معها من اللعاسة لشعب مصر وإهدار كرامته وما جرته على البلاد من شتى أرباب الجرثمة والظلماني الذي مارسه السلطات العسكرية البريطانية. ولاشك أن ذلك كان بالصدفة للدكتور شكري مصدر تشافعه النفس المشوب بالغضب، كما كان دافعا عنه المزيد من المعاناة ومزيد من التفكير اللزري ضد المذهب الأجنبي.

ولا غرو فقد شهد د. شكري، كما شهد جميع أبناء مصر، كيف أعلنت بريطانيا الحماية على البلاد، وكيف وضع السير جون

ماكسويل، قائد الجيوش البريطانية، القنصل تحت الحكم العسكري وأعلن الأحكام العرفية، ثم راح يصدر «البيانات» إلى الشعب، هذا يهدد باتخاذ أشد الإجراءات عند أول بادرة للحركة والمقاومة، وذلك يحذر الأثالي من تكدير السلام العام أو مساعدة الأعداء، ثم بين الثالث بأن السلطة العسكرية «ستفرض» مطالبات من خدمات الأفراد أو مما يملكونه، وتلك وثيقة بإعلان خلع الخديوي عباس الثاني وارتقاء حسين كامل على عرش السلطنة المصرية.

في هذا الجو القائم، أخذت القاهرة تتحول تدريجاً إلى مدينة خلف الضغوط رالي مركز للإمدادات والتموين الحربي وقاعدة لتجمع الجنود البريطانيين وجلب المستعمرات ومرتج للجنود المرحلين إلى الجبهة بكل ما يعمل في نفوسهم من خوف ومرارة، والجنود الصائدين لقضاء إجازاتهم في مصب واستنار بكرامة المواطنين وممتلكاتهم.

وإذا كانت عريضة المستعمر قد ظهرت ويأتبع صورها في القاهرة والإسكندرية ومنطقة القتال، فإنها كانت في البداية بعيدة عن الاحتكاك المباشر بالمواطنين في الريف والمراكز، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً، فما لبث نزاع السلطة العسكرية البريطانية أن امتد إلى القرى لوسلوى عوى ودين مقابل على المحاصيل والدواب لقرايتها الساحرة في سيدها وفلسطين، كما امتدت الذراع نفسها للقاصبة لتفرض على الرجال من الفلاحين والعمال والحرفيين شكلاً من أشكال السخرة للعمل في «قبائل» خاصة ملقحة بالقنات البريطانية للسحارية في فرنسا وغالوبولي والعراق وفلسطين، فيما عرف حينذاك باسم «العمل في السلطة»، وهي فيلق العمل المصري Egyptian Labour Corp وفيلق النقل بالجبال Egyptian Camel Corp، وقد بلغ عدد من سخروا في هذه الفيلق وضواها طوال سنوات الحرب نحو مليوني مواطن.

ولا شك أن د. سيد شكري قد شهد بنفسه عملية خطف وجمع المسخرين من أبناء قرى ميت غمر وزقني، وشهدهم على الأخص في «مركز التجميع» بميت غمر وهم مقيدون بالرجال كالمواشي استحقاقاً لتخليطهم إلى مختلف الجهات.

كما أننا لاستبعد أن يكون الدكتور سيد شكري قد عرف مزيداً من المعلومات حول ممارسة السخرة ضد المواطنين من زميله وصديقه د. يوسف سابا الذي التحق بقسم الخدمات الطبية في فيلق العمل المصرية، وهما مكان يعرض له العمال والفلاحين المسخرون من استغلال لا إنساني، فكذب تقريراً خطيراً بشأنه بوضع فيه السلطات العسكرية البريطانية (٤).

وانتهت سلوات الحرب بما حملت من الهانة والقهر للشعب المصري، فلما لاحت سرات السلام، هب الشعب مطالباً بحريته واستقلاله في ثورته الوطنية، ثورة ١٩١٩، وكما كانت هذه الثورة علامة على طريق الأمل، فإنها كانت بالمثل علامة بارزة في حياة د. شكري وميزته الخافله.

#### شكري وثورة ١٩١٩

لم يقل د. سيد شكري، بعد عودته من طرابلس الغرب، أن يتشجع بعمل أو وظيفة حكومية رغم توفر القصر أمامه، فهو يرفض العمل تحت الإدارة البريطانية التي تفرض وجودها ورجالها على الخدمات الطبية الحكومية، كما أنه لم يكن يحمل البريطانية، كمفصيلة لعربية باده ووطنه، غير مشاعر العدا الشديد والاحتقار.

**واختار د. شكري ممارسة الحرة لهفته الإنسانية بين أبناء الدفيلة؛ مديريته، وجورائهم. ففتح عيادة زائمية في مدينة زقني وفرصاً لها في مدينة «ميت غمر»، وأبقى بالعيادة سفيلة لخدمة الممردين من المرضى، وأصرف الدواء للقرء بالمان.**

**وأثر د. شكري أن تكون ميت غمر الجميلة الهادئة مقر إقامته، فاستأجر فيلا فاخرة على النيل (فرع دموط) وجهز قارباً له تجهيزاً أنيقاً ليقلقه يومياً عبر النهر الخالد ذهاباً وإياباً - إلى زقني، وجعل من مسكنه منتدى وبلداً وثقافياً أصدقائه من المهنيين والمثقفين والأعيان.**

وفي مدينة زقني، كان اللقاء حتماً بين د. شكري وبين اثنين من أبناء عائلة الدندوي، هما المناضلان الوطنيان يوسف وعوض الجندوي، اللذان تألدا في عام ١٩١٩ أروع وأغرب تجربة ثورية ضد الإنجليز، المعروفة «بجمهورية زقني» أو «إمبراطورية



## الإصلاح الاجتماعي بديلاً لثورة الاجتماعية

زفتي.. وقد نكل يوسف الجندى السحامي، بالذات، صدوقاً جميعاً له لأكثر من نصف قرن حتى لا يكاد يفلترقان.

واندلعت ثورة ١٩٦٩... وتحمس لها د. شكري حماساً شديداً، وأيدها من أصابع قلبه، وشارك بقدر ملحوظ في العمل الثوري وتنظيماته، وخاصة في منطقة زفتي وميت غمر، ولكنه وانتمائه إلى التيار الغالب داخل المذهب الوطني، كانت لديه تحفظات كثيرة على قيادة سعد زغلول للثورة، فقد هاله وأحزنه إصرار سعد زغلول على استبعاد محمد فريد من الوفد بحجة أن صداقه الشديد لبريطانيا قد يفسد مهمة الوفد ويتركز المعارضات حول مطالب البلاد.

ومن ناحية أخرى، أحس الدكتور شكري بإحباط شديد من جراء ما حدث من الانقسامات داخل الحزب الوطني بين من قبلوا التعاون مع الوفد، وبين الراقضين لهذا التعاون، ومن خلال تأمله في هذا الانقسام، وفيما يذره سعد من بذور الشقاق في صفوف الوطنيين، وخاصة قادة الثورة. أخذ الدكتور شكري يبحار تدريجياً إلى فكرة «الاستقلالية، في العمل السياسي بعيداً عن الانقسامات الحزبية وما أشاعتها من يأس وإحباط في صفوف الحركة الوطنية.

ورغم كل ذلك، لم يتأخر دكتور شكري لحظة عن المشاركة النشيطة في الثورة، فالثورة ليست ملكاً لم سعد زغلول أو الوفد، وإنما هي ملك للأمة وجماعها، التي صنعتها وقدمت لها أشجع شهدائها وأخلصهم ذكراً.

أما مشاركة الدكتور شكري في الثورة فقد جاءت من خلال ثلاثة أحداث شهيرة

من أحداث المقاومة الشعبية ضد الإنجليز، وقعت جميعها في نطاق مركزي ميت غمر وزفتي.

وقد بدأ مسلسل تلك الأحداث بحدوثان بريطاني وحشي على قرية ميت القرشي مركز ميت غمر على أثر قطع الأمان لخط سكة حديد الدقا المار بقرية، فقد قامت السلطة العسكرية البريطانية بإحضار قنار حربي، فيلا حتى مشارف القرية. ومع ظهور أول منسوب، وقبيل خروج للفلاحين إلى حقولهم، صبت المدفعية المحملة على القطار نيرانها الكثيفة على القرية الآمنة دون تمييز أو رحمة لنذل بها أكبر الخسائر في الأرواح والموالي والدواب، وتدمر جانباً كبيراً من مبانيها، وحتى أشجار الخيل الساقطة والتي كانت أبرز معالم ميت القرشي، لم تلت من النيران والتدمير (٥).

ومع ثبوت سوء الدنية المبيتة في هذا العدوان الفاضل وما أشاعه من الرعب بين أهالي المنطقة، فإن الدكتور شكري لم يتردد في أن يقود وفداً من أهالي ميت غمر لتلاحيج لدى قيادة للكتيبة الاسترالية المرابطة في ميت غمر، وقرجى قائد الكتيبة بهذا الأسلوب الاحتجاجي الذي لم يسبق للمصريين استخدامه في مثل هذا المستوى المحلي، كما قرجى بالدكتور شكري وهو يتحدث بلغة إنجليزية رصينة، متهماً بريطانيا بالهجومية ضد شعب مصر العريق حضارياً، وضد حقوق الإنسان والشعوب في الحرية والاستقلال، وقال له: كان الأولى بالأستراليين، وبناهم مستعمر مثل بلدنا، أن يعاملوا مع كفاح شعب مصر من أجل حريته.

ومن الطريف أن العدوان على ميت القرشي أثرى الموروث الشعبي بصورة جديدة هي سيرة «صديقه مرات عبد المجيد، التي شاركت في المعركة ضد الإنجليز ونقلت قتالهم حتى وقعت تحت ضابك الخيل وراح جندى بريطاني يركلها في بطنها حتى أجهضها - ورغم اختلاط الأسطورة بالواقع، فإن هناك إجماعاً على أن الدكتور شكري هو الذي قام بإسعافها وأثقت حياتها. ومن يزور ميت القرشي اليوم سيجد أن قبرها قد أصبح مزاركاً مثل مزارات الأواباء تخليداً لغروسيها وشجاعها في المعركة.

ويظهر الدكتور سيد شكري مرة أخرى ضمن أحداث ثورة ١٩٦٩، في إطار قصة «إمبراطورية زفتي».

وقد بدأت فصول تلك القصة العجيبة في ١٨ مارس ١٩٦٩ عندما قاد الشاب الوطني يوسف الجندى جماعية مدينة زفتي، رجالاً ونساءً وأطفالاً، يستولون على مركز شرطة المدينة، ويعلن استقلالها.. وانضم إلى الثورة المناصب الوطني إسماعيل حمداً، مأمور مركز زفتي، ومعارنه المناصب أحمد جمعة، ليصبحا مستشارين عسكريين للدولة الوليدة.

ونشكلت لقيادة الثورة «لجنة، من الأعيان والمثقفين وصغار التجار عرفنا منهم: عوض الكفراوي والشين مصطفى عصام وإبراهيم خير الدين وأمنون بردا ومحمد السيد ومحمود حسن. وتولت هذه اللجنة الثورية جمع التبرعات وتمويل عدد من المشروعات العامة لتوفير العمل للمواطنين، واستمرت على مخازن الحبوب الممنوعة للقوات البريطانية، وجندت الطلبة والمثقفين في فرق منظمة لتقوم بدرجات لحفظ الأمن وحراسة حدود الدولة ومنع تسرب المواد التموينية والإشراف على عمليات الري، كما نظمت اللجنة إصدار النشرات والتحذيرات للأهالي بعد طبعها في مطبعة قديمة بالمدينة.

ورغم أن أغلب المصادر تؤكد مشاركة الدكتور شكري في عملية إعلان الثورة وبناء «إمبراطورية زفتي»، فإنها تختلف حول حقيقة عضويته في «لجنة الثورة، والأرجح أنه حقق مع صديقه يوسف الجندى على أن يكون دوره من وراء حجاب حتى يمكنه التدخل للتهنئة في حالة فشل الثورة.

وفي ٧ أبريل ١٩٦٩ لعب النور للنبي، المندوب السامي البريطاني الجديد، لعبته الكبرى لتصفية الثورة الوطنية الشاملة فأعلن أن النظام قد عاد إلى البلاد وأنه قد تم الإفراج عن سعد زغلول ورفاقه، وأنه لم يبق جبر على السفر ومبارحة البلاد، وهو الحجر الذي منع الوفد من السفر إلى مؤتمر السلام بباريس لتكذيب مطالب مصر الوطنية.

وقبل هذا الإعلان فعل السحر في الجماعات التي اعتبرته انتصاراً كبيراً للثورة

مادامت السلطة التي اعتقلت سعداً قد اضطرت للإفراج عنه، وقد يكون ذلك شكلياً للثورة أو تضحية بمهادنة لها.

وفي زفتي لم تأخذ اجنتها الثورية الأمر بهذه البساطة ولم تهول، كما هولت المدن الأخرى، إلى نفس المولد. وبدا وكأن اللجة مصممة على إسمار الثورة في زفتي والدفاع عن حدود الدولة، الوليدة.

في مواجهة هذا الموقف الطيّد، لم تجد العملة العسكرية الأسرالية مفراً من أن تشدد حصارها للمدينة، فاحتلت ملحج رينهارت ومدرسة كشك عند أطراف المدينة، كما طالبت بتسليم عشرين موراطنا من المدينة لجلدهم جزاءً وتأييداً لهم على مشاركتهم في الثورة.

ولتأنيب مواجهة دموية غير متكافئة مع القوة البريطانية الغاشمة، قُبلت للجنة الثورية بالحل السلمي بعد أن دبرت هروب يوسف الجندى إلى القاهرة، ثم ملست عشرين فرداً من الروشة والميداء إلى العملة العسكرية لجلدهم.

وهنا ظهر الدكتور سيد شكري من جديد على رأس وفد من الأهالي يرافقه الضابط الوطنى إسماعيل حمده، وأقنوا قائد العملة تلك المصارف شهيداً لعودة الأمور إلى نصابها.

ومن المصعب أنه رغم تصفية الثورة في زفتي على هذا النحو وتلاقي وقوع مجزرة جديدة على أيدي السلطة العسكرية البريطانية، فقد ظلت البلاغات البريطانية تنبه إلى أن ميت غمر لا تزال مع زفتي وميت القرشى مركزاً للتمرد والفتن في هذه المنطقة.

واجهت شكوك السلطات العسكرية البريطانية إلى الدكتور سيد شكري، وراحت هذه الشكوك تزيد يوماً بعد يوم بفعل الرواشة الذين ملأوا أذان السلطات منه، وصبروه على أنه أخطر شخصية وطنية معادية لبريطانيا في المنطقة.

وتصرفت السلطة العسكرية البريطانية تحت وطأة هذه الرواشات، فوجهت حملة مفاجئة لحصار قرية ميت يعيش، بلد د. شكري وأسرتة المصروفة بغزو، بحجة البحث عن السلاح والعتاد الذى قيل إن لجنة

ثورية من شباب القرية تعمل تحت قيادة د. شكري. تخفيه استعداداً للقيام بعمليات ضد القوات البريطانية.

وكانتها في مثل هذه الأحوال، هاجمت الحملة القرية في النجهر، وأبقيت العمدة (الشيخ إبراهيم حسين دهروج الأخ الأكبر للدكتور سيد شكري) ليرافق الجلود في تفحوش بيوت القرية التي حدها الواشون. واحتال العمدة لتخليصهم بأن عرض على قائد الحملة تقديم وجبة إفطار لأفراد القوة أو لا ثم يقومون بعد ذلك بعملية التفحوش، وقبل قائد القوة دعوة العمدة للإفطار دون أن تدخله إلى رغبة في الأمر.

وبينما انشغل جناب وأفراد الحملة بتناول الإفطار، سرب العمدة الناب إلى أعضاء اللجة الصالحة للثورة من مسلمين وأقباط، لإخفاء ما لديهم من أسرار التبرعات ولحق السلاح والمعاد إلى خارج القرية. وتم ذلك بالفعل عبر أسطح الدور ومنها إلى الفيلان النسيحة من زمام القرية، فلما قامت قوة الحملة بالتفحوش لم تعد على شيء بين أهالي القرية ولم يقع في أيديهم ما يشهد على صحة شكوكهم. ومع ذلك أصرت القوة على اعتقال عدد من شباب القرية وخاصة من هم من طلبة المدارس العليا المعتلة (١).

وحضر الدكتور شكري من ميت غمر على متن موتورسيكل بحرية جانبية ليشهد المنظر الأخير لعمليات التفحوش وعلى وجهه انجاسة ساخنة لم يكن يخفيها. وبادر بالحديث مع قائد العملة مطالباً بحسن معاملة المعتقلين، والسماح لهم باستخدام ركائبيهم في ميت غمر وعدم تكبييلهم بأى نوع من السلاسل أو الحبال، ويبدو أن قائد العملة استجاب لهذه المطالب تحت تأثير الحجج التي ساقها إليه الدكتور شكري في لغة إيجازية ممتازة.

### دروس مستفادة

لأن كانت تجربته الذاتية في أيرلندة اللائرة على الاحتلال البريطاني، ثم في طرابلس الغرب المكافئة ضد الغزو الإيطالى قد غرست في نفسه بذور الرؤية الوطنية التحررية التي تؤكد أن الطريق إلى الاستقلال يمر من فرمة بنحنية، فإن تجربته في ثورة ١٩١٩ كانت أعمق أثراً في تكوين رؤيته

السياسية، وفي تشكيل موقفه إزاء العمل الحزبي والأحزاب على الساحة المصرية.

كان الدكتور شكري يؤمن إيماناً راسخاً بضرورة الوحدة الوطنية كشرط لنجاح النضال الوطنى وتحقيق مطالب الأمة في الاستقلال والحرية، وإذا فقد أفرزه كثيراً أن يرى القوى السياسية في البلاد تنقسم فيما بينها زمراً وجماعات وأحزاباً متناحرة؛ فالرؤى، في حياة سعد زغلول وبهده، يطرد عناصر وطنية معشاة من صفوه، وحزب الأمة القديم لا يقدر على تجاوز سنوات الثورة موجهاً، فتخرج منه أحزاب انقسامية مثل الأحرار الدستوريين وغيرهم. وحتى حزبه الأثري إلى قلبه؛ الحزب الوطنى، ينقسم إلى جماعات متناحرة، فللك جماعة أمين الرافعى ونلك جماعة الصوالى ونلك جماعة رمضان.

ومن خلال تأمله الحزين في مختلف مظاهر هذه المأساة الوطنية، ازداد الدكتور شكري اقتناعاً بالاستقلالية في العمل والفكر السياسى، باعتباره البديل الصحيح للتناحر والفرقة والتحيز والحزب على حساب مصالح الوطن وطموحات الشعب.

والاستقلالية عند الدكتور شكري ليست هروباً من مسؤوليات العمل السياسى، وإنما هى وسيلة لتجاوز الخلافات النفسية والتحزبية، من أجل حماية مصالح الوطن والمواطنين، كما أن الاستقلالية عنده ليست عزلة أو انقطاعاً عن رجال السياسة المخلصين المرتبطين بهذه الأحزاب، لقد حرص الدكتور شكري طوال حياته على الاحتفاظ بعلاقات وصداقات حميمة مع عديد من قادة الأحزاب والزعماء والشخصيات، ولم يدع هذه الخلافات السياسية معهم أن تنقسم هذه العلاقات، وإن المره ليعجب الآن لهذا العدد الكبير من الشخصيات الشبابية في انتماهم الحزبي، وهم يترددون ويتجمعون في عزبة قرب ميت يعيش على مآبىة الشهور، فكانت تجد عنده يوسف الجندى وأحمد نجيب الهلالي ومصود أبو النصر من الرند وإسماعيل صدقى وحافظ عفيفي وشمس الدين عبدالقادر من أحزاب الأقلية، ثم ذلك الرجل العظيم والفريد في فكره ومواقفه الفريق عزيز المصرى.



## الإصلاح الاجتماعي بديلاً لثورة الاجتماعية

وقد ظل هذا اللطم من الصدقة المجمعة لأطراف وشخصيات متناقضة، اللطم الخالم في حياته بما يتطلبه من قدرة على قرض التعامل الردي المصمم بين هذه الشخصيات التي طالما تزعزت وتناحرت على المسرح السياسي والعزبي.

### في خدمة المجتمع المحلي

انتهت ثورة ١٩١٩ وضُرْق مسرح السياسة المصرية في مستنقع من التناحر العزبي المدمر للوحدة الوطنية، ووقعت البلاد فريسة للتصراعات التي نشبت بين حزب الوفد وبين كتيبة من أحزاب الأقية المظلمة في الحكم والعاجزة عن تقديم الحلول لتضايي الوطن الأساسية. أما الحزب الوطني فقد خسر قيادته التاريخية بوفاء محمد فريد في المنفى، وتناحر رجال الصف الثاني فيه على قيادته ففترقت كلمتهم وتكررت انتقاماتهم.

ولم يكن الدكتور شكري مستبعداً للمشاركة في ذلك البعث الحزبي أو أن يكون له أي دور فيه وكان مقتنعاً بأن العمل السياسي في مثل هذا المناخ المربوه لا يفيد الوطن في نيل حريته واستقلاله، ولا يفيد المواطنين فيما هم بحاجة إلى من تنمية الموارد وتوفير الخدمات والعيش الكريم.

وبدا الدكتور شكري في تلك المرحلة التي امتدت من العشرينيات وحتى منتصف الثلاثينيات، أكثر اقتناعاً وميلاً إلى الانسحاب من الحياة العامة والسياسية في مستواها القومي، مفضلاً التركيز بكل طاقته على خدمة الجماهير للفقيرة والكادحة على المستوى المحلي، ولم يكن هذا المستوى المحلي عنده يجرأز حدود مركزى ميت غمر وزقنى وما يتبعهما من قرى وكفور،

كان أبرزها وأقربها إلى قلبه، قرية ميت بعين وكفر يوسف زقنى.

ويطلق مفهوم خدمة المجتمع المحلي عند الدكتور شكري من إحساس صادق يمكن أن نسميه بالأبوية الخيرة Benevolent Paternalism، وهو إحساس يجهل من صاحبه نبعاً للحب والحذب والعطاء نحو الآخرين، فيفيض عليهم بالخدمات والمساعدات، ولكنه يحرص على أن يحتفظ لنفسه بالكلمة الأخيرة في اختيار هذه الخدمات، حتى وإن لم تأت على هوى المتلطف بها، كما يحتفظ لنفسه بحق مداخلة أحوال المتلطفين ومحايلهم على ما يحقونه في حياتهم من نجاح أو فشل بعد أن تلقوا هذه الخدمات.

والأثره الخيرة مكلفة لأصحابها لأنها تشكل عبئاً على مواردهم، ولكن يبدو أن الدكتور شكري كان في تلك الفترة، يحقق دخلاً عالياً نسبياً من خلال ممارسته لمهنة الطب المجزية ومن حصيلته ربح الأراضي الزراعية التي ملكها، رغم أنها لم تكن ملكية واسعة، الأمر الذي مكّنه من تحمل الأعباء المالية لممارسة الأبوية الخيرة.

ولغنا الدكتور شكري صديداً من الخدمات التي رأى ضرورة توفيرها المحتاجين الذين ولجئوا إليه من أمالي ميت غمر وزقنى، ورغم التلوع الكبير في تلك الخدمات فإنها كانت تخرج في نهاية الأمر في ثلاث: خدمات العلاج الطبي - خدمات التعليم - خدمات التشغيل والتوظيف.

فى مجال العلاج الطبي، كانت عيادته في زقنى تخصص جانباً كبيراً من نشاطها اليومي لإعلاج فقراء الفريضة والإجراء العمليات الجراحية التي اشتهر بها الدكتور شكري، فضلاً عن صرف الدواء بالجان من صيدلية ملحقة بالعيادة. وإسا نعرف عملاً خيراً مشابهاً لذلك إلا عيادة الدكتور محبوب ثابت بحى السيدة زينب بالقاهرة، والذي كان - مثل الدكتور شكري، عضواً بالحزب الوطني في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى.

وفي مجال التعليم، اهتم الدكتور شكري بتوفير فرص للتعليم لكل طفل نابه في أسرته وفي قريته. ولم يكن يسمع بأسرة فقدت

عائلها حتى يسارع إلى توفير الضمانات باستمرار تعليم أبنائها، وخاصة الابن الأكبر، لكي يبين أسرته هذا إلى جانب تبرعاته الدورية «لكتاب، القرية، والسعى لإلحاق الصبية الناهيين ممن حفظوا القرآن، بالمعاهد الأزهرية في الزقازيق والقاهرة مع ضمان مخصص دائم لتحويل مراحل تعليمهم إذا أثبتوا جدارتهم لذلك. ووجد الدكتور شكري في مدرسة الإرسالية الأمريكية بقرية ميت بعين فرصة سانحة لأبناء القرية لنيل الشهادة الابتدائية ثم التوظف أو مواصلة التعليم التجهيزي والعالي بالقاهرة. ولهذه المدرسة فضل كبير على كثيرين من أبناء ميت بعين الذين نالوا الابتدائية منها ثم أكملوا تعليمهم العالي ليصبحوا من المهنيين المرموقين في البلاد مثل المهندس حسين بك حلمى دحروج؛ الأخ الأكبر للدكتور شكري، ومثل الدكتور العالم الكبير عبد المعبود الجبيلي أبرز علماء الذرة في مصر، ومسلات من كسار المرتطيين ومتوسطيه. وإسا نعرف ميلاً لجهرد الدكتور شكري في مجال تعليم الناهيين من أبناء القنارة لإجهرد عبد العزيز باشا فهمى لأبناء كفر المصلحة بالقنوقية. ولكن جهرد الدكتور شكري لم تكن تتوقف حد حد إكمال المتلطفين لتعليمهم وإسا كانت تحد بد ذلك لمساعدتهم في الحصول على الوظائف الملالة.

ولمنا لا نخرج على سياق هذا الموضوع إذا ترقنا لحظة هذا لتستعرض من خلالها موقف الدكتور شكري من تعليم المرأة، وكيف ترجم ذلك إلى ممارسة عملية في تربيته لبناته والتزامه بربوة ليبرالية واضحة في فهم دور المرأة وتحديد مكانتها في المجتمع. ولعل أفضل صيغة لوصف هذه الرؤية أنها كانت تجمع بين التمسك بالقيم الأسيلة للأسرة وبين القبول العقلاني الرصين بما تفرضه المتغيرات الاجتماعية على حياة المرأة المصرية ومستقبلها، يضاف إلى ذلك أن الدكتور شكري لم يتردد في امحان آرائه وأفكاره على الواقع، فدابع إلحاق بناته الثلاث (٧) بكافة مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعى. وكانت مؤثرته على ذلك ما حققته في حياته ونحت رعايته



من مستويات اجتماعية رفيعة ومكانة مرموقة في الحياة العامة، حتى أصبحن نماذج مشرقة للمرأة المصرية الجديدة.

وانتشل الدكتور شكرى في تلك المرحلة انشغالا كبيرا بقضايا التنمية الزراعية وتحدث ملامها ووسائلها وعلاونه في ذلك صديق إبراهيم بك أبو حليقة الذى طالما بهر أهلى قرى ميت غمر بخباره الزراعية الناجحة وإنتاجه من المحاصيل والفواكه الجديدة والنادرة. وقد نصح الدكتور شكرى بفنل تجاربه الزراعية فى إدخال فاكهة المناجر لأول مرة إلى مركز ميت غمر فضلا عما سبله من رسائل جديدة لتطوير طرق الرقابة ضد الآفات، وإنتاج سلالات جديدة من المحاصيل والفواكه.

لقد كانت تلك المرحلة بحق من أكثر مراحل حياته استقرارا وإنتاجا، ومن أسفى الفترات عطاء لخدمة المجتمع المحلي، ولاشك أن هذه الفترة كانت محصلة -وكمرة- لمسيرته من العراول، أمهها عامل الاستقرار الأسرى؛ فقد كان الدكتور شكرى موقفاً في زواجه عام ١٩١٥ بمصاهرة أسرة عارف العريكة التى انتهت نخبة من علماء مصر مثل الدكتور حسين عارف، عميد كلية الزراعة المصرية، وأخيه الأسفل حسن عارف المفكر التقدمى المعروف فى الأربعينيات.

وإذا أردنا أن نصف حياة الدكتور شكرى فى تلك الفترة، والتى امتدت من العشرينيات وحتى منتصف الثلاثينيات فإن أبغ وصف لها أنها كانت فترة عبث خللا المجتمع المحلي وتوفر فيها على خدمة الفقراء والفلاحين، وعكف على تطوير وسائل التنمية الزراعية وتحديثها. ويحت تأثير هذا العشق لرض الدكتور شكرى كشوراً من الإغرامات والهدوات التى تلقاها من أصدقائه الحزبيين للخروج من تلك «المحلية» ويقول مناصب وزارية، كان يرددها بلطف حفاظا على استقلالية السيامية أولا، وعلى راحة البال والحياة العائلية المستقرة.

ولكن ذلك لم يدم طويلا..

فى منتصف الثلاثينيات اكتشف الدكتور شكرى أن مجتمع ميت غمر لم يعد يلزم متطلبات التعليم لأبنائه، وكان حتماً

عليه أن ينتقل بالأسرة إلى القاهرة لإلحاقهم بالمدرس الثلاثة. وانتقال الأسرة إلى القاهرة، قبل الدكتور شكرى للعمل مديراً للقسم الطبى لهيئة السكك الحديدية تحت إلهام صديقه شاكر باشا، رئيس الهيئة.

وهكذا بدأت مرحلة جديدة فى حياته تميزت بالخروج على «المحلية» التى طالما فرضها على نفسه، إلى «القومية» والشمول، التى تقرضها الحياة فى القاهرة. وكان من أبرز آثار ذلك الانتقال أن عاد الدكتور شكرى إلى العمل السياسى من جديد دون أن يفقد استقلاله.

فى القاهرة تفرغت للدكتور شكرى مساحة عريضة للزيرة وللمناخ الحركى السياسية والحزبية فى مستواها الوطنى الشامل. ورغم حذره الشديد من أن يرتبط اسمه بأى حزب أو جماعة سياسية معينة، واحتفاظه بموقفه المستقل إزاء الأحزاب القائمة، فإن ذلك لم يبق حائلا بينه وبين أصدقائه الحزبيين من كل لون ودرب، الذين كانت تجمعه بهم تلك اللقائات للصحة والمنظمة بنادى الجزيرة وحديقة، جروبى، وفى قوته الأنيقة بفارح وشان قرب ميول الساحة (عيد المنعم) بالجزيرة.

فمن خلال تلك اللقاءات، وماتجدد من الاتصالات بقدهمى الرفاق من الحزب الوطنى وقدهمى الأصدياء من مختلف الانتماءات الحزبية، بدأ للدكتور شكرى يخرج من قوقعة «المحلية» ليرسع لاهتماماته الاجتماعية خارج الحدود الضيقة لمركزى ميت غمر وزغنى، ولیمشرف قضايا عامة وشاملة تبرز من بينها القضية الوطنية وقضايا الإصلاح الاجتماعى والتنمية الزراعية وخدمات الصحة للمواطنين.

وقع الدكتور شكرى فى القاهرة تحت ضغوط كثيرة من جانب أصدقائه من الوزراء وقادة الأحزاب؛ لكل يريد اجتذابه إلى حظيرة حزبه. من الوفد، نشط يوسف الجنيدى السامسى الذى قاد ثورة زغنى، وحسن نافع، النائب الوفدى عن دائرة ميت غمر وشيخ وابن قرية دنطيم (مركز ميت غمر) لإقناعه بالانضمام إلى حزب الوفد. وبالمثل كان حافظ عليمى باشا، رفيق شبابه ومهنته، يحاول اجتذابه إلى حزب الأحرار الدستوريين ومعتدى الحزب فى

جريدة السياسة التى يرأس تحريرها الدكتور محمد حسين فيكل، يعاربه صديقه عبدالله عشان ابن مركز ميت غمر (قرية بشلا)، ولذى كان للدكتور شكرى الفضل فى تبنيه محرراً بمجلة السياسة (٨).

ولكن، رغم هذه الضغوط، ظل متمسكاً باستقلاليته وموقعه الحر فى طرح آرائه السياسية حول قضايا الوطن ومناخه المواطنين. وتأكد موقفه المستقل فى عام ١٩٣٨ عندما قرر خوض المعركة الانتخابية لمجلس النواب عن دائرة ميت غمر كمرشح مستقل، وكانت هذه الدائرة يتبادلها الأستاذ حسن نافع عن الوفد منذ ١٩٢٤، والأستاذ خليل محبى الدين ابن قرية كفر شكر عن الأحرار الدستوريين، فلما علما برغبة الدكتور شكرى، بادرا إلى التحاليل له وأعلنا انسحابهما، ولجح الدكتور شكرى المستقل بالزكية.

ولكن عضويته بالمجلس لم تكن طويلة بالقدر الذى يسمح له بإبراز وطرح آرائه فالعرب العالمية الثانية على الأبواب منذرة بأعمق التغييرات فى حياة الدكتور شكرى وفى حياة مصر والعالم أجمع.

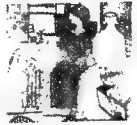
## شكرى وأحرب العالمية الثانية

١٩٣٩ - ١٩٤٥

بإعلان الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩، أصبحت القوى السياسية فى مصر مطالبة بتحديد موقفها من أطراف الصراع؛ اللقاء من ناحية، والفاشية الألمانية والإيطالية من ناحية أخرى (المحور).

كان الموقف الرسمى للحكومة المصرية موقفاً متحده معاهدة ١٩٣٦ لى فكاه من أحكامها... مسحين أن مصر لم تكن طرفاً مباشراً فى الحرب، كما لم يكن لها فيها ناقة ولا جمل، ولكنها كانت مقيدة بالزاماتها كحليف لبريطانيا العظمى، بحكم المادة (٧) من المعاهدة والى تنص على أنه إذا اشترك أحد الطرفين (بريطانيا) فى حرب فإن الطرف الآخر يقوم فى الحال بإنجاده بصفتها حليفاً، وتتمحصر معارضة صاحب الجلالة ملك مصر، فى حالة الحرب أو خطر الحرب الناهم، أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها، فى أن يقدم إلى صاحب

## الإصلاح الاجتماعي بديلاً لثورة الاجتماعية



من الحالات (إلا تعبيراً) انفعالياً على طريقة  
«عدو صديقي»!!

والسؤال الذي يهمنا هنا هو: كيف كان  
موقف الدكتور شكري من الحرب.  
ومن أطرافها؟

للشئ المؤكد هو أن الدكتور شكري كان  
يضمّر عداً شديداً، لم يكن يخفيه، ضد  
الاحتلال البريطاني لمصر، ولم يحمل في  
نفسه لبريطانيا إلا الدّعاء لها بالهزيمة  
والتضمران وهي تخوض غمار الحرب العالمية  
الثانية. ولكن عداؤه لبريطانيا لم يحركه في  
إنهاء التأييد لدول المحور الفاشية والتي لم  
تكن تفلح لمصاًحاً عن بريطانيا في احتلال  
مصر وإذلال شعبها ونهب ثرواتها.

كان الدكتور شكري يأمل أن تنهك  
الحرب كافة أطرافها من الدول الاستعمارية  
المتصارعة، فتحتك مصر، وغيرها من  
المتحمرات، من تحرير إرادتها ونيل حريتها  
واسقلالها، ورغم هذا التفكير المنطقي،  
والسليم حقاً، وجد الدكتور شكري نفسه في  
وضع لا يحد عليه وسط الأحزاب السياسية؛  
فمرقه العادي لبريطانيا والحلفاء وضعه في  
موقف التناقض مع حكومة الورد المتعارفة  
مع الحلفاء والتي سخرت موارد البلاد المادية  
والبشرية له في حين قيد أو شرط، كما وضعه  
في مواجهة أحزاب الأقلية والجماعات  
الفاشية المحلية (مصر الفتاة - الإخوان  
المسلمين - جماعة القصر المحجزة إلى  
المحور) التي رحبت بالجيش الألمانى  
الغازية لمصر من الصحراء الغربية، وناشدت  
رومى أن يتقدم ليحتل البلاد.

ولعل أصعب ما واجهه الدكتور شكري  
في هذا الموقف أن صديق عمره المناضل  
البطل عزيز المصري، كان متدفعاً في  
تأييده لدول المحور إلى الحد الذي لم يكن  
يرى متبركاً في احتلالهم لمصر، متصوراً أن  
الألمان النازيين أكثر حياً لحيون مصر، وقد  
حاول عزيز المصري بالفعل إجراء اتصال  
بالقيادة الألمانية في الصحراء الغربية، ودير  
مع مجموعة من شباب سلاح الطيران طائرة  
ليرسله إلى مقر قيادة رومى، ولكنها هبطت  
به اضطراراً عند مدينة قليبوب... ولحق في  
عزيز المصري قدرة عن عبور الدويلين  
المصري وعلاء بريطانيا وجواسيسها.

الجلالة الملك والإمبراطور، داخل حدود  
الأراضي المصرية، ومع مراعاة النظام  
المصري للإدارة والتشريع، جميع التسهيلات  
والمساعدة التي في وسعه بما في ذلك  
استخدام موانئه ومطاراته وطرق  
المواصلات، والحكومة المصرية مزمنة إلى  
جانب ذلك «بأن تحذف جميع الإجراءات  
الإدارية والتشريعية بما في ذلك إعلان  
الأحكام العرفية وإقامة رقابة وقية على  
الأبناء ولجعل هذه التسهيلات والمساعدة  
فعالة».

ورغم كل هذه الالتزامات والتقدير التي  
تكبل مصر وحكومتها، ظل الإنجليز غير  
مطمئنين إلى قدرة حكومات الأقلية (٩) على  
تنفيذ التزامات مصر وفرضها على جماهير  
الشعب المصري. وكان الحكم قد رسا أخيراً  
ويحد تهمرة أكثر من وزارة ورئيس، عدد  
وزارة حسين سرى الثانية والمشكلة من  
حزب الأحرار الدستوريين وحزب السعديين  
والحزب الوطني ولحم الأمر، اختار الإنجليز  
حزب الوفد ليوافق وزارة جديدة باعتباره  
أكثر الأحزاب شعبية وقدرة على ضبط  
الجماهير أو خداعهم. ولم يكد ذلك بعد أن  
خاضرت دباباتهم قصر عابدين وهددت  
بعض الملك فاروق ما لم يستدع مصطفي  
النحاس باشا لتشكيل الوزارة. وقد عرف  
هذا الحادث المشؤم باسم «حادثة ٤ فبراير  
١٩٤٢».

ولاشك أن هذا الحادث أضر مدور قادة  
أحزاب الأقلية ورجال القصر وهز ولاهم  
القديم لبريطانيا العظمى، فزادوا يتعجلون لها  
وإحباطها الهزيمة، ودعا بعضهم بالانصر  
لدول المحور. ولم يكن هذا الوقت في كثير

وكانت السلطات المصرية، والبريطانية  
أيضاً، تضع ضمن الاحتمالات المتوقعة  
بإخفاة عزيز المصري، أن يكون قد لجأ  
إلى عزة الدكتور شكري القريبة من قرية  
«ميت يحيى»، ومن ثم فقد راحت هذه  
السلطات تنقصي الأمر حول هذا الاحتمال،  
فاتصلت بالدكتور شكري ودباً لكي يصح  
عزيز المصري إن كان قد لجأ عنده، بتسلم  
نفسه أو على الأقل مغادرة العزة حتى لا  
يوقع بين السلطة والدكتور شكري. ولكن  
اتضح فيما بعد أن عزيز المصري كان  
مختفياً عند صديق له بإمبابة كان يعمل  
أساذاً بكافة الفنون الجميلة.

تابع الدكتور شكري أثناء الحرب على  
جميع الجبهات باهتمام شديد ولم يكن  
الراديو يفارقه أيضاً ذهب... وقد مكته ذلك  
من مقارنة وتقييم الأبناء والنداءات التي  
يذيعها كل طرف من الأطراف المتحاربة.

ولما قاربت الحرب في الجبهات  
الأوروبية على نهايتها وأصبح من المتوقع  
إزلال الهزيمة بالمحور، أخذ الشعور بالقلق  
على مصر مصر وشعبها بأخذ من الدكتور  
شكري ريعينه، تخصصباً منه لما يمكن أن  
يحدث لها من قهر وإذلال على يد المنتصر  
وغرطته.

ولعل أفسى ما كان يؤلمه حينذاك أن  
الحرب عطلت جهود مصر وشعبها لحل  
قضايا الوطن الأساسية، الوطنية والاقتصادية  
والاجتماعية... وعلى أبناء مصر المتطلعين  
اليوم أن يعرضوا ما صنع من الوقت بسبب  
الحرب ومما طلة الحلفاء، فليس ثمة طريق  
آخر أسامهم إلا أن يبادروا - وقد قاربت  
لحرب على الانتهاء - إلى طرح قضاياهم  
وأعمال فكرهم لحلها، والتحرك الجماعي  
لكافة القوى الوطنية لتنفيذ هذه الحلول... ولا  
مكان هذا اليوم للحزب والتناحر الحزبي؛  
فالיום هو يوم الوحدة الوطنية ويوم الاتفاق  
على الأساسيات.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا هنا هو:  
كيف كان يفكر الدكتور شكري في هذه  
القضايا؟

لكي تكون موضوعين في الرد على هذا  
التساؤل، ينبغي أن نتذكر جمل مواقفه  
السياسية السابقة، والخبرات التي اكتسبها من

خلال نضاله الوطني وخدمة المجتمع المحلي، وهي المواقف والخبرات التي سيكون لها أعظم الأثر في تشكيل فكره وهو مقبل على مواجهة قضايا الوطن الرئيسية في أعقاب الحرب؛ ففي القضية الوطنية كان الدكتور شكري يؤمن بالفلاح المصلح ضد بريطانيا لتحرير مصر، وأن ذلك يحتم وحدة القوى الوطنية وحاشي الحزبية والتحزب في مرحلة التحرر الوطني. وفي القضية الاقتصادية لم يشغل الدكتور شكري كثيراً بقضايا التنمية في حد ذاتها كما أنه لم يشارك أصدقائه الاقتصاديين طلعط حبيب وهاطف عفيفي ومحمد عاصم<sup>(١٠)</sup>، ممن تفرغوا للتفكير والتخطيط الاقتصادي والقضاء على الفساد.. وكان اهتمامه الأكبر مرجها، فكر وعملًا، إلى المسألة الزراعية، لا من منظور قضية الملكية، وإنما من منظور البحث في تطوير أساليب الزراعة وتحديثها وزيادة الإنتاج. أما في القضية الاجتماعية، فقد كان الدكتور شكري يؤمن بالإصلاح الاجتماعي Social Reform بمفهوم توفير الخدمات للمواطنين وخاصة من الفئات المتطوعة اقتصادياً (المحامل لللاجئين - سفار الموظفين)، والمسؤولية في رأيه ينبغي أن تكون قسمة بين الحكومة وبين العمل الاختياري Voluntary Action من الأهالي.

والدكتور شكري في كل هذه الآراء لم يكن منظرًا أو ملتزمًا بخطيرة معينة من نظريات الفكر الاجتماعي، ولكل حقيقة مهمة ينبغي أن نتذكرها لا عندما نتناول محاولاته المتطوعة للتطوير في بداية الخمسينيات.

بهذه المفاهيم الواضحة والمحددة، وهي عصارة خبرته الطويلة، راح الدكتور شكري يطل على السنوات المقبلة بعد الحرب، ويحاول استشراف مستقبل مصر وشعبها وقضاياها الأساسية وطموحاتها التي طالما انتظرت تحقيقها.

#### في الطريق إلى «جمعية الفلاح»

واجه الدكتور شكري، وهو مقبل على تحديد موقفه من القضايا الأساسية للوطن، في أعقاب الحرب، مجموعة من المتغيرات والمستجدات كان لها أعظم الأثر في تشكيل فكره وفي صياغة مواقفه.

ويأتى في مقدمة هذه المتغيرات والمستجدات، اشتعال الصراع وانتشار الحزبية، بعد أن كان قد خدم تائباً أو كاد، طوال سنوات الحرب أو لعدة سنوات منها. وكان من المتصور عند الكثيرين، وهو تصور تعلق به الدكتور شكري نفسه، أن تعامل الأحزاب فوق خلافاتها وأن توجد صفوفها وهي تتحد لجولة مع بريطانيا، بالمفاوضة السلمية أو الكفاح المصلح، من أجل التحرر الوطني.. ولكن شيئاً من ذلك لم يتحقق، وتغجر الصراع الحزبي من جديد وتخذ أشكالاً وأبعاداً لا عهد لها بها من قبل. ولعب الملك ورجال القصر دوراً فظيماً في إشعال الصراع وفي بث روح ثأرية كروية ضد حزب الوفد لتتصاعق من أحداث ٤ فبراير المشؤم. وسعى كل من يطعم في أن تكون له حظوة عند الملك، بالرشاية ضد الوفد وضد صاحب كل رأي معتقل، وراح يفض الساسة الحزبيين يجهزون أنفسهم للاستمرار في خدمة الملك وعلى حساب خدمة الوطن، بينما راح البعض الآخر يعرض لنفسه وضاعته لخدمة الإنجليز.

وعلى تناقض تام مع هذا التدرى الحزبي، تفجرت حركة الجماهير المطالبة بالجهاد والتحرر الوطني، مطلة رفضها لشرائع الأخلاق الغربية، ونجحت الحركة في تعطيل مؤتمرات أحزاب الأقلية المؤيدة للأحلاف (صدقي - بيوتن) وقمع المناهقين للتقصر سرًا وعلانية (الإخوان المسلمين).. وقد ظلت حركة الجماهير تضغط على حكومة الوفد التي تألفت في ١٢ فبراير ١٩٥٠ حتى أجبرتها على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وإعلان شرعية للكفاح المصلح ضد التواجد البريطاني في مصر.

وإذا كان الدكتور شكري قد رحب بحركة الجماهير، رغم اعتراضه على قيادتها من الشيوعيين واليسار، فإنه لم يسعه كثيراً أن يرى أسدقاءً له يشاركون في الصراعات الحزبية أو يعملون لحساب القصر ويجاريون مع الرغبات الملكية، مثل حافظ عفيفي باشا الذي قبل منصب رئيس الديوان الملكي في ٢٥ ديسمبر ١٩٥١، وأحمد نجيب الهلالي الذي ومنع نفسه في خدمة الملك ضد الوفد، فاتهمه الوفد بالانشقاق وقرر فصله في ٧ نوفمبر ١٩٥١.

ولا شك أن المرارة والحزن قد ملا صدر الدكتور شكري وهو يسمع ضجيج اللذائذ الحزبي يملو على صوت العقل، وصوت الفرقة يملو على دعوة التضامن والوحدة الوطنية.

وكان ثاني المتغيرات والمستجدات، احتدام الصراع حول المسألة الزراعية في مصر، وهي مسألة أثيرة عند الدكتور شكري، وربما كان هو من أوائل من شغلته هذه المسألة وسمى إلى إيجاد حلول لها، لا من منظور البعد الاجتماعي، وإنما من منظور الحاجة إلى تحديث الأساليب الزراعية وزيادة الإنتاج واستحداث سلالات جديدة في الثروة والمعاصل.

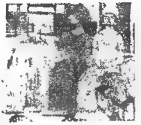
والمعروف أن هذا الصراع الكفري حول المسألة الزراعية يرجع إلى بداية عام ١٩٤٤ على وجه التحديد، وأستمر مشغلاً خلال السنوات التالية حتى حسمته ثورة يوليو ١٩٥٢ بإصدارها قانون الإصلاح الزراعي.

صحيح أن المسألة الزراعية، لها بعدا ومضمونها السياسي، وأن الصراع الكفري حولها كان ينطلق دائماً من منظور الصراع الطبقي في ريف مصر، ولكن الجانب الأهم لهذه المسألة، في رؤية الدكتور شكري، كان الجانب الاقتصادي أو جانب الأداء الاجتماعي في الميلاذ.. فقد ثبت للجميع أن واقع الملكية الزراعية وأسلوب إدارتها المتخلف، أصبح قيداً على حركة التقدم الاقتصادي، وجرع عثرة في طريق جهود تحسين الإنتاج وتطويره وزيادته.

ولم يكن من المتصور أن يفل الدكتور شكري بمزمن من الصراع حول المسألة الزراعية، وهي المسألة التي طالما انشغل بها نظرياً وعملياً استرات طويلة، وسبق الكثيرين بما كان يبذل من جهود لتطوير أساليب الزراعة وتحديثها واستحداث سلالات زراعية جديدة في عزيقه المسحوقة المساحة.

ولابد أنه تابع ذلك المسلم من المشاريع والتدريجات والتصورات التي نبعت من مختلف الأحزاب والتكتلات والجماعات والأفراد، حول قضية الملكية الزراعية أو العدالة الاجتماعية في الريف، أو غير ذلك من المسيمات التي راجعت في الفترة من ١٩٤٤ إلى ١٩٥٢.

## الإصلاح الاجتماعي بديلاً لثورة الاجتماعية



ويحدر مشروع الأستاذ محمد خطاب؛ صنو مجلس الشيوخ السعدي، الذي قدمه إلى المجلس في فبراير ١٩٤٤، أول وأشهر مشاريع تصعيد الملكية الزراعية، وهو يقضى بوضع حد أعلى للملكية الزراعية لا يزيد عن (٥٠) فداناً، وقد أقرته لجنة الشئون الاجتماعية بمجلس الشيوخ بعد أن رفعت الحد الأقصى للملكية إلى (١٠٠) فداناً، ويقول: «الفرق الدكتور عبد العظيم رمضان» (١١) «إن البروجازية المصرية الحاكمة أعلنت رفضها التام لأي تقويد للملكية كرسولة من وسائل الإصلاح الزراعي، وبأنهى موقفيها حين عرض محمد خطاب مشروعه على البرلمان؛ فقد وجّه بمعارضة شديدة من مجلس الشيوخ ومن الحكومة ومن الأحزاب ومن ملئ الديار المصرية. وانتهى مجلس الشيوخ بعد مناقشة حاصلة علت فيها الأصوات، وانتقلت إلى مدير، ثم تحول الهدير إلى زاهر» إلى إحالة المشروع إلى لجنة لوائده. وقد قامت اللجنة بإبداء فلا حين قدمت تقريرها في ٢٤ مارس ١٩٤٧ برفض المشروع.

وجهات المحاولة الثانية من «جماعة النهضة القومية» في عام (١٢) ١٩٤٥، عندما أصدر مريت غبالي باسم الجماعة، كتابه المشهور الإصلاح الزراعي، طالب فيه بوضع حد أقصى للملكية الزراعية لا يزيد على (١٠٠) فدان.

وفي عام ١٩٤٥ أيضاً أصدر صادق سعد، من قادة الحركة الشيوعية المصرية كتابه «مشكلة الفلاح» اقترح فيه أن يكون الحد الأقصى للملكية الزراعية (٥٠) فداناً، على أن تصدر الدولة ما يزيد على ذلك.

وفي العام نفسه، ظهر تيار جديد في معالجة المسألة الزراعية؛ تيار يرفض التحديد القانوني للملكية، ويقترح كبديل لذلك فرض ضريبة تصاعدية على الملكيات الزراعية كوسيلة مثلى لتحديدها، وكان يقود هذا التيار الدكتور أحمد حسين؛ الأستاذ بكلية زراعة القاهرة.. وقد عبّر عنه في البحث الذي ألقاه ونشره حول الملكية الزراعية، وطلب فيه بفرض الضرائب التصاعدية على الملكيات الزراعية، بصورة تجعل الملاك أو شراء ما يزيد على مائة فدان (مثلاً) عملاً غير مجد وغير مضمّن.

وقد وجد هذا التيار أنصاراً كثيرين؛ وخاصة من كبار الملاك الذين أزعجهم فكرة تصعيد الملكية بقوة القانون، واقرعهم أكثر وأكثر دعة الشيوخ والعين المصريين إلى مصادر الأراضي الزراعية الزائدة على (٥٠) فدان للفرد. وكان مصطفى نصرت (١٢) الوزير للري، من أبرز من أيدوا فكرة فرض الضرائب التصاعدية كأداة لتحديد الملكية.

وحمل الدكتور أحمد حسين أعلام هذا التيار معه إلى وزارة الشئون الاجتماعية عندما عين مديراً عاماً لمصلحة الفلاح عام ١٩٤٦ ثم وكيلاً للوزارة عام ١٩٤٨ فإلى جانب المشروعات الخدمية التي خطط لتنفيذها في الريف، وأشهرها مشروع المراكز الاجتماعية، جدد الدكتور أحمد حسين في عام ١٩٤٨ اقتراحه بفرض ضريبة تصاعدية على الأطلان نوازي، بعد حد معين، إجماعاً دخل الأرض، وذلك حتى يتجه كبار الملاك بجزء من أموالهم نحو الاستثمار في الصناعة والتجارة بدلاً من الأراضي.

وكان آخر سهم أطلقه المصلحون لحل المسألة الزراعية، اقتراح النائب الاشتراكي، المهندس إبراهيم شكرى إلى مجلس النواب عام ١٩٥٠ بنقل ملكية ما يزيد على (٥٠) فدان إلى الدولة مقابل سددت تستهلك على ٢٥ سنة بفائدة ٤ %.

وإذا عدنا إلى الدكتور شكرى سنجد أنه بروحه الاستقلالية الحرة لم يكن مستعداً لقبول أي من تلك المشاريع دون شروط؛ فهو وإن كان يحقق مع المنادين بمبدأ تقويد الملكية، فإنه يخطف معهم في الوقت نفسه حول وسيلة للتقويد وحول مصير الملكيات الزائدة وطريقة الجعوض. والمعاصرون

الدكتور شكرى في تلك الفترة، والذين مارسوا الحوار معه حول المسألة الزراعية كضحية راجحة، يصورون موقفه حينذاك على النحو التالي:

### ١ - في تقويد الملكية الزراعية:

يقول الدكتور شكرى مع مريت غبالي والدكتور أحمد حسين في أن يكون الحد الأقصى للملكية الزراعية مائة فدان... وهذا يعني أنه يختلف مع محمد خطاب وصادى سعد وإبراهيم شكرى الذين حذرهما بخمسين فداناً.

### ٢ - وسيلة التقويد:

لا يرفض الدكتور شكرى مبدأ الضريبة التصاعدية على النحو الذي اقترحه الدكتور أحمد حسين والوزير مصطفى نصرت، كما أنه لا يرفض تصعيد الملكية بأداة تشريعية على طريقه محمد خطاب وصادى سعد وإبراهيم شكرى، ولكنه كان يفضل الجمع بين الوسيلتين بطريقة ما حتى لا يستفيد الملاك الزراعيون.

### ٣ - مصير الملكيات الزائدة:

يؤيد الدكتور شكرى مبدأ تعويض أصحاب الأراضي عن أراضيهم الزائدة عن الحد الأقصى، ويرفض بشدة مبدأ السادة الذي طرحه الشيوخ، كما يفضل أن يكون التعويض نقداً حتى ييسر للملاك تحويل استثماراتهم إلى الصناعة والتجارة.

نصل بعد ذلك إلى ثالث المتغيرات والمستجدات والتي تتمثل هذه المرة بالروابط الأسرية للدكتور سيد شكرى؛ ففي عام ١٩٤٧ تمت مصاهرة بين الدكتور أحمد حسين من عزيمة شكرى كبرى بنات د شكرى؛ خريجة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ومن النجوم الصناعية في سماء العمل الاجتماعي، وفي تقديرنا أن هذا اللقاء الاجتماعي - بالمصاهرة - بين الدكتور شكرى والدكتور أحمد حسين... هذا خبرته ومكانته المرموقة، في العمل الوطني والتزامه بالاستقلالية وذلك وشبهه والوجه الطبي، الجامعي والوطني والارغبة الجامعة في الإصلاح الاجتماعي... في تقديرنا أن هذا اللقاء كان حدثاً مهماً ومؤثراً في حركة الإصلاح الاجتماعي بمصر في نهاية الأربعينيات.

فيحصل هذا اللقاء، وما أحدثه من تبادل وحوار فكري بين قطبين من أبرز الشفتين بخصائيا الوطن عامة وقضايا الإصلاح الاجتماعي خاصة، تشكلت مسيرة جديدة من الفكر والدعوة في مصر لم تلبث أن تطورت إلى تيار سياسي متميز يرى أن الإصلاح الاجتماعي، وخاصة في الريف، هو البديل الوحيد لدرء مخاطر الثورة الاجتماعية والحد من تفاقم الاختلال الثوري الذي كان في رأيهم يهدد البلاد بأوخم العواقب.

واتخذ هذا التيار من «الفلاح» رمزاً وهدفاً لركناته، وأيضاً، جمعية الفلاح، الشهيرة لكونه تظليفاً وأداة له في طرح أفكاره وعرض مشروعاته والتعبير عن مطالباته.

فما هي تلك الجمعية وما هي حقيقة رؤيتها وتنظيمها وموقعها على خريطة القوى السياسية في مصر في تلك الفترة؟ وما هي الغاية الاجتماعية التي اضطرت «الجمعية» لخلقها، واعتبرت الدكتور شكري والدكتور أحمد حسين لثنتين من فرسانها وقائدها؟

## «جمعية الفلاح»

### موقعها على خريطة القوى السياسية

تشكلت «جمعية الفلاح» لتكون التنظيم الممثل والمعبّر عن ذلك التيار الذي ظهر في أعقاب الحرب العالمية الثانية على ساحة العمل السياسي في مصر، والذي يرى أصحابه أن الإصلاح الاجتماعي، وخاصة في الريف، هو البديل الوحيد لدرء مخاطر الثورة الاجتماعية، وأنه كفيل بإجهاض الاختلال الثوري الذي راح - في رأيهم - يهدد البلاد بأوخم العواقب. واتخذت الجمعية اسم الفلاح علماً عليها لأنه - كما تقول وثائقها - رمز المواطن المصري.

واجتذبت الجمعية - بفضل تلك الرؤية الإصلاحية المحافظة - إلى عضويتها، كل نجوم الإصلاح والمصلحين تقريباً، من كافة الأحزاب القسامة، وشكلت منهم منتدى إصلاحياً يستحيل اتهامه بطروية لئسار، كما يستحيل ربطه بغاشية اليمين (الدنيى أو العلماني).

فمن صليوب حزب الوفد، اجتمعت الجمعية إلى جانب رافيسها للدكتور أحمد

حسين، أحمد أبو الفتح والدكتور محمد صلاح الدين.

ومن صفوف أحزاب الأقلية (الأحزاب النخبويين والسعديين والحزب الوطني) جاءها الدكتور إبراهيم بيومي مذكوب والدكتور عبد الجليل العمري والدكتور نور الدين طراف والوزير حسين فهمي والدكتور عبد العزيز عبد الله سالم.

ومن جمعية الرواد وحلفاء المستقلين، جاءها الدكتور عباس عمار والدكتور أحمد زكي ومزيث غالي ومراد فهمي والدكتور سليمان حزين والدكتور محمد فؤاد جلال وحنا زكي ومحمد عبد الواحد خلاف والميد أبو النجا وأحمد الصاوي محمد ومحمد زكي عبد القادر ويعقوب فام وأسماء فهمي والدكتور عبد المنعم الشافعي. وهؤلاء في الأغلب من أساتذة الجامعات والمهنيين والكثرفراط.

وتتضح حقيقة هذا التجمع الإصلاحي من خلال برنامج محاضرات الجمعية ومناقشاتها خلال عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣، لاذي لورد صورته بالصفحة التالية:

أما من الناحية التنظيمية، فإن وثائق الجمعية لا تكاد تكشف عن رؤية جديدة يعد بها، أو أية صورة من صور الإنعاج في صياغة لائحة النظام الأساسي للجمعية. ويبدو أن الدكتور شكري والدكتور أحمد حسين قد اكتفيا باستخدام اللائحة للمزجبة للجمعية والتي يتم بمقتضاها تسجيل هذه الجمعيات في وزارة الشؤون الاجتماعية. الأمر الذي يقلل من قيمة لائحة النظام الأساسي لجمعية الفلاح كمصدر عن فكر الجمعية ومبادئها وخطتها.

ففي صياغة تطلب عليها الجمعية والإنشائية، تستعرض اللائحة - أغراض الجمعية ووسائل تحقيقها، فنقول إنها:

«جمعية إصلاحية اجتماعية غرضها الأساسي تحقيق قوة الوطن وخير لمواطنيه... والعمل على تحقيق العدل الاجتماعي في البلاد حتى تفرغ العزة والكرامة للمواطنين جميعاً».

وواضح أن المصطلحات الزائدة في هذه للفترة مثل قوة الوطن وخير المواطنين والعدل الاجتماعي، وهي مصطلحات كانت

رائجة حينذاك، إنما تصف أموراً بالغة التجريد ويسفرها كل مواطن حسب رؤيته الخاصة ويصفي عليها ما يين له من مضمون يلائم أزمته وتفكيره ومصلحته.

وتزداد اللائحة إشراقاً في العمومية والتجريد وهي تتناول في المادة الثالثة موضوع الوسائل التي مستخدمها الجمعية لتحقيق أغراضها فنقول:

«تسعى الجمعية إلى تحقيق أغراضها باتخاذ مختلف الوسائل التي تؤدي إلى تنمية روح العزة القومية والسمو الروحي والتمسك بالمثل العليا وتدية الوعي الاجتماعي الملم - إذ لا يمكن أن تقوم نهضة الوطن إلا على أكفاد مواطنين صالحين مسئولين يؤدي كل منهم واجبه بأمانة ويبدع به حقه بشجاعة حتى يكون عموداً كريماً في مجتمع كريم...»

وترسم اللائحة بعد ذلك الطريق أمام عضو الجمعية لممارسة جهوده من أجل تحقيق أغراض الجمعية، فنقول:

«الرسالة الأولى التي يتخذها أعضاء الجمعية لتحقيق أغراضها هي أن يبدأ كل عضو بنفسه فيطلي القدرة العملية، ويبادع غيره في بؤشته ومحيطة ويولنه ليكون ذلك المواطن المستدير الكريم، وأن يعمل الجميع معاً على إنقاذ الرأي العام بغداته الخفيفة بأهمية تكون المواطن الساتحين وأهمية النهوض الاجتماعي الشامل، وأهمية التعاون في هذا الشأن».

وتحدد اللائحة أدوات العمل المتبعة للأعضاء في:

«بالإتصال الشخصي أو بالعاماترات أو صفات الدراسة أو الموضرات أو النشر في الصحف أو إصدار التكتيبات والنشرات، وسواء أقامت الجمعية بذلك وحدها أو تمارت مع غيرها من الهيئات الأهلية أو الحكومية التي تهدف إلى الأغراض نفسها».

وتحدد اللائحة بعد ذلك بعض مجالات العمل والنشاط أعضائها فتؤكد على التربية الأساسية ودراسة حالة المجتمع دراسة علمية واقتراح البرامج والنظم والتشريعات والرسائل الأخرى التي تؤدي إلى النهوض بالأمة، فضلاً عن مجال تربية الشباب من خلال المعسكرات والأندية والرحلات والرياضة

# برنامج محاضرات الجمعية ومناقشتها

سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣

١٤ ديسمبر	جمعية الفلاح أهدافها ووسائلها	محاضرة خفزة الدكتور أحمد حسين
١٦ ديسمبر	جمعية الفلاح أهدافها ووسائلها	مناقشة يديرها خفزة الدكتور أحمد حسين
٢١ ديسمبر	التنوع في التعليم	محاضرة خفزة الأستاذ إسماعيل القباني
٢٣ ديسمبر	التنوع في التعليم	مناقشة يشترك فيها الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين والأستاذان عبدالرحمن حمادة ومحمد عبد الواحد خلاف
٢٨ ديسمبر	التنوع الاقتصادي	محاضرة خفزة الأستاذ عبدالجليل العمري
٣٠ ديسمبر	التنوع الاقتصادي	مناقشة يديرها خفزة الأستاذ حسين فهمي
٤ يناير	التنوع الصحي	محاضرة خفزة الدكتور نور الدين طراف
٦ يناير	التنوع الصحي	مناقشة يشترك فيها الدكتور : سيد شكري ، أحمد محمد كامل ، محمد علي بدر الدين
١١ يناير	التنوع الاجتماعي	محاضرة خفزة الأستاذ محمد فؤاد جلال
١٣ يناير	التنوع الاجتماعي	مناقشة يديرها خفزة الأستاذ مراد لومي
١٨ يناير	الإصلاح الزراعي	محاضرة خفزة الأستاذ عبد العزيز عبد الله سالم
١٠ يناير	الإصلاح الزراعي	مناقشة يشترك فيها الدكتور : القلوني ، حسني السيد ، حسن داود
٢٤ يناير	المداواة الاجتماعية	محاضرة خفزة الدكتور عباس عماد
٢٧ يناير	وسائل التمرير بمبادئ الجمعية وأهدافها	مناقشة يشترك فيها الأستاذة : السيد أبو النجا ، أحمد الصاوي محمد ، حسين فهمي حسين
١ فبراير	الناظرين الصالحين	محاضرة خفزة الدكتور إبراهيم بيومي الدكتور
٣ فبراير	الناظرين الصالحين	مناقشة يشترك فيها محاضرات الأستاذة : محمد زكي عبد القادر ، أحمد أبو الفتح ، محمد حمزة
٨ فبراير	أثر الدين في تكوين المواطن الصالح	محاضرة للفيلسوف الأستاذ أحمد حسن الباقوري
١٠ فبراير	كيف يؤدي الفسوق واجبه في الجمعية	مناقشة يشترك فيها الأستاذة : حنا رزق ، السيد البيهوني ، عبدالمعتمد شوقي
١٥ فبراير	جمعية الفلاح وحركة الشباب	محاضرة خفزة الدكتور محمد صلاح الدين
١٧ فبراير	جمعية الفلاح وحركة الشباب	مناقشة يشترك فيها الأستاذان علي حافظ ومقبوب فام والدكتور علي فؤاد
٢٢ فبراير	دور المرأة في رسالة جمعية الفلاح	محاضرة خفزة السيدة أسماء فهمي
٢٤ فبراير	كيف تؤدي الجمعية واجبها في المجتمع	مناقشة يشترك فيها الدكتور : عبد العزيز سامي ، سليمان حزين ، عبد الفتاح الزيات
١ مارس	تنظيم الإدارة الحكومية كوسيلة للإصلاح	محاضرة خفزة الأستاذ مريت كمال
٣ مارس	الأداة الحكومية	مناقشة يديرها الدكتور عبد المعتمد الشامي
٨ مارس	الدراسة والبحث العلمي كأساس لبرامج الإصلاح	محاضرة خفزة الدكتور أحمد زكي

تلقى المحاضرات وتدار المناقشات الواردة في هذا البرنامج بدار جمعية الفلاح ١٧ شارع طلعت حرب (بنا) الشيخ أبو السباع سابقا) في الساعة السادسة من مساء يومى الأحد والثلاثاء، اسبوعيا والدعوة عامة

«كل ما يؤدى إلى تكوين جيل جديد سليم الجسم، سليم العقل، سليم الروح».

والترافق باقنن الجمعيات، وكما ينبغي أن تدرك، فإن المادة الرابعة من اللائحة تنص على أن الجمعية:

«لا تتدخل في المفاصل الحزبية والخلافات الحزبية الطائفية إيماناً منها بأن خدمة الوطن والوفد عن حقوقه وعزته وأمله هي الواجب الأول لكل المواطنين السالحين وإن تباينت مبادئهم الحزبية أو عقائدهم الدينية».

والسؤال الذى يلوح نفسه الآن هو: ما هو موقع الجمعية على خريطة القوى السياسية في مصر؟ وما هي صمات ومضمون الإطار السياسى والاجتماعى لشوه الجمعية، وإلى أى مدى كان الدكتور شكرى على وعى بفردات هذا الإطار ومعياته؟

الحقيقة أنه بانتهاء العرب العالمية الثانية في أوروبا عام ١٩٤٥، تجدد العمل الوطنى في مصر حول قضيتين أساسيتين: أولهما قضية التحرر الوطنى وثانيتها القضية الاجتماعية.

في الأولى كان الشعب المصرى يتطلع إلى إجلاء قوات الاحتلال البريطانى وتحرير الإرادة الوطنية من كل قيد أو أحلاف وغير ذلك من المسميات. وفي الثانية كان المطالب الأساسى للشعب هو ضرورة إحداث التغيير في العلاقات الاجتماعية من أجل إقرار العدالة الاجتماعية في البلاد.

وكما نوهنا سابقاً، لم تكن الأحزاب المصرية متفقة ولا حتى على الحد الأدنى، بشأن أسلوب ومهج العمل لتحقيق آمال الشعب في هاتين القضيتين.. ففي قضية التحرر الوطنى كان قطاع من القوى الحزبية يؤمن بالأساليب السلمية ويحتملها، بينما قطاع آخر يؤمن بأن الاستعمار لن يعمل عصاه ويحل إلا بقوة السلاح وحرب التحرير.. وفي قضية العدالة الاجتماعية: كان الشيوعيون وهم الأعلى صوتاً وضيقاً، ومعهم فصائل أخرى من اليسار، يرون أن العدالة لن تستقر ما لم تتصهر قوى العمال واللاحين على غيرها من قوى المجتمع.. أما بقية الأحزاب فقد رفضت مطلق الحلف

ونادت بالسلام الاجتماعى سيلاً لإقرار العدالة الاجتماعية.

وهكذا اختلقت (وربما اختلقت أيضاً) رؤية الأحزاب حول قضايا التحرر الوطنى والعدالة الاجتماعية.. واتسعت دائرة الخلاف أحياناً كثيرة لتضلل أدق التفاصيل، وتجزت دوائر الجدل والتناذب حتى كادت أن تخفى جوهر القضايا وتوقع دريماً جانبية وهامشية على حساب الجوهر.

كانت جميع الأحزاب، باستثناء الشيوعيين، تتحرك في إطار القبول بالمشاير السلمى مع بريطانيا؛ الدولة المستعمرة، كما كانت أغلبية هذه الأحزاب تقبل بالارتباط بالمعسكر الغربى بصيغة أو بأخرى من صوغ الأحلاف.. ولتبرر بعضها بعملية الإحلال وتبادل الكراسى السوفيتية داخل المعسكر الإمبريالى، ولتى جعلت من أمريكا الحزب الصاعد على حساب النفوذ البريطانى والغربى القديم. وبدلت بعض أحزاب الأقلية وبعض أجنحة حزب الوفد، تتذكر لرباطها القديمة ببريطانيا وفرنسا، ويقلل التعامل.. والعدالة.. مع أمريكا؛ ذلك القادم والبراد الجديد. وعلى الوجه الآخر، العملة رامت للتطلعات السوفيتية واليسارية تنادى بالانفتاح على الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية، وتطرح صيغة من صوغ الانحياز للام لها، أو صيغة مخففة تحت شعار المعاد أو التوازن في العلاقات بين الكتلتين.

واختلفت الأحزاب أيضاً حول القضية الاجتماعية، فأحزاب الأقلية رفضت التغيير الاجتماعى والسعى إليه، أما الوفد فقد تقسم على نفسه بين جناحين: جناح رجعى محافظ يقوده فؤاد سراج الدين، وجناح تقدمى مستعبر من شباب الحزب يقوده الدكتور محمد منور والأسناد عزيز فهمى والدكتور عبد الرؤوف أبو علم. الجناح المحافظ يرفض التغيير ويرفض المشاريع ذات المضمون الاجتماعى التقدمى مثل الإسحاح الزراعى وتوحيد الملكية الزراعية وتطبيق تشريعات العمل على الفلاحين المعتمدين.. أما الجناح التقدمى فإنه يقبل للتغيير ويسعى إليه ويوطعه من أجل مزيد من المشاركة الشعبية في الضرورة القومية وإنل الكادحين نصيباً أكبر من الدخل القومى.

ينقى بعد ذلك الشيوعيون ومن يساندعهم من فصائل اليسار؛ فقد تميزوا في تلك الفترة بما يمارسونه من المراقبة الفكرية والتفتيش المجدد والجهل بالواقع المصرى، الأمر الذى جعلهم في محزل عن حركة الجماهير ونخبها وطبقاتها، إلا في فترات محدودة ركبوا خلالها المد الشعبى الثقلنى.

في كنف هذا الإطار السياسى والاجتماعى المتشاكس، ولدت جمعية الفلاح، وكان عليها أن تجد مرقعها على خريطة العمل السياسى في البلاد.

وكما ينبغي أن نقر، فإن ظهورها على المسرح أثارت عديداً من التناقضات بينها وبين الأحزاب واللتظيمات السياسية للتشوية الساحة، بما طرحته من أفكار ورؤى وحلول لعدد من القضايا الأساسية، وفي مقدمتها القضية الوطنية والقضية الاجتماعية.

ففي القضية الوطنية، لم تكن قيادة الجمعية ترى طريقاً أمامها غير طريق المفاوضات السلمية، ولكنها كانت في الوقت نفسه تعلق آمالاً كباراً على مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية لمصر في مغاضاتها مع بريطانيا.. وكان قادة الجمعية وخاصة الدكتور أحمد حسين والدكتور شكرى، مقتنعين بضرورة استغلال التناقضات داخل المعسكر الغربى بين قوى الاستعمار القديم (بريطانيا وفرنسا) وبين الولايات المتحدة الأمريكية؛ ذلك القادم الجديد (لم يقبلوا أن يسموه بالاستعمار الجديد على طريقة الشيوعيين)، لصالح القضية الوطنية.

ويغذى على قادة الجمعية في هذا الصدد تجاربهم - أو تسليمهم - عن سموات العرب الأمريكى، وما كانت تطرحه الولايات المتحدة الأمريكية من مشاريع لإنعاش أحلاف عسكرية إمبريالية تقدم من استقلال مصر وحريتها، فضلاً عما كانت تقدمه من مساعدات لإسرائيل ضد العرب. وجر هذا التجاوز على الجمعية كثيراً من هجوم الشيوعيين وفصائل اليسار المصرى، رغم أن موقف الجمعية هنا لم يكن يختلف كثيراً عن موقف أحزاب الأقلية والجناح المحافظ والسيطر داخل حزب الوفد.

وفي القضية الاجتماعية، كانت قيادة الجمعية في هم وقك شديدن للمدى الذى بلغه حالة الحردي فى الواقع

## الإصلاح الاجتماعي بحيث لثورة الاجتماعية



الاجتماعي لمصر، ومدى تقاطع الجهل وال فقر والمرض (بالغة المصير) وقصور الجهد عن إصلاح الحال، سواء في ذلك جهد الحكمة أو الجهد الأملى الاختياري... وكانت قيادة الجمعية ترى أن استمرار هذا التدهور الاجتماعي وتفاقم مظاهره، كليل بأن يدفع البلاد إلى ثورة دموية لا يصرح مظاهرها ولا سبيل إلى درء خطر الثورة غير لتشريط حركة الإصلاح الاجتماعي وتقديم الخدمات والمشروعات العملية والتشريعات الاجتماعية حتى نسد الباب في وجه عوامل الثورة ونخلف من حدة الاختصار الدوري وسط الجماهير.

والإصلاح الاجتماعي غير الثورة الاجتماعية، فالإصلاح كما تراه الجمعية لا يتطلب إحداث تغيير في علاقات الملكية بالمجتمع، وإنما يتطلب فقط الثورة الوظيفية الاجتماعية للملكية وإفراكها بصورة عملية، وشبه ملزمة، في خدمة المجتمع وخدمة الفرد وضربها أساساً عن طريق الضرائب التصاعدية، وحتى المسألة الزراعية يمكن حلها بالضررائب التصاعدية إلى الحد الذي يجعل ملكية للفرد لأكثر من مائة فدان أمراً دون لئمة... ولا شك أن الدكتور أحمد حسين نقل إلى الجمعية، بطريقة، في الضرائب التصاعدية الزراعية يمكن حلها بالضررائب التصاعدية كبديل لتحديد الملكية، كما نقل إليها اقتنه في قدرة الملاك على إنشاء وضول، المراكز الاجتماعية الرفيعة، وتوجيه خدماتها لمر مكافحة الجهل والفقر والمرض في القرية المصرية.

بهذه الرؤى والمواقف والأفكار، حددت «جمعية الفلاح، موقعها المتميز على خريطة،

العمل السياسي والاجتماعي في مصر وجاءها مدد كبير من شخصية وجهود الدكتور شكري ومبارته على حضور ندواتها والمشاركة فيما يجري بها وعلى مبادرها من حوار لا ينتهي حول قضايا الساعة وقضايا الوطن. وكانت بعض عناصر البعثة المعادي للجمعية تتمال إلى هذه الندوات التخريبية فيصدى لهم الدكتور شكري بروحه الفرحه وعنده في الحق، ثم هيجته، غيبيته ومن أسامه، وهم في عجب وإعجاب به. والصادقون منهم يعترفون دلماً بأنهم إنما يواجهون فيه رائداً ومناضلاً وطنياً، ومصلحاً اجتماعياً لا يزال رغم كبر سنه، وبفض من يحمل فوق حماس الشباب، ويمتلك قدرة فائقة على الأحلام وعلى استطراف المستقبل بروح مختلفة رغم معرقه بالضعف والمواقف التي متوجهه على الطريق.

كان اليساريون الذين يحاورونه يكون له كل الاحترام والتقدير لأنهم لا يواجهون فيه سياسياً محترفاً يسمى إلى السلطة أو ينافق القصر كما يفعل الحزبيون، وإنما يواجهون فيه رجلاً يحمل أفكاره المستقلة في كبرياء ويسعى لتوسيع دائرة الحوار من أجل النظر بتأييد عريض من المثقفين الوطنيين.

لقد كان الدكتور شكري ديمقراطياً أكثر من كثيرين من أدياء الديمقراطية، ووطنياً أكثر من أدياء الوطنية، وكان رغم سنه جالاً رومانسياً يسمى لإقامة مجتمع مصري مبركاً من الجهل والفقر والمرض.

## بعد رفض طويل للحزبية وللوزارة

عزنا الدكتور شكري مجافياً للحزبية والحزب، حريصاً على استقلاليته... وكانت الأحداث ومعطيات الواقع للحزبي في مصر تزديه اقتناعاً بسلامة موقفه يوماً بعد يوم، فما أضاعته الصراعات الحزبية من المصالح الوطنية خلال أربعين عاماً، وما جرته على البلاد من مأرم، كان يفوق كل تصور.

كان في مقدور الدكتور شكري، ومنه الدكتور أحمد حسين، أن يثابرا حزياً سياسياً بدلاً من تأليفهما لجمعية الفلاح، فالمساحة السياسية التي تشغلها الجمعية كانت أوسع بكثير من المساحات التي تشغلها أحزاب سياسية عديدة.

وإذا كان الدكتور شكري والدكتور أحمد حسين متفقين في رفض العمل الحزبي، وبالتالي رفض إنشاء «حزب الفلاح» بدلاً من «جمعية الفلاح»، فإنهما كانا في واقع الأمر مختلفين في الأساس الفكري الذي انطلق منه كل منهما في رفضه لفكرة إنشاء الحزب.

فالدكتور شكري عندما يرفض فكرة إنشاء الحزب فإنه يفعل ذلك انطلاقاً من موقف مجبلي أمته عليه خبرته الوطنية بعد ثلاثين عاماً من الاستقلالية اللاحزبية أن يتقهر بفكره ويقتل بموقفه إلى مسرى الصحيفة الحزبية التي طالما شهد آثارها الصدمية على القضية الوطنية والقضية الاجتماعية في مصر.

المطلق عدد الدكتور شكري إذن منطق مجبلي، وهو في ذلك يختلف عن موقف الدكتور أحمد حسين الذي لا يمكن وصفه إلا بأنه موقف تكتيكي بحث، ففي حوار على صفحات مجلة «روز اليوسف» (١٤) يشيد الأستاذ إسماعيل عبد القدوس بالدكتور أحمد حسين قائلاً إنه وجد فيه مثلاً للوعي الوطني القائم على العلم، وطلب إليه أن يجمع حوله فريقاً كبيراً من المثاليين المصريين الذين كفروا بالأحزاب، وأن تكون «جمعية الفلاح، حزباً لا جمعية.

ورد عليه الدكتور أحمد حسين بأنه يفضل ألا يحول جمعيته إلى حزب لثلاثة أسباب:

أولها: تكون مرفقة بالحكومة والجامعات من الانضمام إلى الجمعية حيث تمنع القوانين انضمامهم إلى الأحزاب.

ثانيها: لأنني نُسبب المصارف والصراعات بينه وبين الأحزاب الأخرى، منذ البداية.

ثالثها: تمكين أعضاء الأحزاب الأخرى من الانضمام إلى جمعيته.

ويعلق الكاتب طارق الهشري (١٥) على ذلك بقوله:

«يظهر من هذا أن جمعية الفلاح كانت نواة لتكوين حزبي أراد صاحبها (د. أحمد حسين) أن يمكن لها أسباب النمو في نجرة عن النموة الحزبية وأن يجذب إليها



من يستطيع استغلاله من أعضاء الأحزاب الأخرى ومن المرفطين حتى إذا نجحت التجربة أمكن تحويلها إلى تنظيم حزبي سافر.

ويتجسد قضية جمعية أم حزبية عند هذا الحد، بقيت أمام الدكتور شكري والدكتور أحمد حسين قضية الاستقلال أو المشاركة في وزارات ما بعد حريق القاهرة (١٩٧١)، ويبدو أن المرفق التكتيكي الذي اتخذ أحمد حسين إزاء العمل الحزبي، واستعماله على فكرة إنشاء حزب يعمل ضمن بقية الأحزاب القائمة، قد قُرب من مكانته على المسرح السياسي المصري حينذاك.. ويضأن إلى ذلك بريق شخصيته وصمته باعتباره أول وزير في حكومة وطنية ويسحب من الوزارة احتجاجاً على استشراف الفساد فيها، ويحدث صجة كبرى في البلاد.. هذا فضلاً عن لعمالة كمصنع لجمعية على قواعد علمية حديثة. (١٧)

في أول الأمر، تلقى د. أحمد حسين من على ماهر باشا دعوة للاشتراك في وزارة التي تألفت عقب المرفق في ٢٧ يناير ١٩٥٢، وظل إليه أن يعد برنامجاً للإصلاح الاجتماعي لتبناه الوزارة. رفض أحمد حسين هذا العرض عندما وجد أن على ماهر باشا غير متفتح بفكره الإصلاحية، والتي كان أشهرها اقتراحه بأن ينال الملك تنازله عن أملاكه أو عن نصفها لصالح الشعب.

وجاء الهلالي باشا في أعقاب على ماهر ليحاول إغراء الدكتور أحمد حسين بدخول وزارته الأولى التي ألقبها في أول مارس ١٩٥٢، وكان الهلالي على اتصال سابق به قبل استدعائه لتشكيل الوزارة؛ فقد جمعتهما لورتبهما على استشراف الفساد داخل الوفد وحكومته.. ويقول المورخ طارق البشري (١٨) إنهما كانا متفقين على عدة أسس وهي: طرد رجال العاشية الملكية، وعدم السماح بتدخل الملك في اختيار الوزراء، وضخ عناصر عرفت بالشفاعة، ثم أن يمدد الإنجليز إعلاناً بالجملاء من طرف واحد، ثم يجري تطهير جميع الأحزاب.. فلما استدعي الهلالي بالفعل لتشكيل الوزارة، تخلى عن هذا الاتفاق والزلق في تيار خدمة القصر وتصفية الحسابات مع الوفد. وتوقع الدكتور أحمد حسين للفشل للوزارة وأعلن

رفضه الاشتراك فيها.. وقد صدقت خبرته تماماً حول فشل وزارة الهلالي والحقائق.

بهذا ألفت الدكتور أحمد حسين من كمين الاستقلال الذي نصبه له على ماهر ثم الهلالي..

ولكن يبدو أن الهلالي لم يؤمن من مواصلة الضغط والمساعى لتحويل قيادة جمعية الفلاح في مخططة الزراري، واعتبر نجاحه في ذلك كسباً كبيراً له ولأى وزارة يشكها؛ فالجمعية بقيادتها المخلصه لم يكن قد طأها شيء من الفساد وسره السمعة المنطرفة حينذاك في المؤسسات للحزبية، فضلاً عن أنها كانت تمثل رؤية تيار «الإصلاح الاجتماعي» في البلاد.

ولذا كان الدكتور أحمد حسين قد ألفت ملة، فقد بقيت لدى الهلالي باشا فرصة أخرى سيوجدها حصداً في صدقيه الدكتور شكري الذي يفرق الدكتور أحمد حسين سمعة وطنية وارتفاعاً على طريق الإصلاح الاجتماعي. وجاءت الفرصة للهلالي بالفعل عندما عرض عليه الملك تشكيل الوزارة في يوليو ١٩٥٢، فباتح الدكتور شكري في الاشتراك فيها كوزير للصحة العمومية، فراقق.

ولن المورخ أوجيب عجباً شديداً كيف ولماذا وافق الدكتور شكري على الاشتراك في وزارة الهلالي، بينما تؤكد كل المقدمات والشواهد أن رفضه أمر حتمي لا جدال فيه، خصوصاً وأنه كان معروفًا عنه علوه، وصوت عالٍ، للملك فاروق وسلطانه.

ولما نريد أن نقدم تبريراً لهذا القبول، ولكننا مطالبون بأن نكشف عن الموامل أو وسائل الإقناع التي لا بد أن يكون الهلالي قد استخدمها حتى حمل الدكتور شكري على قبول الوزارة، وهو الذي رفضها أكثر من مرة طوال ثلاثين عاماً.

وما صدقه هنا من تلك الموامل أو وسائل الإقناع بأن نكشف عن الموامل، أو وسائل الإقناع إنما نصوبها على سبيل التبريح فقط، وهي:

١. أن يكون الهلالي باشا قد استعان بالدكتور حافظ عفيفي باشا، رئيس الديوان الملكي، والصدوق الدائم والحميم للدكتور شكري، لإقناعه بالتبريل.

٢. أن يكون الهلالي باشا قد ألتع الدكتور شكري بأن وزارته ليست حزبية وأنها ستركز على أمرين: تطهير البلاد والحياة العامة من الفساد، ثم الإصلاح الاجتماعي، الأمر الذي يبيع الفرصة للدكتور شكري لتحقيق مشاريعه الاجتماعية الإصلاحية.

٣. أن يكون الهلالي باشا قد ألتع الدكتور شكري بما فعل أن يقع به الدكتور أحمد حسين، فيما يتصل بطرد رجال الحاشية الملكية ووقف تدخل الملك في اختيار الوزراء.

ومهما يكن من أمر هذه الموامل المرجحة، وسواء افترضنا نحن بها أو لم نفترض، فإن الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن كثيرين من أعضاء الدكتور شكري ومحبوه، وفرنجا بقبوله المشاركة في وزارة الهلالي باشا التي شكلت في ٢٢ يوليو ١٩٥٢، وسفره بالفعل إلى الإسكندرية للمشاركة في مراسم لتعصيب الوزارة وحلف اليمين الدستورية أمام الملك فاسد وسدحل، يعرف الجميع أن الدكتور شكري يكرهه ويحتقره.. وأضيق المسارفين بيوطن الأمر داخل دواليب القصر من أن يملك الدكتور شكري بهذا أو ذلك من عبيد القصر المستوزرين من أمثال «مرتضى المراغي» وزير الداخلية، أو زكي عبد المتعال، الطابوس المفضل.. ولكن خفف من قلقهم عليه أن الوزارة كانت تضم جماعة من أعضاءه المصميين مثل طراف على باشا، وزير المواصلات، وراضي أبو سيف راضي، وزير الشؤون الاجتماعية، ومريت غالي بك، وزير الشؤون البلدية والقروية.

وفي الإسكندرية، اكتشف الدكتور شكري، بالمشاهدة المباشرة، مدى عبودية وتزلف الوزراء للملك؛ فقد تركهم «جلالته» عدة ساعات متتفرين أن يستدعهم لحلف اليمين، فلم يجمع منهم أحد على تلك التسمية السعيدة أما الدكتور شكري فقد أوقف مرتضى المراغي الذي تكرر دخوله وخبرجه على الملك، ليقرر له في حدة:

— هره الود بذاكك ده مش حا يستقبلنا بقه؟  
ورد عليه المراغي قائلاً:

## الإصلاح الاجتماعي بديلاً لثورة الاجتماعية



.. دى مش طريقة للكلام من مولانا الملك، فنهرو الدكتور شكرى غاضباً:

.. اسمع يا جدد لنته.. إنا سيدهم لم يستقبلنا خلال خمس دقائق فإنتي سأعادر هذا المكان دون رجعة.

وتدخل الهلالى باشا وآخرين لتهدئة الدكتور شكرى الذى نجح لتهدئة؛ فقد استقبلهم الملك على الفور.

وأخرج الدكتور شكرى الجميع مرة أخرى عندما شذ عنهم جميعاً فلم يقبل اليد الملكية الكريمة!

ويذكر أن للقد كان عطوفاً على الدكتور شكرى فلم يشأ له التورط فى العمل الزراعى بأكثر من حضور مراسم حفل التينين؛ ففى صباح اليوم التالي - ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - أصطلت الثورة وسقطت وزارة الهلالى باشا بكل ما حملته من أوزار رئيسها.

**الدكتور شكرى وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢**  
لم يقبأ الدكتور شكرى بقيام حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وذلك فى رأياً، نسبين:

**أولهما:** أن جوهر تفكيره لفترة طويلة كان مبنياً على الاقتناع بأن الاختصار الثورى لدى الجماهير المصرية سيصل حتماً إلى حد الانفجار خسرماً إذا شملت حركة الإصلاح الاجتماعى فى خلق ظروف توجب هذا الانفجار أو تضع حدوثه بالمره. وكان الدكتور شكرى يراقب بأسى نمو الإحباط العام فى البلاد نتيجة لاضطحال الفساد فى النقص والأحزاب والدكومة، وعجزهم جميعاً عن إيجاد حل للقضية الوطنية والقضوية الاجتماعية لشعبنا.

**ثانيهما:** وهو سبب توريده على سبيل الترحيح، وهو أن يكون صديقه للثوريين عزيز المصرى قد أسر إليه بما كان لديه من معلومات عن تنظيم الضباط الأحرار وقرب قيام هذا التنظيم بانقلاب أو حركة لتطهير البلاد... ويؤيد ذلك ما تردد فى أول أيام الثورة عن أن الدكتور شكرى كان يعرف جمال عبد الناصر شخصياً قبل الثورة، وأن عبد الناصر زاره فى بيته بصحبة عزيز المصرى لاستشارته أو استعمار رأيه فى بعض الأمور خاصة حول المسألة الزراعية.. وإذا كان الدكتور شكرى لم يقبأ بحركة الجيش، فإنه أيضاً لم يرهبها كما فعل كثيرون من المساة الحزبيين، ولا تحسب أنه قد انتابه ذلك الغوف الذى ألمَّ ببراز العمد للبلاد تحسباً من أن تدبر حركة الجيش تصفيتها سياسياً وتحميلهم وزر العهد البائد بكل سلاياته وجرائمه فالدكتور شكرى بكل الصابير، لم يكن ممن تطبق عليهم مواصفات وزراء العهد البائد بأية صورة من الصورة؛ فقد كان بالتأكيد ضمن الشخصيات الوطنية البارزة ذات السمعة الطيبة. وارتبط اسمه دائماً بالدعوة إلى الإصلاح الاجتماعى وبالجملة ضد فساد الحكم والعداء للمستمر، فإن كانت حركة الجيش مخلصاً فيما أسلته من مبادئ وفيما أطلقته من شعارات، فليس ثمة ما يخشاه الدكتور شكرى منها، بل إن اللقاء بيه وبين قادة هذه الحركة يصبح أمراً حتمياً.. ويضاف إلى ذلك أن الدكتور شكرى لم يكن له أى مطمع فى السلطة أو فى شغل المناصب الوزارية فى ظل حركة «الجيش»، والأرجح أنه تنفس الصعداء يوم تضرع من أول وآخر منصب وزارى لم يشغله أكثر من ٤٨ ساعة.

هنا وقد شهد عامى ١٩٥٢ و ١٩٥٣ من تلك المرحلة المبكرة من عمر الثورة، تقارباً وعلاقات طيبة بين قادة الثورة وبين قادة جمعية الفلاح وجمعية الروراد اللتين كانتا العضوية فيهما مشتركة تماماً أو تكاد تكون مشتركة.. ومن خلال هذا التقارب، قدمت جمعية الفلاح بالذات مجموعة من خيرة أعضائها لشغل مناصب وزارية فى ظل الثورة تذكر منهم: سميرت غمالى، وزير للشئون القدرية، ومرواد قهسى، وزير الأشغال العامة والدكتور نور الدين طراف؛ وزير الشئون البلدية فى وزارة على ماهر،

ثم الدكتور عباس عمار، وزير الشئون الاجتماعية، ووليم سليم حنا، وزير الشئون البلدية والقدرية، والدكتور عهد الرزاق صدقى وزير الزراعة فى وزارة محمد نجيب (ديسمبر ١٩٥٢).

كان أول لقاء حقيقى بين الدكتور شكرى وبين حركة الجيش من خلال المسألة الزراعية؛ عندما طرحت حركة قضية الإصلاح الزراعى على بساط البحث، وتعددت الآراء والاتجاهات حول تحديد الملكية، وبعثت الخلافات القديمة حول تقييد الملكية وسيلة هذا التقييد ومصير الملكيات الزراعية، وكلها - كما نعرف - من التقضايا التى شغلت فكر الدكتور شكرى وتابعها منذ أن قدم الأستاذ محمد خطاب مشروع المشور عام ١٩٤٤، حتى قيام حركة «الجيش» عام ١٩٥٢.

والمعروف أن تزعزع رجال الثورة حول المسألة الزراعية بدأ مبكراً عندما أركان مجلس قيادة الثورة إلى جمال سالم متابعة إعداد مشروع قانون للإصلاح الزراعى بمساعدة للدكتور راشد البراوى والأستاذ أحمد أسفد، ونجست هذه اللجنة أو العمرة فى إصدار الصيغة الأولى للمشور فى زمن قياسي، ثم أخلته للراجعة القانونية إلى الدكتور عهد الرزاق السنهورى والأستاذ سليمان حافظ.. وبادر السنهورى إلى تشكيل لجنة فنية متخصصة ضم إليها عدداً من معاونيه لإعداد «مشور القانون» فى صورته النهائية للعرض على رئيس الوزراء حينذاك؛ على ماهر باشا، فلما أجهزت اللجنة عملها، بعد عمل متواصل وسهر طويل، قام السنهورى بإحالة المشور إلى رئيس الوزراء، متوقفاً إصداره بالمره المتطلبة والمتوقعة من جانب مجلس قيادة الثورة.

وفجئ الجميع بعلى ماهر باشا يجمد المشور فى مكتبه مجاملة للإقطاعيين وكبار السلاكة الذين أثاروا عاصفة من النقد لفكرة الإصلاح الزراعى من أسسها.. ولزيت من التسويق فجراً على ماهر باشا مسألة خلافية قديمة، وهى مسألة المناضلة بين تحديد الملكية الزراعية عن طريق فرض ضريبة تصاعدية وبين تحديدها عن طريق وضع حد أقصى قانونى بأداة تشريعية.

ولمواجهة هذا التصوف شكلت قيادة الثورة (مؤثراً، موسماً (بلغة العسكريين) برئاسة مجلس الوزراء، ضم محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة، وجمال سالم وصالح الدين بركات باشاً؛ عضو مجلس الوصاية وزيمه رشاد مهنا، ثم الدكتور عبيد الرزاق السنهوري رئيس مجلس الدولة والدكتور عبد الجليل المصري؛ وزير المالية.. وبعد مناقشات مطوّقة، تقرر بناءً على إصرار الدكتور المصري، رفع الحد الأقصى للملكية الزراعية إلى مائتي فدان بحجة إضافة مائة فدان للأبناء.. كما تقرر استبعاد فكرة الضريبة التصاعدية كأداة لتقييد الملكية الزراعية. وقد عرف حينذاك أن قيادة الثورة كانت على اتصال دائم بالدكتور شكوى ضمن مجموعة من الشخصيات المخدّرة، وقد ظهرت بالفعل بعض بصماته وأفكاره في القوانين ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ للإصلاح الزراعي، خاصة الأحكام المتصلة بالتمتع الزراعية في الظروف الجديدة.

ويضح لنا من كل ذلك أن الدكتور شكوى قد قبل أخيراً بفكرة تقييد الملكية الزراعية بأداة تشريعية وبعد أقصى ما تناه فساد، وهذا يعني أنه تخلى عن فكرة الضريبة التصاعدية التي طالما تسلك بها من قبل.

ويبدو أن التشاور بينه وبين قادة الثورة لم يقطع حول السياسات الزراعية المستقبلية، وإلا ما كان يقبل منصب رئيس الجمعية الملكية الزراعية عام ١٩٥٣ والتي خصصتها الثورة لكي تلعب دوراً رئيسياً ومهماً في التنمية الزراعية ومخيمات التقارب المعملية والتسميد والمعارض وقرية الفول العربية وعشرات الخدمات الأخرى في المجال الزراعي.

وكان اختصار الظهور الجراح لهذا المنصب للزراعي، لتطوّر إنما يدل على ما بلغه الدكتور شكوى من العلم والفيرة، وما ناله من ثقة الثورة وتقديرها للبحر الجارف. ولطالبت النظام من أماله. وقد ظل الدكتور شكوى يشغل هذا المنصب الفخري حتى قرب وفاته عام ١٩٦٩ حين أثر التقدم والراحة بعد تلك السيرة الطويلة والحافلة من حياته

وما قدمه لقضايا مصر الوطنية والاجتماعية من إسهامات.

### نحو مثققي فكرى يحمل اسمه

انتقل الدكتور شكوى إلى جواربه في منتصف عام ١٩٦٩ مطلقاً لنا سيرته الطرية كسجل مفروح من الفكر والعمل الإنساني الرفيع في خدمة قضايا الشعب المصري الأساسية وفي خدمة حركة الإصلاح الاجتماعي الذي هو من أبرز رويداه وقائدها.

لقد كانت حياة الدكتور شكوى بحق معبداً يتدفق بالقيم والمواقف التي لا تزال تحتفظ إلى الآن بمصداقيتها وأريجها الزكي، رغم تداعب المتغيرات عليها، ورغم تبدل الظروف الموضوعية في المجتمع المصري. وسيجد السالون على دربه والراغبين في إحياء ذكره، سجال غنيا لهذه القيم والمواقف التي تصلح دروساً لشرية الأجيال، ومادة رفيعة المستوى للاحتفال بذكراه بين أمه وبين جماهير المواطنين في كل مكان.

فمن ناحية، كان للدكتور شكوى محمياً في شبابه وفي دراسته وفي السهنة التي اختارها، عن بقية أبناء أسرته وبوجه. ولكن ذلك لم يزلهم عنهم، فقد اتخذ من مهنة الطب وإستراتيجياتها معبداً للعودة دائماً إلى مجتمع قريته، بالمجتمع المحلي المركزي ميت غير زرقى، لوضع علمه في خدمة المجتمع كما رأينا ذلك من خلال حياته المبكرة؛ فقد خصص عيادته ومصيدلونه في زغبي وميت غير لخدمة الجميع ودون مقابل في أغلب الحالات، وهذا يعني أن الدكتور شكوى لم يشأ أن يحمل شعاراً بأن العلم المجتمع ثم يتركه مطلقاً في الهوام؛ فالعلم عنده يستمد قوته ومصداقيته من التطبيق. وبالمثل.. كان العلم عنده لخدمة الوطن، ويظهره في البعثة الطبية خلال الحرب الإيطالية لثرابلسية، خير دليل على التزامه وصدقه.

ومن ناحية ثانية، ومن خلال متابعنا لمسار التقييم والمواقف في حياة الدكتور شكوى، يلتفت نظارنا موقفه الوطني المعادي للاستعمار، وهو الموقف الذي لم يتخل عنه في أي يوم من أيام حياته، وببعض مال الهوى بكثيرين من أبناء جيله نحو

مهادة الاحتلال البريطاني والارتباط به، ظل الدكتور شكوى كالصخرة العتيقة، وطلبا حتى الدخاع، ومعادياً صلياً للمستعمر الأجنبي.

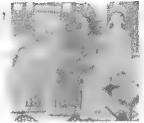
ومن ناحية ثالثة، وإنطلاقاً من عذاته الشديد للاستعمار، وحمية الصدام معه، آمن الدكتور شكوى بوحدة القوى الوطنية، وضرورية هذه الوحدة كشرط أساسي للنجاح في مواجهة الاستعمار وديحه. ومن هنا كان رفضه الحزبية والتحزب في مرحلة التحرر الوطني، والتزامه بدور من الاستقلالية في الرأي والعمل لم يتزعزع عنها طول حياته. والاستقلالية عند الدكتور شكوى لم تكن هروياً من مسئوليات العمل السياسي، كما لم تكن عزلة أو انقطاعاً عن أصدقائه الحزبيين وإنما كانت درعاً واقياً له ضد سبلات التحزب والحزبية وأثارها المدمرة للوحدة الوطنية.

ومن ناحية رابعة، إذا كانت الثورة هي القبول بالتغيير والسعي لإحداثه، فإن الدكتور شكوى كان ثورياً إلى آخر السدي، حتى وإن اختلف مع كثيرين حول وسائل الثورة ولحادث التغيير؛ فقد كان مقتنفاً بأن الإصلاح الاجتماعي هو الأسلوب الأمثل لمكافحة البهل والفقر والمرض، وأن المزيد من الخدمات هو الأسلوب الأمثل لتلافي تفرج الثورة الاجتماعية.

ومن هذا العرض لروحه وفكره ومواقفه، يمكننا أن نلخصها في مجموعة من العبارات والتعانضات آمن بها الدكتور شكوى والتزم بها طرال حياته.. وتلك هي:

- العلم للمجتمع والوطن.
- العداة للاستعمار ولامهانة معه.
- وحدة القوى الوطنية في مرحلة التحرر الوطني.
- الاستقلالية في الفكر والعمل الوطني والسياسي دون أن تتحول إلى عزلة عن حركة المجتمع.
- القبول بالتغيير الاجتماعي والسعي إلى إحداثه من خلال مشاريع الإصلاح الاجتماعي، الحكومية والاختيارية، تلافياً لتفجير الاختصار الثوري المدمر.

# الإصلاح الاجتماعي بديلاً للثورة الاجتماعية



## الهوامش

(١) جرت المائدة في كثير من المدارس المصرية طوال القرن ١٩ وبنية القرن العشرين، وتأثير من الموروث الشعبي التركي، على إضافة أسماء تركية إلى اسم التلاميذ مثل حشمت وشكري وحلي وصنوت وبهجت إلخ. وكان اسم شكري من نصيب الفتى سود حين دحرج.

(٢) أنشأتها إحدى الإرساليات الأمريكية كمنظمة للدعوة البروتستانتية وسط الأقباط المصريين الأرثوذكس.

(٣) بحث د. ساهيا بهذا التقرير إلى سعد باشا زغلل بباريس في ١٨ فبراير ١٩٢٣، ولكن سعد زغلل رفض استغلاله في الدعاية ضد البريطانيين في مؤتمر السلام.

(٤) بلغ عدد القفبي من أمالي القرية مائة قتيل حسب تقرير السلطة العسكرية البريطانية.

(٥) كان من ضمن المسمتعين على إبراهيم دمروج، والد المؤلف، وعمر حسين دمروج وحمدي لاجبيلي ويطرس أفندي من قادة الأقباط بميت بحش وكفر يوسف زقق.

(٦) السيدة عزيزة شكري حرم د. أحمد حسين وزير الشؤون الاجتماعية وسفير مصر في أمريكا. السيدة عصمت شكري حرم د. عبدالعزيز سامي عبيد طيب القاهرة الأسبق.

الدكتورة ليلى شكري، أستاذ الاجتماع بالجامعة الأمريكية وحرم د. أحمد سامي. وهناك من للدكتور الدكتور الأستاذ محمد إكرام شكري، الأستاذ بطلب عين شمس.

(٧) جاء في مذكرات عبد الله حنان (ثلاثا قرن من الزمان - كتاب الهلال، يناير ١٩٨٨ ص ٦٢ - ٦٣) مايلي: «أعود بعد ذلك إلى موضوعي الأصلي، وهو اتصالى بجزيرة السياسة، ولحققت صدقي المرحوم الدكتور سيد بك شكري في عقد هذا الاتصال، وكانت تربط تريب الدكتور صداقة مثينة الصرى بالمرحوم الدكتور حافظ عفيفي (باشا) زميله في الدراسة بمصر وأوروبا، وكان يرمي من أقطاب الأحرار للتحررين، ويحاول إدارة «جريدة السياسة». وكانت «السياسة» تصدر يومئذ عن دارها الأولى في شارع المهندسين، تقدملى إليه الدكتور شكري

والسؤال الآن هو: كيف السبيل إلى إحياء ذكرى الدكتور شكري والتعريف بمجمل القسم والواقف التي شكلت حياته وسيرته العطرة؟

إن مسكولية الاجابة عن هذا السؤال إنما تقع أساسا على عاتق إيداعه، ثم على مروريه ومحبيه. وهذا لو اجتمع بعض هؤلاء وهؤلاء حول فكرة محددة أو مقترح عملي لإحياء ذكرى، سنويا والتنبية إلى القيمة الثورية العالية لميرته.

ولحن من جانبنا، ولحن لخدم هذه الدراسة - فنقترح تنظيم «ملتقى سنوي، يحمل اسم الدكتور شكري، ويهدف في قرية «ميت بحش» أو في عزبته القروية منها، ويخصص في الأساس لثلاثة أمور:

**أولها:** البحث النظري في الفكر الإصلاحي للدكتور شكري.

**ثانيها:** دراسة وإقامة بعض المشاريع الخدمية لصالح المجتمع المحلي لأذى أحبه.

**ثالثها:** إنشاء مؤسسة اجتماعية دائمة باسمه (مدرسة - متحف - مركز تدريب مهني - مكتبة أطفال ... إلخ).

ولذا في أبناء وشباب قرية شرياس قوة مثل طيب وهم يحدقون سويًا بذكرى المهندس أحمد الشرياسي، وزير الأشغال السابق.

وإذا كانت الدراسة الحالية قد تأخرت صنع سنين، كما تأخر البحث في أسلوب لتخليد ذكرى الدكتور شكري والتنبية إلى محدودي سيرته العطرة من القيم والواقف، فإن الدراسة لاتزال مسانعة لمشروع هذا التأخير ولزدي نمو بعض ما في اعتقادنا له من فضل. ■

ولتلب فيما كنت أتمتع به من معارف ومزايا لغوية وتصيرية. وواقع الدكتور عفيفي في الحال على أن ينضم إلى تحرير «السياسة».

(٨) تشكلت خلال العامين والنصف الأولى من سنوات الحرب (سبتمبر ١٩٣٩ - فبراير ١٩٤٢) أربع وزارات من أحزاب الأقلية برئاسة علي ماهر - حسين صبرى - حسين صرى - حسين صرى مركز.

(٩) محمد عاشور بك من رجال مجموعة بنك مصر وكان يشغل منصب السكرتير العام لشركة السكة الحديد للنفط والنفط، وهو من أبناء مركز ميت غمر (وهو عم الكاتب الدراسي الكبير نعمان عاشور رحمة الله عليه).

(١٠) مجلة الكاتب - العدد ١٢٥ - أغسطس ١٩٧١ ص ٢٣ - ص ٢٤.

(١١) من أبرز رجال هذه الجماعة الصحفي محمد زكي عبد القادر د. إبراهيم بيومي.

(١٢) كان وزيرًا للزراعة من ١٩٤٢/٧/٢ إلى ١٩٤٤/١٠/٨ ثم وزيرًا للتجارة والصناعة من يوليو ١٩٤٩ - يوليو حسين صبرى الانتحائية، وأخيرًا كان وزيرًا للحربية والسياسة في آخر وزارة وعينه من ١٩٥٠/١/١٢.

(١٣) روز اليوسف يومى ١٢، ١٩ مايو ١٩٥٢.

(١٤) طارق البشرى: الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥/١٩٥٢ ص ٥٧٠.

(١٥) نقصد بوزارات ماهد العريق تلك الوزارات التي تشكلت في الفترة من ٢٦ يناير ١٩٥٢ (تاريخ حريق القاهرة) ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخ قيام حركة الجيش) وهي وزارة علي ماهر ١٩٥٢/٧/٢ - ١٩٥٢/٣/١ - وزارة أحمد تيجب الهلالي ١٩٥٢/٣/١ - ١٩٥٢/٧/٢ - وزارة حسين صبرى ١٩٥٢/٧/٢ - ١٩٥٢/٧/٢٢ - وزارة أحمد نجيب الهلالي ١٩٥٢/٧/٢٢ - ١٩٥٢/٧/٢٤.

(١٦) قبلت استقالته من حكومة الوفد في أول أغسطس ١٩٥١ وخلفه في وزارة الشؤون الاجتماعية عبد الشليف محمود باشا، وزير الزراعة.



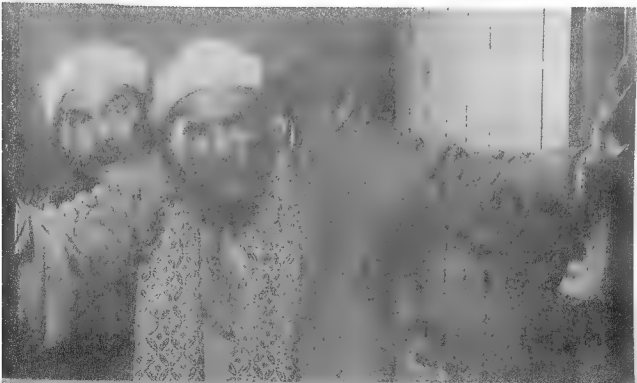
**ف**ا تمثل دراسة الثقافة مدخلا مهما لمعرفة وضع مجتمع ما.. فيما أن الثقافة هي النسق الذى ينظم أفكار ومعتقدات وقيم ومشاعر أبناء هذا المجتمع فى لحظة تاريخية محددة، ويجسد نمط حياتهم، فإن معرفة هذا النسق يستطيع أن يكشف ملامح هذه اللحظة وخصائص هذا النمط.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجد تطور المجتمع أو تغيره صدىه المباشر فى الثقافة، حتى قبل أن يحدث هذا التطور أو للتغير، لأنه فى هذا المجال يحدث التمهيد الذهنى الضرورى كى يتقبل أبناء المجتمع هذا التغير أو يسهموا فيه، وذلك تبعا لطبيعة العلاقة بين النظام الحاكم والنسب، ديكتاتورية أو ديمقراطية وتبعاً لطبيعة التغير ذاته ولصلته من من فئات المجتمع وطبقاته.

إن الدولة الحديثة، كى تمتلك مشروعية للهيمنة على بقية طبقات المجتمع، عليها أن تمتلك القدرة على معرفة الاحتياجات

لحاجاتية لهذه الطبقات المختلفة، وأن تعمل على تحقيق قدر من هذه الاحتياجات، يحقق درجة من التوازن بين الطبقات ويضمن استمرار الهيمنة ذاتها. ولاشك أن الاحتياجات الثقافية هي من أهم هذه الاحتياجات، نظراً لأنها تمثل العقد الذى للمشارك والمتفق عليه بين أبناء المجتمع، وعلى أساسه يتم التعامل بين جميع الأفراد وجميع الطبقات.

ولاشك أن معرفة الاحتياجات الثقافية لمجتمع ما، بتعدد فئاته وطبقاته وبيئاته، وتعدد المكونات الثقافية فى الحاضر وامتدادها فى الماضى، هو أمر أصعب كثيراً ربما من بقية الاحتياجات، الاقتصادية على سبيل المثال، لأن هذا التعرف لا يمكن أن يتم بناءً على تقارير رقمية تصدرها الهيئات الرسمية، بل لابد له من معاينة حقيقية ومستمرة لمختلف الفئات لمتابعة التغيرات الدائمة التى تحدث لهذه الاحتياجات، ناهيك - بالطبع -

## الدولة .. والحاجات



«الفتوة» اصلاح ابو سيف

الضرائب، ولذلك فإن تلبيةها، ليس ضرورياً فقط لاستمرار هيمنة الدولة كما سبق للقول، بل لأنها حقوق مدفوعة مسبقاً، وعدم تلبيةها يمثل حرماناً من هذا الحق، أقرب إلى السرقة. (١)

وسوف تعتمد الدراسة على الرصد الرقمي كلما توفرت الأرقام ثم استنتاج دلالاتها الأساسية في موضوع الدراسة، مع الاستعانة بالقرابة النوعية لطبيعة الأنشطة الثقافية من خلال الخبرة المباشرة، وتنتهي إلى نوع من الاستشراف لمستقبل الوضع الثقافي في ظل التطورات الحالية للمجتمع المصري والعالم.

## - ١ -

تشر إحصائيات وزارة التخطيط، إلى أن إجمالي الإنفاق العام لقطاع الثقافة، أي للوزارة والأجهزة التابعة لها للعام ١٩٩٢ / ١٩٩٣، قد بلغ ٥٤٥٠٩ مليون جنيه

للهلال، يناير ١٩٩٥) .. وهؤلاء يمتدحون في ربوع الوطن ريفه وحضره، جلويته وشماله، وتكتم الدولة في «أكل عيشهم» سواء بالأمور (العمال والموظفون) أو بالسياسات للزراعية (الفلاحون)، ولذلك فهم أكثر اللغات الاجتماعية للزماً يدفع الضرائب، لأنها تقطع منهم إيجاباً من قبل الدولة .. ولذلك، فلنأخذ حين نستخدم مصطلح الاحتياجات الثقافية، نستخدمه بالمعنى الواسع، الذي لا يشمل فقط عناصر الثقافة المعروفة تقليدياً، أي الإبداع الفني والأدبي والفكري، بل يتضمن كثيراً من العناصر التي يدرجها علماء الاجتماع تحت مصطلح «مثل أوقات الفراغ، ويشغل فيها دور الإعلام والتعليم والمؤسسات الدولية والرياضية»، فمن تجنب استخدام مصطلح الخدمات الثقافية التي تستخدمه أجهزة الدولة، لأن هذه الأنشطة ليست خدمات تقدمها الدولة للفقراء، بل هي مدفوعة مسبقاً من خلال

عن معرفة الأساسيات التي تمثل نطق القيم للمستقر والذات والمعد من أزمان إلى أخرى، هذا الذي يمكن أن يسمى بالهوية.. وهذا للتعرف يحتاج إلى أن يكون شديد الدقة والرص، كي يستطيع التمييز بين ما هو ضروري وأصيل وثابت ولا يمكن الاستغناء عنه في نطق القيم، وما هو عارض وزائل ويمكن تغييره، دون أن يصاب الناس بالانهيار الكامل.. ومثل هذا التعرف، هو الذي يستطيع، وحده، أن يسهم في تصديق الاحتياجات الثقافية للمجتمع، وتغييرها أو تطويرها، دون أن يهدم أساسه وهويته المميزة.

لنطلقاً من هذه الأسس، تسمى هذه الدراسة إلى محاولة فهم موقف الدولة المصرية، إزاء الاحتياجات الثقافية للفقراء المصريين الذين تعرف أنهم يشكلون الأغلبية الساحقة في المجتمع المصري، ويقدر بنحو ٨٤% من مجمل السكان (رشدي سعد،

# الثقافة للمصريين



وشع من الخوف، لحسن كمال

الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب فهو  
١١٥٤٢٠٠ نسخة، وبالن الفرد منها ٠٢ من  
الكتاب (٨).

٢. وفي المقابل نجد أرقاماً أعلى بكثير  
للمستفيدين من نشاط هيئة قصور الثقافة  
الجمهورية.. فإذا كان عدد مسارح القطاع  
للعام مثلاً ١٦ مسرحاً، فإن الهيئة شددت على  
مسارح قصور وبيوت الثقافة التي تصل إلى  
٢٥٢ قصراً وبيتاً (جدول رقم (٩)).. ورغم  
أنه لا يذهب التحصيل على النسبة الكبرى من  
هذا الرقم أي البيوت التي تخطو في الغالب من  
المسرح أو السينما وغيرهما من الأنشطة  
(ورقم البيوت ٢٥٢ بيتاً في مقابل ٣٩ مسرحاً  
فقط، تتركز في عواصم المحافظات والمدن)  
الكبرى كما سترى.. رغم ذلك فإن أرقام  
المستفيدين أعلى بكثير من المستفيدين من  
نشاط البيوت والمراكز والهيئات الأخرى..  
فالمستفيدين من المسرح مثلاً ٤١٨٢٢١  
مشاهدًا ومن رواد السينما ٩٢٥٩٣٧ مشاهدًا.  
وفي حين يقل المستفيدين من نشاط مثل  
الحرف اليدوية لوصول إلى ٢١٣٦٨ شخصاً  
(جدول رقم (١٠))، نجد أنه يرتفع بشدة مع  
المستفيدين من نشاط المكتبات لوصول إلى  
١١٦٣٠٠١ مستفيداً (جدول رقم (١١)).. وذلك  
نظراً لأن المكتبات هي النشاط الوحيد في  
العالم - الذي يوجد في البيوت، بينما تقتصر  
معظم الأنشطة الأخرى على القصور.. وهذا  
النشاط يعتبر أكثر أنشطة الهيئة، بل وزارة  
الثقافة عامة، انتشاراً.

٣. ومع ذلك.. فإن هذا الانتشار إذا فُهِم  
إجماليه إلى عدد المواطنين، يصبح انتشاراً  
محدوداً.. فإذا أجمعت المستفيدين من كل  
أنشطة هيئة قصور الثقافة، ودون اعتبار أن  
الشخص الواحد يمكن أن يستفيد من أكثر من  
نشاط من هذه الأنشطة وهذا هو الموكبد،  
لوصولنا إلى رقم ٢٤٠٧٣٣٠ مواطنًا - وهو  
معنى أنه لا يمثل سوى ١٢,٨ ٪ من مجمل  
المواطنين.

٤. فإذا انتقلنا خطوة أبعد للتعرف على  
هذا الرقم الأخير بالتفصيل، ولتعرف من هم  
المواطنون الذين يمثلون هذه النسبة، لوجدنا،  
من خلال إعادة قراءة تلك الجداول (بعض  
النظر عن مدى دقتها أو صحتها)، أن معظم  
الأنشطة الثقافية متركزة أساساً في مدينة

## الدولة والحاجات الثقافية

وللخصوصية بـ ١٨٥٤٠٠ جنيه سنوياً، والمعاملين  
في مجال الزراعة ١١٣٠٠ جنيه سنوياً (١)،  
فانهم، طبقاً عن المعاملين عن العمل الذين  
يُقدرون بحوالي ١٤ ٪ من القادرين على  
العمل، وذلك في عام ١٩٨٦.. والنتيجة  
الأساسية، هي أن الثقافة سلعة مرتفعة الثمن  
لا يقدر على شرائها معظم المصريين،  
وخاصة الطبقات الواسعة للفقر - رغم أنهم  
مواؤها الأساسيون.

ولذلك الآن من الموقف العام إلى قدر  
من التخصيص وينبثق عن تسليمة أنشطة  
وزارة الثقافة، التي تتوزع طبقاً للكتاب  
السوي للإحصاءات الثقافية الصادر عن  
وزارة الثقافة على النحو التالي:

البيت القلي للمسرح، البيت القلي للفرق  
الشعبية والاستعراضية، المركز القومي للفرق  
للشعبية، المركز القومي للسينما، المركز  
القومي للثقافة الطفل، المركز القومي للمسرح،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب، الهيئة العامة  
للقصور الثقافية للجمهورية، وغيرهما من  
المراكز والهيئات والإدارات غير الموجهة  
للمعهور الرابع بصفة أساسية.

ومتابعة أنشطة هذه الهيئات نلاحظ ما  
يلي:

١. أن إجمالي عدد المستفيدين من  
البيت القلي للمسرح، على سبيل المثال، هو  
١٣٢٠٥٢٠٠ (جدول رقم (١١))،  
والمستفيدين من نشاط البيت القلي للفرق  
الشعبية هو ٤١٢٥٨٥ (جدول رقم (١٢))  
ومن دار الكتب وفروعها (جدول رقم (١٣))  
هو ١٩٢١٨٥٠٠ قارئاً.. أما مجمل الكتب

مصرية.. وبمقارنة هذا المبلغ بإجمالي  
الإنتاج العام في الموازنة العامة للدولة لنفس  
العام (١٩٨٦/٩٣) وهو ١٢٥٣٣ مليون جنيه  
مصري (١)، يتضح أن النسبة هي ٨٧,٨٧ ٪،  
ويكون نصيب الفرد (٢) من هذه الخطة هو  
٩٤٧٠٠ جنيه مصري.. وهذه الأرقام تشير  
بوضوح إلى تضائل نصيب الثقافة في  
الموازنة العامة للدولة، على نحو متزايد،  
خاصة إذا أدركنا أن نصيب الفرد في هذه  
الموازنة لا يذهب إليه دون مقابل، بل هو  
مختفوع مقدماً من خلال الضرائب، من  
تأخية، وأنه يعود لشترى السلع والخدمات  
التي تلجأها الوزارة بهذه المبالغ.. وعلى  
سبيل التوضيح، فإن نصيب الفرد من إنتاج  
الهيئة المصرية العامة للكتاب (وهي  
٢٤٥٨٦ مليون) (١) والذي يقدر بـ ٤٢  
قرشاً، لا يقدم للفرد كهدية، وإنما ينفق في  
عمليات إنتاج كتب، نباح للجمهور مرة  
أخرى، بحيث تدر ربحاً على الهيئة (قدر في  
عام ١٩٨٥ بمليون ونصف مليون جنيه)..  
وهذا الوضع نفسه يطبق على معظم  
منتجات وزارة الثقافة، فيما عدا بعض أنشطة  
هيئة قصور الثقافة للجمهورية وبعض  
صناديق الخدمات وأنشطة المركز القومي  
للمنوع الثقافي.. وفي المقابل هناك أنشطة  
ثقافية ينفجها القطاع الخاص ولا تلقى عليها  
وزارة الثقافة، مثل الإنتاج السينمائي على  
سبيل المثال، وعلى هذا الأساس، فإننا لو  
قربنا البعد الأدنى من احتياجات المواطن من  
أنشطة وزارة الثقافة في حدود صيغة يومية  
وصيغة أسبوعية وصيغة شهرية ونقلم أو  
مصرياً أو عرض موسيقى في الأسبوع،  
وكتاب واحد في الشهر تكافئ التمرس (بأسعار  
١٩٨٦/٩٢) حوالي ٣٥ جنيه في الشهر.. وهذا  
الرقم إذا قارناه بمقرس أجر العامل في العام  
لنفسه وهو ٢٤٦٢٨٠٠٠٠٠٠، (٢) لأصبح ما  
ينبغي على المواطن إنفاقه في سبيل الحصول  
على هذه الاحتياجات يساوي ١٧ ٪ من دخله  
السوي، وهو طبقاً الأمر المستعجل في ظل  
الاحتياجات المعيشية الأكثر إلحاحاً وضروية  
لجهد الاستمرار في العيش، ولذا راعينا  
متوسط الأجر السنوي العام في القطاعات  
الفقرية من السكان، لأدركنا أن الوضع أسوأ  
بكثير، حيث يقدر نفس المصدر متوسط أجر  
العاملين في مجال الخدمات الاجتماعية



القاهرة، تلبيها عواصم المحافظات وعلى رأسها الجيزة والإسكندرية، ثم أُولوية في كثير من الأحيان لمحافظة الوجه البحري على محافظات الصعيد.. تلى ذلك أهمية لبعض المراكز وبعض المحافظات، وحيث توجد بيووت للثقافة، أما القرى فنادراً ما يصلها نشاط ثقافي ويستغل من ذلك بعض القرى الكبيرة التي توجد بها بيووت ثقافية أو يزورها قافلة من الفرق الثقافية على فتحات شديدة التواجد.

فعلى سبيل المثال، يكشف الجدول رقم (١)، أن عدد المسارح التابعة للبيوت الفنية للمسرح، بالقاهرة هو ١٢ (٩) من جملة ١٦، بنسبة ٧٥٪، بلغ تصويبها من حفلات ٩٥٪ ومن عدد الزوار نسبة ٩٧٪، في حين أن أربع مدن أخرى قد حظيت بمسرحين (الإسكندرية) أو مسرح واحد، لم يقدم بعضها (الإصمالية) سوى حفلة واحدة في العام، لا يذكر الجدول رقماً لمعد روادها؟

ويختلف مع هذه النتائج، أرقام الجدول رقم (٢) الخاص بنشاط البيوت الفني للفنون الشعبية والإسراعانية، رغم أنه نشاط متخلل - ويمكنه أن يستغل من مسارح قصور الثقافة أو دور السينما أو حتى مسارح الأفراح أو الملاعب أو مراكز الشباب.. إلخ.. كذلك تتفق نتائج معارض ومبيعات كتب هيلة الكتاب.. حيث تصل القاهرة ١٤ فرعاً ومركز بيع للكتب، بنسبة ٥٦٪، يمثل إيرادها نسبة ٦١،٦٪ من جملة مبيعات الهيلة في الدولة كلها.. أما دار للكتب، فإن الجدول لا يذكر سوى فروصها في القاهرة دون فروصها في المحافظات وهي محدودة جداً بالطبع.

ويكشف الجدول رقم (١) المتخلص من نتائج تقرير التنمية البشرية عن فلتحة أكبر في المقارنة بين ما تحصل عليه القاهرة، وبقية المحافظات، وبين ما يحصل عليه المعصر، وما يحصل عليه الريف عامة.. فلي حين يصل عدد المترددين على السينما سنوياً لكل ألف في القاهرة إلى ١٨٥٩ وعلى المسرح ٥٧ وعلى المتاحف ٣١٤، نجد أن محافظتين كاملتين تخزون تماماً من هؤلاء المترددين وهي محافظتا جنوب سيناء والإبدي الجديد، وخمس محافظات تخلو تماماً من رواد السينما والمسرح وهي محافظات

الحدود وكل المحافظات غير الحضرية تكثر من رواد المسرح.. وينطبق الأمر نفسه على عدد الكتب والمكتبات فهي في القاهرة ٤٣٩ كتاباً لكل ألف قارئ و٩١ للوجه البحري و١٤٠ للوجه القبلي و١٨٧ لمحافظة الحدود.

أما المقارنة بين الريف والحضر فكشفت نفس الشيء وإن لم تكن الأرقام كافية في الجدول، وهذا يتضح من المقارنة بين المحافظات الحضرية ومحافظات الحدود، فتسود أهما على طرفي نقضين ويدهما محافظات الوجه البحري والوجه القبلي.

(٥) ويكشف التلخيص في بعض الجداول أن القاهرة.. التي تغطي بأعلى المعدلات في كل المجالات، ليست كتلة واحدة.. صحيح أنه يعيش بها ثمر ربع سكان مصر (١٠)، غير أنه صحيح أيضاً أن معظم هؤلاء السكان يعيشون في المناطق العشوائية والفقرية، وإذا كان مطلقاً (٢) أن يندر وجود الأنشطة الثقافية في المناطق العشوائية، فإنه ليس منطقياً أن تتركز معظم الأنشطة في المناطق للفنية لتستغل دون المناطق الفقيرة.. ولكن هذا ما يحدث.. في الجدول رقم (١١) المستلجج من جدول توزيع نشاط تصوير وبيوت الثقافة داخل القاهرة.. وجدنا أن الأحياء الفنية تحتل سبعة عشر قصراً وبيوتاً من بيوت الثقافة (هذا بالإضافة إلى القصور المتخصصة مثل قصر السينما بجاردن سيتي والقصور الأثرية في منطقة الحسين والفقرية.. إلخ) في مقابل ثمانية فقط في المناطق الفقيرة، علماً بأننا توسعنا إلى حد ما في تحديد المناطق الفقيرة فأدخلنا فيها قصر ثقافة الرياء والأمل وقصر ثقافة ١٥ مايو والسلام وغيرها.. وهذه المناطق الفنية امتازت إذن بنسبة ٦٨٪ من مواقع الثقافة الجماهيرية في القاهرة، قمت فيها نسبة ٥٨،٨٪ من جملة العروض، استفاد منها ٥٨٪ من المستفيدين منها.

- ٢ -

مما سبق يمكننا الوصول إلى نتيجة مطمئن إليها إلى حد كبير، وهي أن الأنشطة الثقافية التي تمارسها وزارة الثقافة لا تصل إلا إلى عدد محدود من المصريين، وأغلبهم من بين الأغنياء، وتصبو الفقراء فيها

محدود جداً، بل إن هذا التصويب - وهذا هو الأهم - غير مناسب أساساً، فقد كشفت الجداول السابقة أن أكثر أنشطة وزارة الثقافة انتشاراً في القرى هي المكتبات، في حين أننا نعرف أن هذه المناطق تزداد فيها نسبة الأمية، حيث تصل نسبة الأمية في الريف (حسب ١٩٨٦) إلى ٦٩٪ في حين كانت في المعصر ٤٠ فقط (تقرير التنمية البشرية من ١٩٦٦) .. وللمعنى أنه في هذه المناطق البصرية لا تقدم الأنشطة الفنية السمعية البصرية وليس الكتب.. ومعظم أن هذه الأنشطة لا تصل إلى القرى إلا في بعض المناسبات المتباعدة جداً.

غير أنه كما سبق القول - تصمم أجهزة ووزارات أخرى في النشاط الثقافي بالمعنى الرابع، وليس وزارة الثقافة فقط.. من هذه الزوارات: وزارة التربية والتعليم، وزارة الإعلام، وزارة الأوقاف، وجهاز الشباب والرياضة.. ويبدو لنا أن ترتيب هذه الزوارات في الأهمية يمكن أن يتم على نحو تصاعدي فليبدأ من المجلس الأعلى للشباب والرياضة باعتباره مسؤولاً عن قطاع محدد من السوطين، فوزارة الأوقاف المستقلة أيضاً عن قطاع من الأنشطة في الأنشطة الدينية ثم وزارة التربية والتعليم السوفلية عن قطاع واسع من المستفيدين الذين قد يصل تطعيمهم حتى أصنام متاخرة (في حالة الإعداد لرسائل الدكتوراه)، ثم وزارة الإعلام المستقلة عن أخطر الأجهزة في عالم اليوم والتي تصل إلى كل المواطنين تقريباً، وتقدم جهاز التلفزيون، بالإضافة إلى وسائل الإعلام السمعية والمرئية.. وهذا الجهاز والوسائل الأخرى متماصة بالطبع مع بقية الأنشطة والأجهزة الثقافية وغير الثقافية، معاً أن الزوارات الأخرى أحياناً تتداخل أعمالها وتتماص سواء من حيث طبيعة النشاط، أو من حيث المستفيدين من هذا النشاط.

فالمجلس الأعلى للشباب والرياضة مسئول عن قطاع الشباب (أخطر الأصنام) بالإضافة إلى النشاط الرياضي في الوطن بصفة عامة، وهو نشاط موجه ليس إلى الشباب فقط وإنما إلى مختلف الأعمار، كما أنه يستفيد من جهاز التلفزيون في الوصول إليهم.. غير أن هذا الجهاز يمارس مهامه

## الدولة والحاجات الثقافية

ومراقبتها بالتعاون مع أجهزة الأمن أو صمدا عليها) فاشك قري في قدرتها على تحقيق هذا الحصار ليس لنقص الإمكانيات (فقد رجعت الدولة كل إمكانياتها في الفترة الأخيرة لمواجهة ما يسمى بالإرهاب)، وإنما لفقدان الدافع العميق والتنظيم الحقيقي والقيم المتكاملة وهذا واضح في النشاط الذي إن مهمة الوزارة تتمحور في تعيين موظف أو أكثر (في كل مسجد حسب أهميته)، لإقامة الشعائر وصفة خاصة صلاة الجمعة السورطيين، لكنها تهتم بأن تراقب هؤلاء السورطيين لضمان أنهم مجرد موظفين أي تطبق عليهم شروط الأداء الروتيني الخالي من الدافع الخاصة حتى ولو كانت دوافع إيمانية مهمة.. ولذلك فإن معظم الموشوعات والأفكار التي ينبغي أن ينقلها خطيب المسجد إلى المصلين هي موشوعات وأفكار إما تقليدية منقولة من الكتب الصغرى بذات الصياغات المصغولة، أو مفروضة على الخطيب من قبل الوزارة، التي كخسرها ما تصدر تعميما على الخطباء فهاجوا أو مكتوبا حول موضوع محدد والنتيجة هي أن خطبة الجمعة تتحول إلى مناسبة ملة يضطر المصلون إلى المشاركة فيها من أجل إتمام الصلاة لكن الكثيرين منهم يتحولون من هذه الخطبة إلى المساجد الأهلية التي تسمع بدوافع ذاتية أعلى نظرا لقربها من المنظمات الإسلامية في الغالب ولأن هذه المساجد الأهلية لم تكف بمجرد إقامة الشعائر أو صلاة الجمعة وإنما تحول المسجد إلى مركز نشاط للمي أو للخطبة حيث يهود فيه المصلون متوصلا مسجدا ومدرسة أو مشلا أو دارا مناسبة للعرء أو لعقد القرآن.. بالإضافة طبعاً إلى دروس الريط وتضيظ القرآن للسائر

وعلى هذا النحو فإن تصوير وزارة الأوقاف وخشوع وظرفيتها تماما لخدمة سياسة الدولة المباشرة على نحو يكاد يكون قريبا من الوظيفة الأمية وكما بدأ في الصراعات مع «الإرهابيين» في السجون خلال السنوات السابقة) أدى بها إلى تكريس قيم السلبية لدى (السجودين وتحولهم إلى فريسة سهلة للقوى الدينية المنظمة بعد أن طردتهم من مؤسسة المسجد الرسمي بروتينية

أساساً من خلال الأندية الرياضية المصركزة في العاصمة الكبرى وعواصم بعض المحافظات، بالإضافة إلى مراكز الشباب المنتشرة في كل القرى تقريباً بسبب الاعتماد على الجهود الذاتية لأهالي القرى في إقامة هذه المراكز.. غير أن هذا الانتشار الذي كان يمكن أن يكون وسيلة ثقافية مهمة - يخلو تقريباً من أي أهمية نظراً لانحصار أنشطته في جهاز تليفزيون ومائدة لمسة للتدريس وأحياناً مكتبة صغيرة محدودة الكتب عددًا وقيمة - وبعض المبادرات الرياضية التي تقام في الإجازة الصيفية.. ويهود هذا الانحصار إلى محدودية الهوزانية من ناحية وقساد الإدارة من ناحية أخرى إما بسبب الإهمال أو فساد النمة المالية، بحيث يصعب المستفيدون من هذه المراكز عددًا محدودًا من الشباب (مجلس الإدارة والموظفون بهم)، وتصبح الاستفادة محدودة في مجرد فضاء وقت الفراغ على نحو صلي أو ممل وسلي على كل حال.. ولعل هذه هي القيمة الأساسية التي تحققها أوسا عبر الأنشطة الرياضية على المستوى الوطني العام، حيث إننا نجد أن لعبة كرة القدم قد أصبحت فضيل للشموع الحكومي هي اللعبة الشعبية الأولى ويحسم لها أعداد كبيرة من المراقبين، غير أن حماسهم هذا هو حماس منحرف إلى سرعات فورية بين الأندية المنظمة، وليس حماساً للمنافسة للذهبية أو للكرة المصرية على الصعيد الوطني بصفة عامة.. ولاشك أن محدودية الهوزانية وسوء الإدارة يسهمان في إضعاف مستوى الأداء القومي الرياضي الذي يتبدى في الفعاليات التي تحققها الفرق القومية، في مقابل بعض النجاحات التي يحققها هذا الفريق المستقل أو ذاك.. ولاشك أن نقل الفريق القومي في الألعاب المختلفة يكرس قيمة الدونية والإحسان بعدم قدرتنا على التدخل في مناقشة مع العالم (المتقدم) في أي مجال حتى الرياضة التي يبدل لاعبرها أنسى جهرهم، ويبتكون في بعض ألعابها تميزاً ملحوظاً، لكنه يهدر بسبب سوء التنظيم أو نقص الإمكانيات أو ضرورية الاعتماد على السجون الأجانب.. إلخ.. وتدريجاً تقسم هذا الجهاز عن تحقيق الاحتجاجات الشبابية سواء على المستوى الفيزيقي أو على مستوى تقوم، نجد أن الشباب في القرى والأحياء الشعبية يصرفون

وتقديرى أن نشاط وزارة الأوقاف يؤدي إلى نتيجة قريبة من هذه النتيجة، وإن كانت أخطر، لأنها تفسد كل الصديقين - فوزارة الأوقاف هي المسؤولة عن كل المساجد في مصر والتي تزايدت وتزايدت بصورة ملحوظة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، إما بسبب المد الديني في المجتمع بصفة عامة والناش عن الإحباط القومي العام وغيرها من العوامل، أو بسبب الإغواء العنصري الذي يحققه سائر مسجد في المباني الجديدة للسكائنة غير أن وزارة الأوقاف لا تشارن مسئوليتها على كل مساجد وخاصة المساجد الأهلية التي هي مؤهلة للجمعات الإسلامية على نحو طبيعي سواء كانت منظمة من قبل القوى السياسية ذات الطابع الديني.. أو مرشحة لهذا التنظيم. ورغم تنحية الوزارة إلى هذه الظاهرة في الفترة الأخيرة ومحاولة حصار هذه المساجد

وإسلامه وعدم قدرته على أن يمسك بالخصائص الدينية التي تميز المصريين عن غيرهم من المسلمين والتي تمثل في ملامح كبيرة تختلف عن الإسلام السني، أنتجها الخاص للمصريين عبر الحضارات المتعاقبة التي عاشرها وظهرت فيهما، سواء بالإيجاب أو بالسلب.

إن التعرف العلمي الدقيق على منظومة القيم التي يهمن عليها المنظور الديني أو الإيماني لدى المصريين وخاصة لدى الطبقات الشعبية يمكن أن يكشف عن خطوط نفثة عميقة للحياة بصفة عامة، تكن النسق القيمي الذي يشكل الأساس الفكري والنفسي للمواطنين به يمشرون حياتهم ويواجهون مصاعبها ويبدعون في أمثلته الخطايات بل ومن خلالها يقيم احتمالاتهم للمستعدة والتي تصل إلى حد الشكل الكرنفالي من موالد الأنواء والقديسين والأحشالات الطرق الصوفية ومقوسها المختلفة. وهذا التعرف العلمي لا يحمي القبول أو الرفض، مطلقاً فعل وزارة الأوقاف بشأن الموالد حين تسمح بإقامتها مع تعريم كبير من مقوسها وشعارها وإضا على الإصااك بالجوهرية والمبرمج والصب والى التدخل على تيممة وإثرائه لأن هذه التلمية ثراء للهوية وللذائع الحيوي للإنسان أن يحيا ويقام ويبدع وهذا التعرف يمكن أن يكون كفيلاً بتحقيق مواجهة الدولة للطرف السلي أو أنها كانت تريد حقاً مواجهته.. ولو كانت تنظك المنظور الاستراتيجي العميق في معالجة المشاكل وأمر الحياة بصفة عامة وهذا يعني أن عدم القيام بهذه المهمة، ليس فقط تكوفاً عن ثلبية الاحتياج الروحي العميق للمصريين، بل وتزيف هذا الاحتياج ببديل سلى شكلى تتفق فيه المؤسسة الدينية الرسمية مع التيارات السلفية، وسوف يؤدي إما إلى إهدار هذه القيم الروحية العميقة لدى المصريين أو إخراجهم من الصراع الدائر بين الدولة والمضطربين وكلها نتائج تقع أخطارها على حاضر المصريين ومستقبلهم وقد تعصب الدولة ذاتها فإذا انتقلنا إلى وزارة التربية والتعليم ارتقينا في درجة الخطورة نظراً لأن هذه الوزارة تعمل في مجال شديد الحساسية من حيث طبيعة المراحل العمرية للثقافة للأطفال والشباب الذين يخطمون وبسبب

المهمة للضخمة التي يلبس أن يقوم بها التعليم. إن مهمة التعليم لا تلتقى تعليم الفرد القرامة والكتابة وإنما بدء تنق قيم متكامل للفرد لا يلبس أن يقوم على أساس للقيم التقليدية المستقرة في المجتمع فصب، وإنما على أساس تجديد هذه القيم وتتمسيتها وتطويرها (دون تمسيتها كما سبق القول). يبنى إنساناً جديداً قادراً على تجديد المجتمع وتحقيق احتياجاته الجديدة والمتجددة باستمرار وللأسف الشديد فإن الخبرة المتعاقبة تشير إلى أن التعليم المصري أصبح في حال من التدهور لا يستطيع معه القيام بأى دور من الأدوار المطلوبة به بل يمكن أن يؤدي إلى تفتتها.

فرغم ارتفاع نسبة الإنفاق على التعليم في السنوات الأخيرة، حيث وصلت إلى ٩.٨ ٪ من إجمالي الإنفاق العام سنة ١٩٩٠ إلا أنها تظل نسبة متواضعة إذا قورنت بالنسبة المخصصة للتعليم في الدول الأخرى (١١)، كما أن هذه النسبة ذاتها ليست ثابتة ويمكن أن تنخفض في سنوات وتزيد في سنوات أخرى (١٢) ومنعت الإنفاق على التعليم يمكن تقاسمها على آداء الألفزة لمهامها، والتقصير في تحقيق الأهداف المرجوة ويجلى هذا التقصير في عدم القدرة على استيعاب كل التلاميذ المفروض استيعابهم في المراحل المصرية المختلفة وهذا واضح من رقمين الأول هو نسبة القيد في التعليم الأساسي والثاني التي تصل إلى ٨١.٤ ٪ سنة ١٩٩٠ ومعدلات التسرب التي وصلت سنة ١٩٩٢ إلى ٣٠ ٪ (١٣) ومضى الزميين مما أن نسبة المتقدين الذين يواصلون تعليمهم حتى نهاية المرحلة الثانوية لا يزيد عن ٥٠ ٪ من البناتين من الشاملة عشرة وهذه النسبة العامة الفاجعة تخفى النسب التفصيلية الأكثر خطورة حيث تكمن نسبة المتقدين في الوجه القبلي إلى ٣٧.١ ٪ ويصعب من الطبيعي في ظل هذا الوضع ألا تذل مشكلة الأسوي لأن النظام التعليمي ليس قادراً على حلها فقط وإنما هو يخذلها من باب آخر هو التسرب بحيث تصل نسبة غير الملومين بالقراءة والكتابة في العمر إلى ٤٠ ٪ وفي الريف إلى ٦٩ ٪ أرقام (١٩٨٦) (١٤) ومن الطبيعي أن هذه النسبة المترتبة من الأميين سوف تكون صيداً سهلاً لأي نوع

مختلفة يمكنها أن تستفيد من أمولهم ويعاير أن تعد هذا النقص عبر مكاتب تعاطف القرآن والحضانات المنتشرة في المساجد على سبيل المثال ومعظمها موزقة من قبل تيارات الإسلام السواسي المتطرفة.

فإذا عدنا إلى الذين يروج نظام التعليم في استيعابهم وجدنا أن الشروط التي يتم فيها العملية التعليمية في المراحل المتطرفة تعوق تحقق المهام الأساسية أو لأهداف التعليمية إلا في حدود متدنية ومن الأرقام الدالة على هذه الشروط نسبة المباني المدرسية غير الصالحة وقد كانت ٤٠ ٪ سنة ١٩٩٠ (١٥) وكشافة الفصل في الإبتدائي التي تصل إلى ٤٤ ٪ وفي الإعدادي تصل إلى ٤٣ ٪ لتسيذا في الفصل (١٦) وهذه الأرقام تزد أسداً قوية لها في مراحل التعليم الجامعي، وخاصة الجامعات الإيمية وما يسمى بالكتابات ذات الأعداد الكبيرة وخاصة بعد تطبيق نظام الانتساب المرجح الذي يضاف أعداد طلاب بعض الكليات أو الأقسام.

ولا يقتصر الأمر على نقص الأماكن وعدم صلاحيتها فقط فهذان مؤشران على نقص الإمكانيات المادية التي يمتد إلى نقص السام والأتات الضرورية كما تمتد إلى نقص أمور المدرسين والعاملين في حقل التعليم عامة مما يؤدي إلى نتائج أخرى تؤثر على كيفية أداء العملية التعليمية نفسها ذلك أن إنساناً لا يحصل من عمله على القيد الأدنى الذي يكفي حياته لا يستطيع أن يمد برؤيته على خبر وجه هذا هو الحادث بالنظر حيث نجد أن درجة الإجابة في أداء التدريين في كل المراحل متدنية جداً وهذا أدى مع عوامل أخرى كثيرة إلى القضاء على الدور التدريي للمدرسة لصالح دور المنزل أو المسجد في إطار ظاهرة الدريس النصوصية سواء الفردية أو المتعلمة وهي ظاهرة لا تلتصق عبداً اقتصادياً على كاهل الأسرة وخاصة الأسرة الفقيرة فقط وإنما تظل فعلاً ماندا في النظام التدريي نفسه لأنه يخلق اللائام والإحساس للمتدق بالفوضى في نفوس المتعلمين منذ صغرهم كما أنه يسهم في تكريس المنهج التلقيني الذي لا يهتم سوى بحفظ معلومات تصلح لاجتياز الامتحان دون أن يهتم بتنمية عقلية المتعلم وقدراته الفكرية والإبداعية فيخرج شخصية

## الدولة والحاجات الثقافية

البرامج بمختلف أنواعها وبهذا المعنى الواسع ومن هنا تأتي أهمية توصيف هذا النموذج الثقافي الذي يهتم التلفزيون المصري لأنا في النهاية سوف نصل إلى حد توصيله بأنه تقييد للثقافة بالمعنى اللغوي.

إن عددا من البرامج التلفزيونية يقدم دون شك - مساهمة ثقافية سواء كانت معلومات أو أخبار أو ترفيه للأدراك الفنية وغيرها غير أن هذا العدد من البرامج محدود ولا ينفى الطابع الغالب على البرامج والذي يميل إلى الجفاف والوقوع في أسر صورة أو شوج للإعلام المنفصل عن الحقيقة وعن الواقع وغير التقدير على تقديم المعلومات وليس بالمعنى الدعائي المشوش، إن الصورة في نظرية المعلومات ليست فقط غير المعروف وإنما أساسا غير المتوقع، وهذا يعنى أن الصورة ليست حقيقة مطلقة تصل إلى المتلقي من مصدرها دائما، وإنما هي نتاج تفاعل حقيقي بين مصدر الصورة ومتلقيها إذ يجهد ذهن المتلقي كي يتلقى الرسالة كي يربط عناصر الصورة في علاقات يستنتج منها الرسالة في النهاية بهذا المعنى تكون الصورة نوعاً من تنمية الإبداع والفتنات البشرية وهذا النمط ليس هو المشوهر في التلفزيون المصري الذي يعتمد في نسبة كبيرة من برامجه على المادة المصنوعة في الخارج أو على معرفة ناقصة أو مشوهة بالواقع الداخلي والذي يرضع لمجموعة من المحرمات المتعلقة بأمن الدولة (أو النظام) وخاصة في ميدان النقد السياسي أو حتى اللقد بصفة عامة.

خسائر أن هذه السلاسل لا تشكل نسفا متكامل من القيم التي تصل إلى المتلقي ذلك أن مهمة الدولة على التلفزيون لا تنفي تلك عناصر قيسية قد تشكل أسفا تيمية متصارعة مع الفن الأيديولوجي العام للدولة، وقد تنفق معه لكن هذا الاتفاق يجعل للنسق العام مشددا ومهددا وقابلا للتأنيب والمقصود هنا أن هناك نسفا من القيم الدولية التي تبذلها برامج التلفزيون لا تختلف كثيرا عن القيم التي يدور إليها أعضاء الجماعات الدينية سواء القسطنطينية منها أو المعتدلة وهذا للنسق يبدو في كثير من الأحيان متصارعا مع التوجه العام للدولة الذي يجب بمقتضى أن يسميه تدويرا، كذلك هناك نسق من القيم

ينفاق اعتماد الإذاعة التلفزيونية قد ارتفع من ٣٣٧٥٠٤ مليون جنيه سنة ٩٢/٩١ إلى ١٠٠٧٥٩٩ مليون سنة ٩٣/٩٢ وزعم أن هذا الاهتمام بالانتشار التلفزيوني يحدث أيضا بالنسبة للصحافة حيث نشأ صحف جديدة باستمرار لتغطي المجالات المختلفة: الرياضة، للفنون، الأديب وهي صحف تابعة للدولة أو للأحزاب أو لأفراد إلا أن انتشار الصحافة كما أشارت الأرقام السابقة لايضي التدجئة نفسها التي يملئها انتشار التلفزيون لذلك فإن اهتمام الدولة بكل من الراسلين هو اهتمام مختلف حيث يسمح في الصحافة بدراسة، أعلى من للتنوع وأقدر من حرية الاختلاف ولتلك لايسمح بهما في التلفزيون وكذلك فإن اهتمام الدولة بالتلفزيون يشجر إلى أنها تعتبره، وهو كذلك بالفعل أداتها الرئيسية في التوجه الأيديولوجي ولابد أن يكون خاضعا تماما لتوجيهها ولايسمح فيه بالمناقشة كما لايمكن السماح لمناقشته لتقنرات خاصة أو قاصدة من الخارج عبر الفضاء هذا رغم أن نسبة ٣٥٪ من برامج التلفزيون المصري مستوردة من الخارج (١٨) ولكن هذا الاستيراد المحكوم ومحموم بإشراف أجهزة الدولة أو هكذا يتصور المسكرون في حين أن الحقيقة أنه محكوم أيضا بالأيديولوجيات خطته التي تكتمل بالضرورة مع المادة المذاعة وخاصة إذا كانت دراسية وهذا هو الحال بالفعل في المواد المستوردة وأغلبها أمريكي الصنع وزعم أن نسبة البرامج الثقافية وللدراسية في التلفزيون المصري محدودة ولا تزيد عن ١٧٪ (١٩) إلا أن مفهوم الثقافة هنا لابد أن يتسع ليشمل كل القيم وأصناف السلوك والمظاهر التي تحتلها

ممسوحة لاقدرة لديه على التفكير أو الإبداع أو للقدرة على التعامل مع مشكلات الحياة وإذا أضفنا إلى هذه العوامل فقدان المتعلمين أنفسهم للثقافة إلى التطعيم نظرًا لأن الفرجح لا يملك في نهاية دراسته خبرة حقيقية لا إنسانية ولاهسية ولأن فرص العمل قد تضاعفت ومازالت تتعامل باستمرار، يسبح للطرف الآخر أي العملية التعليمية أي الطلاب محرومين عنها وبالتالي أصبحت المؤسسة التعليمية فرضي غير مفعلة وتخرج أجيالا من الجهلة الذين يشكلون جيشا احتياطيا للانحراف أو التطرف وهذا الأمر سوف يتفاقم بعد افتتاح الجامعات الخاصة لأبناء الأثرياء الذين سيستولون على مايتبقى من فرص العمل بدون أن يكونوا قد حصلوا على تعليم حقيقي وقبل أن يصل هؤلاء مع غورهم من غير المتعلمين إلى الانحراف أو التطرف وفي الطريق إليهم يأتي دور وسائل الإعلام في أخفض الأدوات نظرا لتسارع رقة انتشاره وللخصوصية الدورية في كيفية تأثيرها على الجمهور فمن حيث الانتشار نجد أن ٣٤ مائة من كل ألف تصفهم المصحف اليومية وأن عدد أجهزة التلفزيون لكل ألف أسره هو ٧٣٠ في المتوسط وبالطبع ترتفع بالنسبة في مصر إلى ٨٩٢ وتضيق في الريف إلى ٥٨٥ (١٧) وهذه الأرقام تثير إلى أن وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون في أكثر الوسائل وصولا إلى الجماهير الواسعة ولذلك فإن اهتمام الدول بها واضح للبيان إذ يزداد عدد القنوات التلفزيونية والإذاعية بالطراد كما يزداد عدد ساعات الإرسال، وطبقا للتكليف الإحصائي لجهاز المركزي للتحسين للقيام والإحصاء لسنة ١٩٩١ زاد متوسط عدد ساعات الإرسال الإذاعي من ١٥ ساعة يوميا ١٩٥٢ إلى ٢٣٠ ساعة سنة ١٩٨٥ إلى ٢٧٣٢ سنة ١٩٩٠ وكذلك الأمر بالنسبة لساعات الإرسال التلفزيوني من ١٤٢٢ ساعة سنة ١٩٦٠ إلى ٣٨٩٧ ساعة سنة ١٩٧٨ ولاشك أنها تضاعفت الآن بعد افتتاح القنوات الخاصة والسادسة والسابعة والثامنة وقناة النيل الدولية بالإضافة إلى القناة الفضائية المصرية وفي الطريق قنوات أخرى قائمة وامتداد أكبر لساعات الإرسال وتشير إحصاءات وزارة التخطيط إلى أن

الاستهلاكية التي تبناها المؤسسات الأجنبية والمساحات الضخمة المصممة للإعلانات التجارية قد تبدو أيضا متحارضة مع القيم الدينية للميثولة في البرامج الدينية ولعل نموذج مايعحدث في برامج شهر رمضان أن يكون مثالا واضحا على هذه التعارضات.

ولأن هذه التعارضات واضحة وهناك محاولات واضحة أيضا لإزالتها دون جدوى يصبح من المنطقي أن نعتبرها سمة من سمات النمق الأيديولوجي للتلفزيون يودى إلى اعتباره نفسا مشحونا غير متكامل، وبالتالي لا يودى إلى وظيفة استيعاب المنطق بالإنفاق، والحقبة أنه يقهقه ويسلب شخصيته ويوقعه في مجرد إغراء الصورة والاستجابة لها دون أن يكون مقصدا ضامًا وهذا يقترب مما يمكن أن نسميه غسيل المخ وهو تقنية الدور الذي ينبغي أن تقوم به الثقافة ومن ثم فإن الأثر النهائي للتلفزيون على المشاهدين يتلخص مع الآثار التي رصدها لأجهزة الأخرى سابقا وهي تشويه شخصية المواطن المصري بالإضافة إلى عدم تحقيق احتياجاته الروحية المعقدة.

وفي ظل هذا الوضع تلجأ الطبقات المختلفة من الشعب المصري إلى وسائل إعلامية بديلة ولاشك أن أجهزة الاستقبال الفضائي والتليفزيوني والكاسيت هي أكثر هذه البدائل انتشارا وخاصة لدى الطبقات الغنية والمتوسطة وأما الطبقات الفقيرة التي لا تستطيع امتلاك هذه الأجهزة فإنها تلجأ إلى التعامل السري أو شبه السري مع هذه الأجهزة عبر نوابي التليفزيون أو التماس الدش الحرامى وما إليها وهي وسائل غير خاضعة للرقابة، ومن ثم يمكن أن تؤدي إلى نتائج مدمرة أو غير مصنوعة على كل حال لأنها في الغالب تحقق الاحتياجات الغرائزية على أنما مشروعة بل تسهم في تنمية هذه الاحتياجات وإيزاها على حساب نمق القيم الكلى الذى يضمن السلامة النفسية للمواطن في ظل اتساق الهوية وعظامها.

إن مجمل الأوضاع التي رصدها سابقا تشير إلى أن فقراء المصريين يعيشون دون أن تلبى احتياجاتهم الثقافية والمعنى المعق والإنتاج الثقافى السقيم حتى المستوسطين والأغنياء غير مرض وغير قادر على أن

يحقق شروط التماسك والتكامل الضروريين ناهيك عن الدواعى المعق وتقدروا أنه في ظل صراع بين قراطية للدولة ومسالحة التطبيق مع شروط سياسة التكيف الهيكلى ومع التطور التقادم لتكنولوجيا الإعلام والاتصال فإن المآل الذى سبق رصدها سوف تزداد وسوف تزداد أزمة الثقافة ليس فقط بالمعنى الضيق والمحدود وإنما بالمعنى الواسع الذى يشمل نمق القيم المحدود لهوية الوطن المرابط فإذا أمعنا إلى ذلك لتخطيط الواسع لإنتاج مايسمى بالسوق الشرق أوسطية التي تصبح فيها إسرائيل مهيمنة تكنولوجيا والتكنولوجيا على المنطقة بنمق أن خطر صناع الهوية هو خطر حقيقي أما المتفقون المواطنين فإن دورهم قد تقلص وجرى إلى أقصى درجة بحيث إننا لا نستطيع الاعتماد على فعاليتهم في إنقاذ الوضع في اللحظة الراهنة ومالم تتغير كل الأوضاع التي تشكل لهذا المناسب لهذه الأزمة. ■

#### الهوامش

(١) يشير أطلس معلومات العالم العربى الذى أعده رفيق البستاني وفيليب فارس وصدر ١٩٩٤ إلا أن أكثر من ٥٠٪ من ميزانية مصر يعتمد على الضرائب والموائد من ١١٤.

(٢) المصدر الإحصاء الاقتصادية للبنك الأهلى، النشرة الاقتصادية، المجلد السابع والأربعين، للعدد الثانى، ١٩٩٤، ص ٢٠٩.

(٣) علما بأن عدد السكان مقدر في المصدر نفسه بـ ٥٧,٦ مليون نسمة.

(٤) إحصاء وزارة التخطيط.

(٥) للنشرة الاقتصادية للبنك الأهلى، المجلد ٤٥، ١٩٩٢، ص ١١٠.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر بيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء نقل عن د. منحة أحمد عبادة، تحليل سوسيولوجي لمشكلة البطالة في واقع الاقتصاد المصري، بحث مقدم للعدد الأبعاد الاجتماعية لسياسات التكيف الهيكلى، قسم

الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٦-١٥ مايو ١٩٩٥.

(٨) يشير تقرير التنمية البشرية الصادر عن المعهد القومى للتخطيط ١٩٩٤ إلى أن عدد المترددين على دور السينما سنة ١٩٨٩ قد وصل إلى ٥٢٣ لكل ألف، والسرور ١٧ لكل ألف، والمصاحف ٩٩ لكل ألف، أما عدد الكتب بالمكتبات فهي ١٧٠ كتابا لكل ألف. راجع جدول رقم (١٠).

(٩) لابد هنا أن نصنف إلى نصيب القاهرة من المسارح الخاصة ومسارح أخرى تابعة للدولة مثل المركز الثقافى القومى ودور الأوبرا ومركز الفوتوغراف العالمى والجامعات وأكاديمية الفنون وقاعات الفنون والوزارات والهيئات المختلفة.. إلخ.

(١٠) يشير تقرير التنمية البشرية إلى أن نصيب القاهرة من السكان حسب تعداد ١٩٨٦ هو ١٧,٦٪ ولكن هذا الرقم خاص بالقاهرة وباست الكبرى في حين أن نصيب كل من الجيزة والقليوبية التين تشركان في القاهرة الكبرى هو ١٣٪ تقريبا، ولأن نصيب هذا للنصيب أصنف إلى الرقم الأول لوصول إلى ٢٠٪.

(١١) في الأردن مثلا ١٢٪ وفي تونس ١٥٪ وفي السعودية ١٣٪ وفي المغرب ١٧٪ وفي اليمن ١٦٪ تقريبا عن أطلس معلومات العالم العربى بنك المعلومات.

(١٢) تقرير للتنمية البشرية مرجع سابق ص ٣٠٧٢.

(١٣) نفسه ص ٧٣، ١٢٠.

(١٤) نفسه ص ١٢٦.

(١٥) نفسه ص ١٣٠.

(١٦) المصدر نفسه والصحة.

(١٧) تقرير التنمية البشرية مرجع سابق ص ١١٤ والأرقام لعام ١٩٩٠.

(١٨) أطلس معلومات العالم العربى ص ٦٣.

(١٩) نفسه ص ٦٣ ويشير الكتاب السنوى للتعبئة العامة والإحصاء سنة ١٩٩١ إلى أن نسبة البرامج الثقافية فى الإذاعة تصل إلى ١٥٪ فى سنة ١٩٩٠.

## ملحق بالجداول والإحصاءات

جدول رقم (١)  
نشاط البيت الفني للمسرح عام ١٩٩٢

النسبة	عدد الرواد	النسبة	عدد الحفلات	النسبة	عدد المسارح	المدينة
%٩٢,٧	١٢٢٤٦٠	%٩٥	١٠٤٩	%٧٥	١٢	القاهرة
%٧,٢	٩٥٤٩	%٤,٥	٥٣	%١٢,٥	٢	الإسكندرية
%٠,٠٣	٤٣	%,٢٧	٣	%٦,٧٥	١	بورسعيد
٠,٠٠	(٤) -	%,٠٩	١	%٦,٢٥	١	الإسماعيلية
	١٣٢٠٥٢		١١٠٦		١٦	الجملة

\* لاحظ أن عدم وجود رواد في حفل الإسماعيلية لا يتفق مع وجود إيراد مرصود، وقدره ٥٠٠ جنيه.  
المصدر الإحصائيات الثقافية بوزارة الثقافة للكتاب المستوى ١٩٩٢.

جدول رقم (٢)  
نشاط البيت الفني للفنون الشعبية والاستعراضية لعام ١٩٩٢

النسبة	عدد الرواد	النسبة	عدد الحفلات	المدينة
%٨٧,٢	٣٥٩٨٢٥	%٩٠,٢	٩٣٨	القاهرة
%١,٨	٧٥١٠	%٧,٤	٧٧	الإسكندرية
%١٠,٢	٤٢٠٠٠	%٢,٠	٢١	الأقصر وأسوان
%٠,٧٨	٣٢٥٠	%٠,٤	٠٤	طنطا والمحلة
	٤١٢٥٨٥		١٠٤٠	الإجمالي

المصدر السابق

جدول رقم (٣)  
نشاط دار التأليف

الحملة		عدد المجلات		عدد الكتب			
النسخ	العدد	النسخ	العدد	النسخ	مترجمة	النسخ	مؤلفة
١١٥٤٢٠٠	٣٠٧	٣١٢٩٠٥	٧٢	١٩٧٦٠٠	٥٥	٦٤٣٧٠٠	١٨٠

المصدر نفسه ص ١٥٠

جدول رقم (٤)  
نشاط دار الكتب

المدينة	دار الكتب	المكتبات الفرعية
عدد الكتب المعارة	١٥٠٥٩	٣٣٢٧١٣
عدد القراء	٧٣١٠٠	١٨٤٨٨٥

المصدر نفسه ص ١٥٠

جدول رقم (٥)  
عدد قصور وبيوت الثقافة بالجمهورية عام ١٩٩٢

المحافظة	عدد القصور	عدد البيوت	الجملة	النسبة
القاهرة والجيزة الإسكندرية	٥	٤١	٤٦	
وجه بحرى (١٤ محافظة)	٤	٥	٩	
وجه قبلى (١٠ محافظات)	٢٠	١٢٦	١٤٦	
	١٠	٨١	٩١	
الجملة	٣٩	٢٥٣	٢٩٢	

المصدر السابق ص ٢٢٦

جدول رقم (٦)  
نشاط قصور وبيوت الثقافة

مستفيدون	عروض	
٤١٨٢٢١	١٠٠٣	المسرح
٣٦٤٦٦٦	١٢١٢	الموسيقى
٤٢٣٥٦٨	١٠٨١	الفنون الشعبية
٩٢٥٩٣٧	٧٧٤٠	السينما
٣٧٣١٠٤	١٤٧٧	الفنون التشكيلية
٨٢٢٦٩٦		الثقافة العامة
٣٠٩٠٦٧		الثقافة
٢١٣٦٨		الحرف اليدوية

المصدر السابق

جدول رقم (٧)

نشاط قصور وبيوت الثقافة الجماهيرية ١٩٩٢

موزعاً حسب كل محافظة لكل الأنشطة المسرح - الموسيقى - الفنون الشعبية - السينما - الفنون التشكيلية - ثقافة عامة - قافلة

عدد العروض المختلفة	المحافظة
٦٩٦	الإسماعيلية
٤٧٩	السويس
٤٤٨	شمال سيناء
١١٨٥ (٩)	جنوب سيناء
٥٣٢	دمياط
١١٠٩	الدقهلية
١٢٨٧	الشرقية
٢٧٥	الجيزة
٥٠٠	القيوم

عدد العروض المختلفة	المحافظة
١٣٢٤	القاهرة
٦٢٨	الإسكندرية
٣٩١	مرسى مطروح
١٣١٠	البحيرة
٧١١	كفر الشيخ
٦٩١	الغربية
٨٨٧	المنوفية
٩٦٧	القليوبية
٢٠٥	بور سعيد

تابع جدول رقم (٧)

تابع نشاط قصور وبيوت الثقافة موزعاً على كل محافظة - سنة ١٩٩٢

عدد العروض المختلفة	المحافظة
١٠٥٤	بنى سويف
١٩١٤ (٩)	المنيا
٤٨٤	أسيوط
٦٨١	سوهاج
١١٩٢ (٩)	قنا
١٠٥٠	أسيوط
٧٩٥	الوادى الجديد
٢١٧	البحر الأحمر
٢١٠١٢	الإجمالى
٦٣٣٩٧٢٩	إجمالى المستفيدين:

للمصدر السابق .



جدول (٨)  
نشاط مكتبات قصور وبيوت الثقافة سنة ١٩٩٢

المحافظة	عدد القراء	النسبة	عدد الكتب المعارة	عدد المكتبات	النسبة
القاهرة	٢١٢٤٦		١٠٥٤٣	٢٢	
الإسكندرية	٣٨٤٣٢		١٥٤٠٤	٦	
مرسى مطروح	٣٩٠٩		٧١٨٨	٦	
البحيرة	١٠٣٩٥٣		٣٤٠٣٥	٢٦	
كفر الشيخ	٧٨٧٧٠		٨٧٦٧٣	٢١	
الغربية	٤٤٠٧٨		٣٥٢٨٢	٢٧	
المنوفية	٤٥٤٤٩		٩٤٥٦٤	١٥	
القليوبية	٥٥٥١١		١٦٩٨٦	١٧	
بورسعيد	٦٣١٣١		٥٧١٤٣	٨	
الإسماعيلية	٢٥٠٨٧		٥٢٠٧٩	٧	
السويس	٤٨٩٣		٩٧٨١	٦	
شمال سيناء	٧٢٧٠		٣٨٨٨	١٠	
جنوب سيناء	١٢١٥٧		١٢٧١٣	٨	
دمياط	٥٢٢٩٨		٥٠٩٤٣	١٣	
الدقهلية	١٣٠١٥		١٦٦٩٥	٣٠	
الشرقية	١٠٦٥٠		٩٢٤٧	١٧	
النجيزة	٥٣٦٣		١٠٤٠٦	١٨	
الفيوم	٣٠٦٦١		٣٨٨٦٨	١٢	
بنى سويف	٥١٨٦		٤٩٧٨	٩	
المنيا	٤٦٩٩٩		٤٨٧٦٧	١٥	
أسيوط	٤٠٤٢٧		٥٩٢١٩	١٤	
سوهاج	٤٨٠١٨		٥٢٠٤٧	١٣	
قنا	٧٨٣٤١		٧٧٠٨٧	١٥	
أسيوط	٣٢٧٤٣		٩١١١	١٥	
الوادى الجديد	٢٢٩٥٦		٢٣٠٧١	١٤	
للبحر الأحمر	٣٣٥٢		١٦٦٩	٥	
الإجمالي	١١٦٣٠٠١		١١٦٧٥٣٨	٣٧١	

المصدر السابق

جدول (٩)  
مبيعات هيئة الكتاب سنة ١٩٩٢

النسبة	المبلغ	الفرع أو المكتبة
٦١,٦ ٪	٨٠٨٥٣٨	القاهرة
	٢٠٢٢٧٣	١٤ فرعاً ومركزاً الإسكندرية
	٢٣٣٢٧٧	فرع ومركز بقية المحافظات ٩ مكاتب
١٠٠ ٪	١٣١٢١٧١	الجملة

للمصدر السابق من ١٥٣ - ١٥٦

جدول رقم (١٠)  
بعض الصلاحيات الأساسية للاتصال (الثقافة)

عدد المترددين على المتاحف سليوا لكل ألف نسمة ١٩٩٠	عدد المترددين على المسارح سليوا لكل ألف نسمة ١٩٨٩	عدد المترددين على دور السينما سليوا لكل ألف نسمة ١٩٨٩	أجهزة التليفزيون لكل ألف أسرة إجمالي ١٩٨٦	ريف ١٩٨٦	المحافظة
٤٣٩	٥٢	١٨٥٩	-	٩٨٥	للقاهرة
٢٧٧	٤٤	١٤٩٦	-	٩٣٤	الإسكندرية
-	-	١٠١١	-	٩٨٨	بورسعيد
٤٤٧	٧٦	٢٧٧	-	٩٣٣	السويس
٣٩١	٥٢	١٦٥٥	-	٩٥٢	المحافظات الخمسة
-	-	٧٠٧	٧٥١	٧٩٠	دمياط
-	-	٨٢	٦٨٤	٧٣٥	الدقهلية
-	-	١٨٣	٦٣٨	٦٦٢	للشرقية
-	-	٢٠٩	٧٢٣	٧٨٩	للقليوبية
-	-	١٩٢	٥٣٩	٦٠٥	كفر الشيخ
-	-	٤٦٨	٦٨٥	٧٥٩	للغربية
-	-	٢٩	٦٧٥	٧٠٦	للمنوفية
-	-	٢٤٠	٥٤٩	٦٢١	للبحيرة
-	-	٦٤٣	٧٤٦	٨٣١	للإسماعيلية
٩١	٦	٢٣٢	٦٥٠	٧١٤	للوجه البحري
-	-	-	-	٨٦٣	للمنتزه
-	-	-	-	٦٥٠	للفيف
-	-	٣٨٨	٨٤٤	٩٠٨	للجيزة
-	-	٥٣	٤٣٤	٤٨٣	للبلى سويس
-	-	٢١٢	٩٢٣	٤٢٤	للغوم
-	-	١٤٨	٤٣٣	٤٩٩	للمنيا

تابع جدول (١٠)  
بعض الملامح الأساسية للاتصال (الثقافة)

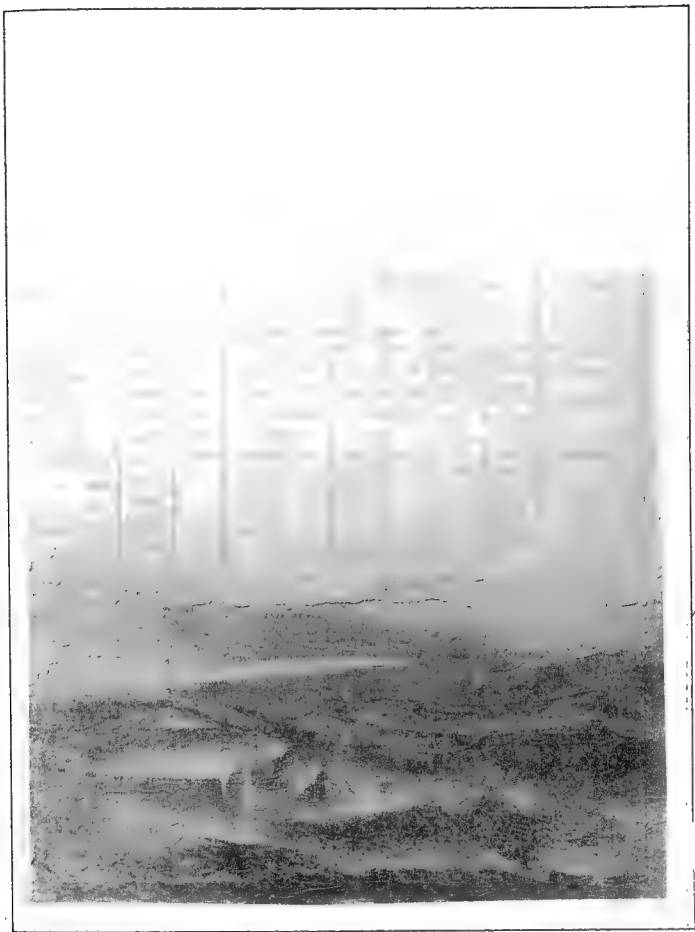
المحافظة	أجهزة التليفزيون لكل ألف أسرة		عدد المترددن على دور السينما	عدد المترددن على المسارح	عدد المترددن على المتاحف	عدد الكتب بالمكتبات لكل ألف نسمة
	ريف	إجمالي	١٩٨٩	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٨٨
أسيوط	٤٩٦	٤٢٠	٢١٢	-	١	-
سوهاج	٥٢٩	٤٧٢	١٦٦	-	-	-
فنا	٦٢٩	٥٨٤	٩٤	-	١١٤	-
أسيوان	٧٥٦	٧٠٢	١٣٥٣	-	١٠٩	-
الوجه القبلى	٦١٥	٥١٣	٢٦٠	١٠	٧٧	١٤٠
حضر	٨١٥	-	-	-	-	-
ريف	٥١٣	-	-	-	-	-
البحر الأحمر	٨٢٩	٤٩١	-	-	٨٣	صفر
الوادى الجديد	٧٩٣	٧١٩	-	-	-	صفر
مرسى مطروح	٥٠٢	١٥٥	-	-	١٢٦	-
شمال سيناء	٥٢١	٢٠٤	-	-	٨٠	-
جولب سيناء	٣٧٧	١٦٢	-	-	-	-
محافظات الحدود	٦١٠	٣٢٣	٤٣	٨	٧٨	١٨٧
حضر	٨٠١	-	-	-	-	-
ريف	٣٢٣	-	-	-	-	-
مصر	٧٣٠	-	٥٢٣	١٧	٩٩	١٧٠
حضر	٨٩٢	-	-	-	-	-
ريف	٥٨٥	-	-	-	-	-

المصدر: تقرير التنمية البشرية - المعهد القومى للتخطيط للقاهرة ١٩٩٤ ص ١٣١ .

جدول (١١)  
توزيع ونشاط قصور وبيوت الثقافة داخل القاهرة سنة ١٩٩٢

الأحياء	عدد القصور والبيوت	النسبة	عدد العروض	عدد المستفيدين	النسبة
الأحياء الغنية:	١٧	٪٦٨	٧٧٨	٧٢٧٩٧	٪٥٨
الأحياء الشعبية:	٨	٪٣٢	٥٤٦	٥٣٣٣٩	٪٤٢
الإجمالي	٢٥		١٣٢٤	١٢٦١٣٦	

الإحصاءات الثقافية بوزارة للثقافة، الكتاب السنوى، مصدر سابق ص ١٧٨ - ١٨١  
لتخصيص للجدول رقم ٥٤ وقد شمل كل العروض والمعارض والتدريبات، فيما عدا البند الأخير لخاص بالمعرف للبيوتية.



# الفكر والخيال

- ٤٤ الغرب متفرد لاكوني، صامويل ب. هسجتون. ٥٤ ردود، ج. جون  
إيكيرس. تونس سميت. ديفيد هاول. بروس سباوم. ترجمة، ناصر  
الجلواس. ٥٨ العدوان المشين، نعيم تشومسكي. ترجمة، اسامة القفاش.  
٧٦ في نهاية التاريخ وصراع الحضارات، عبد الوهاب المسيري. ٨٦ الأصوية  
في الغرب والإقطاع الكوني القادم، مهدى بندقي. ٩٢ الفلسفة وإشكالية  
العلاقة بين الشرق والغرب، علاء حـمـرـوش.



توقيع الحاجي كارتا . لوحة قديمة

التحديث ليس كافياً:

**ق** في الأعرام الأخيرة أعاد الغربيون تأكيد قرائتهم وأثاروا حذق الآخرين بتوضيحيهم لفكرة أن ثقافة الغرب هي، وبدلنى لها أن تكون، ثقافة العالم.. اتخذت هذه الفطرسفة شكلىن؛ الأول هو مسألة استعمارية الكولا، وىدعى مناصروها أن للثقافة الشعبية الغربية، وىحصىىد اكبر الأمركىكة، ثقلف العالم؛ طعام أمركىكى، ملابس، موسىقى للبوب، أفلام، وىلع استهلاكىكة ىتزايد انكباب الناس علىها فى كل قارة. والشكل الآخر ىتملق بالتحديث، ولا ىدعى هذا الشكل أن الغرب قد قاد العالم إلى المجتمع الحدىث فقط وإنما ىدعون كذلك أنه ىتدر ما ىتم تحدىث الناس فى الحضارات الأخرى ىتم غرىبتهم<sup>(١)</sup>، ىتخلطهم عن قىمهم للتقلدىة ونظمهم الإجماعىة وعبائهم وقبىضهم لظلم السائدة فى الغرب، كلا الطرحىن ىخدمان صورة عالم غربى بازغ ىنصف بالعالمىة والعالىف. وكلاهما، بدرجات متفاوتة، ضال ممتجرىف وزائف وخطر.

ىحدد دصاة مسألة استعمارية الكولا الثقافة بأنها استهلاك السلع المادىة. إن قلب أى ثقافة ىتضمن، بأىة حال، لغة وىدانة وقىماً وتقالىىد وعادات. إن احصاء للوىس لمشروب الكركاكولا لا ىعطهم ىفكرىن كامركىكان بأكثرف مما ىؤدى أكل الأمريكان للوسوى إلى أن ىفكرىا كىبابانىىن. عبر التاريخ الإنسانى، انتشرت الثقالىع والسلع المادىة من مجتمعى لأخر دون أن ىحدث ذلك تحوىلاً بالغ للتألىف فى الثقافة الأساسىة للمجتمع المتلقى لها. اجتاحت العالم الغربى، بصورة دورىة، الحماسة لعدىىد من مفردات الثقافة السىدىة والهندوسىة والثقافات الأخرى، دون حدوث تجاوز مستمر ىمكن ملاحظته. إن الادعاء بأن انتشار الثقافة الشعبىة pop culture والسلع الاستهلاكىة فى أنحاء العالم، ىملى انتصار الحضارة الغربىة هو أمر ىستخف بقررة الثقافات الأخرى ىنما ىقل من قدر للثقافة الغربىة ىحصىرها فى الأغذىة المسممة والبىططونات ذات الألوآن الباهضة والمشروىبات الفواررة. إن جوهر الثقافة الغربىة هو للخرىطة الهائلة، ولىس ساندوىنش الماك الضخم.

الفرد

مفرد

لا كىونى

ساموىل ب.هنتىنجتون

## الغرب متفرد إكسوني



إن دعوى التحديث أمر أكثر جدية، من الوجهة العقلية، من مسألة استعمارية الكولا، ولكنهما معوبان بالدرجة نفسها. لقد تمكن الانسحاب الهائل للمرحلة العلمية والهندسية، والذي تحقق في القرن التاسع عشر، الإنسان من التحكم في بيئته وتشكيلها بطرق غير مسبوقة. إن التحديث يتضمن التصنيع والتمدن وارتفاع مستوى التعليم والتعلم والصحة والديمقراطية الاجتماعية - social mobilization، وبنيات مرفوعة متدرجة وأكثر تركيها. إنها عملية ثورية مقارنة بالانتقال من مجتمعات بدائية إلى مجتمعات متحضرة في وادي دجلة والفرات، وادي النيل، وادي السند حوالي ٥٠٠٠ ق.م. إن مزايا وقيم ومعرفة وثقافة من ينتمون إلى مجتمع متحضر، تختلف تماماً عن تلك الخاصة بمن ينتمون إلى مجتمع تقليدي. كان الغرب، باعتبار الحضارة الغربية الأولى التي تأخذ بالتحديث، هو أول من أتم اكتساب ثقافة الحداثة. وحدث إن المجتمعات الأخرى اتخذت أنماط التحول نفسها والعمل والصحة والبنية الطبقية، فإن دعوى التحديث ضمنى، ويصعب ثقافة الغرب تلك هي ثقافة العالم.

إن وجود اختلافات بالغة الأهمية بين الثقافات الحديثة والتقليدية هو أمر يتجاوز النقاش. ففي عالم تتميز بعض مجتمعاته بالتحديث التام فيما بعضها أخرى تقليدية سيكون بلا شك عالماً أقل تجانساً من عالم تكون كل مجتمعاته حديثة بنحو متناظر. لا يندفع ذلك بالضرورة أنه على المجتمعات ذات الثقافات الحديثة أن تكون أكثر تشابهاً مما عليه المجتمعات ذات الثقافات التقليدية؛ فمعدّد عدة مئات من السفين فقط كانت كل

المجتمعات التقليدية.. هل كان ذلك عالماً أقل تجانساً من عالم الحديث الكروني المتقبل المحسّن نشوءه؟ ربما لا. وإن صين مينج<sup>(١)</sup>، كانت بلا شك أقرب إلى فرنسا فأولاً<sup>(٢)</sup>، كما يرى فريماند بروهل<sup>(٣)</sup> بأنكر ما كانت عليه صين ماوتسي تونج بالنسبة إلى فرنسا الجمهورية الخامسة، إن للمجتمعات الحديثة كثيرًا من الأشياء المشتركة، ولكن هذه المجتمعات لا تندمج بالضرورة بنحو متجانس، والإدعاء بأنها تستلزم إلى افتراض أنه ينبغي للمجتمع الحديث مقارنة نمط مفرد، للنمط الغربي؛ حيث إن الحضارة الحديثة حضارة غربية، والحضارة الغربية حضارة حديثة. ذلك، بأية حال، تطابق زائف. واقع الأمر أن كل دراسة الحضارة يتفقون على أن الحضارة الغربية برزت في القرنين الثامن والتاسع وطورت سماتها الخاصة خلال القرون اللاحقة. إنها لم تأخذ بأسباب التحديث حتى القرن الثامن عشر. الغرب، باختصار، كان غرباً لمدة طويلة قبل أن يصبح حديثاً.

### ما الذي يجعل الغرب غريباً؟

ما هي السمات المميزة للحضارة الغربية خلال مئات الأعوام قبل أن تأخذ بأسباب التحديث؟ يختلف عدد من الباحثين ممن أجابوا عن هذا السؤال حول بعض الأمور المميزة ولكنهم اتفقوا على عدد من النظم، السمات والمعتقدات التي قد تكون تجمعت بنحو مشروع باعتبارها لب الحضارة الغربية.

**الإرث الكلاسيكي:** ورث الغرب، باعتبارها الجيل الثالث للحضارات، كثيرًا من الحضارات السابقة، ومن بينها أكثر الحضارات الكلاسيكية شهرة. والموروثات الكلاسيكية في الحضارة الغربية عديدة، وتضمنت الفلسفة والعقائد اليونانيون والقرن الروماني واللغة اللاتينية والمسيحية. لقد ورثت كل من الحضارتين الإسلامية والأرثوذكسية من الحضارة الكلاسيكية وإنما بدرجة لا تداني ما ورثه الغرب.

**المسيحية الغربية:** إن المسيحية الغربية بدءاً بالكنائز كنيسة ثم البروتستانتية، هي التمييز التاريخي الأكثر أهمية وتفرّداً للحضارة الغربية، وبالفعل، فإن ما يعرف الآن

باعتباره الحضارة الغربية، كان خلال معظم ألفيته الأولى، يدعى بالعالم المسيحي الغربي. كان هناك شعور تام بالمجتمع بين المسيحيين الغربيين؛ شعور جعلهم يحسون بالتمايز عن الأتراك والغرب والبيزنطيين وغيرهم. وعندما خرج الغربيون لغزو العالم في القرن السادس عشر قاموا بذلك لأجل الغرب وكذلك لأجل الذئب. وبعد الإصلاح الديني Reformation<sup>(٤)</sup> وأيضاً الإصلاح الديني المضاد وانتقام العالم المسيحي الغربي إلى بروتستانتية وكاثوليكية. والنتائج السياسية والفكرية لهذا الصدد - ملامح مميزة للتاريخ الغربي، تدوب تماماً عن الأرثوذكسية الشرقية وأقصمت من التجربة اللاتين أمريكية.

**اللغات الأوروبية:** اللغة هي التالية في التدريب الذين كعامل مميز لأولئك المتنتمين إلى ثقافة ما عن المتنتمين إلى ثقافة أخرى. ويختلف الغرب عن معظم الحضارات الأخرى بما لديه من تعدد في اللغات. فالإبانية والهندية والصينية والروسية وحتى العربية عرفت باعتبارها اللغات الغربية لحضارات أخرى. لقد ورث الغرب اللغة اللاتينية، لكن عدداً من الأمم نشأت في الغرب، ومعها شت لغات محلية ثم تصنيها بنحو شهر دقيق تحت مقولات الرومانية والجرمانية. وبحوالي القرن السادس عشر تقلدت هذه اللغات أشكالها المعاصرة، وأصبحت اللاتينية المجال للفرنسية كلفة عالمية مشتركة للغرب، وفي القرن العشرين أدخلت الفرنسية في مواجهة اللغة الإنجليزية.

**فصل السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية:** طوار التاريخ الغربي، قامت السلطة الدنيوية Church أولاً، ثم عدت من الكنائس بعدها، بنحو منفصل عن الدولة. السلطة الروحية والسلطة الدنيوية كانا يشكلان ثنائية سائدة في الثقافة الغربية. فقط في الحضارة الهندية، وكانت السياسة والدين منفصلين بنفس هذا القدر من الوضوح. في الحضارة الإسلامية، الله هو الحاكم. في الصين واليابان، فيفسر هو الإله. في الأرثوذكسية الرب هو الشريك الأصغر للقسوس. هكذا فإن الله وممارسته الفصل - بين كنيسة ودولة، والذي يمثل الحضارة الغربية، لم يتحقق في



حصارة أخرى، وقد أسهم ذلك الفصل بين السلطات بقدر هائل في نمو الحرية في الغرب.

## قاعدة القانون.

إن تصور مركزية القانون للوجود المتحضر، مروي من الرومان. وقد تقصى مفكرو العصر الوسطى فكرة القانون الطبيعي، والذي كان يفترض في الملوك أن يزاووا سلطانهم بحسبه، وقد نشأ في إنجلترا تقليد القانون العام. وخلال فترة الحكم الاستبدادي المطلق في القرنين السادس عشر والسابع عشر، لوحظت قاعدة القانون في حالات مخالفتها بأكثر من حالات تطبيقها، غير أن فكرة إخضاع القوة الإنسانية لتكايح خارجي تواصلت: لا يوجد إنسان مهيم وإنه إله وبقالون sed sub homine Non deo et lege. لقد وضع تقليد قاعدة القانون Rule of Law أساس الحكم الدستوري وحماية حقوق الإنسان، وضعتها حقوق الملكية، في مقابل الممارسة الاستبدادية للسلطة، وفي بعض الحضارات الأخرى كان القانون عاملاً أقل أهمية بكثير في تشكيل الفكر والسلوك.

التعددية الاجتماعية والمجتمع المدني كان المجتمع الغربي على مر التاريخ متحدياً بحد كبير. إن ما هو مميز فيما يتعلق بالغرب كما ينظر كارل دويتش هو نشوء واستمرار جماعات شتى تتجمع بالحكم الذاتي وغیر مؤسسة على علاقات الدم أو للزواج (١). بدءاً من القرنين السادس والسابع، تضمنت هذه الجماعات الأندية والنظم الرهبانية والمطالقات في أول الأمر، ولكنها انتشرت بعد ذلك في أنحاء أوروبا لحدوث عديد من الجماعات والمجموعات.. وأكثر من ألف عام، كان للغرب مجتمعه المدني الذي ميزه عن الحضارات الأخرى. تحددت ارتباطات محددة بتحديدية طبقية. وقد تضمنت معظم المجتمعات الغربية الأوروبية طبقة أرستقراطية ذاتية الحكم وقوية نسبياً، وطبقة عظيمة من الفلاحين، وطبقة متوسطة ولكن ذات أهمية من التجار ورجال الأعمال. كانت قوة الأرستقراطية الاقتصادية مهمة بنحو خاص لأجل تنويع قدرة الحكم الاستبدادي على ترسيخ جذوره في معظم الأمم الأوروبية.. وتكثرت تلك التعددية الأوروبية

بعدها مع فقر المجتمع المدني وضعف الأرستقراطية وقوة الإمبراطوريات البيروقراطية المركزية التي توافقت خلالها نفس القدرات الزمنية في روسيا والصين والأراضي العثمانية وفي المجتمعات اللاغربية الأخرى.

الكليات النيابية: في تاريخ مبكر ساعدت التعددية على نشوء المليات estates ومؤسسات أخرى ملكت مصالح الأرستقراطية ورجال الدين والتجار والجماعات الأخرى. وقررت تلك الكليات أشكالاً من التمدد فخلقت خلال عملية التحديث في النظم الاجتماعية للديمقراطية الحديثة. وفي بعض الأصول، خلال عصر الحكم الاستبدادي، تم إلزامها، أو تقليص قدراتها بصورة كبيرة، ولكن حتى مع حدوث ذلك، فقد استطاعت تلك الكليات كما في فرنسا، أن تستعيد وجودها كأداة للمشاركة السياسية الواسعة. واليوم، ليس ثمة حضارة شامكة مثل هذه الإرث من الكليات للتمثيلية التي تعود إلى ألف عام. كذلك تطورت حركات الحكم الذاتي self-government على المستوى المحلي، بانه في القرن التاسع في مدن إيطاليا لم توبعت شمالاً، كنزاع السلطة من الأساقفة والنبلاء وأخيراً، في القرن الثالث عشر، مبدية إلى تلك الكليات الكونفدرالية من المدن المستقلة القوية، مثل كنة هانزياتيک Hansatic League. بالتالي كان الميثاق على المستوى القومي مدعوماً بمعيار من الاستقلال السياسي الذاتي على المستوى المحلي. وهو معيار لم ير في أي من مناطق العالم الأخرى.

الفرديية: أسهمت عديد من الملامح السابقة للحضارة الغربية في ظهور حس بالفرديية وتقليد يرضى الحقوق الفرديية وحريات مخففة فيما بين المجتمعات المتحضرة. تمت الفرديية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. وفي حوالي القرن السابع عشر، ساد في الغرب قبول بحق الاختيار الفردي والذي يصورهم كارل دويتش في عبارة ثورة ريمبر وجوابوت، كما نشأت مطالب تنادي بالمعقق المتماجية للجميع «للقهارة في إنجلترا حياة وجودها ملها للأعداء» - وإن لم يتم قبولها في كل أنحاء العالم. تمثل الفرديية ملهاً مبيزاً

لغرب في حضارات القرن العشرين إذ نجد في أحد التحليلات، والذي يتعرض لجماعات سكانية مختلفة من ٥٠ دولة، أن الدول العشرية التي تسجل أعلى مؤشر لمعدل الفرديية تتضمن سبع عشرة دولة أوروبية. وفي استصاف ثقافي مقارن آخر حول الفرديية والجماعية collectivism فتذكر بعض مائل هيمنة الفرديية في الغرب مقارنة بسيادة الجماعية في الأنحاء الأخرى من العالم، مستنداً أن القيم ذات الأهمية النسبية في الغرب، تعد متدنية الأهمية في أنحاء العالم (٢). وثانية ومجدد فإن كلا من الغربيين واللاغربيين يشهدون إلى الفرديية باعتبارها العلامة المركزية المميزة للغرب.

إن القائمة السابقة ليست إحصاء شاملاً للنمات المميزة للحضارة الغربية، كما أنه لم يقصد بها أن تتضمن أن تلك السمات كانت موجودة دلماً في كل أنحاء المجتمع الغربي. بالتأكيد ليست كذلك: إن عديداً من النطاة في العالم الغربي تجاهلوا باستمرار قاعدة القانون وعلقوا العمل بالتيارات المتغيرة.. وكذا لم ترم إلى افتراض أن سمة من تلك السمات لم تظهر في الحضارات الأخرى. من الواضح أن تلك الحضارات قد اتسمت بها: فالقانون والشرية وشكلان القانون الأساس للمجتمعات الإسلامية، كما حازت اليابان والهند نظماً طبقية توازي تلك التي للغرب (وربما كنتيجة لذلك كاتانها المجتمعين اللاغربيين الكبريين والريحيين اللذين أيدا حكومات ديموقراطية لأي مدة من الزمن). بحدود فردية، فإن من هذه المراميل بقربها لا ينفرد بها الغرب، ولكنه يطرده بالتوازية التي تتكون منها نماء والتي ملحت الغرب خاصية المميزة. لقد كانت تلك الخصوصات والممارسات والنظم الاجتماعية أكثر شيوعاً في الغرب منها في الحضارات الأخرى. إنهما تشكل التلب للوجودي لذلك الحضارة الغربية، إنها ما هو غربي، ولكن ليس ما هو حديث فيما يتعلق بالغرب.

كذلك أسس الالتزام تجاه الحرية الفرديية التي تميز الآن الغرب عن الحضارات الأخرى. إن أوروبا، كما تذكر أرنست م. شليسمجر الصغير، هي المصدر - المصدر الفردي أفكار الحرية الفرديية والديموقراطية

## الغرب متفرد إكسوني



١٩٩٤ قاتلا، إن المستجلبات الأجنبية حسنة مكشاه، براقية وعالية الجودة... غير أن النظم الاجتماعية والسياسية المجرية المستجلبات من مكان آخر قد تكون مضمرة - أسألوا شاه إيران إن الإسلام بالنسبة لدا ليس مجرد ديانة ولكنه أيضا أسلوب حياة، نحن للمعويدين نرغب في التحديث ولكننا لا نرغب بالضرورة في الفريضة، لقد أصبحت اليابان وسفانفورة وتايوان والمسيحية ودرجة أقل، إيران مجتمعات حديثة دون أن تصبح مجتمعات غربية: إن الصين تقوم بالتحديث ولكن من المؤكد أنها لا تقوم بالفريضة.

إن الخفايا والاستحارة فيما بين الحضارات أمر دلك الحديث، وقد أصبح بحث على نطاق أوسع بفصل الوسائل الحديثة للنقل والاتصالات. على أية حال فإن معظم حضارات العالم العظيمة بقيت على الأقل ألف عام وفي بعض الأحيان عدة آلاف من السنين، ولذلك الحضارات سجل واضح من الانتقال من الحضارات الأخرى، بوسائل تزيد من فرصها في اللقاء. استعاب الصين لبوذية الهند، يوافق الباحثون على أنه لم يصبوح في «هندنة Indinization» الصين، وإنما في جعل البوذية صينية. لقد عدل الصينيون البوذية لأجل أن تراقق أغراضهم وحاجاتهم. على الصينيين أن يورخوا لتخليهم الدائم على الجهود الغربية المكثفة للتصويرهم، وإذا ما كان قد حدث في لحظة ما أن استعاب الصينيون المسيحية، فإنه أكثر من مجرد احتمال أنه كان سيتم استعابها وتعديلها بطريقة تؤدي إلى تعزيز لب الثقافة الصينية لذلك.

بحسب مماثل، في قرون سابقة، قام العرب المسلمون بخلق وتقدير واستخدام «إرثهم الهليني» لأسباب استعمارية جوهريا، ولكنهم شديدي الاهتمام بالتحالف أشكال أرى مظاهر تقنية خارجية معينة، فقد عرفوا كيف يهلون كافة العناصر في الكيان الفكري اليوناني والتي قد تتعارض مع «المقيدة»، كما تأسست في المعايير والفرض القرآنية الأساسية، وقد التبت اليابان النهج نفسه. ففي القرن السابع استجلبت اليابان اللغة الصينية وقامت «بإجراء التحويل، دونما إيماز خارجي، ويمعد عن أي مغرط اقتصادية وعسكرية، لترقى بالبحارة». وخلال القرون التالية، كان ثمة فترات من

السياسية وقاعدة القانون وحقوق الإنسان والعرية الثقافية... تلك أفكار أوروبية، ليست أسورية أو أفريقية أو شرق أوسطية إلا في حالات تبني هؤلاء لها...<sup>(٩)</sup> تشكل تلك المفاهيم والسمات المميزة - بمقدار واسع - جزءا من العوامل التي مكنت الغرب من أن يكون له السبق في تحديث نفسه وتعديث العالم. لقد جعلت من الحضارة الغربية حضارة فريدة، والحضارة الغربية لنفسه ليس لأنها عالمية وإنما لأنها متفردة.

### هل يمكن للأخرين نسخ الغرب؟

لتحقيق التحديث، ينبغي للمجتمعات اللأغربية أن تتخطى من ثقافتها وأن تتبنى العناصر الجوهرية للثقافة الغربية؟ في وقت آخر كان قادة مثل هذه المجتمعات يفكرون في أن ذلك أمر ضروري، كل من يهتسر الأعظم ومصطفى كمال أتاتورك، عرما على تحديث بلديهما ممتتين بأنه لتحقيق ذلك ينبغي لمجتمعيهما تبني الثقافة الغربية حتى إلى الحد الذي يمكن معه أن يستبدلوا بضاه الرأس التقليدي عليه القري... وخلال إنجازهم ذلك خلقا بلدانا «مستفحصة، غير موفنة من هويتها، كما أن المستجلبات im-ports الثقافية الغربية لم تساعدهم بنحو مهم في مسهم لتحقيق التحديث. وفي الأغلب فإن قادة المجتمعات اللأغربية قد سوا إلى إنجاز التحديث وبذرا الغربية - west-ernization وتلخص عنهم في عبارات Ti-yong (التعليم الصيني للمبادئ الأساسية، والتعليم القرني للاستخدام العملي)، woken.yose الروح اليابانية، والتقنية الغربية) قلها المصلون الصينيون واليابانيون منذ قرن مضى، وفي المملكة السعودية على الأمير بدر بن سلطان علم

العزلة النسبية عن التأثيرات القارية، تم خلالها فرز المستجلبات السابقة واستعاب المفيد منها، تلتها فترات من الاتصال المتجدد والاتصال الثقافي، وبالكيفية نفسها، تقوم اليابان ومجتمعات لا غربية أخرى اليوم باستعاب عناصر مختارة من الثقافة الغربية مستخدمين إيمازا لترسيخ هويتهم الثقافية. سيكون الأمر، كما يرى برودل Broudel، أقرب إلى «الطفولية»، أن نعتقد أن «التصار الحضارة في المفرد، سوف يؤدي إلى نهاية تعددية الثقافات التي نهضت لقرون في حضارات العالم العظيمة»<sup>(١٠)</sup>.

### رد فعل ثقافي مضاد

إن التحديث والتنمية الاقتصادية لاجتماعي لا يتجانس غربية ثقافية، على العكس، فإنهما يتجهدان إتحاشا، والتقاء متجددا تجاه الثقافات المحلية. على المستوى الفردي، فإن حركة الناس داخل أعمال ومؤسسات اجتماعية ومدن غير مألفة تعظم روابطهم المحلية التقليدية، وتولد مشاعر الاغتراب واللامعيارية anomie<sup>(١١)</sup>، وتخلق أزمة هوية ولتلى غاملا ما يزدوم الذين يهل، وعلى المستوى الاجتماعي، فإن التحديث يلقي الشريرة الاقتصادية والشريرة العسكرية للدولة ككل كما بحث الناس على الثقة في قرائهم وأن يصبحوا شديدي الوثوق ثقافيا كمتحصلة، فمديد من المجتمعات اللأغربية رأت عائد الثقافات المحلية. وهي تتخذ في الغالب شكلا دينيا، والانبعاش العالمي للدين هورديجة مباشرة للتحديث. في المجتمعات اللأغربية يتخذ ذلك الإحواء، بشكل لازم تقريبا، قالب ملاحظة الغرب، كما يريض - في بعض الحالات - الثقافة الغربية بسبب كونها مسيحية ومغربة، وفي حالات أخرى بسبب أنها عثمانية ومتفسفة، وعائد الثقافة المحلية يمكن ملاحظته بوضوح في المجتمعات الإسلامية والأسوية. لقد تبذرت النهضة الإسلامية في كل بلد إسلامي، وفيها جميعا تقريبا أصبحت حركة فكرية وثقافية واجتماعية كبيرة، وفي معظم هذه البلدان كان تأثيرها قويا في السياسة. في عام ١٩٩٦، كانت كل البلدان الإسلامية بالفعل، عدا إيران، أكثر إسلامية دينيا وترجها في نظرتها وممارستها ونظمها الاجتماعية

ما كانت عليه منذ ١٥ عاماً؛ ففي البلدان التي لا تشكل فيها القوى السياسية الإسلامية الحكومات، نهدما تسيطر بدور متزايد وغالباً ما تتحكم موقع المعارضة للحكومة، وعبر للمال الإسلامي فيخذ الناس رد فعل متصادم للتسليم للفرقوي Westoxification، لمجتمعاتهم.

مرت مجتمعات شرق آسيا بإعادة اكتشاف مراز لتقيم المحلية، وخططت بصورة متزايدة مقارنات غور محاولته بين ثقافتهم والثقافة الغربية. ولعدة قرون، ومعهم شعوب لا غربية أخرى، غبطوا الأزياء الاقتصادية والعبارة للتكنولوجيا والقوة العسكرية والتماسك السياسي للمجتمعات الغربية. لقد تقصروا سر هذا النهج، في الممارسات والمعادن الغربية، وعندما تفرغوا على ما اعتقدوا أنه قد يكون مخاض هذا النهج حاولوا تطبيقه في مجتمعاتهم. والآن على أية حال - فإن تغييراً أساسياً قد تحقق. واليوم تعود دول شرق آسيا تطورها الاقتصادي للدراسي لا إلى استيرادهم للثقافة الغربية وإنما إلى تسكهم بثقافتهم. لقد نهجوا، يقرؤون، لا بسبب أنهم أصبحوا شبيهين بالغرب، وإنما بسبب أنهم ظلموا مختلفين عنه. وبكيفية مشابهة إلى حد ما أصبحت شعرت المجتمعات اللا غربية بالضيق في علاقتها بالغرب، ليس عدد من قاعدتها القيم للغربية المستطعة بحق تقرير المصير والليبرالية والديمقراطية والحرية ليوبروا ممارستهم للهبة الغربية الملتية. والآن بعدما زال ضعفهم وزادت قوتهم فإنهم يبدون أنهم نفساً والتي استعصروها من قبل لدم صلبهم بأنهم «إمبرورالية» حقوق الإنسان. وفيما تنقص القوة الغربية، كذلك تنقص جانبية للقيم والثقافة الغربيين، يولج الغرب الحاجة لتلبية نفسه لثمة اللداعي التي تذاب قدرته على فرض قيومه على المجتمعات اللاغربية. ويبدو جدياً فإن كثيراً من دول العالم تصبح أكثر حذرة وأقل غريبة.

وأحد سمات هذا الاتجاه هو ما صاغه روثالد دور «مهاجرة محسنة - digenization لاجل الثاني»؛ ففي كل من البلدان اللاغربية سواء كانت مستعمرات غربية سابقة أو كانت مستقلة؛ فإن «أول التلاميذ بالتحديث» هو جيل - ما بعد

الاستقلال، وكان غالباً قد تلقى تدريبه وتعليمه في جامعات أجنبية (غربية) بلغة غربية علفية، إلى حد ما، بسبب أنهم يتجهون أولاً إلى الخارج كطلاب قابل للتأثير، وقد يكون استجوابهم للقيم وأساليب الحياة الغربية صعباً. أما معظم أفراد الجيل الثاني والأكبر، فطلى المكس، ويتلقى تعليمه في الوطن في جامعات أسسها الجيل الأول، حيث تستخدم اللغة المحلية، بدولة للغة الاساتذة، في التدريس.. وذلك الجامعات توفر اتصالاً أضعف كدوراً بثقافة العالم المتميز، وأصطفيت المعرفة فيها بالصيغة المحلية، بواسطة للدرجات. عادة ما تكون محدودة النطاق وتوعية مشيئة القومية. يساهم المتخرجون في تلك الجامعات من وجهة الجيل السابق السهل غريباً ومن ثم قفاليا، ما يخضعون لإغرامات حركات المعارضة الوطنية. ومع تقلص التأثير الغربي، فإن القادة الشباب الطامحين لا يستطيعون التوجه إلى الغرب لوفور لهم لقوة والثروة. فيكون عليهم أن يعثروا على وسائل للنجاح في قلب مجتمعاتهم، ومن ثم أن يوفقوا مع قيم وثقافة ذلك المجتمع.

لقد تمت المحاولات بواسطة التناقض الديمقراطي: عندما تبتت المجتمعات اللاغربية الأسلوب الغربي للتحقيقات، نجد أن الديمقراطية تضع، وغالباً ما تضع في السلطة، الحركات الوطنية المناهضة للغرب في سوياتها، وبمعلومات هذا القرن كانت حكومات الدولة النامية، التي تم غريبتها وذلك المشايمة للغرب، مهددة بالتحولات وازدات، وفي اللامانيات والشمويات نزاد خطر الانفصال عن السلطة في الانتخابات. تنجح للديمقراطية إلى جعل المجتمع أكثر محدودة في نظره، وليس أكثر عالمية، فلا يرجع السياسيون في المجتمعات اللاغربية في الانتخابات وإظهارهم إلى أي مدى هم غربيين، إذ تعلمهم المنافسة الانتخابية على أن يعملوا بكيفية يعتقدون أنها ستكون ذات جانبية شعبية أكبر.. وهم عادة عرقون وقوميون ودينيون في شخصياتهم، وللثقة هي تميل شعبية ضد الصفوة ذات التوجه الغربي والغرب بشكل عام.. تلك المحلية، والتي بدأت في سوريا ولبنان في الخمسينيات، امتدت من بلد لآخر في آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط وتجدي في نهجيات الأحزاب ذات

التوجه الدولي في الهند وإثيوبيا والبنسنة وإسرائيل في انتخابات ١٩٩٥-١٩٩٦. وهكذا فإن الإرساء الديمقراطي Democratization على خلاف مع الغربية.

إن التيارات الثقافية المحلية والنشطة في العالم، تسخر من الثقافات الغربية بأن الثقافة الغربية تصبح ثقافة العالم. إن المتصيرين المركزيين لأى ثقافة ما اللغة والدين. واللغة الإنجليزية، كما نؤكد، ستفوق لغة العالم.. من الواضح أنها أصبحت لغة للحضاب للاتصالات في الأعمال متعددة الجنسيات والدبلوماسية والمؤسسات الدولية والصياحة والبطيرين.. ذلك الاستخدام للإنجليزية للاتصال بين الثقافات، بأية حال، يفترض وجود ثقافات مختلفة، فالترجمة والتفسير متلا ومرسال للتوافق مع تلك الاختلافات، لا إقصاءها. في الواقع، فإن نسبة سكان العالم من متحدثي الإنجليزية مشيئة وأخذت في نقصان. وبموجب معلومات جديدة للزرق، مرضوعة بواسطة سمدي من - كليات، بروفيسور في جامعة واشنطن، فإنه في عام ١٩٨٥ كان زهاء ٩٨% من البشر يتحدثون الإنجليزية كلغة أولى أو ثانية، في عام ١٩٩٢ كانت النسبة ٧٦.٧%.. إن لغة أجنبية بالنسبة إلى ٩٢% من سكان العالم ليست لغة للعالم. وبالمثل، ففي عام ١٩٥٨ كان ٢٤% من البشر يتحدثون إحدى اللغات الخمس الأساسية للغرب؛ وفي عام ١٩٩٢ كانت النسبة أقل من ٢١%.. والوضع مشابه بالنسبة للدين؛ حيث يذلل المسيحيون الغربيون الآن حوالي ٣٠% من سكان العالم، ولكن النسبة تتناقص باطراد، وفي لحظة ما في العقد القادم، أو حوالي ذلك، سيزيد عدد المسلمين على عدد المسيحيين. وفيما يخص والمتصيرين المركزيين للثقافة واللغة والدين، فإن الغرب في تراجع مشياً لاضع ميشيل هاوارز أن الانحسار الغربي للنام بأن الترح الثقافي هو فنون تاريخي سرعاً ما يلي بطل من ثقافة عالم الأنثروفرية الغربي التوجه والنام، مشكلاً قوماً الأساسية.. هو ببساطة غير حقيقي. (١٢)

وحيث إن المحلانية تنتشر وتضمحل جانبية الثقافة الغربية، فإن المشكلة المركزية في العلاقات بين الغرب وبقية العالم هي الهوة بين الجهود الغربية، وبشكل خاص الأمريكية، لدعم الثقافة الغربية باعتبارها

## الغرب متفرد إكسوني



الثقافة العالمية وقدرتها المتصائلة على تحقيق ذلك. لقد فاقم النهيار الشيوعي من هنا التفاروت من خلال ترطيد النظرة في الغرب بأن أيديولوجيته الليبرالية الديمقراطية قد انصهرت عالميا وأنها بالتالي صالحة على المستوى العالمي. يعتقد الغرب. وبخاصة الولايات المتحدة، والتي كانت دائما الأمة المهيمنة. أنه ينبغي على الشعوب اللاتغربية أن تتعهد بالالتزام بالنموذج الغربية كالديمقراطية والسوق الحرة والحكومات المحدودة السلطة والفصل بين الدين والدولة وحقوق الإنسان والغربية وقاعدة القانون، وأن عليها تجسد تلك القيم في مؤسساتها. أفتيات في الحضارات الأخرى من متعلق وتؤازر هذه القيم، لكن الانهياحات السائدة تحولها في الثقافات اللاتغربية تتفاوت من الشك وحتى المعارضة الشديدة. إن ما يدهم الغرب نزعة عالمية يدهم الآخرين استمارا.

إن اللاتغربيين لا يترددون في الإشارة إلى الاختلاف بين النمذ الغربي والاستمارة الغربية. رياه ومرافق مزجوجة هي ثمن الاندماجات بالسياسية. لقد تم دعم الديمقراطية، ولكن ليس إذا كانت ستأتي بالأصوليين الإسلاميين إلى السلطة، لقد نصمت العراق وليران بالعدم من التصح ولكن ليس إسرائيل والتجارة الحرة إكسبور النمو الاقتصادي، ولكن ليس الزراعة، حقوق الإنسان قضية قائمة مع الصين، لكن ليس مع السعودية، الاستعداد على الكوريين أصعاب التبدول يدفع بالقوة للظلمة، ولكنه ليس استعداد قويا ضد اليساريين الذين لا يمكن يترولا.

إن الاعتقاد بأنه ينبغي للشعوب اللاتغربية أن تتبنى القيم والنظم الاجتماعية والثقافة الغربية هو إذا أخذنا الأمر بجدي، اعتقاد لا أخلاقي في قرواه. إن الديمقراطية الأوروبية شبه المالية في نهاية القرن التاسع عشر وديمية الولايات المتحدة على العالم في النصف الثاني من القرن العشرين قد نشرت عديدا من مظاهر الحضارة الغربية في أنحاء العالم، غير أن الفزعة العالمية للغرب لم تقوم.. وكذا سيتطلب للتصلب الأمريكي إذا لم تعد هناك حاجة لها لحماية الولايات المتحدة ضد تهديدات الحرب الباردة السوفيتية. الشفاعة تتبع السلطة، وإذا ما غت إرادة تشكيل المجتمعات اللاتغربية بواسطة الثقافة الغربية، فسوف يحدث ذلك فقط كنتيجة لتوسع واعتقاد القوة للغربية. الاستثمار هو النتيجة اللازمة والمحظية للفزعة العالمية، غير أن بعض أنصار الفزعة العالمية يؤيدون للتوجه المعكرو والإكراه للرؤى الذي قد يكون ضروريا لتحقيق هدفهم. بالإضافة إلى ذلك، واعتبارها حضارة ناضجة، لم يعد الغرب حائزا للدينامية الاقتصادية والسكانية المطلوبة لغرض إزائه على المجتمعات الأخرى، وأية جهود في هذا السبيل سيجري متناقضة مع القيم الغربية لتقرير المصدر والديمقراطية. في مارس من هذا العام، قال رئيس الوزراء الماليزي ماهاتير لروساء الحكومات الغربية المعتمدين: «إن القيم الأوروبية فهي الأوروبية قيم أوروبا؛ أما القيم الآسيوية فهي قيم عالمية». وبينما تشرع الحضارات الإسلامية والآسيوية في تأكيد الشأن العالمي لثقافتهم، يسجل الغربيون إلى تقدير الرابطة بين الفزعة العالمية، والاستثمار وأن يروا قضايا العالم المتعدد.

### تجزيل الغرب

لقد حان أوان نظى للغرب عن وهم العالمية وأن يدعم قوة وباسك وحيدة حضارته في عالم الحضارات. إن مصالح الغرب لم تتحقق بالتدخل السافر في خلاقات الشعوب الأخرى. في العقبة البازغة، ينبغي للتسوية الأولى في لحواء وحل الصراعات الإقليمية أن تقع على عاتق الدول الكبرى للحضارات السائدة في تلك المناطق. «محمل السياسة، سياسة محلية، كما يذكر توماس ب. ديه، أوفيل، المتحدث

السابق للبيت الأبيض، والفتحة الطبيعية لتلك الحقيقة أن «محمل السلطة، ملطة محلية. لا يمكن لأي من الأمم المتحدة أو الولايات المتحدة أن تفرض على الصراعات المحلية حولا طويلة المدى تشد عن وقائع السلطة المحلية. وكما لا ينبغي عن أي خبير بالجرية، فإن أفضل تأمين للنظام والقانون المحلي يكون بواسطة شرطي مدرجل، لا بواسطة الظهور المعتملى في الأفق لفرقة عسكرية من رجال الشرطة الركابة. في عالم متعدد الأقطاب والحضارات، تكون معنوية الغرب هي تأمين مصالحه الخاصة، لأن يدعم مصالح الشعوب الأخرى ولا أن يصابر إنهاء الصراعات بين الشعوب الأخرى عندما تكون الصراعات ذات أهمية ضئيلة أو عديمة الأهمية للغرب.

يعتمد مستقبل الغرب في قسم كبير على وحدة الغرب، يرى دارسو الحضارات أنها تتطور خلال عهود من الاضطرابات ومرحلة من الدول المتضاربة، تؤدي في النهاية إلى دولة عالمية للحضارة التي قد تكون إما مصدر تجديد أو مقدمة للحطاط وذل. دخلت الحضارة الغربية مرحلة الدول المتضاربة متجهة صوب مرحلتها الأخيرة بالذلة العالمية.. تلك المرحلة مزالت غير مكتملة، مع وجود الأمة. الدول للغرب المتصاسكة في شكل دولتين شبه عالميتين في أوروبا وأمريكا الشمالية.. لذلك الكيانان ووجدانتهما التي تشكل مقوماتهما، على أية حال، متزايمان معا بشبكة مركبة ببحر وفوق العادة من الترابط التأسيسية الرسمية وغير الرسمية. إن الدول العالمية للحضارات السابقة كانت إمبراطوريات، ومنذ أصبحت الديمقراطية هي الشكل السياسي للحضارة الغربية، لم تعد الدول العالمية الناشئة للحضارة الغربية إمبراطورية، بل بالأحرى توليفة من الاتحادات والاتحادات المتنامية confederations ونظم الحكم الدولية.

إن المشكلة بالنسبة للغرب، في هذا الومع، هي أن تحافظ على ديناميكيتها وأن تعزز شماسكها.. ولتعدم وحدة الغرب على الأحداث في الولايات المتحدة بأكثر من تلك الواقعة في أوروبا، وحاليا تتجاذب الولايات المتحدة اتجاهات ثلاث، تتجذب جنوبا بفعل

الهجرة المتواصلة لسكان أمريكا اللاتينية وإتساع حجمهم وتزايدهم، ويغفل عدم مشاركة المكسيك في اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (نافتا) Nafta وإمكانية توسيع مجال اتفاقية نافتا لتشمل بلدان نصف الكرة الغربي، ويغفل التغيرات الثقافية والاقتصادية والسياسية في أمريكا اللاتينية مما جعلها أكثر شبيهاً بالولايات المتحدة، في الوقت نفسه، تجنّب الولايات المتحدة غرباً بفعل تزايد ثروة وتنفوذ مجتمعات شرق آسيا، ويغفل الجهود الدائبة لتطوير مجتمع باسيفيكي، لنفس في لاجتماع التعاون الاقتصادي الآسيوي - الباسيفيكي (APEC)، ويغفل الهجرة من المجتمعات الآسيوية، إذ ما كان للتدويرات والمواضع والأموال الحرة وقاعدة القانون والمجتمع المدني والفردية والبروتستانتية جذوراً راسخة في أمريكا اللاتينية، فكله القارة، التي ظلت ثقافتها وثيقة الصلة بثقافة الغرب، سوف تندمج بالغرب وتصبح هي الدعامات الدافعة للمعاصرة الغربية. إن تقاربا مثل هذا غير محتمل مع المجتمعات الآسيوية التي يربحها، بدلا من ذلك، أن تكون تصحيات اقتصادية وسياسية متواصلة للولايات المتحدة بشكل خاص ولتغرب بشكل عام. وثالثا فتتجلب تجاه أوروبا، وهو الأكثر أهمية، فالتقارب المشتركة والنظم الاجتماعية والتاريخ والثقافة هي ما أوجبت ارتباط الولايات المتحدة القوي والدائم بأوروبا، وما هو لازم ومزغروب فيه، هو تطور إثنائى للروابط للناسمية عبر الأطلسي، متضمنة التفاوض حول لتساق التجارة الحرة الأوروبية الأمريكية وإنشاء منظمة اقتصادية شمال أطلنطية كنظير لحلف شمال الأطلسي Nato.

إن الاختلافات الرئيسية الحالية بين أوروبا وأمريكا لا تنشأ من صراعات المصالح المباشرة مع بعضها بعضا، وإنما عن سياستهما تجاه الجماعات الأخرى، ومن بين مسائل أخرى، فهي تتضمن توفير الدعم للحكم الإسلامي اللبرية، لأروية استجابات الأمن الإسرائيلي في السياسة الشرق أوسطية، جهود الولايات المتحدة لمعاينة للشركات الأجنبية التي تقوم علاقات عمل مع إيران وكوبا، والحفاظ على تاييد اقتصادي تام ضد العراق، كما يدعي أن يكون لحقوق الإنسان لتجزئية والأعضامات المتزايدة والتوسع دور في التعامل مع الصين. لقد حاولت القوى

للاغربية بشدة، وخاصة الصين، استغلال هذه الاختلافات للربحية بين دولة غربية وأخرى، لقد نشأت تلك الاختلافات نفسها وبشكل عام عن وجهات النظر الجيوبوليوتيكية والمصالح السياسية والاقتصادية الإيجابية المختلفة. إن الحفاظ على وحدة الغرب، على أية حال، أمر جوهري لإنهاء انهيار التآثرات الغربية في العلاقات الدولية. إن ما لدى المجتمع الغربي من الأمور المشتركة يفوق بكثير ما بينها وبين الشعوب الآسيوية أو الشرق أوسطية أو الأفريقية، فلدَى الدول الغربية الكبرى لشكل من اللغة والتعاون فيما بينها، في شكل مؤسساتي، لا يمكنه، باستثنائات نادرة، مع المجتمعات الكبرى الأخرى، طالما بقي الغرب متحدا، لا يمكنه، حتى حال في المشهد المالي، وبنفسه سيكون نهجا لجهود الدول للاغربية لاستغلال اختلافاته الخلقية بتقديم مكاسب قصيرة المدى لبعض البلدان الغربية مقابل خسارة طويلة المدى لجميع البلدان الغربية. إن على شعوب الغرب، بحارة ولهاهم، أن تكونوا، أن يتأثروا ماء، ولا فمن التوكد لتلكهم.

إن تميزنا نساك الغرب يعني كلا من صون الثقافة الغربية داخل الغرب، وبمعين حدود الغرب.. ويطلب الأمر، من بين أشياء أخرى، التحكم في الهجرة من المجتمعات اللاغربية، مثلما فعت الدول الغربية الأخرى ومثلما شرعت الولايات المتحدة في القيام به، مع تأسين استجابات المهاجرين، الذين سمح لهم بتلك الهجرة، في الثقافة الغربية.. ويعني ذلك أيضا إدراكه أنه في عالم ما بعد الحرب الباردة، فإن للتأثر هو منظمة أمن المعاصرة الغربية، وأن هدفه الأول هو الدفاع عن وحماية تلك المعاصرة. وبالتالي، ينبغي على الدول الغربية تاريخاً وديناً وثقافة، إذ رغبت أن تكون قادرة على الانتماء للتأثر.. وإذا تحققت بانحو عملي، فإنه ينبغي لمصنوعة التأثر أن تكون متاحة لدول Visegrad، دول البلطيق وسلافونيا وكرواتيا، ولكن ليس للدول ذات التاريخ الإسلامي أو الأرثوذكسي أساسا. وفيما يركز النقاش للتأثر ضامسا على توسع لا لتقليص التأثر، يكون من الضروري أيضا إدراكه أنه بتجريب مهمة التأثر، فإن الروابط التركية واليونانية بالتأثر متضخف ويمكن لمصنوعتها فيه أن تنتهي وتصبح غير ذات معنى. إن الانسحاب من التأثر هو الهدف المعلن لحزب القزاق في تركيا، أما اليونان فهي حليفة لروميا يمثل ما هي عضو في التأثر.

لقد مر الغرب بمرحلة أوروبية من التطور والتوسع استمرت عدة قرون ومرحلة أمريكية سادت خلال هذا القرن إذ ما قامت الولايات المتحدة وأوروبا بتجديد حياتهما الأخلاقية، محددتين على المشاركة الثقافية، وطورا أشكالاً أقوى من التكامل الاقتصادي والسياسي لدعم تعاونهما الأمني في التأثر، فسيمكن لهما تكوين مرحلة أورو أمريكية ثالثة من التأثيرات الساسية والرفاهية الغربية. إن تكاملا سياسيا مهما سوف يجابه، إلى حد ما، الإنهيار النسبي في نصيب الغرب من سكان العالم والتنازع الاقتصادي القدرات العسكرية، كما سيمحي قوة الغرب في عيون قادة الحضارات الأخرى. من أجل إعادة الترتيب، قادة الغرب إلى عدم محاولة إعادة تشكيل الحضارات الأخرى بحسب صورة الغرب. والتي تزيد باستمرار عن قدراتهم. وأن يتعمدوا بالرعاية والتجديد الخصائص الفريدة للحضارة الغربية.. وتقع المعصولة بالمركب، على الدولة الغربية الأعظم قوة الولايات المتحدة الأمريكية. لن تحقق النزعة العالمية أو الانفصالية، ولا التحديد أو الأحادية، المصالح الأمريكية، وإنما ستحقق مصالحها بصورة فاعلة إذ تعاضت الولايات المتحدة تلك المصالح المتطرفة، وأن تتبنى عرضا عنها سياسة أطلنطية من التعاون الوثيق مع الشركاء الأوروبيين، سياسة سوف تضي وتدعم المصالح والقيم والثقافة للنخاسة بالحضارة للغربية والفريدة التي يشاركون فيها. ■

#### الهوامش:

١. صامويل ب. هونتجتون هو روبرتور جامعة البريت ج. ويؤرخه الثالث لدنى جامعة هارفارد، حيث يشغل أيضا منصب مدير معهد جون م. أوكين للدراسات الإستراتيجية و رئيس أكاديمية هارفارد للدراسات المتقدمة والسياسية. وذلك المقالة مأخوذة من كتابه "صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي".

٢. لفردية westernization: إضفاء للالامح والسمات الغربية على المجتمعات للا غربية الأخرى (م).

المصدر: مجلة علاقات خارجية Foreign affairs، المجلد ٢٥، العدد ١، نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٦.

## الغرب متفرد إكروني



٢ - يقصد هذا أسرة ميبل التي حكمت الصين في الفترة من عام ١٣٦٨ إلى ١٦٤٤ (م)

(٣) أسرة فالو Valois التي أنهت ١٣ ملكا وحكمت فرنسا في الفترة من ١٣٢٨ إلى ١٥٨٩ (م).

(٤) فرناند برزيل، من الفازيف، شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٨٠، ص. ٢١٣.

(٥) The Reformation حركة الإصلاح؛ يقصد بها حركة الاضطراب الديني التي سادت أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وكان من شأنها أن تقسم الكنيسة المسيحية في الغرب إلى قسمين للكنائز الكاثوليكية والبروتستانت. وقد كان من أهم أهدافها بتدوى سلطة البابا وللنظام الديني الذي كان سائدا في

أواخر الصور الوسطى، كما كانت تهدف إلى إعادة توزيع السلطة السياسية ومهاجمة نظام نبلاء الإقطاع وسلطة الكنيسة التي كانت مرتبطة به. 3. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية - أحمد زكي بدوي، (م)

(٦) كارل دويتش حول القومية، أقاليم العالم، وطبيعة الغرب في بير ترغريك، تحرير: القصبة، بني حافة المركز وناه الأم، برجن، Universitetsforlaget، ١٩٨١. ص. ٧٧.

(٧) شعبان روكان أبعاد تشكيل الدولة وناه الأمة، في شارل تيلي، محرر: تشكيل الأمة - الدول في أوروبا الغربية، برنيسون، مطبعة جامعة برنيسون، ١٩٧٥، ص. ٥٧٦.

(٨) جويرت هيرستد، والثقافات القومية في أبعاد أربعة، دراسات دوالية في التنظيم والإدارة، ١٩٨٣، ج. ١١٣، هارنر. ص. تيريلاندز، «دراسات ثقافية مقارنة للدرية والجماعية، ندوة أبراسكا للبحوث حول الخلقية، ١٩٨٩، لوبكران، مطبعة جامعة أبراسكا، ١٩٩٠، ص. ٤٤ - ١٣٣، مقبسة في كتاب دانيال كرومان «الجماعة والذات: شمعين جديد لا للصدع الثقافي، نيويورك: تايمز، ٢٥ ديسمبر، ١٩٩٠، ص. ٤٩.

(٩) آر.م. شوميدجر، للصفير، لشتاكي لأمركا، نيويورك: و.و. نورثون، ١٩٩٢، ص. ١٢٧.

(١٠) أنكب. بوزمان، محاضرات تحت الضغط، دورية فريديها فريديسي، شتاء، ١٩٧٥، ص. ٧، ويليام. أ. نائف، «أفكار حول مسألة شرق وغرب من وجهة نظر الياباني، دورية للمحاضرات المقارنة بمفريف، ١٩٨٦، ص. ٢٢٢، برونل، «حول الفازيف، ص. ٢١٢-٢١٣.

(١١) Anomy, Anomie الأكرميسية، لي، للاممبارية: تشير إلى حالة للهباء البناء الثقافي، وتظهر بصفة خاصة عندما تمل الروابط بين المعايير والأخلاق للثقافة، وبين للثقافات الاجتماعية عدد الأفراد للقيام ببارك يتسق معها. وهي تقابل للضمائم الاجتماعية، إذ هي حالة للقوى والندام الأمن ولقدان للمعايير. 3. أحمد زكي بدوي، (م).

(١٢) روناك دور، والوحدة والتنوع في الثقافة العالمية للمعاصرة، تحرير: هدي بول وآدم واتسون، توسع للجمع الدولي، أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٨٤، ص. ٤٢٠-٤٢١.

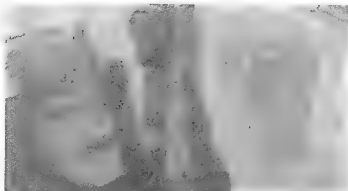
(١٣) ميشول هوراد، أمريكا والعالم، (محمدة لوبن الملوقة) سان لويس: جامعة واشنطن، ١٩٨٤، ص. ٦.

## ترجمة: ناصر الحلواني





# الغرب متفرد .. لا كوني ردود



## الغرب: نفيس ... لا متفرد

حضارات تتجه نحو نموذج فقير

ج . جون إيكبرى<sup>(١)</sup>

**ف** ما إن حسينا أن الحال آمن للثال بعض الراحلة، حتى وصل صامويل ب. هنتونجوتون بأخبار سيئة: قد يكون عالم سياسة الواقع والتوترات العظمى للقوة قد انصهر، ولكن استبدل به عالم أكثر فهماً وأقل تكيهاً! عالم من الصراع الثقافي والديني الذي يلوح في الأفق («الغرب: متفرد، لأعالي»، نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٦). وعلى خلاف عصر القوة السياسية المنصرم، يدعى هنتونجوتون، فإن السياسة المضاربة تقاوم العقل والعلم.. وعلى الغرب المتحفل أن يقبل هذا الواقع الجديد للخطر، وأن يحشد معاً، وينتجها للأموال.

إن مشكلة أطروحة هنتونجوتون المستفزة أنه يبالغ في توصيفها بصورة كبيرة، وأنها - إذا كان لأفكار المفكرين البارزين أي تأثير - في العالم الواقعي - ذات خطورة محتملة. للبدء، فإن المصالح السياسية التي نسبها هنتونجوتون للغرب - الديمقراطية والحكومة محدودة السلطات وقاعدة القانون - ربما انبهت في أوروبا أولاً، ولكنها أساساً ليست ظاهرة ثقافية أو حضارية.. إنها نظم اجتماعية وممارسات تتحدى عبر ثقافات ومجتمعات عدة، وتم للتعامل معها، بواسطة الرأسمالية والمطالب العملية للتبادل، كأي شيء آخر.

إضافة إلى ذلك، إن التناول بصدد النشاز المعاداة والمبادئ «الغربية»، لا يتطلب اعتقاداً ساذجاً بالتقارب كما يطعم هنتونجوتون، فإن الصيغ المستورة لخطرية التحديث لم تتوقع أبداً تقارباً للثقافات والمجتمعات في نموذج غربي عالمي. يعني التحديث تألفاً مشتركاً للتصنيع، مع الظهور المتفرع للنظم المخططة والمتزايدة التعقيد والتي دمجت عديداً من العناصر، الغربية واللاغربية. لقد كانت هناك تغيرات صادمة في الثقافة السياسية في المجتمعات اللاغربية الكبرى، وليست اليابان أقل في ذلك. إن أكثر التطورات تميزاً في عصر ما بعد الحرب كان التحول الناعم في البنية الاجتماعية والسياسية للمسكينة



والاستعمارية لليابان (وآلمانيا). يبدو أمراً لاغلباً تقدير التطور الترامى فى الثقافة السياسية للذول الفاشية والإسلاحيية الماركسية للقرن العشرين ومع ذلك يدعى أن الذول للأغربية أسرى ثقافتهم.

خلافاً ما يقول **هنتنجتون**، فإن اعتقاداً بالعالمية والجنسية الثقافية العالمية ليس أمراً ضرورياً لثقل نظام يتجاوز الغرب المجهود تاريخياً. كل ما هو مطلوب دول ثلث التزامات نهام الديمقراطية والأسواق الحرة وقاعدة القانون، يمكن للمجتمعات والمضمارات أن تراسل تطوير للثلاثات عميقة الجذور تلك المبادئ للتكيفية الأساسية كتنجبة، فإن المجتمع السياسى الأكثر مدانة ومناسبة لا يقتصر على العالم الأطلسى وإنما يمتد إلى ما وراء ذلك تماماً - إلى جميع أكبر (ولكن بالتأكيد ليس عالمياً) للبلدان الديمقراطية المتمسكة بالقتصاديات السوق الموجهة.

حتى إذا كان **هنتنجتون** ممحاً فى تأكيد أن الغرب مختلف بصورة جوهرية عن الباقين، فإن الصراع بين الحضارات معترف بالحدالة - ولكنه ربما يكون أكثر احتمالاً إذا ما اكثرت قادتنا بأطروحة **هنتنجتون**، إن إعلان الانقسام المضارى قد يسددهى تبجمات مضادة ويخطر تحديداً بإثارة أمثال النزاعات التى يوقعها **هنتنجتون**، ذلك هو المكافئ الحضارى - للسلأق الأملى، - إن **هنتنجتون** يريد من الغرب أن يقوم بالحراسة بصورة دفاعية ضد الصدام الأتى، ولكن بالنسبة لللقى الأخرى مثل الصين واليابان، فإن حومان المعربات الغربية سرف يبدو أشبه بإعلان حرب باردة جديدة.

إن جاذبية أطروحة **هنتنجتون** أنها توفر إيديولوجيا جاهزة وفى متناول اليد لدم الصلاقات الأمريكية بأوروبا، ولكن بالنهات الحرب الباردة ساذسا سيكون اللاصق الذى سويل على شامك للقاء الأطلبيين ماً؟ الإصجاب بالحضارة الغربية - التى تفصل داء عن الآخرين، - يبدو كمكان مناسب للبد، أسره الحظ، مثل هذا الإصجاب يحل مشكلة واحدة - كيف تحقق الصلاية لهوية أطلسية عامة - بخلق هويات أكثر خطورة عبر محيطات وقارات أخرى.

أخيراً، فإن **هنتنجتون** يفشل فى تقدير المجتمع السياسى الأوسع لديموقراطيات السوق الحرة التى أبطلها الغرب، بتجادة الولايات المتحدة، وعلى الرغم من أنه، بلاشك، قد رسا فى العالم الأطلسى، فإن هذا المجتمع يؤلف الآن قسماً كبيراً من العالم. لقد طور - هذا المجتمع - نظمه الاجتماعية وعاداته بنموستين وموسع لأجل إدارة الصراع وحل النزاع، وأضفى عليه استقراراً غير مسبوق... ذلك المجتمع الأكبر، قد يكون أصعب فى تصويله، ولكنه أكثر أهمية بكثير من رزية **هنتنجتون** للحضارة الغربية.

يرى **هنتنجتون** القوى الضمى للبيلة المستقبل كمضارة عالمية تأسست على انتشار الاستهلاك والثقافة الشعبية الغربية أو ما يحدده الواقع الأكثر انزناً للانقسام الحضارى، ولكن ذلك ليس هو الاختيار. إن العالم متجه إلى انقسام أفضل ما يرى كاتقسام بين المجتمعات المتحررة ثلث الحكومات المسؤولة والآخرين، وتقف الولايات المتحدة فى وسط ذلك المجتمع العريض للديموقراطيات، وسود بمادة تديده مأساوى لهذا الإنجاز بالكفاءة بنظرة توحيد وغرب مثيل، دفاعى.

## حذرس فطر

### تؤنى سميت (٢)

إن السهولة التى يجرى بها **هنتنجتون** العالم إلى حضارات مقسمة بواسطة خطوط سياسية محببة وتخلنى، إن تقرير ما هو بالضبط «الغربى» هو نقطة الخلاف الأولى. فى بادئ الأمر، لماذا لا يعد أمريكا اللاتينية «غربية» مع اعتبار رحلتهم الشاقة خلال المعتدين الماسانيين، رحلة اقريت بها سياسيا واقتصاديا وثقافيا تجاه أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية بأكبر ما كانت عليه لثلاثون مئمت؟ وإذا كانت أمريكا اللاتينية تحرفى تطورها محى غربيا، أما لا يكون الآخرون كذلك؟ أين فى حسابات **هنتنجتون** موقع بلدان مثل اليابان والهند والفلبين وإسرائيل؟ بتقديمه لقائمة ملتزمة من المعايير لتحديد من يكون عضواً فى النادي الغربى، كما يبدو أنهم لم يربدوا متحمين للغرب بأكثر من أمريكا اللاتينية، على الرغم من نظمهم

السياسية للديموقراطية واقتصادياتهم المصدرة، وكما فى حالة إسرائيل واليابان، للتصالح طويل المدى مع الغرب، هو أمر سيى أيضاً، علينا الافتراض، بالنسبة للآتين مؤخرًا مثل جنوب أفريقيا وكوريا الجنوبية.. وبالمثل لروسيا، والتى تعد أجنبية بنحو جلى ولا أمل فيه بالنسبة للغرب بفعل مساهمتها المسيحية الأرثوذكسية - ولذى تشاركه فيه اليونان، إنه سرعان ما يتم طردهم من الناتو، لسبب لا يوفيه سبب آخر، هو إرثها الأرثوذكسى.

كل هذه الأمور المتعلقة برسم حدود قد لا تزيد من كونها مجرد مراوغة أكاديمية، ألم ينظر **هنتنجتون** نداء صريحا للغرب لنقل ملابس الحرب استعدادا للسرعات التى يوقعها من العالم للأغربية - وبشكل خاص، علينا أن نعرض، مع العالم الإسلامى والصين، إن الخطر، بالتحق، هو أن هذا النوع من التفكير يحوز منطق التجارب الذاتى، ربما سئل الصراعات مع الحضارات الأخرى بأية حال، ولكنها تسبب جميعها أكثر احتمالاً إذا ما افترضنا أن الحضارات الأخرى يتوصل فيها الفخر أن على الغرب أن يقيم الاستكشافات ضدّها بدلا من أن تقيم توافقا لاختلافاتنا معهم.

فى كتاب الصالحين، إن، فإن مقال **هنتنجتون** هو تصريح شريك على الإطلاق؛ فهو لا يفر صرة دقيقة للحدود السياسية المتطورة للعالم، أو كنها مؤثرا فيه لما يحمله المستقبل من تهديدات حقيقية للأمن.

## شرق يتجه غربا

### دافيد هاول (٣)

إن **هنتنجتون** يخلف عن الزمن. إن استعمارية لثلا قصة قديمة. أما اليوم فالنصية - على الأقل فى أوروبا - ليست غربة الشرق وإنما شرقية Easternization الغرب.

يناقش الأوروبيون الآن الكيفية التى يمكنهم بها الاستفادة من القوة المالية والتكنولوجية لأسيا لتحيز اقتصادياتهم التى لاتبارى، وتشكل تحالفات مع عملاقة أسيا

المتمسجين في كيوان مشتركة. لذا لدينا هنا إصلاح مسيحي Meiji Restoration في المقابل. ولكن الأمور تذهب إلى أبعد من ذلك. ينظر المفكرون السياسيون الأوروبيون كذلك إلى قدرة المجتمع الكونفوشيوسي على تعزيز منظومة القيم الشهيرة للغرب.

أخشى أن نداء هنتونجتون الواردة إلى اتبجيرة الأطلسية، بحضارتها، الففيسة والمتفردة، يهيء متلخراً جداً إلا إذا طمنا بسرعة من المجتمعات الأكثر شاسكا والأكثر نجاحا بصورة كبيرة للشرق اللينياميكي، وأن نلجج معاً أفضل ما يمكن لسمج لتقدمه مع الأفضل من ثقافتنا، وهكذا سيقي القليل من الحياة الغربية للعلية معا ونسم بكونه نفيساً أو مفترداً.

## رأسمال، لثقافة

### بروس نسبام (٤)

بالرغم من الشهرة الفائقة التي حازها هنتونجتون، فإن أطروحته لتسم بقوة تفسيرية واحدة بقدر كبير، كما لا تقدم إرشاداً فعلياً في السياسة الخارجية التطويقية. إن تكهيه بصراع حضاري يعكس ندرة نماذج السياسة الخارجية في فترة ما بعد الحرب الباردة، وليس للتبصر الفطن لجورج كنان للألفية.

إن حجته واحدة، في المقام الأول، بسبب أنها مبنية على مفهوم "الثقافة"، والذي لا يزيد

تعريفه على تعريف حبة تلج في يونيو. إن كل الحقاقت لتضمن كل لتقديم بصورة عالمية، ولكن التشكيل المحدد للصورة والنظم الاجتماعية والتكولوجية لخلل نظام اقتصادي معين، هو ما يحدد القيم المهيمنة في فترة معينة. ماذا تكون «الكونفوشيوسية» في ٢١٩٩٧؟ أمى الاشتراكية المركزية المتصلة للصورة المفوض إليها السلطة في الصين، والتي تستخدم للزعة القوموية والدعوة المناهضة للغرب المفرطون لإحلال أودولوجيا شيوعية مثالية؟ أم أن الكونفوشيوسية اليوم هي ديمقراطية للشرق في آياون؟ وماذا عن كوريا، مع اتصادات عمالية، والانتخابات الحرة والسمن للعالي للديكتاتوريين العسكريين السابقين؟ حتى أكثر التحليلات سطحية لكوريا خلال العقد الماضي تظهر تمولا مذهلاً من السلطوية العسكرية إلى ديمقراطية شرسة وخشنة. هل حولت الثقافة الكورية نفسها بشكل ما في تلك الفترة الزمنية القصيرة؟ لا، ولكن حدث تغيير موك في الاقتصاد والقيادة والأحزاب.

يمكننا ممارسة اللعبة نفسها مع كل حضارة يذكرها هنتونجتون. إذا ما رغبت في شكل تحليلي أكثر إفادة لسياسة الخارجية بعد للحرب الباردة، لا يكون عليك الذهاب أبعد من القرن التاسع عشر والمجد، والذي استلظل حتى ثلاثينيات القرن العشرين. إنه ليس صدام الحضارات وإنما صدام الرأسمال ما يجرى اليوم. لقد أصادت نهاية الحرب الباردة فتح الاقتصاد العالمي، كما ازداد حجم الرأسمالية العالمية إلى ثلاثة أضعافها، حيث

تنمو رأسمالية ثنائية الأقطاب، دعاة مذهب التجاريين merchantilists ضد دعاة التجارة الحرة والباسيفيكي ضد الأطلسي والصين ضد الولايات المتحدة وأوروبا. إن تدافع الدول التي تكافح لأجل صعود السلم الاقتصادي والجهود الزهوية للآخرين الذين يحدرون عليه هو ما يعين العصر الحالي، إنه توازي قوى مستعاد، مع تكولوجيا متطورة ذات بريق، والإيحاء فإنه هنري، وليس سام sam، مترنيخ ويس فيبر Weber.

إن أفسنل مسا يقال عن أطروحة هنتونجتون هو أنها تكثير الغضب، وأسراً ما يمكن أن يقال عنها إنها قد توفر ذخيرة فكرية زائلة للقوميين في كل مكان والذين يسعون إلى تبرير لأفكار القبيحة والأفعال الأكثر قبحاً. ■

### ترجمة : ن. ح.

#### الهوامش :

١. استند: مجلة علاقات خارجية Foreign af-airs، السجاد ١٦، العدد ٢٢، أبريل/نيسان ١٩٩٧.
- ٢) ج. جون ليكنبري أستاذ مشارك العلوم السياسية في جامعة بنسلفانيا.
- ٣) تولى سيوت رايس قسم العلوم السياسية في جامعة تافت بزميل مركزل وينزو ويغسون قنولية للباحثين.
- ٤) تاليد هارك عضو البرلمان البريطاني ورئيس مجلس للجنة العامة للعلاقات الخارجية.
- ٥) بروس نسبام محرر الصفحة الافتتاحية في دورية Business Week.





**ف** وقع ثاني عمل عدواني في مرحلة ما بعد الحرب الباردة في ٧ أغسطس ١٩٩٠، عندما غزت العراق الكويت، ومن ثم ضمتها بالكامل بعد فرض المقاطعة الدولية مباشرة. إن أي أزمة شرق أوسطية تتخذ أبعاداً هائلة في الحال نظراً لاحتياطيات الطاقة الهائلة الموجودة في المنطقة. وبالتالي لم تكن أحداث أغسطس استثناء لهذه القاعدة.

اتخذت ريفود الفعل تجاه عدوان صدام حسين طريقين محددتين، ومن الصعب الربط بينهما، فورا، أدان مجلس الأمن الغزو ودعا إلى المقاطعة الاقتصادية ويضمن هذا المنهج طريقاً دبلوماسياً لتزريب الانسحاب بعد المفاوضات، والمدهش هنا أن هذا البديل قد توفرت له احتمالات نجاح مرتفعة وهذا بسبب واحد هو أن الدول التي اعتادت خرق العظر والمقاطعة (أي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وحلفاءها) قد أبدت المقاطعة في هذه الحالة للمعينة تأييداً شديداً. في الوقت نفسه اتخذت الولايات المتحدة وبريطانيا طريقاً آخر وأعدتا لضربة عسكرية ضد العراق وقواته التي تحتل الكويت. وهذا التفاهت مفهوم في ضوء التاريخ وتوزيع القوى في عالمنا المعاصر.

كان بترويل الفرق الأوسط أولاً في أيدي إنجلترا، وفرنسا، ثم شاركتها بعدئذ الولايات المتحدة في اتفاق صاغته اتفاقية القط الأحمر عام ١٩٢٨. وبعد الحرب العالمية الثانية أبدت فرنسا باستخدام حول قانونية وتسلتت الولايات المتحدة الدور السبائي. وكما قلنا سابقاً كانت السياسة الهادية لحكومة الولايات المتحدة دائماً هي أن بترويل الشرق الأوسط يجب أن يكون تحت سيطرة الولايات المتحدة وحلفائها وعملائها وشركاتها للبترولية ولا يمكن تعمل أي نزاعات استقلالية من قبيل القومية الجذرية. وتلك السياسة هي وجه من أوجه المعاد المام تجاه النزاعات القومية الاستقلالية في دول العالم الثالث بيد أنها ذات أهمية خاصة. وقد ردت الولايات المتحدة وحلفائها بريطانيا على التحدي العراقي لامتيازاتها الخاصة رداً عتيفاً. فإظهرت القيادة السياسية والمديرون العقائديون استيادهم الشديد من تجرؤ دولة قوية على غزو جاراتها المسالمة العزلاء،

الفردان

المشنيين

نموم تشومسكي

وأعطيت المسألة أبعاداً كونية باستخدام خطاب قبح حول نظام عالمي جديد على أساس من السلام والمحادثة واحترام القانون الدولي. نظام وصلنا إليه أخيراً بعد انتهاء الحرب الباردة بانتصار أولئك الذين احترمو هذه القيم واحتراماً شديداً. وأوضح في هذا الصدد وزير الخارجية جيمس بيكر قائلاً: «نحن نحيا في لحظة من لحظات التحول النادرة في التاريخ. لقد انتهت الحرب الباردة وبدأت مرحلة محملة بالأمل. وبعد فترة ركود طويلة صارت الأمم المتحدة منظمة أكثر فعالية. وأصبحت القيم العالمية الخيالية في ميثاق الأمم المتحدة حقائق. لقد حطم عدوان صدام حسين رؤيا عالم أفضل فيما بعد الحرب الباردة. في الثلاثينيات كوشى المستشرقون وفي عام ١٩٩٠ أوضح الرئيس موفلداً تماماً: هذا العدوان لن تكم مكافأته.

لقد أصبح الشبه بهتلر وموسولوي نوصاً من الكليشيه للشائع.. فبرغم عدم قدرة العراق على هزيمة إيران برغم مساندة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وأوروبا وكل العالم العربي تقريباً له، تستعد العراق الآن للاستيلاء على الشرق الأوسط والسيطرة على العالم. كانت المراهقات كبيرة، إن مسار التاريخ سيقرر على حسب قدرتنا على الانتقام من عدوان صدام حسين على دولة متعيفة عزلاء.

• هنا العمل الشبح الذي لم يسبق له مثيل - وتدمير هتلر الجديد قبل أن يفلت الزمام.

وعلى الفور أرسلت الولايات المتحدة قوة استطلاعية ضخمة تضاعفت تقريباً بعد انتخابات نوفمبر. وإذا كان من الممكن استبقاء قوة ردع في الصحراء وفي مياه الخليج فمن المستحيل إبقاء مئات الألوف من الجنود في مكائهم فترة طويلة. وللتأثير المتحيز لهذا القرار هو قطع الطريق على المقاطعة التي كانت ستأتي لمرها بعد فترة زمنية بعيدة. وقد أوضحت الولايات المتحدة بجلالة شديد أنها لن تحصل الدبلوماسية وستقتصر الاتصالات مع العراق على توصيل إنذار نهائي. وهذا الرخص المصري للدبلوماسية هو ما أسماه الرئيس بوش «السير» حتى ما بعد النهاية، لاستكشاف كل الإمكانات الدبلوماسية وفيها عدا كلة قليلة فقد سار للرأي العام المختف خلف قائله.



## المعدوان المشيين



للقرب مباشرة، بما في ذلك حالة حدثت قبيل الغزو العراقي بحدّة أشهر فقط، رغم الدروس المستفادة من الغزو بمسند النظام المالي الجديد.

كانت تقاليدنا وقيمنا في جوهرها واضحة جلية منذ أمد بعيد في الخليج. ولو اقتصرنا على العراق فقط، لوجدنا مثالا رائعا لها خلال الثورة على الحكم البريطاني وهي أحد فصول «الفتائل المعديّة» التي أصابت الإمبراطورية البريطانية في مصر إلى الابد. لقد تأثرت الأحاسيس البريطانية للرهفة تأثراً عميقاً من جراء هذه العملية اللطيفة التي كانت بمثابة طعنة في الظهر في وقت ضعفت فيه الإمبراطورية نتيجة للحرب العالمية، وأرضى السيد أرنولد ويغلسون قائلا: «إن أكثر وسائل قضاء وقت الفراغ شعبية في الشرق هو أن تضرب رجلا جانياً، هذا الشرق الذي يجهل المبادئ والقيم منذ قرون خلفه». وقد أرجع مكتب الهند الثورة العراقية إلى المتطرفين المحليين الذين يروجون «إلى» أشكال للسيطرة الأوروبية على أرجاء الشرق، وواقفهم وتحتون تشترشل وأسي الثورة، «مجرد حالة من ضمن حالات التهيجان العامة المنتشرة ضد الإمبراطورية البريطانية وكل ما مثله».

ومن الواضح أن الموقف كان يستدعي تدابير رادعة. ففي الهند وقبل هذا بحام أطلقت القوات البريطانية النار على اجتماع سياسي سلمى في أمرينشارما أدى إلى مسردح قرابة ٤٠٠ شخص. ونظرًا لقلّة لشاة والقوات البريطانية في العراق لجأت بريطانيا إلى القصف الجوي للقوى العراقية ليس لغرض التدمير في ذاته ولكن كجزء من إستراتيجية عامة أوسع. لقد صرح تشترشل - وكان وقتها وزير المستعمرات - بأن القوة وحدها، لا تكفي، لإخضاع بلاد ما بين النهرين. إن ما تحتاجه تلك البلاد هو حكومة وحاكم يتقبلها للشعب المرئى ويقبلها بحرية - ويهدد ضمان ألا يفسد خروج أي فرد عنه، هذا الإجماع للحر- «يدعمها سلاح الطيران البريطاني وقوات عملية تنظيمها بريطانيا» و٤ كتاب إمبراطورية، بيد أن هذا التكليف له مشاكله فقد حذر وزير الدولة للشؤون الحربية في معرض تطبيقه على «الوسائل المستخدمة الآن

ولندبر رفعتها الذي لم يسبق له مثيل» للديبلوماسية، ادعت الولايات المتحدة أنها تتلزم بمبادئ سامية لا يمكن العياد عنها، وهو موقف كلاسي قلع الطريق بدجاج على أي شكل من أشكال الديبلوماسية (والتي دعيت في بعض الأحيان باسم الاتصالات) وكذلك أعاق أيمناً التسحاب القوة الاستطلاحية بدون خضوع العراق. وهذا الموقف اللطفي لا يحتمل. ولو للحظة واحدة - أي قمص أو قميص، بيد أن هذا لا يمثل أي مشكلة، لأنه لا يتحضر إطلاقاً لأي فمضن أو نظر من قبل الديار الأساسي في أجهزة الإعلام. لقد استمر الخلاف ولكن حول مبرهنات لتكتيكية ضيقة وفي إطار كانت الحكومة الأمريكية متأكدة من سيطرتها التامة عليه. إن ومنذ اللحظة الأولى فقد اخذتلت التدويرات إلى التهديد باستخدام القوة أو استخدام القوة.

### ١ - قِيمَا التقلّدية:

فصل بروفيسور مرموق ويقوم بتدريس النظرية السياسية في جامعة كمبودج الأطروحة الأساسية تفصيلاً جلياً فقال: «لبيت لمن لحد أن تقاليدنا تعمل في جوهرها قوما عالمية كونية، بينما من الصور أحياناً التمييز بين قيمهم وبين الخدمة اللطيفة (المنجحة بالسلح). ولم يكن بوسع الزلايين يوش أن يطرح القضية بشكل أروع من هذا... اليوم في الخليج العربي».

إن من يفسد في ابتلاع هذا المبدأ مستعمر عليه التفرقة بين غزو صدام حسين للكويت وبين جرائم أخرى عديدة بعضها أفتح بكثير مما ارتكبه صدام، جرائم تجعلها بسهولة ودعمها بثقة بل وافتقارها

في الزلوع، وتعديداً، قصف النساء والأطفال في القسوة، من أنه «لو أدرك الصرب أن السيطرة السلمية على بلاد ما بين النهرين تعتمد على قصف النساء والأطفال فأنا أذك كوكبر في أننا سنلجج في الحصول على مرفقتهم، التي كان تشترشل يأمل فيها. ونجحت بريطانيا في إقامة نظام عمل بينما استمر سلاح الطيران الملكي في عمليات للقصف الإرمائية للتحلب على «الفتائل» القليلة، كما وصفها وزير المستعمرات في وزارة حزب العمال برئاسة ويزلي ماكديوالد عام ١٩٢٤ واستمرت في جمع المراتب والشوك من رجال الفتائل الذين كانوا لا يستطيعون دفعها لفتقهم الشديد.

لقد أتيت لتشترشل بوصفه وزير دولة في وزارة الحرب عام ١٩١٩ فرس عديدة لتنفذ قيماً التقليدية. لقد طلبت إليه قيادة سلاح الطيران الملكي في الشرق الأوسط السماح باستخدام أسلحة كيميائية ضد «العرب» المتطوئين على أساس التجربة، ووافق تشترشل على التجربة. ورفض البصر عن امتداحات وزارة الهند بوصفها غير معقولة مثلاً: «بأن لا أقدم معني كل هذا اللطع حول استخدام الغاز.... أنا لؤيد استخدام الغاز السام ضد القبائل غير المحمدية ثابداً شديداً... لا ضرورة لاستخدام الغازات السميّة ذات السفعول الأهد فمن الممكن استخدام الغازات التي تسبب مشاكل ضخمة ومن ثم نشر رعباً حقيقياً بيد أنها لا تترك آثاراً خطيرة دلمة على محتم الذين يتأثرون بها».

وأضاف تشترشل: «لا يمكن بأية حال من الأحوال التناقصي عن استخدام أية أسلحة متاحة من أجل الإنهاء السريع للمشاكل التي تصد الجبهة، إن الأسلحة الكيميائية ما هي إلا «مجرد تطبيق العلم الغربي على الحرب العنصرية». وفي الواقع فقد استخدمها سلاح الجو البريطاني ضد الباشقة في شمال ليبيا بنجاح ساحق وقتاً لما أعلنه للقيادة البريطانية. إن الاعتقاد الشائع أن تدمير استخدام الأسلحة الكيميائية تحريماً قاطعاً منذ الحرب العالمية الأولى قد فقد معظم أثره، نظراً لأعمال العراق وتجنيدتها ما هو إلا اعتقاد كاذب حتى لو نادىنا لوجه الولايات المتحدة إلى استخدام أسلحة كيميائية على نطاق واسع في جنوب فيتنام ما أدى إلى

خسائر بشرية رهيبه بوعداً لا أهمية له لحراس قبيلة النقيبوية. عقب الحرب العالمية الأولى نظر إلى الأسلحة الكيميائية مسلحاً نظراً إلى الأسلحة النووية بعد هروبها من اليابان. من ثم فلم تكن معلومة حقاً أن ربيع قشاش حتى قبل حصار براين عام ١٩٤٨، على حكومة الولايات المتحدة بأن تهدد الاتحاد السوفيتي بالحرب النووية ما لم يصعب اللزوم من ألمانيا الشرقية.

في يوليو ١٩٥٨ هدد الانقلاب العسكري الذي قام به ضباط قوميين في العراق السيطرة الأمريكية البريطانية على مناطق إنتاج النفط للمرة الأولى (نقد بعض التدخل الأمريكي البريطاني لإعادة الشاه إلى الحكم في إيران قبلاً بنحو خمسة أعوام، التهديد الذي مثله الحكومة القومية المحافظة)، وأدى الانقلاب إلى حدوث ربيع قشاش واسعة المدى بما في ذلك إزلال لقوات مشاة البحرية الأمريكية في لبنان. وقد استنجد وليام كوانت في تحليله للأزمة على أساس سجلات العامة بأن الولايات المتحدة قد وفقت - على ما يبدو - على أن ترضى المصالح النفطية البريطانية وبخاصة في الكويت مع تأكيده بأن أية تحركات عراقية ضد الكويت تؤثر على المصالح البريطانية هو أمر لا يمكن عمله، رغم أن هذه التحركات لا تبدو متوقعة.

ويعتقد كوانت أن الرئيس أيزنهاور كان يشير إلى الأسلحة النووية عندما أمر، مستخدماً كلماته نفسها، رئيس الأركان المشتركة الجنرال توفينج بأن يستعد للتحدة حالما يبقى المرافقة زمن أيزنهاور مهما كانت الوسائل الضرورية لمنع أي قوى معادية من التحرك نحو الكويت، ولقد توصل الموضوع عدة مرات أثناء الأزمة، كما يضيف كوانت، وكان أهم الأعظم في هذه الأيام هو جمال عبد الناصر المصري - هتار هذا الزمان - ورميحه العربية.

وتضيف الوثائق السرية التي كشف عليها الانقلاب مؤخرًا معلومات جديدة رغم أن سجلات الولايات المتحدة ناقصة نظراً للمراقبة الخفية التي تمكن، على الأغلب - للزمام الفترة الريحانية بحماية سلطة الدولة من الجمهور. فقد أرسل وزير الخارجية

البريطانية سلوين لويدي برقية سرية إلى رئيس وزرائه بعد مباحثاته في واشنطن عقب الانقلاب العراقي مباشرة. وأوضح في هذه البرقية أن ثمة خيارين بالنسبة للكويت، إما احتلال شبه السهمية تلك احتلالاً مباشراً بالقوات البريطانية وقوة، أو التحرك نحو استقلال اسمي. ونصح بعدم اتباع الخيار الأخير. رغم بأن فائدة هذا العمل هي أننا سنحضر أدينا بشدة على نفط الكويت، فمن المحتمل أن يكون مشاعر قومية في الكويت وإن يكن تأثيره حماً على الرأي العام العالمي وبقية العالم العربي، أما السياسة الأفضل فهي إقامة نوع من سويسرا الكويتية حيث لا يمارس البريطانيون السلطة المباشرة، ولكن رقبنا هذا الخيار فوجب أن تقبل أيضاً ضرورة التدخل قرر تدخل عديداً لو لم تدر الأمور على هولنا بعض النظر عن سبب المتاعب، وأكد أن ثمة مساعدة ثامة من الولايات المتحدة لنا فيما يتعلق بالنفط، بما في ذلك الحاجة، والاتخاذ موقف صلب للحفاظ على موقعنا في الكويت، والقرار نفسه اتخذته الولايات المتحدة، بالنظر إلى حقول بترول أراكو، في المملكة العربية السعودية، فقد وافق الأمريكيون على أن تقل كل أبار البترول في الكويت والسعودية وقطر والبحرين، في أباد غربية مهما كانت الثقيلة. وقبل الانقلاب العراقي بسنة شعور لاحق لويدي بأنه لا محالة من حدوث تغيرات طفيفة في اتجاه استقلال أكبر بالنسبة للكويت على سبيل المثال الانضلاع بالخدمات البردية. وقد أعلن أيضاً ملخصاً للمصالح البريطانية، وفي الواقع الغربية في منطقة الخليج العربي على النحو التالي:

(أ) ضمان حرية حصول بريطانيا وغيرها من الدول الغربية على البترول الذي تنتجه بلاد الخليج.

(ب) ضمان توفير هذا البترول بشكل مستمر وبشروط ملائمة للإسرايلى، والمحافظة على أوضاع ملائمة لاستثمار عوائد النفط الكويتي الفائضة.

(ج) منع انتشار الشيوعية وأشياء الشيوعية في المنطقة وما بعدها وكفط في المنطقة الدفاع عن المنطقة ضد القومية العربية التي تفصل الحكومة السوفيتية أن تقدم تحت غطاءها في هذه الأزمة.

وتتعدد وثائق الولايات المتحدة في القدرتها نفسها الأهداف البريطانية بالمعنى نفسه :- لقد أكدت المملكة المتحدة أن استقرارها المالي سيهدد تهديداً خطيراً إن لم يتوفر بترول الكويت ومنطقة الخليج العربي للمملكة المتحدة بشروط معقولة وإذا انصبت الاستثمارات للضخمة التي استثمارها دول المنطقة من المملكة المتحدة وإن حرم الإسرائيليين من الدعم الذي يوفره بترول الخليج العربي، ومثلت هذه الاحتياجات البريطانية وحقيقة أنه من الضروري وجود مصدر مأمون للنفط لاستمرار حيوية اقتصاد أوروبا الغربية، حجة الولايات المتحدة لدعم أودع الضرورة مساعدة البريطانيين في استخدام القوة للاحتفاظ بالسيطرة على الكويت والخليج العربي، وكانت الحجة المضادة هي أن القوة ستؤدي إلى المواجهة مع القومية العربية البهيمية، وأدت علاقات الدول المحايدة بالولايات المتحدة ستأثر تأثيراً شديداً.

وفي نوفمبر ١٩٥٨ أوصى مجلس الأمن القومي بأن تستعد الولايات المتحدة لاستخدام القوة ولكن كلاً آخر فقط سواء بغربها أو بدعم من المملكة المتحدة، لضمان الحصول على النفط العربي، ونصح مجلس الأمن القومي أيضاً بأن إسرائيل تستغل حاجزاً للقومية العربية وبناء وضع أساس أحد عناصر نظام السيطرة على الشرق الأوسط المدعو «الأمن» أو «الاستقرار».

وقد امتد التناق على توفير ثروات ونفط الخليج لدعم الاقتصاد البريطاني المتدها مع بداية السبعينيات، إلى الاقتصاد الأمريكي الذي كان من الواضح أنه يتراجع بالنسبة لليابان وأوروبا بقيادة ألمانيا. وأكثر من ذلك مثل التحكم في النفط وسيلة للتأثير في أولئك الصناعات المتنافسة. وبار تدفق رموز الأموال من العربية السعودية والكويت وغيرها من إمارات الخليج للولايات المتحدة وبريطانيا دعماً ملحوظاً لاقتصاديات الدولتين وشركتهما ومؤسساتهما المالية. وتلك من بين الأسباب التي تفسر عدم معارضة الولايات المتحدة وبريطانيا لزيادة أسعار البترول.

إن تلك للمساكن معقدة وشديدة التدخل بحيث يصعب سبرها هنا. بيد أن تلك العوامل

## العدوان المشين



لها أثر اكيد. وهكذا، لم تكن مفاجئة شديدة أن الدولتين اللتين أسما دعاية الاستعمار وكذلك المستعبدتين الرئيسيتين منه والمخافتين عليه، كانتا تتوليان إلى الحرب في الخليج بينما حافظ الآخرون على مسافاتهم.

### ٢ - صياغة الموضوعات:

بينما يشابه العلمان العدوانيان في فترة ما بعد الحرب الباردة باستخدام معايير المبدأ والقانون فثمة فروق بينهما لا محالة. وأهم فارق ملحوظ هو أن غزو الولايات المتحدة لبهام هو غزو قننا نحن به ومن ثم فهو غزو حميد، بينما يمكن أن يمثل الغزو العراقي للكويت تهديداً لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية المبررة ولذا فهو عدوان مشين، يخرق معظم المبادئ السامية للقانون الدولي والأخلاق.

وترتيب الأحداث بهذا الشكل يطرح عدة تحديات عقائدية. وأول معضلة هي تصوير الديكتاتور العراقي صدام حسين بوصفه طاغية شرراً وزعيم عصابات دولي. وكانت تلك مهمة سهلة فمن الواضح أنها حقيقية. وكانت المعضلة الثانية هي للفرق في خضوع إلى من غزا بلما وأدار الاستعمار غير المشروع للقوة، ضد ديكتاتورا وهو يقدم بإذالة الاستخدام غير المشروع للقوة ضد الكويت ويعلن للزعماء الأيدي بميثاق الأمم المتحدة مصرحاً بأن أمريكا تقف حوفاً كانت دائماً ضد العدوان وضد أولئك الذين يبدون استخدام القوة لتحل محل حكم القانون، ولو تضلوا أي شيء من التاريخ فقد تتعلم أنه يجب علينا مقاومة العدوان أو سيدمر العدوان حريكتنا، ٢٠١ أغسطس

في المخاطرة أو الإنفاق كخبراً لتحقيق هذه الغاية. وهم بالتأكيد يشاركون والشلن في إيماها بالبدء الساسي في أن القوة لا تصنع الحق إلا عندما تريد ذلك نك.

ولم يمر العدوان الأمريكي بدون ملاحظة إطلافاً. فقد أعلن صراحة رئيس هيئة الأركان المشتركة السابق الجنرال وليام كسور، أننا هنا لبنا بسدد لبنا ولاجرانادا، وحذر من مخاطر إرسالنا العالية، فإن التكاليف والمخاطر مهولة، وواقع محرورو الليوريوك تأييز قائلين: «إن هذه العملية تتحدى عمليات الولايات المتحدة العسكرية في لبنان وجيرانادا وبنا». ووصف المراسل العسكري السابق للشايزم بربناة وتونرو وهو الآن مدير برنامج الأمن القومي في كلية كينيدي للدراسات الحكومية بهارنارد، صدام حسين بأنه «نوريجا الشرق الأوسط ومثل مثل نظيره البني يوب أن يذهب». وفي الحقيقة تقف العقلة بين صدام حسين ومناويل نوريجا ضد هذا العد فقط. لكن التشابهات لم ترد بين ملاحظة. ففي كل الأحوال كانت الولايات المتحدة تعمل دفاعاً عن النفس وفي خدمة النظام العالمي والبدء الساسي. مجموعة أخرى من حقائق المنطق التي تطفو بأمان وبسال فوق عالم الواقع. وقد مدح محرورو الليوسون جنوب الليبرالية بوش لوقوفه بجانب قيما الرئيسة ورسم خطأ في الزمال أمام الشرر الهائج، هذا لطف كان أروع من لفظ الرسوم في كوريا وقيما، كما لاحظوا، واستخرج آخرون كذلك الدلال السابقة على نوبنا الخالصة في مراجعة أية مصاصب لتأديب الذين يلجئون إلى القوة أو يبيحدون بشكل ما عن تقاليدنا السلمية والتزامنا بحكم القانون.

وفي المقابل فقد أشارت خطابات القراء مرات عديدة إلى نفاق رخواء هذا الموقف وتسامات، عن الفرق بين غزونا لبنا وغزو العراق للكويت، في معرض ذكرها لحالات أخرى عديدة من حالات عدواننا الحميد، ومرة أخرى يوضح من الفرق الدرامي بين خطابات القراء وتعليق المحررين، فشل الهجوم العقائدي الذي شن في الأعوام الماضية في تخفيف حدة الصفوة المعدلة والوصول إلى كل قطاعات الجمهور المعادي.

٢١٩٩٠. وقد يبدو أن هذه المعضلة أصعب من الأولى بيد أنها ليست كذلك. فقد لعل وجه الرئيس ذي النظرة الصلبة للمصغفات الأولى جنباً إلى جنب مع كلماته عن المجلة إلى مقاومة العدوان مع للتأكيد على هذه العقولة حتى يحترم الجميع شجاعته وإقدامه وإيماها بالسل التي تقصها، حتى استخدمه للتكريرات المية عن فوئام بوصفها درساً عن الحاجة إلى مقاومة العدوان واحترام حكم القانون، مر بدون ملاحظة ولو هسة عتاب وتلك هي علامة الانضباط الحقيقي. لقد لاحظت المسخلة بالإجماع أن بوش قد أثبت أن الولايات المتحدة هي القوة العظمى لوجودها القادرة على تطبيق القانون الدولي بالرغم من إرادة معتد قوي، فيما عدا ذلك فقد ردت الصحافة وأجهزة الإعلام التزامنا التي لا يتزعزع، بحكم القانون وقدمية الحدود. وعبر مدى الطيف السياسي كان هناك تقدير لهذا الإثبات المتجدد لدفاعنا التاريخي عن طرق السلام رغم أن بعض اليميين للتقيديين قد تساموا؛ لماذا يتعين علينا أن نقيم بالعدو القسور؟ وفي أقصى حالات الانشقاق كتبت ماري ميجوري «بالله قد يكون لصدام حسين اتياج بين الحرب والفناء، لكن رغم هذا فالأمريكية ملتزمون للزمام عاطفياً بالخلص من الوحش، بطريفة أو بأخرى. واقترحت قصف بغداد رغم أن هذا قد يكون تصرفاً أفرق بسبب احتمال الانتقام من الأمريكيين. وقد سربت جريدة واشنطن بريت خطة لبين الأبيض للقضاء على الوحش والتي وافق عليها الرئيس عندما أخبره مدير وكالة المخابرات المركزية ولهام وسترن «صدام حسين يمثل تهديداً للمصالح الاقتصادية بعيد المدى للولايات المتحدة». وقد وافق بالإجماع كل من البيت الأبيض والمعلقين السياسيين على أن هذه المصالح الاقتصادية هي المحرك الأساسي للقرارات السياسية. ولذا أرسلت الولايات المتحدة قوات عسكرية ضخمة إلى المملكة العربية السعودية وساعدت على تنظيم مقاطعة دولية وتقريباً حظر تام. وهذا بدعم فائق بشكل ملحوظ من قبل معظم حلفائنا الذين ولا شك يفضلون أن تكون الولايات المتحدة وعملها من المؤيرون الأساسيين في إنتاج وسمر لفظ صدام حسين. بيد أنهم بدوا مترددين



أما خارج الحدود فمن الممكن تبين الحقائق البسيطة دوناً عن مراكز القوى العظمى حيث الانحراف عن الحقائق المستقرة هو أمر شديد الخطورة. فيذكرنا المقال التريسي جريدة السنداي تريبيون الدنيلية وعنوانه: السخط الأخلاقي رياء خالص، يرد الفعل الغربي تجاه غزو العراق لإيران وغزو الولايات المتحدة لجيرانها ولما غزو إسرائيل لبنان والعراق العراق على الفلسطينيين وهو سبب مستمر للفتن المبرر في الشرق الأوسط، وسؤدد إلى اضطراب مستمر... لاحظ مرسل التلاميذ الألبانية في واشنطن سين كرونن الكلمات المصممة لمندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة توماس بركليج تدعيها لقرار مجلس الأمن بإدانة العراق وتذكر المرسل بعض الأحداث التي لم تكن قد معنى عليها أكثر من ٨ شهور:- الاعتراف الأمريكي في ٢٣ ديسمبر ١٩٨٩ على قرار مجلس الأمن الذي يدين غزو بنما وبمساعدة بريطانية وفرنسية في هذه الحالة، وعلى قرار الجمعية العامة في ٢٩ ديسمبر ٨٩ الذي يطالب باتسحاب قوات الغزو المسلح الأمريكية من بنما، ويسمي الغزو خرقاً شديداً للقانون الدولي ولتجاهكا لاستقلال وسيادة ووحدة أراضي دولة عضو بالأمم المتحدة.

يبد أن المعلقين المستعربين في الوطن لم يرمش لهم جفن. فتم تجاهل التشابه مع غزو بنما تجاهل تاماً وبما وصل القارئون الذين لاحظوا أن الهجوم هو أفضل دفاع، إلى حد مقارنة أفعال **جورج بوش** في بنما بإرساله القوات إلى السعودية ولين بغزو صدام حسين لكويت، وتذكر كذلك وبشكل منقطع جيراننا وقيادنا وبيان بوصفها سوابق لعداوتنا عن مبدأ عدم التدخل، وبالإجماع نفسه فشل المعلقون المسؤولون في تذكر غزو إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢ بفرض إقامة نظام عميل دمية في شكل نظام جديد، يخضع لمصالح إسرائيل، ويهدف ليقاها مبادرات منظمة التحرير الفلسطينية المتزايدة والمعلقة من أجل التوصل إلى تسوية سلمية دبلوماسية. وقد نوقشت كل تلك الأمور بصراحة داخل إسرائيل منذ تلك اللحظات الأولى رغم أنها منعت من التوصل إلى الجمهورية الأمريكية. ويتألم هذا العمل العنواني الذي قامت به دولة عميلة ليكون عملاً حميداً، وكذا يستفيد

من الدعم النشط لحكومة ريجان رغم إدانة الليبراليين والديمقراطيين وغيرهم من اليسار المستطرف لها، لأنها لم تقم بشك كالف لهذا العنوان الآثم الذي أدى إلى وفاة ما يزيد على ٢٠ ألف مواطن غالبيتهم لطلعي من المدنيين. والملاحظ أيضاً أنه تم تدفق مقارعة مع الاحتلال الإسرائيلي للمستمر للأراضي التي غزتها عام ١٩٦٧ وضمتها القدس الشرقية ومرفعات الجولان السورية، ورد الفعل الأمريكي، وتم أيضاً تجاهل التدخل السوري الليبي في لبنان بمساعدة أمريكية في مراحله الأولى عندما كان ضد الفلسطينيين وطلانهم اللبنانيين. ونسباً كذلك الغزو التركي لشمال قبرص الذي أدى إلى وقوع آلاف الإصابات ومئات الألوف من اللاجئين بعد حملة ماجنة من القتل والتعذيب والاعتصام والنهب من أجل استئصال البنية الأخيرة للصنارة الإغريقية بما في ذلك الأفكار الكلاسيكية. وقد مدح **جورج بوش** تركيا لأنها تعمل كحارس للتسامح بعد انضمامها لأولئك الذين دوقوا إلى جانب القوم الحضارية في الصلح، وفيه إلى التي تستطيع تذكر الغزو المغربي الذي أبدته الولايات المتحدة للصعراء الغربية في ١٩٧٦ والذي برزته السلطات المغربية على أساس أنه تكلي كويت واحدة في العالم العربي، فمن الظلم وقرع موارد ضخمة مثل تلك هي أبدي حلة متخيلة من البشر. ولو خرجنا عن السلطة فقد كان من السهل تناسي الدعم الأمريكي الخامس (وكذا الفرنسي والبريطاني والهولندي وغيرها) للغزو الأندونيسي لشرق تيمور الأمر الذي قارب الإذانة والمستمر حتى الآن ملها ولم تناسي أمور مشابهة كثيرة واضحة.

وقد قام العرب وغيرهم من مراقبي العالم الثالث بإجراء تلك المقارنات المستفدة وظهرت أحياناً كمحاولات صغيفة. بيد أنها ترفض عند هذا الحد. أو تم توجيه اللوم والبرصيح لن قام بها، لأنهم ضد أمريكا ووطن وعاطفون وسخطيهم مغرلة. وفي تقرير للتويوريك تايمز حول ردود الفعل العربية الأمريكية تذكر فلسطيني بارنجر العرب الذين تقابلهم بأن الفصائل التي يقودونها مع الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، لا تأخذ في الحسبان غارقة حساساً: إن الكويت لم تهاجم العراق، بينما كان الجواب

الليباني مولاً للقواعد الفلسطينية التي كانت تنصف الأراضي الإسرائيلية بشكل مستمر، ويمنى عتب بارنجر الزانيق هذا من تقيسة واحدة هي: غياب الزقائع باختصار شلت إسرائيل على جنوب لبنان هجمات عنيفة مدمرة منذ أول ١٩٧٠ وإعادة بدون حتى انصاف الانتماء والاستفزاز فقطت أوف البشر وطرقت مئات الألوف من مساكهم وكان عرضها الذي صاغه الدبلوماسية الإسرائيلية أباً إيهان هو الاحتفاظ بكل السكان رهان تحت تهديد الإرهاب بفرض تحقيق الهدف المنطقي المتحقق لا محالة، وهو: تخسروح السكان المئتين، للمطالب الإسرائيلية. وبعد الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٧٨ والذي وضع المهر الجديري تحت السيطرة الإسرائيلية، قامت إسرائيل بتصف الأهداف المدنية قسماً مكثفاً، وأدت موجة من الهجمات الإسرائيلية المصنوعة بدون أي سبب عام ١٩٨١ إلى لبنان لإطلاق النار سقط فيه سة قتل إسرائيليون ومئات من القتلى الفلسطينيين واللبنانيين عندما قصت إسرائيل مناطق آمنة بالمسكن، والتزمت منظمة التحرير الفلسطينية بوقف إطلاق النار وضعه الولايات المتحدة ولكن إسرائيل كررت خرقه مراراً مما أدى إلى سقوط عديد من الضحايا المدنيين، وكان هذا في شمار سعى إسرائيل اليانس والصعوم لاستفزاز منظمة التحرير الفلسطينية لفعل شيء. ويمكن استخدام كذوبة للغزو المذبر من قبل، وبعد غزو ١٩٨٢ عادت إسرائيل على عاداتها القديمة في قصف لبنان على مرأها مع ممارسة الإرهاب البهع دفى مطقتها الأموية، في الجنوب.

بيد أنه من الظلم أن نلرم بارنجر على قلبها الحقائق رأساً على عقب؛ فالمواديت التي قصتها هي النصف التوازية المبرجدة في التويوريك تايمز وغيرها وفي التي تفكر في مساملة وتدعي الدوجما المستقرة. ومن ثم فإن قلب الزقائع في هذه الحالة على أية حال، هو مجرد نصر ضئيل لا يقاس بالإنتاجات الحقيقية المذلة التي حققها جهاز الدعاية من قبيل تحويل عدوان الولايات المتحدة على جنوب فويتنام إلى جهد نبيل للدفاع عنها ضد الاعتداء.

وبوسعنا أن نقول للقول لنفسه عن المعلقين الآخرين الذين غضبوا وأدانوا العرب

## العردوان المشيين



صنعت هذه الأراضي السورية (وأدلتها مجلس الأمن بالإجماع لولا أن الفيتو الأمريكي قد منع تنفيذ المقاطعة والقرارات) ولكن أيضاً لأن إسرائيل هاجمتها واحتلتها خارقة وقف إطلاق النار. أما في حالة الضفة الغربية، فالمسرحيون سيستطيعون أن يدعوا في معرض دفاعهم عنها أن القوات الإسرائيلية قد استولت عليها بعد دخول الأردن للعرب. وفقاً لاتفاقتهما مع مصر التي هاجمتها إسرائيل.

وعلى طول الخط، نرى كم هو مهم استحالة التاريخ وتشكيله حسب الأغراض التي يطلبها الأقوى وكم هي قيمة مساهمات القدم الخلفين الذين يؤدون وظائفهم.

### ٣ - طرق للابتعاد عن الكارثة:

ولقدرة قصيرة ومضى تهديد في الأفق من أن العلاقة الخاصة مع إسرائيل يجوز أن تأتي إلى المقدمة بعد ١٢ أغسطس ١٩٩٠ عندما اقترح صدام حسين تسوية تربط بين الانسحاب العراقي من الكويت والانسحاب من بقية الأراضي العربية المحتلة: سوريا من لبنان وإسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧. وتكررت للفاينانشيال تايمز للندن أنه رغم أن عرض صدام لم يفضح الأخطار المحيطة فإنه من الممكن أن يفقد بشكل ما، ويوفر طريقاً للابتعاد عن الكارثة خلال المفاوضات، وأكثر من ذلك، فربما كسان على حق في إفسارته إلى أن رفض إسرائيل التخلي عن سيطرتها على الأراضي المحتلة يمثل مصدراً للنزاع في المنطقة، وكذا في رباطه الانسحاب العراقي من الكويت والاتساق الإسرائيلي من الأراضي السورية والفلسطينية عبر السيد صدام حسين عن شيء لا يستطيع أي قائد أو مواطن عربي مهما كان متحيزاً أمريكياً أن يرفضه، وأن رفض مناقشة الموضوع يمكن أن «يقرب مخاطر الحرب الشاملة في الشرق الأوسط وقد تدخل فيها الدولة اليهودية»، إن الموضوع الآتي هو الانسحاب العراقي من الكويت، ولكن في ضوء الاقتراح العراقي مهما كان غرور مرض كما قد يبدو «فإن مصفوفة كل فرد متدخل بما في ذلك القوى الشرق أوسطية والغربية هي أن ينتهز تلك المبادرة ويوطد المبادرة للدبلوماسية باستعراض القوة السياسي والعسكري والاقتصادي الذي

بقوة لمحاولتهم المقارنة مع حرب ١٩٦٧ وأدائها بالدرجة نفسها «تلقاه وجهه، المقدمين التلفزيونيين والصحفيين الذين أتاحوا لهم الفرصة ليتقنوا يمثل هذا الهراء (هنري سيحمان المدير التنفيذي للمؤتمر اليهودي الأمريكي، وفي كندا الحاليين فسر سيحمان لأولئك السبائين التافهين ما حدث «فقد غزت الدول العربية دولة جارة لهم مسألة بدون أدنى استفزاز أو سبب» رغم أن «المعتدين الأول في ١٩٦٧، كانوا «سوريا ومصر والأردن، وليس العراق. وأعلن محرر التاييمز نايلدهم وهم يديرون موسكو وغيرها من الأرباب الأمنيين لمحاولتهم «تقنين حجة بغداد في أن استيلاءها على الكويت يمكن مقارنته بأية حال من الأحوال بالاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية، وهي مفارقة «خاطلة ومربكة بشكل عبي، لأن احتلال الضفة الغربية قد بدأ فقط بعد هجوم الجيوش العربية على إسرائيل، ولا يوجد حتى دافع للسؤال عما إذا كانت إسرائيل قد هاجمت مصر عام ١٩٦٧ وأن الأردن وسوريا قد دخلتا الحرب معهما مثل إنجلترا وفرنسا عندما هاجمت ألمانيا حليفاتها بولندا فنخلتا العرب عام ١٩٦٩. يجوز أن نجادل أن الهجوم الإسرائيلي كان مشروعاً ولكن تحويل يبدو أنه كخلفه لو لم يكن هو الأسلوب المعتاد.

ونلاحظ أن العقال الإسرائيلي للتاييمز قد صيغ بشكل حريص، فهو يشير إلى الضفة الغربية وليس إلى غزة وهضبة الجولان فمن الأفضل التفاوضي عن غزة لأن الأكود أن إسرائيل قد هاجمت مصر واستولت على غزة. من الصعب أيضاً الدفاع عن حالة مرتفعات الجولان، ليس فقط لأن إسرائيل قد

وعرض الآن في الخليج، كان رد العمل الأمريكي مختلفاً، سواء في الاستجابة الرسمية أو التعليقات العامة، لم ترد أية فكرة أنه يجوز استكشاف العرض لإيجاد حل سلمي لأزمة شديدة الخطورة. لم تحدث حتى بادرة كاذبة نحو إمكانية جواز أن توجد نقطة لها قيمة محسنة محسنة في مكان ما في هذا الاقتراح. على العكس فقد رفض العرض باستخفاف شديد. وفي هذا اليوم في نشره أنباء للتلفزيون ظهر الدينامو جورج بوش وهو يهيم مسرعاً ببحته للشرابي ذي الصبر ويجري ويهبط ويهبط للثمن والويلوف وينفق طاقته المذهلة بشقي الرسل في أمور مهمة. وكما صرح كان مشغولاً جداً بالتذرع بحيث لم يستطع (صناعة كثير من الوقت في مثل الذبابة المروعة ذات الزنى العربي، وقد حرضت أنباء التلفزيون على التاكيد على أن انزعاج الرئيس من هذا المزيج كان شديداً لدرجة أنه اضطر حتى إلى إيقاف مسيرة من منبريات الجراف للتعبير عن احتجاجه لما أسماه «الخطأ» ما يدعي عرض صدام حسين، الذي لا يجب الخلط إليه بوصفه عرضاً جدياً. واستجب العرض العراقي عبارة شجب واحدة في تقرير إخباري من المقاطعة الدولية في جريدة النيويورك تايمز في اليوم التالي، وبسرعة مضاعفة مضطرب بحث تلك المقترحات. وقد مرت وسائل الإعلام مثير الكرام على واقعة حدثت قبل هذا بومين حيث نشرت وزارة الزراعة الإسرائيلية تصريحات على صفحة كاملة في الجرائد تقول «إنه من الصعب تصور أي حل سياسي يتفق مع بقائه إسرائيل لا يتضمن سيطرة إسرائيل المستمرة والكامنة على أنظمة التي والصصرف (في الأراضي المحتلة) وعلى البناء الصحي الملازم لها بما في ذلك إمدادات القوى وشبكة الطرق اللازمة لتفكيكه ومصلحتها والوصول إليها، كما أن منح للفلسطينيين حق تقرير المصير الحقيقي «سيهدد المصالح الإسرائيلية الحيوية تهددنا خطيراً، كما أكدت التصريحات على أن «استمرار الوجود الإسرائيلي، مزوون بضمان السيطرة الإسرائيلية على الضفة الغربية، باختصار من غير التدخل أي انسحاب له معنى من الأراضي المحتلة أو قبول للعقود القومية للشعب الفلسطيني وهو الموقف

الرئيسي المستمر للولايات المتحدة وإسرائيل والذي شكل على مدى ٢٠ عاماً الحاجز الأول ضد أي حل سلمي للصراع العربي الإسرائيلي. وأقيمت الوقائع هناك من الصحافة الأمريكية بما في ذلك الموقف الأمريكي الحالي، وهو تأييد خطة شامور - بيرويس التي تعلن أن الأردن هي الدولة الفلسطينية وينبغي أي تغيير في مكانة الأرض التي تحتلها إسرائيل عدا وفقاً لمقتدحات الحكومة الإسرائيلية والتي تمنع أي تقرير مصير حقيقي وترفض التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ومن ثم لنكر على الفلسطينيين حقهم في اختيار مثلهم السياسيين وتدعو إلى انتخابات حرة، تمت السيطرة العسكرية الإسرائيلية العنصرية ومع تمنع معظم القيادات الفلسطينية في سجون إسرائيل. ومن ثم فليس من الغريب أن شروط الموقف الأمريكي، والتي تسمى «عملية السلام» والعلبة الوحيدة في اللعبة، لم تكثر أبداً في وسائل الإعلام الأساسية.

وفي ١٩ أغسطس ١٩٩٠ ظهرت مشكلة جديدة مع اقتراح صدام حسين بترك مشكلة الكويت لتكون مسألة عربية خالصة، تتعامل معها الدول العربية فقط بدون تدخل خارجي كما في الاحتلال السوري للبنان ومحاولة المغرب الاستيلاء على الصحراء الغربية.

وتم رفض الاقتراح بناء على الأسس المعقولة التي تقول إنه في هذه الحالة يمكن أن يأمل صدام حسين في الوصول إلى أغراضه عن طريق التهديد باستخدام القوة أو حتى استخدام القوة. ولكن تم التفاوض عن واقعة مهمة: إن الدكتاتور العراقي قد انتزع مرة أخرى ورقة من كسبه واشنطن. إن الموقف التقليدي للولايات المتحدة بالنسبة لنصف العالم العربي هو أنه لا حق للفرياد في التدخل، فإذا تدخلت الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية أو الكاريبي فذلك موضوع خاص بالنصف الغربي من العالم ويجب حله في النصف الغربي من العالم دونما تدخل خارجي. الرسالة هي: أيها الفرياد انتظروا في الخارج فمن قادرين على علاج شؤنا في الحبة التي يستطيع الإقطاعي المحلي أن يوقع سيطرته التامة عليها.

ولكنكم مثالا واحد فقط ومن الجلي أنه مسلح هذا: في ٢ أبريل ١٩٨٢ وضعت

الولايات المتحدة سابقة بتصويتها ضد قرارين لمجلس الأمن في موضوعين مختلفين في اليوم نفسه. دعا القرار الأول إسرائيل لإعادة ثلاثة من عدد الضفة الغربية المستعبدين إلى مناصبهم وقد كانوا أبحاثاً طازجة للإرهاب اليهودي. ودعا القرار الثاني الأمين العام للأمم المتحدة إلى إعلام مجلس الأمن باستمرار عن تطورات الأزمة في أمريكا الوسطى ويحذر ذكر أسماء ولا اتهام ولكن للقرار ضمانها موجه ضد التدخل الأمريكي في نيكاراغوا. وقد اعترض مندوب الولايات المتحدة على أساس أن القرار يلمى روح الرأب ويسخر من جهود السلام ويهدم النظام بين الأمريكيين، ذلك النظام الذي له الحق فقط في معالجة هذه المسائل بدون تدخل الأمم المتحدة. وهكذا، توبة أكثر لطرفاً من موقف صدام حسين اليوم.

في ٢٣ أغسطس ١٩٩٠، حمل مسئول أمريكي عالي سابق لمستشار الأمن القومي برنت سكوكروفت عرضاً عراقياً آخر وقد نشر كقوليت رويوس في النيوزداي في ٢٩ أغسطس ١٩٩٠ للروس على الجمهور. هذا العرض الذي أكدته الرسل الذي حملته والفتكرات المتبادلة. وفقاً لمصادر مسئلة عن الموضوع عرضت العراق الانسحاب من الكويت والسماح برحيل الأجانب في مقابل رفع الحظر وضمان الوصول إلى الخليج والسيطرة الكاملة على حقل بترول الرميطة، والذي يمتد من الأراضي العراقية إلى داخل الأراضي الكويتية بعض الشيء. كما أكد (رويوس) - وهي منطقة حوراني مليون من الأراضي المتنازع عليها. وفقاً للمذكرات التي ألقطت منها رويوس فمن مقترحات العرض الأخرى أن يتفاوض العراق والولايات المتحدة على اتفاق لفظي يرضى مصالح الأمن القومي للأمتين. «وتمتلأن مما على استقرار الخليج، وتطوران خطة مشتركة لصالح مشاكل العراق المالية والاقتصادية، ولا تكرر لانسحاب أمريكي من السعودية أو أي شروط مسبقة أخرى. وقد وصف مسئول بالحكومة متخصص في شئون الشرق الأوسط العرض بأنه جاد وقابل للتفاوض.

ومرة أخرى كان رد الفعل موجياً. سخر المتحدث الرسمي للحكومة من الموضوع

برمته. وتكررت النيويورك تايمز تقرير النيوزداي باختصار في صفحة ١٤ وهي صفحة بها تمة مقالة عن موضوع آخر. واقتطعت من أقوال مستعبدين رسميين للحكومة رفضوا الموضوع بوصفه كذبا دعائياً. وبعد وضع الموضوع في إطاره الصحيح اعترفت النيوزداي بأن القصة دقيقة واقتطعت من أقوال مصادر البيت الأبيض التي قالت إن الموضوع لم يؤخذ بجدياً لأن السرد يهين يطلب الانسحاب العراقي غير المشروط من الكويت، ولا حظت التاييز أيضاً بهدوء، أن دبلوماسياً شرق أوسطي له اتصالات رفيقة، أخبر النيويورك تايمز منذ أسبوع راي في ٢٣ أغسطس، عن عرض مماثل ولكن الحكومة رفضته أيضاً. ذلك الأتاه لم تكثر رغم أنه أصبح من المستحيل تجاهلها تماماً بعد ترسيبها إلى الجريدة الإقتصادية النيوزداي بعد أسبوع وهي جريدة تباع بصورة في محلات نيويورك مما يعطي صورة سوجبة ونظرية واضحة لما حدث. وقد تخلص آخرين من المشكلة بالكيفية نفسها.

هنا تخضع عدة مميزات للنظام وسائل الإعلام. ومن الممكن أن تحدث الحركات عن الخط الدعائي بسهولة أكبر مما في تلك الحالة كلما خرجنا عن نطاق دائرة الضوء القومية، ومن ثم نواجه عددًا مشكلة تصعيد النصارى. إن الآلية الصحفية القياسية لإخفاء الوقائع غير المرغوب فيها والتي ظهرت إلى النور مع الأسف الشديد وأسرته البعض، هي ذكر تلك الوقائع في سياق اللفي الحكومي لها. وبشكل عام ولاسيافه شروط الموضوعية ترضع للقصة العنصرية وفقاً لأوليات القوة. في هذه الحالة فإن التقرير الإخباري في التاييز - ذلك الذي سيحصل «التاريخ» - يستقي مصدره من السلطات الحكومية. أولاً يتم إنكار الوقائع غير المرغوب فيها بوصفها كذا ثم يتم الاعتراف بدقتها وصحتها ولكن بعدم أميبتها لأن واشنطن غير مهتمة. ونعرف أيضاً أن الجريدة قد أخفت من قبل عروماً سابقة «كاذبة» للسبب نفسه. وهذا يلهم الموضوع برمته. ويمكن التكنس بسهولة وارتياح فقد ألفي التاييز بإمكانية وجود «طريقة لتجنب الكارثة من خلال المفاوضات».



## المردون المشيين

### ٤ - المضي قدماً:

تظهر بعض المشكلات عدد معالجة حقيقة أن حلفاء الولايات المتحدة ليسوا جنابيين على وجه الخصوص. فتمتة فارق شذول بين صدام حسين وبين حافظ الأسد بعض للظن عن الخدمات المالية لاحتياجات الولايات المتحدة. وفي ٢ نوفمبر ١٩٩٠، ذكر تقرير غير ملامم لمنظمة العفو الدولية أن قوات الأمن السعودية قد عذبت وأهانت مئات من «العمال المينيين المنبوذ» وطردت أيضاً ٧٥٠ ألفاً منهم «دون سبب واضح غير جنسيهم أو لثقتهم في ممارستهم لوظائف الحكومة السعودية في أزمة الخليج». وتفاضت الصحافة عن ذكر ذلك، رغم أنه في حالة الدول العربية توجد وفرة في المعتقلين الذين يكشفون طبيعتهم الشريرة.

أيضاً يحتاج التحالف مع تركيا «حامية السلام» في قبرص إلى بعض الحرص، خاصة بسبب مسألة الأكراد في شمال العراق فمن المصعب ألا نلاحظ أنه من الممكن إضعاف القوات العراقية لمواجهة للقوات الأمريكية إضعافاً شديداً لو ساندت الولايات المتحدة تركيا كبردياً. وقد رفضت واشنطن هذا الخيار على الأغلب لغربها من انتشار التمرد الكردي من العراق إلى شرق تركيا حيث يعاني السكان الأكراد (الذين لا يعرفون الأتراك بكونهم كذلك) من اضطهاد وحشي. وقد لاحظت البول ستريت جورنال في لنتاه صغلى نادر للموضوع، أن الغرب يفتي من أن يصف التحالف المعادي للعراق أو أكثر «المسألة الكردية» مع تركيا وسوريا وإيران». ويضيف التقرير أن حكومة الولايات المتحدة رفضت أيضاً باتاً مقابلة زعيم كردي عراقي

زار واشنطن في أغسطس «لمطلب الدعم» وأن الأكراد يقولون إن لنقرا تستخدم أزمة الخليج وما نجم عنها من شعبية لتركيا في الغرب من أجل قمع الأكراد».

حتى في هذا الموضوع المسأوري، تم الحفاظ على النظام. وصعوبة شديدة سجد كلمة واحدة لروما لا لجد أي كلمة على الإطلاق. عن استخدام حكومة بوش لتضمينه بعدة ألوف من أرواح الأمريكيين - حتى مع تفاضينا عن مسألة الأكراد الذين استغلوا بأنفسهم درجة من درجات اللراء والنفاق على يد الحكومة وسائل الإعلام. من الضروري أيضاً أن نعامل بشكل ما مع واقعة أنه قبل هجوم صدام حسين على الكويت، عاملته حكومة بوش وأعلنها هذا القاتل السراح على أنه صديق حميم وشجعت التجارة مع نظامه والقروض لمساعدته على شراء البضائع الأمريكية. وتقبلت دعمت واشنطن غزوه لإيران ثم ازداد ميلها إلى العراق في حرب الخليج حتى إنها أرسلت قوات عسكرية لحماية النفط البحري من إيران (وكان التهديد الرئيسي للنفط البحري هو التهديد العراقي). واستمرت في هذا الخط حتى بعد أن هاجم الطيران العراقي البازجة الأمريكية مشاركا في ١٩٨٧. وبينما تسارعت الأمة لتدمر الوحش أعلن عضو الكونجرس عن تكساس هنري جوتز أليس رئيس لجنة البترول في. للجلس أن ينكأ وإحدى فقط مقره أطلانطا قد قدم ٣ بلايين دولار خطابات ضمان للعراق منها ٨٠٠ مليون دولار تضمه هيئة القروض المتعلقة بالمشتريات الزراعية والتي تضمن القروض البنكية لتمويل تصدير المنتجات الزراعية الأمريكية. وإدعى جوتز أليس كذلك أن ثمة دليلاً مقبوساً على أن العراق قد حصل على أسلحة لروما أسلحة كيميائية أيضاً في غمار هذه الصفقة، وقال «لا شك أن تلك التورق قد مرتت غزو الكويت حقاً، و لا شك أيضاً أن الجانب الأعظم من هذا القرض كان للتسلح، وقد ناقشنا من قبل محاولات حكومة بوش لتدعيم صدام حسين التي أعلنت مع بداية عملية «الهدف للعبول» لتخفيض السلام من ظلم مانفول نوريجا وعدم وجود أي رد قبل أو حتى ملاحطة. ومن الصعب تجنب هذه المسألة غير المريحة جداً، ففي ١٣ أغسطس اعترفت الليبيريك تليز أخيراً أن

العراق قد وصل لقمة قوته «بمرافقة الولايات المتحدة وأحياناً بمساعدتها» بما في ذلك «تجارة الحبوب المزدهرة مع المزارعين الأمريكيين والتعاون مع وكالات المخابرات الأمريكية وصممت البويز الأبيض عن نقد قتلهم في مجال حقوق الإنسان والعمليات الحربية، فمذ ١٩٨٢ «صارت العراق واحدة من أكبر مستوردي القمح والأرز الأمريكي، فاستوردت ما قيمته ٥.٥ بليون دولار من الباشية والمصاحيل باستخدام قروض فدرالية مضمونة ودعم زراعي وتقدمها السحب» وتصلت كذلك حوالي ٧٧٠ مليون دولار قروض مضمونة من الحكومة لشراء بضائع أمريكية أخرى بالرغم من تعلقها عن مداد البوبون. وحسب بيانات ١٩٨٧ - وهي آخر البيانات المتاحة - استورد العراق ما يزيد على ٤٠٪ من طعامه من الولايات المتحدة ونسل الحراق في ١٩٨٩ بليون دولار ضمانات قروض ويأتي في هذا الصدد في المركز الثاني بعد المكسيك. ويذكر تشارل جلاص أن الولايات المتحدة قد صارت السوق الرئيسية للنفط العراقي، في الوقت الذي دمجت فيه الغرفة التجارية الأمريكية العراقية والتي يرأسها دبلوماسيون سابقون ورجال أعمال مرموقون، صدام حسين ممحاً شديداً نظراً لاحتلاله وإتباعه امر لديمقراطية، وتفاضت حكومتها بوش وريجان تقريباً عن شراء العراق لطلانات مروحية أمريكية وتحويلها للأغراض العسكرية مما يخرق الوعد التي قطعتها على نفسها، وكذلك عن استخدامها لتقازات السامة ضد القوات الإيرانية ومواطنيها من الأكراد وأيضاً عن تهجيرها لصف مليون كردي وسردى بالقوة ضمن غورها من النطالع.. مجرد خطأ في التقدير أو وفقاً للرأية إلى صمة إحدى تكات التاريخ. ولم طرح أي تساؤل عن سبب نشر التنازع لهذا الآن بعد تحول واشنطن ضد العراق ولين قبله.. مثلاً عند غزو بنما - عندما كان الحلول متورفاً وبسولة وريما كان هذا اللفر قد ساعد على تجنب ما يحدث الآن!!

وكانت ثمة مهمة أخرى هي إلقاء الة أن مبررات الحراق لتفقه الصريح للقانون الدولي تشابه تلك التي قبلها لشرق وسال الإلام بل في بعض الأحيان تمدها في حالة الصخران العميد الذي تقوم به الولايات

المتحدة وعملها. فقد زعمت العراق أن ثمة تهديداً خطيراً لاقصانها نتيجة خرق الكويت لاتفاق الأوبك حول محسن الإنتاج النفطية من شأنه أن يضرب بمحاولة العراق تخطي أزمة حربية مع إيران. ولا جفان أن هذا الخرق يضرب العراق شتراً شديداً. ولم تهازل شكوى العراق في هذا الصدد تجاهلاً تاماً مطها مثل اتهامها. قبل هجومها على الكويت، للكويت بأنها تسحب النفط من المعقول الصوديوم مما يؤدي حسب الزعم العراقي إلى انضوب المعقول العراقي ويشكل «سرقة تصل إلى حد الاعتداء العسكري». ويبدو أنه لا ذكر لهذه الاتهامات في ذلك الوقت رغم أنه بعد شهر من هذا كان ثمة اعتدال ملحوظ بأنه سواء كان صدام حسين مثل هتلر أو أفاة بعض المدن في جانبه، ومن وجهة نظر العراق فقد تصرفت الحكومة الكويتية، تصرفات عدائية وتمثل حرباً اقتصادية، وبالتالي ثمة رنة مؤلمة لهذه الصيحة العراقية؛ فقد سمع موثق الأمم المتحدة للولايات المتحدة بحق الدفاع عن مصالحنا بالقوة، وفقاً لوجهة النظر الرسمية الفتحمة لتدوير غرض بذا. وقد كان الهجوم الإسرائيلي على مصر عام ١٩٦٧ بسبب الانحياز الاقتصادي الناجمة عن تضييق الاحتياطي أثناء فترة الأزمة والتوتر. وقد بررت الولايات المتحدة خطواتها لمواجهة العدوان العراقي، بوجود تهديد متضمن للمصالح الاقتصادية الأمريكية كما في حالات عديدة من حالات التدخل والغريب، ولم يكن للتهديد الذي شكله الأفعال الكويتية على المصالح الاقتصادية العراقية تهديداً متنياً. ويشكل أكثر صعوبة فقد برز الديقاقور العراقي عدوالة على أنه عمل بيهل، فداغاً عن الأمم المتحدة، مدعي أن الكويت كيان مستقل وجزم من قرأت الاستعمار الأوروبي الذي شكل العالم العربي وفقاً لمصالحه الأتالية.. وضمت هذه الأليات لأفيد الثورة النفطية المضخمة العالم العربي البماهيمة العربية ولكن القوى الصناعية الغربية وقلة محدودة من النخبة المرتبطة بها، ويرغب للفن الشديد في موقف صدام حسين فإن الاتهامات لا تغفل من رجامة ولها قبول جماهيري ملحوظ، ليس فقط بن ٢٠٪ من السكان غير الكويتيين الذين يودون العمل الذي يخسر الأقبية

المراطة وليس «الأشقاء العرب». وقد لوحظت كراهية الولايات المتحدة بين شعوب العالم العربي ولكن بدون أي تحليل جدي لسبب رحمتية وجود هذه الكراهية، ورد للنفط الموهود هو إرجاع هذه الكراهية إلى المشاكل الشورية والمناطية لشروب تخطها مشكلة التاريخ نظراً لبقائهمها. وقد يكون من المستحيل تقديم تقرير مطلق عن مسائل محورية مثل الخلافات المتداخلة بين الولايات المتحدة وإسرائيل وقسطن حيث إن الجهود الأمريكية المعنوية واللوجستية جداً لمنع تحقيق تسوية سلمية سياسية قد حذفت من التاريخ بكتابة مقطعة التطوير. ويسهل الترتب الشديد والعصرية المضادة للعرب في الثقافة السائدة من للعبة الموهودة التي ترجع كراهية الولايات المتحدة لأخطاء الآخرين. والكتاب السائد هو أن العرب لا حق لهم أساساً في النفط الذي وضعته السدفة الجيوبولوجية تمت أقتانهم. وكما شرح والتز لاكور أسئلة عام ١٩٧٣ يمكن تدويل نفط الشرق الأوسط ليس لمصلحة بنمع من شركات النفط ولكن لمصلحة كل البشرية؛ ويمكن تحقيق هذا باستخدام القوة فقط بيد أن هذا لا يمثل معضلة أخلاقية، لأن كل الرفاه هو مصبور بعض مشايخ الصمراء.. فقط من الصنوي تصوير هذا بعض الشيء.

اقرأ بدلا من كلمة «تدويل» عبارة «سيطرة الولايات المتحدة وعملها»، طالما ظلوا مؤيدي مخلصين لإسرائيل، وأقرأ بدلا من كلمات «بنمع من شركات النفط، عبارة العرب الذين لا يستحقونه». وهو المنطق نفسه الذي سبقه المنفارية عند غزوهم للصمراء «تلكي كويت واحدة»، من المنطق أن تقع الموارد الغنية في أيدي بشر لا أهمية لهم عندما يكون الرجال الأغنياء الذين يمكنهم العالم في حاجة إليها. وبالطبع فمختور الغرب أربع بكتير من مختور المغرب فهو ينشئ كل المنطقة، وكل موردها في الواقع مورد العالم بأكمله.

وبالمثل فإن الاهتمام الشديد بمصلحة البشرية، الذي أظهره لاكور وأخرون لم يود بهم إلى اقتراح تدويل نفط أمريكا الشمالية ونفط الشرق الأوسط أثناء أعوام ما بعد الحرب العالمية الثانية عندما كان الغرب بقيادة الولايات المتحدة، وسيطر سيطرة تامة

على مصادر الطاقة، ولا جعلهم يصلون للاستنتاجات نفسها فيما يتعلق بموارد لقرب الزراعية والصنعية والصناعية التي تحتفظها بمدنحي السعادة والرضا الأمم الغنية، وكالمادة يرتكز التدويل على قيمة «الأمية».

من السعيد أن نتذكر كم هو قليل الجديد في كل هذا. لنذكر للتسميرات السابقة حول عدم أخقية المكسيكيين عديسي الكفالية الرؤساء في التحكم في مصبور أراضيهم الغنية. وبعد بداية هذا القرن أربح المورخ والإستراتيجي المشهور ألفريد. ت. باهال الأدميرال المشروف بالتزامه بالقيم المسيحية وقوانين الحقوق الطبيعية أربح أن هذه الحقوق يجب توريثها في حالة البلاد عديمة الكفالية ميث الصين وأنه يجب تحقيقها بثلث الكيفية ميث نصن الحق الطبيعي للعالم بأكمله لضمان عدم إهمال تلك الموارد أو إساءة استخدامها، فإن حقوق البشرية أهم من حقوق الصيديين فهم «خراف بدون راع» وتجب قيادتهم وتقسيم بلادهم وتطويعهم العقائل المسيحية وباهتمام التحكم بهم من قبل الساسة الغربيين لتأكيد الذات العادلة فقط لا لغرض ذاتي ولكن لرغابة البشرية جمعا. إن الأفكار الضخيمة لها أسلوبيها في تكرار الظهور في كل عصر.

## ٥. الأمم المتحدة تتعلم قواعد السلوك:

وعلى شور المائدة تلتك الأمم المتحدة تقريباً كيبور. فقد حيا مخترو البريطان جلوب تمت عفوان «تدوم عصر الأمم المتحدة»، حدوث تغير ملحوظ في تاريخ المنظمة، وظهر هو جرحيد من المتدولبة والجدية، والأمم المتحدة لأزيد مبادرات الولايات المتحدة لمعاقبة الممتدى وحب عدة آفرون بهذا الانحداد المسموع عن المنطق السابق المسجل.

وقد عزى التغير المصحوف في سلوكيات الأمم المتحدة إلى التضمن في سلوكه المنو لوسيفي والتحصار الولايات المتحدة في الحرب الباردة. ويفرض مقال إخباري في الجلوب إن «إدانة موسكو لنفسه العراقي بسرعة قد حورت مجلس الأمن الذي ظل مشغولاً فترة طويلة بسبب النزاع بين القريين العظيم ويكتفه من أن يلعب دوراً حاسماً، في الرد على الاعتداء». ويكتب مراسل التايمز ج.و. أبجل أن واشنطن «زاد اعتمادها

## العدوان المشبين



كثيراً في صياغة سياساتها على الأمم المتحدة التي صارت الآن أكثر وطنية وحركية عنها في عقود خلت بهذا سبب انتهاء الحرب الباردة، ورحب مقال افتتاحي في التايمز بالتغير الشغل في اتجاه اليمين، مع تحول الأمم المتحدة (خيراً) إلى الجدية، فصمت «معظم نقادها» واتحت للرئيس بوش للفرصة في متابعة مجهوده النبيل لخلق نظام عالمي جديد لحل للنزاعات عن طريق الدبلوماسية متعددة الفروع والأمن الجماعي، وواجه جون كوشنوك في الواشنطن بوست خلفية هذه اللحظة الحاددة في تاريخ الأمم المتحدة «إلى فجأة بدأت في العمل بالطريقة التي صممت من أجلها» وتحوّلت إلى هيئة من أجل السلام العالمي بعد سترات من رفضها نظراً لفتلها للذريع ولأنها صارت منصة ديماجوجية العالم الثالث خلال نزاعات الحرب الباردة الطويلة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحلفائهما، لقد تذاوى المفهوم الأصلي للأمم المتحدة كحارس للسلام في العالم في البداية كتنجية للحرب الباردة المستعرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. في هذه الأعوام الأولى كانت سريرة الأمم المتحدة التي انطبعت في ذهن العالم هي صورة السندوبين السوفيتي-المتجهمين وهم يعترضون على قرارات مجلس الأمن أو يسحبون منه، بينما جرات الدول الأعضاء الجديدة من العالم الثالث الجمعية العامة إلى منصة للهجوم المتوف على الغرب..... ثم ومنذ عامين تقريباً بدأ يبحث تغير في هذا كنتيجة للتغيرات في السياسة السوفيتية الخارجية الموجهة نحو الرقابة، وأضاف معلق اليوم السياسي للرئيس دافيد يور

(بصمته قائلاً: «أنهاء أحوال الحرب الباردة جعل القويو السوفيتي وعدائية معظم دول العالم الثالث من الأمم المتحدة هدفاً لاحتقار معظم المواطنين والسياسيين الأمريكيين.. لكن في المناخ المتغير اليوم ثبت أنها أداة فعالة لقيادة العالم وضعتاً هيئة يمكنها أن تؤثر في السلام وحكم القانون في المناطق المستطرية، ويقتحج جورج بوش تحوله القدي سياسة الحكومة في النيوبيورك ويغير بقره «مع نهاية الحرب الباردة وبداية أزمة الخليج صار بإمكان الولايات المتحدة الآن أن تختبر قيمة المفهوم الويلسوني عن الأمن الجماعي اختياراً لخدمة طوائ الأعوام الأربعين الماضية للويو السوفيتي التي في مجلس الأمن، ويقول الصهر مارك أريان في تقرير لبي بي سي عن الأمم المتحدة «مراراً وتكراراً أثناء الحرب الباردة، استخدم الكرملين القويو لحماية مصالحه من تهديد تدخل الأمم المتحدة، فلطالما ظلت الإجابة هي لا بالروسية، ظلت مناقشات مجلس الأمن مسخلة، لكن الآن، اختلف السلوك السوفيتي تماماً، مع لقتصاد قحاضي، وقالند يؤمن بالتصالح، من لم عيلند أن نذكر أن الخلاف بين القوى العظمى والتعب الرئيس والقويو السوفيتي المستمر والمشاكل النفسية لدول العالم الثالث، قد حال دون تحمل الأمم المتحدة لمسؤولياتها في الماضي.

وقد تكررت تلك الموثفات في عشرات من المقالات العماسية وكلها ذلت خاصة ملحوعة: لا يوجد دليل يقدم ادعم هذا الذي يبدو أنه حقائق جلية لا تحتاج إلى أدلة. وثمة طريقة لتحصيد سبب فشل الأمم المتحدة في أداء دورها في حفظ السلام. فلم فقط مراجعة سجل القويو في مجلس الأمن وسجل الاعتراضات الملبي للمعزول في الجمعية العامة، ورفض نظرة سريعة إلى الوقائع سبب وضع للتساؤل على اللف لمصلحة للتوليروجة السياسية ذاتية للخدمة.

فلمذ عام 1970 والولايات المتحدة تتقدم - وبمسافة كبيرة - للجمع في الاعتراض على قرارات مجلس الأمن ورفض قرارات الجمعية العامة في كل الموضوعات ذلت الأهمية. يأتي بعدها في المركز الثاني ولكن بفاقر كبير بريطانيا وأساساً في مجال دعمها للنظام المتحصري في جنوب أفريقيا. إن

السندوبين المتجهمين الذين يصوتون معترضين يحدثن الإنجليزية بطلاقة. بينما صوت الاتحاد السوفيتي بانتظام مع الغالبية الساحقة. وفي الحقيقة كان من الممكن ازدياد شدة عزلة الولايات المتحدة لولا حقيقة أن قوتها الهائلة قد منعت معظم الموضوعات الدولية من الوصول إلى جدول أعمال الأمم المتحدة. قد أدبى القويو السوفيتي لأفغانستان إداة سريرة مراراً وتكراراً بيد أن الأمم المتحدة لم تكن مسطعة أبداً ليحث حرب الولايات المتحدة ضد الهذد الصيني. ولتوضيح هذا بإمكاننا استخدام دورة الأمم المتحدة التي تسبق «التغير الشغل في اتجاه اليمين» مباشرة شتاء 89-90 م. الاعتراض على ثلاثة قرارات لمجلس الأمن؛ إدانة لهجوم الولايات المتحدة على سفارة نيكاراجوا في دما «فيتو أمريكي واقتناع بريطاني»؛ وإدانة لغزو الولايات المتحدة ليدما «فيتو أمريكي بريطاني فرنسي»؛ وإدانة للممارسات القسرية الإسرائيلية في الأراضي المحتلة «فيتو أمريكي»؛ وكان هناك قراران للجمعية العامة يدعوان كل الدول لاحتزام القانون الدولي؛ أحدهما يدين دعم الولايات المتحدة لقوات الكونترا والأخر يدين المقاطعة غير الشرعية لنيكاراجوا. وبرز للقراران مع اعتراض دولتين فقط هما الولايات المتحدة وإسرائيل. وصدر قرار يمارض الاستيلاء على الأراضي بالقوة بأغلبية 151 ضد 3 هي «الولايات المتحدة وإسرائيل والدمنيكان». وقد دما هذا القرار مرة أخرى إلى إيجاد تسوية سلمية عن طريق الدبلوماسية المعتد في إطار الحدود المعتد بها وضمانات الأمن مستضماً كلكتا قرار الأمم المتحدة رقم 242 وحق تقرير المصير للفلسطينيين داعياً ضمها إلى تسوية على أساس دولتين. والولايات المتحدة تعارض هذه التسوية بمفردها تقريباً. كما تظهر مرات التصويت الأخيرة منذ اعتراضها على هذا الاقتراح في يناير 1977 والذي قدمته سوريا ومصر والأردن بتأييد من منظمة التحرير الفلسطينية. ولقد اعترضت الولايات المتحدة مراراً على قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة وبغیرها من مبادرات الأمم المتحدة في موضوعات عديدة ومتنوعة وتشمل العدوان والضم وانتهاك حقوق الإنسان ونزع السلاح والالزام بالقتالون الدولي والإرهاب

وغيرها. وقد انتهت الدبلوماسية تايمز في غمرة تصميمها المتفاني للقانون الدولي والأمم المتحدة مرات عديدة إلى شخصية بطولية واحدة؛ دانييل باتريك مونيهان، ووصفته بأنه شاعر عيان على «روح الإجماع الواحدة في الأمم المتحدة، شارة أنه كان شمة خرق بشع للقانون الدولي في الماضي، ولكن الآن ومع تدخل مصالح القوى العظمى فقد صارت ألبسة الأمم المتحدة تمتع بالطلب، وقرنتت «اللزامة الشديدة بالقانون الدولي، في مقالة نقدية لدراسته «قانون الأمم». ويلاحظ كاتب المقال «غضب القناني لتكمي، الذي يذكرنا بالأستاذ المحسم الذي يشك في أنه لا يوجد من يصمعه، بينما هو «بحرق الإرم غيبًا لأن أحد المبادئ الأخلاقية التي لا تنازل فيها مثل القانون الدولي يخرق بانتظام على أساس أنه مجرد ساذج ويمكن التخلص منه، وينرف أوصًا من قصة في مجلة التايمز أن مونيهان «غضب فرحًا شديدًا، لتدويت صحة أربله بعد نضاله الطويل من أجل إقرار القانون الدولي ونظام الأمم المتحدة، تلك الأفكار المجردة، والتي، تصلي الكثير، بالنسبة له. وأخيرًا لمطحي الجميع «مصان مونيهان المفضل، بدلًا من تجاهل المبادئ التي جعلها باقتناع شديد طوال هذه الأعوام. ولا حاجة الآن في أن يظل: «مونيهان شهيدًا، فإن «ركب التاريخ قد لحق به».

حذف من هذا السند مرجعة سبيل مونيهان عندما كان مندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة عندما وإنه الفرصة لتطبيق مبادئه. ففي برقية لهفري كيسلنجر في ٢٣ يناير ١٩٧٦ شكر مونيهان «التقدم المنسوب، الذي حققه باستخدام «تكميكي لي للذراع في الأمم المتحدة، من أجل «الهدف الأساسي للساسة الخارجية، ألا وهو «تفتيت التجمعات الدولية الكبيرة ومسطحها من دول جديدة، والتي تجمعت ضدها في المحافل الدبلوماسية والقماءات الدولية عامة ولفترة طويلة، وقيم مونيهان حاليين مهمتين كمثال: الأولى نجاحه في إفساح رد فعل الأمم المتحدة ضد لفرو الأندونيسي لتدمير الشرقية، «والثانية المعوان المفري في الصحراء وكلامها دعمته الولايات المتحدة والأثر بحاسة خاصة. وقد أضاف في الحديث عن هذه الأمور في مذكراته عن أعمال خدمته في الأمم المتحدة

حيث يصف صراحة دوره عندما غزت أنونوسيا تومور الشرقية «قد مدت الولايات المتحدة أن تصل الأسر إلى ما هي عليه الآن وعملت على تحقيق هذا وزعت وزارة الخارجية في إثبات فشل الأمم المتحدة التام في أي إجراءات قد تتخذها، وأنبئت ذلك المهمة بي وقد حققنا بنجاح غير قليل.

وأضاف أنه في غضون أسابيع قليلة قُتل ٦٠ ألف شخص، أو ١٠٪ من تعداد السكان أو تقريباً نفس نسبة الضحايا التي تكبدها الاتحاد السوفيتي أثناء الحرب العالمية الثانية. وتعلينا حلقة الأمم المتحدة التي «خربنا بها مثل هذا، بعضًا من المعض حول المناخ للقائي السائد، فألام المتحدة ذات وظيفة اليوم لأنها تؤدي بشكل أو بآخر ما تريده وإططن، وهي واقعة لا علاقة لها إطلاقًا بنهاية الحرب الباردة أو الروس أو أمراض العالم الثالث، فالمنصة الباردة ضد الغرب التي ولورها العالم الثالث كانت عادة دعوة للاحترام بالقانون الدولي، ولأول مرة حدث أن الولايات المتحدة وحلفاءها قد عارضوا أعمال العدوان والضم وانتهاك حقوق الإنسان من بلد ما تدمرت الأمم المتحدة من القويو السامد للولايات المتحدة - المملكة المتحدة. ولأن هذه العقائل لا يمكن قولها فهي غير موجودة.. إنها تدخل في نطاق «تفويه الواقع، أي للتاريخ الحقيقي؟ وليس «الواقع ذاته، أي ما نرغب في تصديقه» تلك عناصر أساسية في فهمنا الثقافية التقليدية.. ومن خلال هذا نتضح كذلك فيما الأخلاقية التقليدية خاصة من تباير مفاومه النخبة لعلط الولايات المتحدة الأمريكية الحربية. وكانت إحدى العلامات المبكرة مقابلة مع قائد القوات الأمريكية للجنرال نورمان شوارزسكوف وقد أعلنت الصفحة الأولى في النيويورك تايمز وافتتحت كما يلي: قال قائد القوات الأمريكية للرواجية العراق اليوم إن قرائه بإمكانها تدمير العراق بيد أنه حذر من أن التدمير الشامل لهذا البلد قد لا يكون في مصلحة توازن القوى في المنطقة على المدى البعيد. وقد أوضحت آخرون مطى مذكراته. وكما نل نطى كوبيت لخصائيل الشرق الأوسط في التايمز جوديث مولر تحت عنوان «مسألة التكلفة السياسية للصراع»: «قلة هي التي تشك في أنه لو

حدثت حرب في الخليج الفارسي يمكن أن تحول الولايات المتحدة وحلفاءها بغداد إلى ساحة للانتظار حسبما صرح مؤخرًا دبلوماسي أمريكي في الشرق الأوسط.. بيد أن هناك مقلين عديدين يظنهم قلق مزائد بشأن التأثير السلبي المحتمل لهذا النصر على المصالح الأمريكية بعيدة المدى في المنطقة. فقد حذر وإيام كرو الرئيس السابق لهوية الأركان المشتركة في الأبحر الماضي، «من أن عربًا كثيرون سيؤمنون بشدة الحملة التي ستؤدي بالضرورة إلى مصرع عدد ضخم من أصفاه المسلمين.. باختصار بإمكاننا نزع ١٧ مليون نسمة ومسح دولة عن وجه الأرض بيد أن الإيادة الجماعية قد تكون خطرة دور حكيمة كتكميكا وضارة بمصلحتها. وقد نوقشت الأطروحات مناقشة محاذية في عدة مقالات والملاحظ صدم وجرى أي عصابات على «الذقة التي أظهرها مكتب العهد عام ١٩١٩ حول استخدام المازات السامة ضد القتال غير المتحضرة، وإمكان أولئك الذين عبروا عن قلقهم حول تراجع قيمنا التقليدية أن يطمئنا.

## ٦ - المستبدون والقويون:

والشيء المفقد بشدة في القصة هو رد الفعل السائد أو التهديد السرايبي الذي انتهى الآن بلا رجعة. وقد اتفقت بشدة عدم قدرة الرئيس على تحقيق الأهداف المطلوبة ولكن أسباب تردده لم تحسم، والأكيد أن ذلك الانتقادات ظالمة. من الصعب على الأمر توقع الحقيقة مطلما هي الحال في الماضي وخاصة في غياب الأعتل المعهودة القياسية. وقد اتفقت أهد التجارب طريقًا آخر وهو تقصي التفضعات التي ألقى بها واستخدم مطومة قدموها حول ما يمكن أن يشار، وأحيانًا اضرفت بعض الأصوات بالواقع لتجاهل عادة: أن للتحدث في دول العالم الثالث يصحح دائما إهمامات الولايات المتحدة الإسرائيلية والاقتصادية وفي هذه الحالة «ندعم دولة أربله التي تدعز لمساك وإططن.. ولقد نذر إلى المهمة العراقية على أربح من أرفق مصادر الطاقة في العالم بوصفه تهديدًا خطيرًا وفي وجهه نظر صريحة. بينما في المقابل تعتبر ميمة الولايات المتحدة على موارد العالم العربي ميمة حميدة، وهي بالتأكيد ليست كذلك

## العدوان المشيبي



حدث رد فعل إسرائيلي محمّر تجاه العدوان العراقي فسيتم النظر إليه على أنه عمل مشروع للدفاع عن النفس ولاحظ أيضاً أن عبارات معتدل مؤيد للغرب وقومي شرس معاد للغرب في عبارات فتنافضة، تتضمن عبارة مؤيد للغرب معنى الاعتدال وعبارة معاد للغرب معنى الشراسة للقومية أي الشر والتعصب.

### ٧- النهج الدبلوماسي:

بحلول منتصف أغسطس كان من الواضح أن الولايات المتحدة لا تقود حقاً جماعة أتتدب متزايدة في الأمم المتحدة على تحاول تعبئة الأمم لحصصها عند استخدام القوة في الخليج، فبرغم التهديد والالتعاضد والتعلق لم يستطع دبلوماسيو الولايات المتحدة المتمركزون تجميع أكثر من تواجد رمزي في أي شيء أبعد من المقاطعات والحظر الذي حاولت الأمم المتحدة فرضه في حالات العدوان الأخرى وعادة ما كانت الولايات المتحدة تجمع هذا. وكان من الصعب عدم ملاحظة عزلة الولايات المتحدة في الصحراء السورية الجفوت للنظر عن بريطانيا، ولكن لم تترك التصاولات حول الخط الرسمي الذي يدعي أنه عندما وقع العالم في أزمة فإنه يستدعي الأساور ونحن اليهودي، الفقراء والأغنياء بدرجة كافية لحمل العبء الملقى على أكتافنا.

أعلنت ألمانيا أنها لن تساعد في ترويض الصلوات العسكرية الأمريكية لأن الاتفاق بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية لتفريق ثنائي ولم تصرح به الأمم المتحدة ولتعزيز الجماعة الأوروبية بدفن السوفيت. وقد صرح وزير الخارجية الإيطالي معلقاً على قرار الجماعة الأوروبية بعدم دعم العمليات العسكرية للولايات المتحدة في الخليج مع تقديم ٢ بليون دولار في عام ١٩٩٠-١٩٩١ (حزلي ١٥٪ من التكلفة المتوقعة) للدول التي تعاني من الحظر بأن «العمل المسمى الذي قامت به الولايات المتحدة كان عملاً مفقوداً.. ولا تتساوى مبدأ أنه (لا ضرائب بدون تمويل)، وقد وافقت اليابان بأبدي على تقديم أقل لتقليل بينما ادعت كوريا الجنوبية الفقر.

وفي العالم الثالث أخوس رد الفعل ولم يكن هناك تصم لجهود الولايات المتحدة

لصعق السكان الذين يسكنون الكويت أو المنطقة عامة أو آخرين غيرهم في أماكن أخرى ولكنها كذلك بالنسبة للناس المهمين، فحين نرى ذلك المبدأ الأساسي نفسه - يجب أن تكون موارد العالم وحكومته في أيدي الأغنياء الذين يعيشون في سلام داخل منازلهم، يجب حفظ الجوعى والمفقرين في مراكزهم. وينس الغرضيات التفرشافية فإن الأغنياء الذين يأمرون بأسرنا في للسلام العربي هم معتدلون منهم في ذلك مثل موسوليني وسهوارتو وجنرالات جرائملا وأخريين غيرهم. وفكرت البرويرك تايبر في تقريرها عن عواقب الغزو العراقي «أن الشرق الأوسط قد انقسم الآن انقساماً واضحاً إلى معسكر معتدل مؤيد للغرب، وجمع قومي شرس ضد الغرب، وهو يشمل رجل الشارع العربي، كما لاحظت جريدة يومية ترسنية في معرض تعليقها على ازدياد أتتدب العراق بين شعوب الدول العربية الأكثر فقراً» ويضيف برقرار تيولر أنه «لو نفذ صدام هذا «سيؤدي إلى ازدياد حبيته وسط ملايين العرب الفقراء الذين سيحولونه إلى بطال والذين بإمكانهم خلق مناصب ألمية في الدول العربية المعتدلة والمحافظة تلك التي يحكمها ويديرها الأسراء وخريجو كليات إدارة الأعمال الذين يتبرهم ملايين رجال الفقراء مغتربين وسجنون لله بينما قريبهم مع بلى أمية. وتجرى بنا ملاحظة أن تيولر قد اتبع النهج المسائد في إدانة صدام حسين كموالين مغتري لمجديده بخدمهم إسرائيل انتقاماً من العدوان الإسرائيلي وهو الأمر الذي يتم تجاهله تماماً كما في هذه الحالة أو يرفض على أنه غير ذي بال. وبالتقارنة فـ

وعادة كان ثمة معارضة جماهيرية. وبصفة عامة احتفظت الدول العربية بمسافة، وقد أظهر استطلاع للرأي في قرى السوالية للغرب أن ٩٠٪ يؤيدون العراق وأدان كثيرون الكوليك بمكساليين، الذي انتص من سرك الولايات المتحدة تجاه العدوان الإسرائيلي والصم والتهككات حقوق الإنسان. ولاحظ المعلقون ملاحظة صابرة أن تأييد مبادرة الولايات المتحدة العسكرية كان أقل ما يمكن في الحكومات ذات الحركات الديمقراطية الوليدة، وهي الأردن والجزائر وتونس لجويث ميلن. وغير المحتلين الحكوميين عن قلقهم من أنه مع استمرار القوات الأمريكية في مواضعها لفترة طويلة، فإن المناصب الإسلامية كالجع ورمضان ستصبح للشعوب مزيداً من حرية التعبير عن مشاعرهم، وقد تردد إلى «إطلاق مخاطر احتجاج وربما انقلابات، تطوع بالحكومات الوليدة للغرب في المنطقة وتسبب بساط للشريعة الدبلوماسية من تحت أقدام القوات التي تقودها الولايات المتحدة في مواجهة (بيتر جوسلوفين) والذي ذكر أيضاً وبكل ثقة أنه لم يوجه أي من نقاد الحكومة في الكومبريس أي أسئلة حول سيادته بوش الأولى التي ترى أن الخليج العربي له أهمية قصوى بالنسبة للولايات المتحدة ومن لم فيجب عليها أن تدافع عن مصالحها فيه باستخدام القوة العسكرية، وهو مبدأ أساسي يرحب به صدام حسين بكل تأكيد. وقالت أخصائية الشرق الأوسط في معهد ركنسج جويث كيجير، بالنسبة لي فإن الأطروحة المركزية هي الأنظمة في مواجهتها للشعوب لأنه لا يوجد نظام عربي يمثل شعبه وإذا نجد الفرح في الشوارع تأييداً لصدام هذا ونظر إليه على أنه المدافع عن مصالح الجماهير العربية ضد الطبقة الحاكمة التي استخدمت اللزوة اللطيفية العربية لثغرى نفسها والعالم الغربي. وكان ثمة تعليقات قليلة جداً حول حقيقة أنه طالما وجدت عناصر التعسدية في العالم العربي لم تستطع الحكومات أن تتخبط في صف قضية الولايات المتحدة.

وقد حاولت الصحافة أن تصغر خدماً لكن هذا فأكثرت على الإجماع المذهل للرأي العام العالمي دعماً للموقف الأمريكي وهي



نرى عتق التفاسيل على قدر الإمكان. وقد التفتحت المشكلات التي تواجه الصحافة في مجلس الأسوشيتدبرس حول أهم التقارير في هذا اليوم وأعلن وزير الخزانة نيكولاس برادي نجاح جولته حول العالم لجميع الدول رغم أنه لم يلق أي ترحيبات متصيفة كما هو أية مساعدات جديدة للإسهام في التحرير «بيد أن المشرورين والكتابات أبادوا اليابان وألمانيا لأنهما حلفتا الزمن للطوب الثامن ورفضتا المساعدة بتقديم نصيحتها لكامل والعدل في المجهود المشكور لاحتواء العراق».. لكن المجهود المبذول لا يستغاث سبب الرضا القريب من قبل الذين يعتبرون نظرياً المستفيدين الأساسيين من أعمال الولايات المتحدة (إفناء السفينة، كان مجهوداً متفريلاً للغاية.

وأدت هذه المشاكل إلى حساب بنجر ملاحظته [والثاني] موقف الولايات المتحدة المتأصل في نيويورك تايمز في مقالة بقلم توماس فريدمان على الصفحة الأولى. وقد عزى رفض الحكومة حتى مجرد النظر في الطريق الدبلوماسية، إلى قلقها من أن المفاوضات قد تؤدي إلى صوبع الأزمة واستمرار الوضع القائم السابق على حساب بعض المكاسب في الكويت لمصلحة ديكتاتور العراق أو ربما جزيرة كويتية أو تعديلات حدودية متخيلة وكلها مسائل محل نزاع طويل. من ثم فلا أقل من التمسار حاسم وكامل لقوة الولايات المتحدة على لو كان هذا يعني حرباً كارثية ذات نتائج لا يمكن التنبؤ بهاء، وبالمناسبة الإسرائيلية أن تؤدي الدبلوماسية إلى صوبع الأزمة تاركة المشاكل المتضخمة والمهمة طويلاً مثل نزاد لسلطة النصارى في المنطقة وليس في العراق فقط ليم حلها بهوده وخلال الوسائل الدبلوماسية. فذلك كارثة يجب تجنبها وليس خياراً يجب استكشافه. واستمر كبير مراسلي التايمز الدبلوماسيين فارجع المتضخم من أجل المفاوضات إلى الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية المتضخمة دائماً وجهودها للرباطة، هي طريقها الوحيد لتبرير دعمها للفوز الذي قام به الرئيس صدام حسين.. لم تدعم الأردن للفوز، رغم أنها لم تدعم رد الفعل الأمريكي عليه كما يكرر من عمان ويشكل أكثر دقة من صمان المرسل البرلماني مارتين ويكوت حيث قال إن

جهود الملك، منذ أن بدأت الأزمة تهدف إلى إصادة البون إلى الزجاجة والوصول إلى التوصل عن الكويت وبشكل عام إرجاع الوضع إلى ما كان عليه، ورغم أن التلامي قد قدرت أن تلك الواقعة لا تستحق للنشر فمن الصعب أن تصدق أن إخصائي الشرق الأوسط الرئيسي فيها لم يكن يدري أنه منذ بضعة أيام مضت قبل كتابته هذا الكلام أصدرت منظمة التحرير الفلسطينية أول بيان رسمي لها حول الأزمة يدعو إلى حل الأزمة عن طريق ضمان أمن وتساكك العراق والكويت والسعودية والخليف وكل دول المنطقة العربية، وقد تناقشت البيان خطوط الشرق.. إن لوم «التفسير الفلسطيني للأحداث» وإذلة السلوك السيئ للأردن ما هو إلا إسرافة أخرى ملحوظة لتخميم خط للدعاية الأمريكية - الإسرائيلية.

قلة هي المعلومات للحقة المتاحة حول مواقف الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية. لقد ذكرت الصحافة الإسرائيلية خطة لمنظمة التحرير الفلسطينية قرأها المناضل الفلسطيني فيوصل الحسني في القدس وتذكر تلك نقطة إلى تصام فرى للثروات العراقية بين الكويت وبدء مباحثات السلام فوراً بين الكويت والعراق حول سياسة اللط والخود وحق الشعب للكويت في «اختيار حكومته المركزية في بلاده بدون تأثير أجنبي سواء عربي أو شوري». ووفقاً لمصادر منظمة التحرير الفلسطينية قمت الأردن والمنظمة خطة بمقتضاها تهتم الأمم المتحدة بقوات حفظ سلام دولية ويتم تنشيط المباحثات حول المعركة المقبلة في الكويت وربما تدعى إلى استفتاء عام في الكويت. ومثلها ما في المقترحات الأخرى للفرص إلى حل سلمى، فقد تم تجاهل تلك المقترحات أو رفضها بسرعة سواء من قبل البيت الأبيض أو الكويتيين أو وسائل الإعلام. وبينما حذرت للتايمز من إضراف الحل السلمي فقد دعت أيضاً إلى الدبلوماسية كبديل عن اللجوء القوي للقوة، ولكن كما لاحظنا من قبل فإن الدبلوماسية تحي إرسل إنذار أخير: استسلموا أو متروا. وفي الواقع فقد خربت الإنكثيات الدبلوماسية وكذلك خيار المتابعة من البادية.

يجب على الشره أن يشكر دائماً أن حكومة الولايات المتحدة مثل أي مثل على

مصرح للمالم سطحن على الناس أنها تفعل الدبلوماسية وليس القوة.. كان هذا هو موقف الولايات المتحدة بينما هي تحاول عرقلة المفاوضات والحق للسلي في فينما وأمريكا الرئيسية وكان هذا أيضاً الموقف المتعلن دائماً بصدد الصراع العربي الإسرائيلي رغم أن الولايات المتحدة هي التي تقود مسيرك الرفض. ومهما كان موقف الولايات المتحدة بالدبلوماسية والوسائل السلمية. من ثم لقد «عن المجهود الأمريكي لتركيز الانتباه على الدبلوماسية والعز واليس بطول الحرب» بينما في الواقع فإن المجهود تركز على إشلاق طريق الدبلوماسية ورفض المفاوضات والالتزام بالقوة والقهر تمت غطاء دولي لو أمكن ولا يهملها، ومثل كل الصالات الأخرى فإن النقطة البديهية المحنة منذ الوقائع هي أن واشنطن تسعى لحل المشكلة حلاً سلمياً بدون استخدام القوة.

ولقد ذكرنا من قبل عدة محارلات مبكرة للتح طريق دبلوماسي: الاقتراح العراقي في ١٢ أغسطس للفص بالانصاف من كل الأراضي العربية للحدثة وإقرار ١٩ أغسطس الذي يرض على أن تقرر الدول العربية ويحدها وضع الكويت ورفض ٢٢ أغسطس الذي نشرته البورزاي. والعرض الشامل «أر ربما كان هو لثله، الذي حفظه للتايمز في الأرشيف في نفس الفترة والمقترحات الفلسطينية الأردنية المنكورة، واستمرت العروض لتلافي نفس التصبر.. فقد ذكرت صفحات المال والأعمال في نيويورك تايمز والوول ستريت جورنال، وجود رغبة مضمومة في شراء الأسهم في وقت متأخر من اليوم، في الرابع من ديسمبر بعد تقرير التلفزيون البريطاني حول عرض عراقى للانصاف من الكويت عدا حقول النفطية بدون أي شروط أخرى فيما عدا مراقبة الكويت على مناقشة تأجير جزيرتين في الخليج بعد الانصاف وقد تناقشت أسلحة البرق هذا الدباء ولكن نشرات الأخبار لم تعرضه ببيان التقارير الإخبارية قد عبرت عن عدم ارتياحها لأن المباحثات المقترحة على العراق (التي هي في الواقع مجرد إرسال الإنذار النهائي وفقاً لريت (بعض) قد تشجع بعض الشركاء الأوروبيون على إطلاق محادثات سلام لن تقيده. وفي أواخر

## العدوان المشين



تتسحب العراق تماماً من الكويت مع تعهد الولايات المتحدة بعدم الهجوم على قواتها المسلحة وتذكره القوات الأجنبية المتدخلة ويمن مجلس الأمن التزاماً جاداً بحل كل مشاكل المنطقة الأخرى وترك المسائل الحدودية موضع النزاع ليدم النظر فيها في وقت لاحق، وقد رفضت واشتد هذه الإمكانية رفضاً قاطعاً ولم تعرف طريقها لوسائل الإعلام أو للوعي الجماهيري. وأصبحت الولايات المتحدة وبريطانيا على الالتزام بالقوة وحدهما.

وظهرت مرة أخرى قوة هذا الالتزام عندما حاولت فرنسا محاولة أخيرة لتجنب الحرب في آخر لحظة في ١٤ يناير مقترحة أن يدعو مجلس الأمن إلى الانسحاب التام والسريع من الكويت مع تصريح بأن أعضاء المجلس سيعاونون تسارياً جهدهم للوصول إلى حل مختلف لمشاكل المنطقة الأخرى وخاصة الصراع العربي الإسرائيلي والمشكلة الفلسطينية بإقامة مؤتمر دولي في اللحظة المناسبة، لضمان أمن واستقرار وتتمية هذه المنطقة من العالم. ودعيت كل من بلجيكا (وهي عضو في مجلس الأمن) وألمانيا وأسبانيا وإيطاليا والجزائر وتونس والسفيرة وعدد من دول عدم الانحياز. بينما رفضت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا (بالإضافة للاتحاد السوفيتي ولو أنه لا أهمية له). وصرح توماسون بكونج المندوب الأمريكي لدى الأمم المتحدة بأن الاقتراح غير مقبول لأنه يخطئ قرارات الأمم المتحدة السابقة بصدد العراق.

ومن وجهة النظر الغربية فإن تصريح المندوب صحيح. فإن عبارات الاقتراح قد أخذت من مصادر مختلفة وتحريراً قرار مجلس الأمن في ٢٠ ديسمبر ١٩٩٠ المعلق بالقرار ٦٨١ الذي يدعو إسرائيل لاحترام اتفاقيات جنيف في الأراضي المحتلة، ويدعو القرار إلى عقد مؤتمر دولي في وقت مناسب وبتركيبة ملائمة، المساعدة على تحقيق تسوية سلمية عن طريق التفاوض وإقامة سلام دائم في موضوع النزاع العربي الإسرائيلي. وقد انتزعت تلك العبارة من القرار ذاته لتجنب اللبس الأمريكي وتركت الملقق. ولاحظ أنه ليس ثمة ربط بالغموض العراقي الذي لم يذكر. ولا يمكننا معرفة ما

ديسمبر ١٩٩٠ عرض العراق اقتراحاً آخر كشفه المسؤولون الأمريكيون في ٢ يناير ١٩٩١. وهو عرض الانسحاب من الكويت إن تعهدت الولايات المتحدة بعدم مهاجمة الجدد للمسلمين وبانسحاب القوات الأجنبية من المنطقة وإن كان ثمة اتفاق حول المشكلة الفلسطينية وحول حظر كل أسلحة الدمار الشامل في المنطقة، ووصف المسؤولون العرض بأنه مشور لأنه أسقط موضوعات العدد وأشار لاهتمام العراق بالتسوية عن طريق المفاوضات، وقد وصف خبر في الشرق الأوسط بوزارة الخارجية العرض بأنه مرقق قبل نقاشه جاد. ويذكر التقرير أن الولايات المتحدة قد رفضت العرض في الحال. وصر هذا مرور الكرام بدون ذكر في الصحافة القومية (بأدراك ما ذكرت في أي مكان آخر. بيد أن نيويورك تايمز قد ذكرت في نفس اليوم أن ياسر عرفات بعد مباحثاته مع صدام حسين قد أعلن أنه ليس بينهما من يصر على حل المشكلة الفلسطينية قبل خروج القوات العراقية من الكويت، ويستمر للتقرير تذكر أنه وفقاً لمرافق فإن تصريح صدام حسين في ١٢ أغسطس ١٩٩٠ الذي يربط بين الانسحاب العراقي والانسحاب الإسرائيلي من الضفة الغربية وقطاع غزة لم يعد مطلباً أساسياً للموقف التفاوضي (وكل ما هو مطلوب ضمان ربط قوي من قبل الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن وبين حل كل المشاكل في التفاوض وبين حل المشاكل في الشرق الأوسط وخاصة الفلسطينية، وخاصة الفلسطينيين، ومن ثم فإنه قبل الموعود المحدد النهائي للانسحاب العراقي بدأ من الجائز تجذب العرب على أساس هذه الشروط:

إذا كانت المحاولة الفرنسية ستنجح في تجنب الحرب. وإخفيها من هذا عارضتها الولايات المتحدة وفقاً لممارستها المتحمسة لأي شكل من أشكال الدبلوماسية. وفي هذه الحالة معارضتها القوية كذلك المؤتمر الدولي. وقد ارتبط صدام حسين بجورج بوش في هذا الرض حيث لم يظهر أي اهتمام على التمتدحات الفرنسية رغم أنه لو قبل هذا ربما كان يمكن تجنب الحرب. وقد عبر الرئيس بوش عن الموقف الأمريكي غير المتزعزع بملتهى الوشوح في خطاب أرسله إلى صدام حسين في يناير ١٩٩١ ورفعه طارق عزيز وزير الخارجية العراقي عندما قدمه وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر وكان أساس الترفض أن لفته لا تلام أسلوب التفاوض بين رؤساء الدول وقد صرح بوش في هذا الخطاب بأنه: "إن تكون هناك مكافأة على العدوان ولن تكون هناك مغاربات فلا يمكن التنازل في العبادة، وقد أعلم صدام حسين مجرد إعلان بأن القرار أمامه هو أن يرضخ دون مفاوضات أو سيتم تدميره بالقوة، والدبلوماسية ليست من ضمن الخيارات. ويحق للمرء أن يتعامل من جدية وإمكانية هذه الخيارات، إن تجاهلها أو رفضها لأنها كاذبة هو إهبار لكل خلال التمهيد بالقوة أو استخدام القوة العسكرية مما كانت العواقب وخيمة. ولا يجب التفاضل في مغزى ونتائج هذه الوقائع على المدى البعيد.

والنظر لاهتمام الولايات المتحدة البالغ حالياً بضمان تدمير قدرات العراق العسكرية من الأسلحة غير التقليدية فمن السهل أن تفكر عرضاً عراقياً مغروراً آخر في ١٢ إبريل ١٩٩٠. حيث عرض صدام حسين وكان لا يزال صديقاً وحليفاً أن يدمر ترسانة من الأسلحة الكيميائية وغيرها من الأسلحة غير التقليدية لو وافقت إسرائيل على التخلص من أسلحتها الكيميائية والنوية، وصرح السفير العراقي في فرنسا مرة أخرى في ديسمبر ١٩٩٠ "بأن العراق على استعداد لتدمير الأسلحة الكيميائية وأسلحة الدمار الشامل أو كانت إسرائيل مستعدة لهذا كذلك، وجاء هذا في تقرير لوكالة رويتر. وقد قالت وزارة الخارجية في روما على عرض إبريل الذي نقله مجموعة من أعضاء مجلس الشؤون الأمريكي أنها ترحب باستعداد العراق لتدمير ترسانتها ولكنها تعارض الربط بين

هذا وبين أي موضوعات أخرى أو أنساق تسليم أخريه (على لسان المتحدث باسم وزارة الخارجية ريتشارد بيشر) ولاحظ أن أنساق التسليم الأخرى قد تركت دون تصديق فلا يمكن أن يطلق أي مسئول أمريكي بصيغة «ألمحة إسرائيل النووية، لأن الاعتراف بوجوبها سيؤدي للتساؤلات حول شرعية المساعدة الأمريكية لإسرائيل وفقاً للصوم الملحق بقانون المساعدة الخارجية منذ 19٧٠ والتي تمنع أي مساعدة عن أي دولة تتورط في تطوير الأسلحة النووية بصورة سرية إن ما نرجعنا إلى ما تهدد الصار الشامل ولا القدرة على التهرب ولكن بالأحرى أن يكون هذا في الأيدي الأسيئة السلمية: أهدنا أو أيدي عملائنا. انضمت منذ أغسطس 1٩٩٠ الخطوط العامة للتصوية السلمية المكنة وتضمن ترتيبات بخصوص وصول العراق للتفجير ربما عن طريق تأجير جزيرتين مقترنيتين وتسوية النزاع حول حقول الزيمية بداية خطوات نحو تسوية أمنية في المنطقة وربما شكل من أشكال حق تقرير الرأي في الكويت. وقد صارتت الولايات المتحدة كل هذه الخطوات معارضة صلبة منذ اللحظة الأولى معلنة أنه «لا يمكن مكافأة العدوان، وأن الخط، يتعارض مع موقفنا المبدئي الأخلاقي السامي وأنه لا يمكننا أن ندخل في مفاوضات مطولة والأخرى على العراق أن تقنع في الحال لاستعراض القوة الذي أظهرته الولايات المتحدة ويحدد ربما. نعم ربما. تسمح واشنطن بمناقشة موضوعات أخرى ويمنع رفض «الربط» من الحقيقة التي لا يصحح بها هي أن الولايات المتحدة تتعارض أي تسوية سلمية لكل موضوعات الربط بينها وخاصة فهي تتعارض منذ أمد بعيد الموضع الدولي بخصوص النزاع العربي الإسرائيلي لأن هذه الجهود ستؤدي فقط إلى ضغوط لتسوية تسوية سلمية عن طريق دبلوماسية والتي تعزلها الولايات المتحدة بنجاح شديد عن طريق ما يدعي «عملية السلام» في الأيديولوجية الشاملة. في حالات كثيرة مماثلة كانت الولايات المتحدة سعيدة جداً وهي تكافئ الدبلوماسيين وتجرى مفاوضات مطولة وتعمل على الربط لهذا بعض الفخر عن تلك الحالات التي سمحت فيها الأعمال الإجرامية). على سبيل المثال في حالة أرمية قد أدانت الأمم المتحدة احتلال جنوب أفريقيا

لذلك البلاد في 1٩٦٠ ثم تلا هذا حكم لمحكمة العدل الدولية يدعو لطرد جنوب أفريقيا منها. وبهذا انتهت الولايات المتحدة للدبلوماسية الهادئة والحوار البناء نهجت جنوب أفريقيا ناميبيا وأرخبعتها واستخدمتها القواعد لجهنمية الضمرة ضد جيرانها. وقد كلفت خطة وزير الخارجية جورج شولتز للسلام في لبنان عام ١٩٨٣ العدوان مكافأة ضخمة. وتقدم للغة في الواقع إسرائيل الكبرى، كما أصغرت المجردة المحايدة لإسرائيل بشدة «التيوريك تايمز» هذا بينما تكرر سوريا بالانصواع ببساطة إلى ما يظن في الولايات المتحدة وإسرائيل (وقد رغنمت أن تفعل هذا كما هو متوقع) وهذا مثال متطرف على الربط.

وكذلك كوشفت إسرائيل على غزوها مصر عام 1٩٦٦. فمن غير المتوقع لاحتداد عداء الولايات المتحدة أو مذهب نفسه من العدوان والإرهاب بدون إشباع حاجاتهم ورغباتهم. وهذا الضلع عام كما يلاحظ المعلقون في دول العالم الثالث بالاجتماع وتأثيره ضئيل للغاية على الثقافة السياسية الغربية المستأينة بشدة.

من المنطقي تماماً اتخاذ موقف أن العراق يجب أن تتسحب فوراً وتدون شروط ولا يربط بأي شيء وإن عولسها دفع تويضات وحتى يجب أن تخضع لتحكيمات على جرائم الحرب التي أقرتها وهذا موقف مفهوم بالنسبة لأولئك الذين يحترمون المبادئ التي تؤدي لهذه النتائج، ولكن منطقياً أيضاً لا يمكن احترام المبادئ احتراماً لتناقضاتها. وكواقع قلة هي التي يمكنها أن تدعي أنها تتكلم بالموقف العام عند العراق عليها أن أساس مبدئي كما يظهر بسرعة من الفصل الأولي.

وتجدر بالملاحظة في هذا الصدد عملية رفض الربط التي تقبلها الدخيلة بإجماع مدخل لأنها مرتبطة بطلب حل المشاكل الأمنية في المنطقة كجزء من الانسحاب العراقي، والآن بعد أن ظهرت العراق نفسها كعدو راس عمول يحدده كما كان مفترضا من المستحيل ترك قدراتها العسكرية المنضمة سلمية. بيد أن «توازن القوى» على المدى البعيد في المنطقة، يتطلب بقاءها كما هو عند إيران كما أثن الجنرال شوارتسكوف ومن

المصور توقع أن يظل العالم العربي مراقبا سلبيا بينما يقوم للعمل الأساسي للاتحادات المتحدة في المنطقة ليس فقط بالاحتلال الأراضي العربية وقمع أهلها بشدة ولكن أيضاً بزياد في ترسانته النووية وغيرها من الوسائل الممككة، من الواضح أن مسائل «الأمن» والاستقرار تتطلب اعتبار موضوعات إقليمية إلى هذا الربط للمعبر. لكن في هذه الحالة ولأن الولايات المتحدة والولايات العام المشكك) تتعارض الطول السلمية بالطريق الدبلوماسي عامة نظراً لضغطها السياسي، فوجب عليها أن تتعارض الربط على أساس مبدأ «لا يمكن مكافأة المعتدين».

وبعد ٣ أيام من ذكر وبيور سفراف الولايات المتحدة من أن يتم إغراء الآخرين باتخاذ الموقف الدبلوماسي لأن محسرو التأييم صدام حسين غاضبين من محاسنهم للمساومات الأجنبية بالقرارات العراقية ومصرحاً بأنه يضرب الدبلوماسية قائلاً. وكما لاحظنا من قبل فقد أدى ذلك لخلق التامع للقانون الدولي إلى أن يطلب محسرو التأييم معاملة صدام حسين كمجرم حرب حسب مبادئ نورمبرج.

والتم المحسرون صدام حسين بارتكاب هذه الجرائم «بداية حرب عولونية خرقاً للمعاهدات الدولية، وهم يتكبرون في هذا للسدد غزو إيران و «سوء معاملة السكان المدنيين في المناطق المحتلة، وتهمرد المواطنين من جنسيتهم وإساءة معاملة السكان المدنيين في المناطق المحتلة وتهمرد المواطنين من جنسيتهم وإساءة معاملة المدنيين وهذه الجريمة المصنفة ضد الدبلوماسيين التي تضمن اتفاقيات فيينا مكاتبتهم الخاصة وكلها اتهامات صارمة وتلصق فيها مبادئ نورمبرج حقاً. وأسوء الجرائم تعود للقدرة التي تقاضى فيها المحسرون عن رؤية دعم الولايات المتحدة لأصدقائها العراقيين، ويمكن للمرء أن يفكر في بلاد أخرى تورطت في جرائم مماثلة منذ فترة قريبة كما في ذلك دولة تصحها التأييم دلفاً لأنها الحارس للنظام العالمي وحقوق الإنسان وأخرى تصفها بأنها لثلال العظيم لتكرامة الإنسانية وأنها مجتمع تتعد فيه العنصرية الأخلاقية مبدأ من مبادئ

الحياة السياسية ولكن المحررين لا يرون من الواجب قيادة القراء خلال معرلات عدم الأهمية التاريخية المتعرجة.

#### ٨ - حماية حاجتنا:

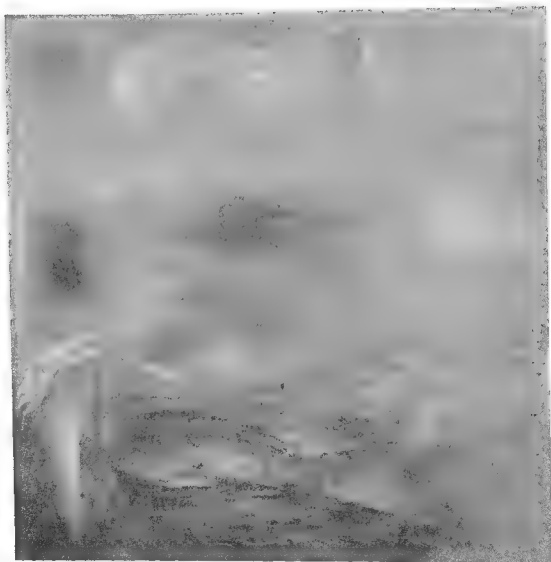
وفقاً لأية معايير فإن صدام حسين شخصية متوحشة وبالتأكيد يمكن مقارنتها مع الشخصية الإجرامية الأصغر ماثول توريجيا. لكن إهرامه لم يكن سبب تسلمه لدور الشيطان الأعظم في أغسطس ١٩٩٠. فقد كان هذا واضحاً منذ زمن بعيد ولم يوقى الجهد الأمريكي لإعطائه دعماً ومحوته. ونحتاج فقط لتصنيف كلمات قليلة على التزامنا التقليدي بمقارنة العدوان واحترام حكم القانون، لقد صار حسين شيطاناً حسب

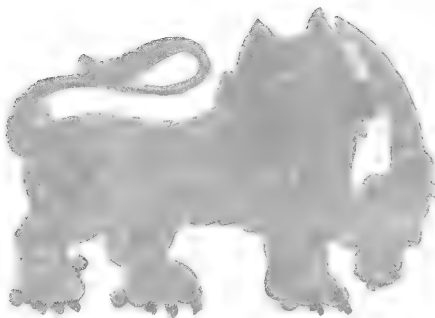
الطريقة المعتادة عندما فهمنا أخيراً ودون أدنى شك أن اتجاهه القومي التحرري يهدد مصالح الولايات المتحدة. عددت صارت سجلات فظائعهم التقديرة متاحة للأغراض الدعائية ولكن بعيداً عن هذا لا علاقة لذلك أساساً بانتقاله المفاجئ في أغسطس ١٩٩٠ من صورة الصديق المحبوب ليكون التجسيد الجديد لجشع كيان وهتلر فإن استمر الاحتلال العراقي للكويت بنجاح سيصبح دكتاتور العراق لاعباً أساسياً في الساحة العالمية ولكنه لا يمثل تهديداً بمواجهة بين القوى العظمى ولا بالحرب النووية كما حدث في النزاعات السابقة في المنطقة. وهذه الواقعة ذات الأهمية تعكس بالطبع انهيار النظام السوفييتي مما ترك الولايات المتحدة

دون تحد عسكري ووضعا كإغراء شديد لإظهار فاعلية الآلة التي تملكها بمفردها. وهذا المفهوم الإستراتيجي لم يتعرض لأي تحد حتى وسط دولار اللغبة حيث بدأ يظهر صراع منذ عدة أشهر على نفس الخطوط المشالعة. إن إستراتيجية الحكومة للسيطرة على الظلم خلال استخدام القوة أو للتهديد بها تتعارض مع أهداف الحفاظ على المروية الاقتصادية ومصالح التعامل الدولي وفي الآن مشاكل خطيرة جداً. ومن الصعب مراجعتها بدون تغيرات ملحوظة في السياسة الاجتماعية في البلاد. ويعتمد شكل النظام العالمي الجديد بدرجة كبيرة على سيادة أي من هذين المذهبين!! ■

#### ت: أسامة القفاش







# فى نهاية التاريخ وصراع الحضارات

**عبد الوهاب المسيرى**

**ف**لا يمكن أن نخشىهم ولحقنا المظلمى والعالمى المعاصر، إلا من خلال أعلى درجات التطور والتجديد، فمن يظل متصلاً بواقعنا المباشر غير متجاوز له، لا يدركه فى كليته وتركيبه وخصوصيته، ومن لا ينظر لنفسه حسب تجريده وحسب تفاعله مع واقعه، سيخطئ الآخرون له حسب مقولاتهم وتجزئتهم وتميزاتهم وأمرالهم. ولكن لا بد أن يكون التطور على علاقة وثيقة

بتفصيل الواقع وحفاته، ولابد من اختيار النماذج النظرية التى نلجئها بالعودة إلى الواقع لدرى مقدرتها التفسيرية وإلا أصبح التطور تزييناً كاديمياً خالياً من الروح والمعنى. وسنحاول، بإذن الله، أن نقرب من هذا المال الأعلى المنهجى فى بحثنا هذا.

وبدلاً من أن نبدأ من النظرية والمفاهيم (نهاية التاريخ - صراع الحضارات - ما بعد الحداثة - النظام العالمى الجديد) قنبدأ من

بعض وقائع المعاصر والتاريخ المباشر التى قد تبدو مخدرة ولا يربطها رابط والمسأل؛ ما هى العلاقة بين العمل النهائى للنازى للمسألة اليهودية وعاصمة إسرائيل الأبدية؟ وبين الاستنساخ والاستعمار - Cloning and Co- Ionialism بين الماكرونال والشركات عابرة القارات والصهيونية؟ الحصر المشترك هو محاولة إغناء الزمان والتاريخ وتصفية التركيب وإنكار مقدرة الإنسان على تجاوز

واقعه.. فالحال النهائي للنازي يعني رفض الواقع التاريخي المركب للصومح الألماني، الذي كان يضم الألمان واليهود (والعاجل والأطفال المعوقين والفقر). ولكن التاريخي قرراً بتبسيط الأمور واختزالها ليبدو بديلة جديدة، من صفحة يميناء tabula rasa، عالم بلا يهود Judentein، عالم عضوي مصمت تحكم فيه البيروقراطية النازية وتطبق عليه معايير الرشد الاقتصادي والمصلحة المادية ويخضع له الجميع، فبالد من لا غائده لا ليصبح التاريخ الثالث كياناً شاملاً معشاً، شاملاً مثل الهيكل الثالث (أحد أسماء الدولة الصهيونية) الذي سيأتي حتى نهاية التاريخ، عاصمته الأبدية في القدس. والاستبداد هو أيضاً نفى للتاريخ والتأخرية بحيث تنتج في العمال (خارج حدود الزمان والمكان، بخارج التاريخ) نسخاً كربونية بسيطة معقمة من أي شخص يهبط. الوجه يشبه الوجه والسطح يشبه السطح، ولكن دون اتصال أو إبعاد، فالعلم تركيبي ولا حاجة لنا به، ولا حاجة لنا بالتأخرية أو التاريخ. والاستحمار هو الآخر نفى للتاريخ، فهو يجعل العالم بأسره إلى مادة استعمالية بسيطة لا قيمة لها ولا هوية ولا تاريخ، مادة يمكن أن تفرق في صالح الإنسان الغربي أو لصالح القوة الأعظم. والماكروبالد طعام بسيط، لا لون له ولا طعم ولا رائحة له، لا ينتمي إلى أية حضارة ولا يتحرك في أي فضاء زمني محدد ولا يعرف للصهيونية أو العدو، شأبه في هذا شأن الشركات متعددة الجنسيات وعابرة القارات، التي لا نهتم إلا بالعلم البسيطة، أحادية البعد، وبالأسماء الأكثر بساطة وأمانية، ولا تكتف بالخير أو الشر أو بالمكان أو الزمان، والتي لا تخطف كلور.. من هذه الزاوية - عن الصهيونية التي تذكر تاريخ الصرب في فلسطين أو تاريخ اليهود خارجها وتعالون تأسيس صهيون الجديدة البسيطة الخالية من العرب Arab brein، صهيون التي لا تعرف الحدود، التي لا تكف عن التمدد والتوسع، القادرة على ابتلاع الأراضي التي احتلت قبل وبعد عام ١٩٤٨، وقبل وبعد عام ١٩٦٧.

وحتى لنهم العلولات الحقيقية لفكرة نهاية التاريخ، وصراع الحضارات، قد يكون من المفيد أن نلحظ جانباً محاولة التمييز بين

المحضرة والثقافة، وأن نحاول بدلاً من ذلك أن نميز بين الطبيعية والمحضرة.. مفهوم الطبيعة هو المفهوم المحرور في الخطاب الفلسفي الغربي، وسأقول بتعريف بسيط للغاية وهو أن المحضرة والثقافة هما كل ما صنعه يد الإنسان وما عدا ذلك فطبيعة. ويمكن تقسيم الروى السائدة في عصرنا الحديث إلى قسمين اثنين: رؤى متمركزة حول الإنسان باعتبارها كائناً مركباً متعدد الأبعاد، صاحب وعى تاريخي وعقل ومفاهيم معرفية وقيمة، لا يمكنه العيش دون هدف أو غاية، يعيش داخل العالم الطبيعي متمركزاً عنه، متجاوزاً له، لا يرد إليه، يعيش داخل حدوده الطبيعية، ويغفل مركز الكون، بسبب وعيه التاريخي وتركيبته. أما الرؤية الثانية فهي رؤية متمركزة حول الطبيعة، والطبيعة بسيطة، حتمية، لا غائية، أحادية البعد، لا تاريخ لها ولا حدود خالية من للتعقيد، لا يشغل الإنسان فيها أية مكانة خاصة، فالطبيعة لا تعرف للفرق بين الإنسان والقرود، لا تميز بينهما، قلعة قانون طبيعي واحد صارم يسرى على كل الكائنات لا يمكن لأي منها تجاوزه.

ونحن عادة ما استخدمت الرؤية الثانية (أو المزدوج للتفسيرى الخلفي) في التعامل مع الأبعاد ومع الجوانب المادية الطبيعية لوجودنا، وإذا فهذا النموذج التفسيرى هامشياً بالنسبة لما هو إنسانى، ولكن الأمور تغيرت تدريجياً منذ عصر النهضة في الغرب حين طرح مفهوم القانون الطبيعي والإنسان الطبيعي، أي تم تطبيق النموذج المتمركز حول الطبيعة والمادة على الإنسان، وكان الإنسان ظاهرة طبيعية وليس ظاهرة تاريخية معزولة، وكان فضائه هو الفضاء اللغوي وحدوده هي حدود الطبيعة لا يمكن أن يتجاوزها.

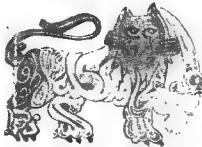
وقد نلحظ عن هذا الإنسان الطبيعي أنماط إنسانية أخرى قد تختلف في مضمونها عن الإنسان الطبيعي أو عن بعضها بعضاً، ولكنها في نهاية الأمر ولدى التحليل الأخير، واحدة في بنيتها وهي أحاديديها وهي تجريدها من الإنسانية والتاريخي. وأهم هذه الأنماط هو الإنسان الاقتصادي، وهو إنسان متحرر تماماً من القنوة (شأنه شأن الطبيعة) أحادي البعد

دولته الأساسية الاقتصادية بسيطة وما يحركه هو القوانين الاقتصادية، إنسان لا ينتمي إلى حضارة بعيدها وإنما ينتمي إلى عالم الاقتصاد العام.. وهو لا يعرف الخصومية ولا الكرامة ولا الأهداف السامية التي تتجاوز الحركة الاقتصادية، ويهدف نشاطاً واحداً هو البيع والشراء. ويدور هذا الإنسان الاقتصادي في إطار المحركات الاقتصادية (بما شأماً) مثل الإنسان الطبيعي الذى يفتضيه قوانين الطبيعة وحتميات القانون الطبيعي لا يمكن تجاوزها لها).

وثمة فط آخر هو الإنسان الجلسى أو الجسمانى الذى يشبه الإنسان الاقتصادي تماماً في بديته، فهو أيضاً أحادي البعد، خاضع للحتميات الفيزيائية، مجرد من القيمة لا يتجاوز قوانين الحركة. إن الإنسان الطبيعي هو ذاته الإنسان الاقتصادي، وهو ذاته الإنسان الجسمانى، قد تختلف المضامين لكن البنية واحدة. ولو أننا وضعنا كلمة "اقتصاد" أو كلمة "جلس" محل كلمة طبيعة، لظل كل شيء على ما هو عليه وأما شهرنا شيئاً في خطايها.

وهو الرؤية المتمركزة حول الطبيعة هي إنكار الإنسان، فالإنسان وسعده إنسانيته من كونه كائناً مفصلاً عن الطبيعة، بقوانينها الصارمة وحتمياتها النهائية.. فرفض أنه يعيش داخلها، خاصصاً في بعض أرجاء حياته لقوانينها، إلا أنه قادر على تجاوزها وتجاوز قوانينها، ليتحرك داخل البنى الإنسانية، للمضارة والتاريخية التي شغلتها يده والتي تشكل حيزاً إنسانياً له قوانينه الخاصة.. هذا الحيز هو رقعة الحرية الذى يمكن للإنسان أن يمارس فيها حرية الاختيار والسيطرة والارتجاع، حرية أن يخطئ ويصيب، وأن يتحول إلى بطل أو متهرج، وإنما يصبح التنبؤ بسلوكه في حكم المستحيل. والإنسان إنسان بسبب حضارته وتاريخيته، وهذا ما تذكره الرؤية المتمركزة حول الطبيعة، التي ترد الإنسان، في جميع أبعادها، إلى عالم الطبيعة /المادة وإلى قوانينها البسيطة التي يمكن التنبؤ بها والتحكم فيها وتربطها.

وقد شاعت في الآونة الأخيرة عبارة نهاية التاريخ وهي تعنى أن التاريخ، بكل ما



## نهاية التاريخ وصراع الحضارات

سبلتهم هو التاريخ الإنساني ، بكل ما فيه  
من تعارف وتنافس ، كي يبدأ التاريخ الطبيعي  
بكل ما فيه من تسلية وتكرار .

ويظهر راض التاريخ بطريقة أكثر  
تركيبا في فكر الاستنارة . ويطلق هذا الفكر  
من تأكيد أن التاريخ هو نشاط إنساني ، فهو  
ثمرة جهد عقل الإنسان وهو مستودع  
حكمته . وإذا فهناك نزعة في فكر الاستنارة  
للمسجد التاريخ وتقسيمه/ ولكن العكس  
صحيح أيضا فقلانين الملحق هي نفسها قوايين  
الطبيعة والصادة والحركة ، والعقل المستدير  
لا يعتمد محاربه من التاريخ أو للصنارة من  
المجتمع وإنما من خلال الدراسات العلمية  
الصارمة لقوايين الطبيعة والمادة والحركة .  
وإذا بدلا من الرؤية التقليدية التي ترى أن  
التاريخ يسور بدورجه إلهي ، طرحت فكرة  
جديدة ضامنا على الفكر البشري وهي أن  
التاريخ يتحرك من لقاء نفسه تنفخه قوي  
مادية كامنة فيه . ولكن بعد نقطة الانطلاق  
البدئية هذه تنقسم رؤية التاريخ في عصر  
الاستنارة إلى قسمين .. ومصدر الاختلاف  
بينهما هو الهدف والغاية من حركة التاريخ ،  
إذ يذهب فريق إلى أن حركة التاريخ لا غاية  
لها ولا هدف (تماما مثل الطبيعة/المادة) ،  
أما الفريق الثاني فيرى أن حركة التاريخ هي  
حركة تطورية غائية تتبع قوايين صارمة ،  
هي في واقع الأمر قوايين الطبيعة . وغني  
عن القول أن الرؤية الأولى تصنف فكرة  
التاريخ الإنساني تماما . أما الرؤية الثانية فقد  
ترجمت نفسها إلى رؤية للتاريخ باعتباره  
عملية تتقدم دالة ، ولكنه تقدم مرجعيته  
النهائية هي الطبيعة/ المادة ، وهدفه النهائي  
هو تحقق قوايين الطبيعة في التاريخ ، ومن

يحرية من تركيب وبساطة ، وصيرورة  
وثبات ، وشوق وإحباط ، ونيل وخسارة ،  
سبيل إلى نهائيه في لحظة ما ، تصبح  
سكونيا تماما ، خاليا من التدافع والصراعات  
والثلاثيات والتضاميات ، إذ إن كل شيء  
سويًا إلى مبدأ عام واحد ، طبيعي مادي ،  
يفسر كل شيء (لا فرق في هذا بين الطبيعي  
والإنسان) . وسيسيطر الإنسان سيطرة كاملة  
على بولته وعلى نفسه ، وسيجد حولا علمية  
نهائية حاسمة لكل مشاكله وآلامه ، فالعمر  
العلمية . حسب هذا التصور - هي المعرفة  
التي ستتمكننا من السيطرة على قساوين  
الضرورة وتأسيس صهيون العلمية ، أي  
اليوتوبيا التكنولوجية التكوينية .. ومن  
الملاحظ أن دهاء نهاية التاريخ يصدر  
عن رؤية علمية (أو علموية) متينة تدور في  
إطار السببية الصلبة ، ويصورون أن العلم  
سيؤدي إلى معرفة يقينية شاملة كاملة .  
(ومن المفارقات أن كل هذه التصورات  
فقدت مصداقيتها في الأوساط العلمية التي  
أصبحت تدرك الآن التحذير وإحتمالية العلوم  
الطبيعية . ومع هذا ، لا تزال مثل هذه  
التصورات سائدة بين بعض الأوساط في  
العلوم الإنسانية التي لا تزال تتجلى مغشورا  
علميا سببيا ضلعا عفا عليه الزمان) .

وإشكالية نهاية التاريخ إشكالية كامنة في  
كثير من النظم الفلسفية ، ولكنها تحولت إلى  
موضوع أساسي في الحضارة الغربية الحديثة  
مذ عصر النهضة مع هيمنة النموذج  
المتمركز حول الطبيعة . ويمكن القول إن  
بروتويات عصر النهضة في الغرب هي تعبير  
عن هذا الموضوع ، فهي في معظمها  
بروتويات تكنولوجية تكويفية ، تتلخص عن  
التاريخ الإنساني ألقاها تزعم أنها تدار بطريقة  
عقلانية تماما ، انطلاقا من إدراك للقوانين  
الطبيعية الذي لا علاقة له بالقوايين  
الاجتماعية والتاريخية والإنسانية (لأن  
قوايين الملحق ضال قوايين الطبيعة)  
فاليوتوبيات التكنولوجية التكوينية مثل  
يوتوبيا توما كمبالوا (١٥٦٨ - ١٦٣٩) مدينة  
الشمس ويوتوبيا سير فرانسيس بيكون (١٥٦١ -  
١٦٢٦) أطلانوس الجديدة هي تعبير عن  
الرغبة في وضع الحلول العلمية الطبيعية  
النهائية لكل المشاكل وتأسيس للفردوس  
الأرضي وإنهاء التاريخ . ولكن التاريخ الذي

ثم يصبح التقدم هو نزياد تطبيق القوانين  
الطبيعية إلى أن تمدد هذه القوانين تماما ،  
ويصبح المجتمع الإنساني في بساطة عالم  
الطبيعة ويحل التاريخ الطبيعي محل التاريخ  
الإنساني .

وقد عبرت هذه الرؤية الاستنارية عن  
نفسها في كل من الهيجلية وفي الفلسفات  
التي تارت على الهيجلية . ولينبدأ بالفلسفات  
المعادية للهيجلية فرضتها للتاريخ أمر واضح ،  
فهي فلسفات تنكر فكرة الجواهر والكل  
والمرکز والسببية وأي شكل من أشكال الثبوتية  
أو الثبات ، بل وتنكر الغائية نهائيا ، فويصبح  
العلم في حالة حركة دالة خالية من المعنى  
والهدف والغاية ، ومن ثم لا يمكن أن تقوم  
للتاريخ قائمة .

وإذا كان عدها الفلسفات المعادية  
لهيجلية أمر واضح ، فالأمر مختلف بعض  
الشئ بالنسبة للهيجلية التي تتحدث كثيرا  
عن التاريخ وحتمياته وقوايينه ومراحلها  
وأشامه . ولكنها مع هذا ، في قسرتها لا  
تقل في عدائيتها للتاريخ عن المدارس المعادية  
لهيجلية . فالفلسفة الهيجلية تنكر أن ثمة  
فكرة ليس لها وجود مادي أو نسبي ، هي  
التي تحرك التاريخ والمجتمع والإنسان  
والطبيعة . ويطلق على هذه الفكرة عدة  
أسماء: الفكرة المطلقة - العقل المطلق - الروح  
بشكل عام (جاستي) - الروح اللاعناني .  
وكن المطلق ليس سكونيا ، فهو لن يدرك  
نفسه إدراكا كاملا وإن يحقق تحققا كاملا إلا  
في الطبيعة والزمان والتاريخ ، وذلك عبر  
عملية جدلية تتدخل فيها المتناقضات  
وتتحدد من خلالها الأضداد ، إلى أن يصبح  
الفكر طبيعة ، ويصبح الطبيعة فكارا ، وهذه  
الوحدة الكونية النهائية ممكنة لأن قوايين  
الفكر هي في واقع الأمر قوايين المادة ،  
وقوايين الملحق (العقل) هي في واقع الأمر  
قوايين الطبيعة . كل هذا يعني أن الفلسفة  
لهيجلية ، رغم كل حديثها عن التاريخ  
والجدل والتناقض ، فلسفة واحدة تسد الثغرة  
التي تفصل بين الإنساني والطبيعي وتلقي  
ثلاثية الفكر والمادة والمعنوية والطبيعة ، ومن  
ثم تعود الإنسان كظاهرة مفردة مستقلة عن  
الطبيعة . ولهذا قبل عن حق إن الهيجلية  
فلسفة لا تعرف للثلاثيات ولا تفصل بين  
الصادي والمثالي ، أو بين الطبيعي والإنساني ،



أول بين المقدس والزمني، إذ سورد كل شيء إلى عنصر واحد الطبيعي، مادي فعلا رويي اسما، والفكر الهيجلي لا ينظر إلى الواقع إلا من منظور نهاية التاريخ حين يتجسد العقل لتكن ويتحقق للتقنين العام في التاريخ، في لحظة ينتهي فيها الجدل والمعادلة الإنسانية، إذ يصل الإنسان إلى الحل النهائي لكل مشاكله، وبحكم السيطرة على كل شيء. ولكن من المفارقات أن لحظة السيطرة الكاملة هذه هي أيضا لحظة انقصار التسيوط على التركيب الطبيعي على الإنساني.

ويمكن القول بأن للتسودج الكامن وراء جميع الأيديولوجيات الطمانينة - الصهيونية الشاملة (الناراية) - الساركسية - اللبرالية - الصهيونية) هو ما يسمى «التطور أحادي الخط، (بالإنجليزية: unilinear)، أي الإيمان بأن ثمة قانونا علميا وطبيعيا واحدا للتطور تخضع له المجتمعات والظواهر والبشرية كافة، وأن القنصم هو في الواقع عملية متصاعدة من الترشيد المادي إلى إعادة صياغة الواقع الإنساني في إطار الطبيعة/إعادة فستخدام كل العناصر الكيفية والمركبة والغامضة والمعموفة بالأسرار، بحيث يصحح للواقع إلى مادة استعمالها بسيطة ويتحول الإنسان إلى كائن وظيولي أحادي البعد. ومن ثم يمكن توظيف كل من الواقع المادي والإنساني بكفاءة عالية.. ثم تتصاعد عمليات الترشيد (والتسيوط والتسوية) إلى أن يتحقق حلم البورتوبيا التكنولوجية، حين يتم برمجة كل شيء، والتحكم في كل شيء، وما في ذلك الإنسان، ظاهره وباطنه (ومن ثم يمكن استقصائه ببساطة). وعمليات الترشيد تأخذ شكل مراحل تمر بها كل المجتمعات البشرية (ومن هنا ولد الفكر الغربي بتقسيم التاريخ إلى مراحل متعددة).

وتصاعد عمليات الترشيد على مستوى العالم هو العولمة بحيث يصبح العالم كله مادة استعمالية ويصبح كل البشر كائنات وظيفية أحادية البعد يمكن للتدوير مطويعها، وتتصاعد مسدلات الترشيد إلى أن تصل سائر المجتمعات البشرية إلى لحظة تتلاقى عندها ويسود التجانس الكامل بينها، وهذا ما يسمى أيضا «نظرية التلاقى» (بالإنجليزية: convergence theory - كورنبرجاس ليرى

Or)، والتلاقى هو توحد النماذج كلها بحيث تتبع نمطا واحدا وقانونا عاما واحدا هو قانون التطور والتقدم بحيث يصبح العالم مكونا من وحدات متجانسة؛ ما يحدث في الواجهة يحدث في الأخرى. وقد أشار أحد المعلقين إلى أن ما يحدث الآن في العالم هو تسوط الماركسية ودلا من الماركسية ماركسيزم (Marxism ظهرت الماركسية (نسبة إلى السوق) ماركيزم Marketism وهذه السوقية ويعتمدها على العالم بأسره، وبشمله وجنوبه وشرقه وغربه، هي في واقع الأمر نقطة التلاقى التي تصمتت عنها علم الاجتماع الغربي.

وقد كتبنا سابقا في هذا الشأن عمليات الترشيد المؤدى إلى تحويل المجتمع إلى حالة التصنع وإلى إخفائه للقنصم المزدوج، وننقل معه تماما في صورة القنصم المزدوج، ولكننا نذهب إلى أن العالم سيحكمه إيقاع ثلاثي: التصنع (حيث ينتج الإنسان) - والسوق (حيث يستجيب) - وأماكن الترفيه (حيث يلعب ما فيه من طلاقة وترنات ومقد وأبعاد)، أي أنه إيقاع يستوعب كلا من الإنسان الاقتصادي والإنسان الجماعي ويشجع جميع رغباتهم البسيطة الطبيعية أحادية البعد، التي لا علاقة لها بتركيب إنساني.

وحينما يسوط هذا الإيقاع الثلاثي على العالم بأسره يظهر النظام الحالي الجديد وأيديولوجيات التاريخ وما بعد الحداثة؛ وهي أيدولوجيات نابضة من الموقف المزدوج. يُعصر الاستقارة من التاريخ: موقف هيجلي يقنص التاريخ ويؤكد أنه له غاية محددة وأنه يصل إلى نهايته حين تتحقق هذه الغاية، وقسم مادل ليهول يرى أن التاريخ لا غاية له ولا هدف... والدجباران، كعسا سديين، في تقديسهما وفي عداتهما للتاريخ، ولكنا له.

## ١ - التاريخ يصل إلى نهايته عند تحقق غايته: فوكوياما وهنتجتون:

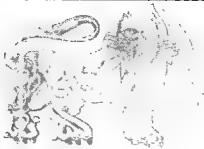
### (أ) فوكوياما ونهاية التاريخ:

يرى فرانيسوس فوكوياما أن كلا من هيجل وماركس كانا يريان أن التاريخ سيصل إلى نهايته حينما تصل البشرية إلى شكل من أشكال المجتمع الذي يشجع

الاحتياجات الأساسية والرأسمالية للبشر، فهو عند هيجل الدولة اللبرالية وعند ماركس المجتمع الشيوعي. ولكن العالم بأسره قد وصل إلى ما يشبه الإجماع بشأن الديمقراطية الليبرالية كنظام صالح للحكم بعد أن أفضت الأزمة بالأيديولوجيات المتنافسة، وهذا يعود إلى أن الديمقراطية اللبرالية خالية من تلك التناقضات الأساسية الداخلية التي شابت الأشكال السابقة للحكم.

ويستخدم فوكوياما نموذج العلم الطبيعي (المادية) لتفسير التاريخ؛ فالعلم الطبيعي الحديث يمثل النشاط الاجتماعي لهم الرصيد الذي يجمع الناس على أنه يصم بالنمى والتركيب والتغاير، ومن ثم يقرر فوكوياما أن ملحق العلوم الطبيعية الحديثة يحدد وكأنما يفرض على العالم (الطبيعة والإنسان) تطورا شاملا يتجه صوب الرأسمالية والصق الحديثة، أي أن ما يمكن تسميته (الرأسمالية العلمية، الصقل للوحد والمقاييس للمبدأ الطبيعي) المادي الواحد، قد حل محل ما كان يسمى «الاشكالية العلمية، التي كانت تدعى نفسها شرف شغل البشر الطبيعي... وبذا، تحول الإنسان في الشرق والغرب إلى الإنسان الاقتصادي (المادي) الذي يمكنه إدارة حياته على أسس علمية رفيعة.

ولكن يبدو أن فوكوياما، بعد أن استخدم نموذج العلم الطبيعي (المادية بهذه النسقية والقهاجة، وبعد أن أكد الأسبقية المطلقة للمادة على الإنسان، يحاول أن نفسه ويقرر أن يدخل عنصرًا إنسانيًا غير مادي (وهذا نمط مستخدم في الأيديولوجيات المادية العلمانية كافة، فهي لا تستطيع أن تواجه وحشية ماديها، ومن هنا فإنها تخطئ مصنات رومانية مرجعية). والعنصر المرجعي غير المادي الذي يدخله فوكوياما هو معنى البشر إلى ذيل الاعتراف بقدرهم أو الاعتراف بقدر الأشخاص أو الأشياء أو القواعد التي يعتقدون أن لها قدرا كبيرا (وهو ما يسمى «عصر العصر»). والتفسيرات اللبرالية ستحقق كل ما يريده الإنسان على المستويين الاقتصادي (المادي) والإنساني (غير المادي). ولكن رغم كل هذه التصديقات، نجد أن فوكوياما، مع هذا، لاير الشك في حزن إمكان أن يؤدي التطور التاريخي العلمي إلى



## نهاية التاريخ وطراع الحضارات

ولكننا لو دققنا النظر لوجدنا أن التعددية التي يطرحها هنتجتون وإميه زائفة إذ نخل للثانية المسببة بوجهها، فالعالم ينقسم إلى قسمين اثنين: الغرب من ناحية وبقية العالم من ناحية أخرى (أو كما يقولون بالإنجليزية: the West and the rest)، ولوجدنا أن العالم بأسره يحركه في واقع الأمر نمو القدر (عامة) مثلما بشر فوكوياما). وسنكتشف أن كلمة «الغرب» تحث في واقع الأمر «العدالة»، فحمة تترافق بين هاتين الكلمتين عند هنتجتون (وهذا كلمات أخرى مثل «السوق الحرة» والديمقراطية، و «الفرديّة» تؤكد هذا الترافق)، أو كما يقول هنتجتون: «إن الحضارة الغربية حديثة وغربية»، أي أن التحديث هو «الغريب»، ومن ثم فإن «من يود أن يبحث في الغرب» وهو يتعبد باستحسان بالغ كلمات نابول (الكتاب الجاهلي الذي تفتش في تأليه الغرب وتبريح العالم الثالث، ومنه ملحة الأم؛ الهند، كما تفتش في الهجوم على الإسلام): «إن الحضارة الغربية هي الحضارة العالمية التي تناسب كل الناس»، ومعنى ذلك أن الحضارة الغربية حالة طبيعية، صفة لصيقة بطبيعة الإنسان، ومن يحرف عنها فهو إنسان غير طبيعي وشاذ وهذا يعني أن التاريخ يتبع مساراً واحداً، وأن هنتجتون يؤمن بالمدروج أمادي النمط، رغم كل حديثه عن التعددية والصراع.

ويوضح هذا الإيمان بالمدروج أمادي النمط في الأمثلة التي يورقها في مقاله: فهو يتكبر أنه اكتشف «أنه مغايلة له من رئيس جمهورية المكسيك» أن هذا الأخير يود أن يحول بلده من بلد أمريكي لاتيني إلى بلد أمريكي شمالي (أي يحاول أن يجعلها تلتق بركب الحضارة الغربية والطبيعية!)، ولا يملك هنتجتون إلا أن يعبر عن إعجابه العميق بعملية التطبيع هذه، التي ستجعل المكسيك متفقة مع قوانين الطبيعة وأمريكا الشمالية، «يتقدم إنحراجها عن السراط المستقيم.. هذا هو الإيمان المستقر.. ولكن رئيس جمهورية المكسيك، هذا الذي يعرف أمير السياسة، ويعتد من الإفصاح عن هذا الإيمان ويقول: «لا يمكن أن نقول ذلك علناً، إذ إن السيد الرئيس يعرف أن جماهير الشعب تتمسك بالخصومية والأصالة ولا تتركه،

واستخدام هنتجتون لكلمة «حضارة» يعادل تقريباً استخدام كلمة «معرفي» عندنا؛ فكل حضارة - حسب رؤية هنتجتون - رؤية للكون تدور حول العلاقة بين الإنسان والإله (الفرد والمجتمع - الجزء والكل)، وتؤسس على هذه الرؤية للكون منظومات معرفية وأخلاقية تعدد تراتب السعرات والحقائق (المساواة والسلطة - الفرد والأسرة - المواطن والدولة - الصراع والاتساق). هذه الرؤية للكون أمر متجزئ في البشر عبر قرون طويلة ولا يمكن أن يمسى لهما في سفوات قلبية، وما يراه أهل حضارة معينة أمراً أساسياً قد يراه آخرون هامشياً، ويؤكد هنتجتون أن أساس اختلاف الحضارات هو التاريخ واللغة والحضارة والتقاليد ولكن أهم العناصر طرأ هو الدين (نلاحظ بشكل جانبي أن طريقة هنتجتون في التحصيل ليست جيدة، فهو يورد عناصر متداخلة مثل التقاليد والتاريخ باعتبارها عناصر مستقلة تمام الاستقلال، كما أنه يتكرر الحاضر بشكل رئيسي وكأنها جميعاً متساوية، ولكن يجب أن نذكر أنه يعطي مركزية سيئة للدين).. فكان هناك صراعاً حضارياً في العالم هو في واقع الأمر صراع ديني.. وبعد أن يتبدل هنتجتون أطروحة بهذا الشكل (الحضارة الغربية في مقابل الحضارات غير الغربية) يسعى لطبعاً بأن ثمة تدوراً حضارياً هائلاً في العالم (ومن هنا حديثه عن الحضارة الغربية الأرثوذكسية مقابل البروتستانتية والكتانوكية، والحضارة الكونفوشيوسية والحضارة الإسلامية اللتين يرى لهما مبرسان نوعاً من التعاون في اكتساب القوة والثروة).

سعادة الإنسان، فالتأثير النهائي لهذا التطور على سعادة البشر أمر غامض.. بل إن فوكوياما يورد، بقدر من الاستحسان، عبارة من كتابات كوجيف (مفسر هيون الذي يصد عليه فوكوياما) يقول فيها: «إن إخفاء الإنسان بانهائه للتاريخ ليس بكارثة كونيّة [طبيعية/ مادية]؛ فالعالم الطبيعي [المادي] سبقي كما كان عليه منذ البداية، ولا هو بكارثة ببربرية، فالإنسان سبقي حياً كالحوانات منمجة مع الطبيعة/ المادة، أما ما سيخفي، فهو الإنسان بمحاده للشائع؛ والإنسان بمعناه اللغوي أمر حضاري تاريخي مركب لا يهتم به الماديون الطبيعيون كثيراً.

إن إعلان فوكوياما نهاية التاريخ هو إعلان نهاية الإنسان والتصار الطبيعة/ المادة، أي الموضوع (الإنساني) على الذات (الإنسانية)، ومعناه تحول العالم بأسره إلى كيان خاضع لقوانين الواحدة المادية (التي تجسدها الحضارة الغربية) والتي لا تفرق بين الإنسان والأشياء والسيوان والتي تحول العالم بأسره إلى مادة استعمالية، فنهاية التاريخ هي في واقع الأمر نهاية التاريخ الإنساني وبداية التاريخ الطبيعي.

## (ب) صمويل هنتجتون والصدام بين الحضارات:

أشار بعض المحللين السياسيين إلى أن أطروحة هنتجتون هي عكس لأطروحة فوكوياما، فبينما يحن الأول تصاعد الصراع بين الحضارات ومن الثاني انتهاء اللحد والتدافع والتاريخ.. والأمر هو بالفعل كذلك لو قمنا بالمستوى التحليلي السياسي وبشكل الأتكان، أما لو تعمقنا وماردنا الوصول إلى المستوى المعرفي فلنأنا نجد أن الأمر مختلف تماماً.

يبدأ هنتجتون بتأكيد أن دور الدولة القومية كفاعل أساسي في الصراعات الدولية قد تراجع (ولم يختف كلياً)، ويظهر بدلاً من ذلك الصراع بين الحضارات والشرابات الحضارية.. وقد نشب هذا الصراع نتيجة دخول الحضارة غير الغربية كعناصر فاعلة في صياغة التاريخ، فالغرب لم يعد هو القوة الوحيدة في هذه العملية؛ فالصراع ليس حتمياً وإنما هو نتيجة دخول لاعبين جدد!

كما يدركه هو وكما يدرك هنتجتون طبيعياً الحال، أن الخصوصية زخرفة يمكن الاستغناء عنها، وأن الهوية إضافة لا مبرر لها. ولعل هذه الإشكالية لأبد من الحديث عن الخصوصية والأمثلة ذكراً للرماد في اللميون مع الاستمرار في عمليات التحديث والتغريب والتطبيع، وهذا ما فعله أوزال رئيس جمهورية تركيا، هذا الذي يؤمن بالتحديث كتغريب وتطبيع، ومع هذا أدى فريضة الحج إلى مكة.

هؤلاء هم أبطال هنتجتون، رجال يؤمنون بأن الحضارة الغربية حضارة عالمية تناسب كل الناس في كل زمان ومكان، ولذا فيطهه الأساسي هو أتاتورك الذي قام بأشمل وأسرع عملية تحديث وتغريب (انطلاقاً من إيمانه بضرورة التخلص من الهوية والخصوصية وإماضي) حتى وصل بمجموعته إلى الحالة الغربية الطبيعية/ المدنية الحديثة، وهي حالة «على كل» سبيل إليها المجتمع في نهاية الأمر، سواء أم أبي، من خلال قوانين التقدم التاريخي للجمعية العلمية الحديثة.

ولكن كل حضارة كما يؤكد هنتجتون تستند إلى رؤية دينية، فما هو البعد الديني للحضارة الغربية؟

يعلن هنتجتون أن قيم الحضارة الغربية هي الديمقراطية والاقتصاد الحر وفصل الدين عن الدولة والليبرالية والنسبوية وحقوق الإنسان. وفي الواقع، فإن ما يود أن ينسبه هنتجتون هو أن الأساس الديني الداليت للحضارة الغربية هو فصل الدين عن الدولة (وهو يظهر هذا مرة أخرى عدم قدرته على التصنيف الذكي والترتيب الدال، ولكن ما يهمنا هنا هو أن الترميز الفكري كامن وواضح). ولابد أن إصحابه بأتاتورك ينبع من هذا الإيمان للتمسك بالعلمانية، وليس من قبول الصدقة أن يقصير كلمات المستشرق الأمريكي اليهودي العنصري برتراند رابنسون حين يتحدث عن نشوب ثورة من جانب الحضارة غير الغربية «مضد التراث اليهودي/ المسيحي ومضد حاضرنا العلماني ومضد الانحياز العالي لكتلهم»، فالعنصر لليهودي/ المسيحي ينتمي

للماضي (مجرد تراث)، أما الحاضر فهو العلمانية، أما الوعد فهو الانتشار، أي أن ثمة تداخلاً بين التغريب والعلماني والإمبريالي التوسعي (يفترض فؤاد عجمي هذا للترافق في مقالته الذي رد به في مجلة الشؤون الخارجية على هنتجتون، فهو يتحدث عن عمليات التطبة في الهند وتركيا باعتبارها عمليات تغريب وتحديث). والواقع أن مفهوم الدولة الممزقة أو المتمزقة (بالإنجليزية: torn state) الذي يستفهمه هنتجتون يفترض هذا الترافق، فهي دولة ممزقة بين الحديث والتغريب والعلماني من جهة، وبين تراثها وهويتها وأقيمتها من جهة أخرى.

ثمة ثنائية حادة واستقطاب متطرف في علم هنتجتون بين الأنا الغربي (الحديث العلماني) من جهة، والآخر (غير الغربي وغير الحديث وغير العلماني) من جهة أخرى، وهي ثنائية لابد أن نسمي، وهذا هو في واقع الأمر صراع الحضارات، أي صراع الحضارة الغربية الحديثة العلمانية ضد الحضارات الأخرى، وهي نفس الثنائية الكلامية في عالم فوكوياما وفؤاد عجمي.

ولكن نقطة الاختلاف الأساسية بين الدلالة هو اختلاف حول سرعة الوصول، ففوكوياما زادت حرارته الشجانية فجمول وأعلن أننا قد «وصلنا» وهذا هو رطل نهاية الآخر والتمسك بالذات ونهاية التاريخ وبنية الفردوس الأرضي، أما فؤاد عجمي فيرى أننا قد وجدنا كلنا تسحت الخطة ولكننا لم نصل بعد. أما هنتجتون فهو ألق فقالوا من كليهما، فهو يرى أن الطريق إلى النهاية للتقدمية العلمية في لحظة الوصول ليست بهذه البساطة. وحتى يوضح وجهة نظره، يشير إلى تلك الأيام الجميلة حينما كان الغرب يهيم على المؤسسات السياسية والأمنية الدولية والاقتصادية ثم تغير الأمر بعد ذلك إذ ظهر لأول مرة بعد إعلان حقوق الإنسان (وهو إعلان علماني ضامناً يستند إلى فكرة القانون الطبيعي)، دول لا تؤمن لا بالتراث المسيحي/ اليهودي (أي تراث الحضارة الغربية) ولا بالقانون الطبيعي (للحديث على الطريقة الغربية والعلمانية). وقد زادت هذه الدول عدداً وأصبحت الآن في المتقدمة..

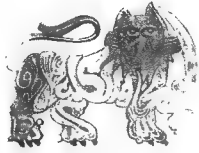
وهذه الدول التي لا تتصوى تحت المنظومة الغربية لا تحت الخطة نحو النهاية الموعودة (والاستسلام لتأخير لسر الفئانية) إذ إن بعضها بدأ (على حد قول جورج ووجيل الذي يتبنى هنتجتون كملته) بتراجع عن عمليات التطبة والتغريب في العالم وبدأت تتحول، بل وقد تتحالف مع بعضها ضد الفردوس الأرضي ونهاية التاريخ وصالة الطبيعة. ويعد هذا التراجع هو الحقيقة الاجتماعية الأساسية في المهارة في نهاية القرن العشرين. والذين (كما قال هنتجتون) هو أساس الثورة والخصوصية الحضارية التي تتجاوز الحدود القومية وترتد الحضارات، فالصراع ليس صراعاً بين حضارات (تكل) قيمتها وقيمها) وإنما هو صراع بين منظومة قومية غربية علمانية تدور في إطار المرجعية المدنية وتستند إلى فكرة القانون الطبيعي (المدني) بكل ما يتضمنه ذلك من إنهاء للتاريخ والانسان والهوية من جهة، ومن جهة أخرى كل من يقارم ذلك ولا يوافق عليه ويرى أن الإنسان ليس مجرد مادة (وهذه هي العملة الحقيقية بين الإسلام والتكفوشوسية). ولكن هنتجتون مرقن ضامناً أن هذه صراع مؤقت، فحمة الفلك أساسية ولحده يتجه نحوها العالم فيتحقق فيها القانون الطبيعي (والحق الكلي الغربي، الطبيعي/ المدني الحديث) نقطة التمسك الحضارة الغربية الحديثة الطبيعية/ المدنية العلمانية العلمانية، نقطة وصلت إليها بعض البلاد بالفل.

ويتبن هنتجتون بشأن الحضارة الغربية باعتبارها حالة الطبيعة أمر بخير الخوف، فمن يقارم حالة الطبيعة لابد من تقويمه بطبيعة الحال ووضعه على المسار الطبيعي، فهو المسار الوحيد والصحيح، الأمر الذي يتطلب - طبعاً - اتخاذ بعض الإجراءات الطبيعية غير السارة وطرح بعض الطول الطبيعية المخرية الهائلة مثل إسقاط الحكومات القومية (التي تتحكم بأهذاب خصوصية زائفة) وذلك المواسم المقارمة (التي تدافع عن قيم لا جدوى لها مثل تكريمه واللغة الوطنية) واستباحة المدن والقرى الخاصة التي تقارم قانون الطبيعة والتطور الغربي.

## ٢ . التاريخ لا هدف له ولا غاية.. ما بعد الحداثة :

ما بعد الحداثة هي الرؤية الفلسفية التي أهرزت مؤخرًا شيئاً لا نظير له في العالم الغربي، وهي رؤية تنطلق من عدة أطروحات فلسفية مختلفة ومصطلحات صاخبة زائلة (تتغير بمعدل مرة كل أسبوع تقريباً) كلها تؤكد غياب المرجعيات وبأن كل الذات وتقدائنها محدودها، وبأن كل الموضوع وفقدانه محدوده، وبهيمنة النسبة المعرفية الأخلاقية، ومن ثم استحالة الوصول إلى فكرة الكل، سواء كانت هي فكرة الإله أو الأخلاق المطلقة أو الطبيعة البشرية (أساس الأنطولوجيا الغربية) (مختبر فلسفة ما بعد الحداثة هي قمة الثورة ضد الهيكلية، وهي تبرز للاتجاه الفلسفي الغربي المعاصر للفلسفة) .. ولكن هذا يحل في واقع الأمر اختفاء العقل، أي الملكة التي يقوم الإنسان من خلالها بمراكمة المعنى والإنجازات، ويظهر ما سماه أحدهم «ذاكرة الكلمات المتقاطعة»، أي معلومات متناثرة لا يربطها رابط وينشأ الإحساس بأننا في الحاضر الأزلي؛ تغير مستمر بلا ماضي ولا مستقبل، وتغير بلا ماضي ولا معنى ولا منطق .. ويتحول التاريخ إلى مجرد لحظات جامدة، وزمن مسطح لا صق له، ملاف حول نفسه لا قسمات له ولا معنى .. ويفرغم الحاضر والباضى والمستقبل وتتسارى ضاماً مثل تسارى الذات والموضوع والإنسان والأشياء بولكنه تزامن دون استمرارية، ففئة انقطاع كامل. ومن هنا، يتحدث أنصار ما بعد الحداثة عن إحلال القصص الصغيرة (أو الجزئية أو الذاتية) محل القصة الكبيرة (أو الشاملة أو الكلية)، أي أن الإنسان غير قادر على الوصول إلى رؤية تاريخية شاملة تضم البشر كافة ولكنه قادر على خوض تجارب جزئية يمكنه أن يقصها بدرجات متفاوتة من الدجاج والفشل، ولكنها لا ترقى قط إلى مستوى تاريخ عام للبشر، فليست لها أية شرعية خارج نطاق تجربته .

إن ما بعد الحداثة قد لا تطرح نماذج خطية تطورية أو حلولاً نهائية وقد لا تبشر بالدروس الأسمى أو بالثورة التكنولوجية للتكنولوجيا ولكنها هي أيضاً إعلان لنهاية التاريخ ونهاية الإنسان ككائن مركب



## نهاية التاريخ وطرايع الحضارات

لجماعى قادر على الإختيار الأخلاقى الحر لنحل محله إنسان ذو بعد واحد يدور في إطار المرجعية الكامنة أو دون أية مرجعيات يعيش متكفلاً إما على ذاته الطبيعية التي لا علاقة لها بما هو خارجها، فهي مرجعية نفسها، أو على كليات إنسانية مجردة لا علاقة لها بالإنسان كما نعرفه .. وهذا الإنسان لا ذكورة له فهو يعيش في اللحظة دائماً، في قصته السرى، ولذا لنص أحدهم ما بعد الحداثة بأنها نصيان نشط للذاكرة التاريخية، وهي طريقة متضخمة صغرة للقول بنهاية التاريخ. ويمكننا القول إنه إذا كان فوكوياما اكتشف نهاية التاريخ فإن ما بعد الحداثة تقوم بقله.

ما علاقة نهاية التاريخ وصراع الحضارات وما بعد الحداثة بواقعنا وبالظلم العالمى الجديد؟

ومرة أخرى، كى نجيب من هذا السؤال لإبد من تعريف هذا النظام العالمى الذى يوصف بأنه «جديد». ويمكن القول بأن النظام العالمى الجديد إن هو إلا امتداد للنظام العالمى القديم، وإعادة إنتاج للرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية على عصر ما بعد الحداثة. وتذهب الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية إلى أن للعالم مادة، وأن هذه المادة مادة استعمالية بالدرجة الأولى، والإنسان، باعتباره جزءاً لا يتجزأ من هذا العالم، هي أيضاً مادة استعمالية، ولذا فهو كائن ذو بعد واحد، تحركه الدوافع المادية وأهمها الدافع الاقتصادى والدافع الجسى. ولذا فالمصالح الاقتصادية والبحث عن القوة (لدى لا تتجاوز عالم المادة والحواس) والخس لا تصل إلى عالم الطلعات والأسرار

والأشواق والتاريخ المركب)، هي المحرك الأول والأخير لسوكة، وهي المرجعية النهائية لوجوده .

والمنظومة القيمية الغربية منظومة كلية شاملة تسعى على الإنسان والطبيعة، وعلى كل البشر في الشرق والغرب؛ فالجميع مادة استعمالية .. ومع هذا، يوجد داخل هذا الإطار للكل الشامل ثنائية الأنا والآخر. ولذا، ففى داخل هذه المنظومة التي تدور في إطار المرجعية الواحدة المادية، نجد أن الإنسان الغربى مادة مستعملة (يكسر المعنى) أكثر منها مادة استعمالية، أما سكان آسيا وأفريقيا فهم مادة المعنى؛ مادة استعمالية أولاً وأخيراً، ولذا، عبرت هذه الرؤية عن نفسها في النظام الدولى القديم على هيئة خطاب عصى يؤكد على الثغرات بين الأجناس كما يؤكد على عبء الرجل الأبيض ورسالته العنصرية.

وإنطلاقاً من ثنائية الأنا والآخر العنصرية الصلبة، كان النظام الإمبريالى القديم يحاول استعباد الشعوب الأخرى فيحاول أن يوقف عمليات التحديث في أى مكان في العالم، ويقمع كل الثورات ليعمن تدفق المالة والمواد الخام الرخيصة ويضمن وجود مجال حورى وشكل امتداداً إسرائيانياً واقتصادياً له، حتى يظل العالم الغربى منتجاً ومستهلكاً كالعالم الثالث فيظل منتجاً بدلاً، ومستهلكاً حاجزاً لبعض بضائع أوروبا وأفكارها. وفي إطار هذا ولدت عصرية الثغرات وأفكار الشعب العنصرى وعباء الرجل الأبيض والشمال الحورى، وهي أفكار تسبغ القلادة على الإنسان الغربى وعلى تاريخه وحضارته وتزعم القداسة عن الإنسان غير الأبيض وعن تاريخه بل وتقبلها، إذ يفترض هذا الإنسان كإنسان ينتهى تاريخه، فهو مجرد تاريخ مختلف والعراق من اللقطة التي يقفه نحوها التاريخ العالمى. وكانت هذه العلل النهائية يدفعها مدفع غرسى واضح يدك كل من يقف في طريقه دكا، كما فعل في فلسطين والجزائر وقيتام.

هذه رؤية ثنائية حادة تكرر تاريخ الآخر وإنسانيه ولا تقبل إلا كفاءة استعمالية. وقد تكررت ممارسات النظام الإمبريالى الدولى القديم بأشكال تتراوح بين درجات مختلفة

من الصدة والتدفير في أنحاء آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. وكان يمكن للاستعمار أن يستمر على شكله القديم، ولكن حدثت تطورات تاريخية عميقة لا تشكل لحظة إنفاقة أخلاقية تاريخية وإنما تشكل لحظة إدراك ذكية من جانب الغرب أوازن القوى، ومنه ننسب أسباب ظهور النظام العالمي الجديد فيما يلي:

١- أدرك الغرب عمق أزمة العسكرية والثقافية، وأحس بالفكك الداخلي وبهزيمته عن فرض سياسته بالقوة.

٢- أدرك الغرب تراجع المركزية الغربية وظهور مراكز عديدة (غير غربية) تتفاوت قوة وضعاً.

٣- أدرك الغرب استحالة المواجهة العسكرية والثقافية والاقتصادية مع دول العالم الثالث التي أصبحت جماهيرها أكثر صموداً ونخبها أكثر حركية وصقلها فهدماً لقواعد اللعبة الدولية، وبذا أصبحت المواجهة العسكرية مكلفة للغاية إن لم تكن مستحيلة.

٤- أدرك الغرب أن تحالف شعوب آسيا وأفريقيا يجعلها غير قادرة على الاستهلاك ومن ثم لا يمكن استيعابها في حلقة الترشيد المادية إذ لابد أن تتقدم هذه الشعوب لتصبح شبه ملدجة شبه مستهلكة.

٥- أدرك الغرب أنه رغم هذه الصعوبة، فغمة عوامل تفكك بدأت تظهر في دول العالم الثالث، فقد ظهرت نخبة محلية مستوعبة تماماً في المنظومة القومية والمعرفية والاستهلاكية الغربية يمكنه أن يعاون معها ويجهدها، وهي نخبة يمكن أن تسقط له من خلال السلام والاستسلام ما فشل في تحقيقه هو من خلال المواجهة والغزو العسكري.

تكل هذا كان لابد أن تظهر رؤية جديدة هي استمرار للثورية القديمة وتكريس الوضع القديم ولكن من خلال خطاب جديد يتروعب الإدراك الفردي للتكلفة العالية للمواجهة بل واستحالتها. ومن هنا ظهر ما يمكن تسميته «الاستهلاكية المالمية». والثورية الجديدة مثل القديمة تماماً ترى أن العالم والإنسان مادة استهلاكية وترى ضرورة أن يتحول للعالم بأسره إلى ساحة كبيرة لا تسودها إلا قوانين العرض والطلب وتعلم المصلحة المادية واللذة

الجسدية، ولذا فهي تحاول ترشيده العالم بأسره لتحويله إلى مصنع وسوق وملهى ليلي (أو شركة سياحية). ولكن في الوضع القديم كان هذا يتم لصالح الشعوب الغربية، والمطلوب أن يستمر ذلك دون حاجة للمواجهة، مع استيعاب الجميع في حلقة الترشيد المادية للشأن.

لتحقيق هذا قرر الغرب اللجوء للإغواء والإغواء بدلا من التمتع والقتل، والاستفادة من التفكك لضرب التماسك، أي أن التفكيك والانحلال لجدي وأخص من التدمير والمواجهة، وبذا يمكن للغرب حل إشكالية صخره عن المواجهة وبأن يخلق عن مركزته الزائفة وهيمته السعلة ليعمل محلها هيمته بديوية كاملة.

وأقيمت الإغواء عديدة من بينها إيهام الآخر، أي أعضاء النخب المحلية الحاكمة التي تم تقييدها، بأنها شريكة مع الاستعمار الغربي في عمليات الاستثمار، بل وشريك (صغير) في عمليات نهب الشعوب وطمعهم ملها. وبذلك هناك عملية إفساد ورشوة لأعضاء هذه النخب، بل إنه يتم إغواء للنخب نفسه إما عن طريق وسائل الإعلام «العالمية»، وبيع أحلام الاستهلاك الوردي للثروسيّة، أو عن طريق النخب المحلية. وتصد في الوقت نفسه عمليات فتح للحدود وتفكيك الدولة القومية وباعتباره إطارا لجميع القوى الشعبية المختلفة ضد الإمبريالية أو ضد الهيمنة الغربية وذلك عن طريق المنظمات الدولية والـ NGO (المنظمات غير الحكومية) وإثارة الألبان والثارة مشاكل للحدود... إلخ، وبذلك الأسرة باعتبارها الملجأ الأساسي والآخر للإنسان والحيز الذي يحقق المجتمع دخله استمرارية الهوية والمنظومة القومية (وتكفل به جماعات المتمركز حول الأثني فيميويزم Feminism وجماعات الدفاع عن الإباحية باعتبارها شكلا من أشكال الإبداع لهذا الجانب من عملية التفكيك).

وأخيراً وطلق هذا النظام سباعية كثيفة من الدباجات والأكاذيب عن اخفاء الأهداف الاستغلالية القديمة والإيمان بالديموقراطية والعدالة... ويمسك الحديث عن التفاروت وبعده الرجل الأبيض ليكون هناك حديث

عن المساواة (التي هي في واقع الأمر تصفية). ويؤكد هذا النظام أن التحالفات السياسية في الوقت الحاضر لا تستند إلى الأيديولوجيا والإيمان بالخصوصيات القومية أو الدينية وإنما إلى التكنولوجيا والمصالح الاقتصادية العلمية، والمصارف لا يتم سحب المبادئ وإنما يتم بسبب المصالح والبحث عن اللذة، وبمسة تلاق بين الأمن القومي والمصلحة الاقتصادية، وبالتالي يمكن حصر الخلافات بين الدول وتحييدها والتعامل معها بشكل رفيد، فالمصالح (على عكس المبادئ) يمكن حسمها، ويمكن إخضاعها لعمليات حسابية رياضية دقيقة، والشيء نفسه يقال عن الخلافات داخل المجتمع الواحد، فبالإمكان حسمها من خلال العملية الديمقراطية، ولا يسمى «مخالفات» الإجراءات، أي الاتفاق على قوانين اللعبة وإجرائاتها دون الانشغال بالسامية أو بالأهداف.

والخطر الذي يهدد الأمن القومي - حسب ديباجات النظم العالمي الجديد - لا يأتي من الخارج وإنما من الداخل، من قوى تقف ضد الديمقراطية وضد تأسيس المجتمع على أسس اقتصادية وعلى أسس التفكيك مع النظام الدولي... هذه القوى هي التي تجر الداخل القومي إلى صراع مع الخارج الدولي بدعوى الدفاع عن الكرامة أو الاستقلالية أو الشخصية القومية أو الرغبة في التنمية المستقلة أو الخصوصية والأصالة لمجابهة القوانين الديمقراطية العامة. وثمة افتراض كامن بأن المجتمع الأمريكي (الذي يفترض أن الدافع الأساسي في سلوكه للبرش عن الاقتصاد والشيء حق أعلى مستويات الإنتاجية والاستهلاكية والمتعة لأعضائه) لابد أن يصبح القوة والمثل الأعلى.

ولكن كل هذه الآليات والأهداف تصب في هدف واحد أو حل نهائي واحد هو ضرورة ضرب الخصوصيات القومية والمجموعات الأخلاقية حتى يفتد الجميع أية خصوصية وأية منظومة قيمة ليصبحوا آلة إنتاجية استهلاكية، لا تكف عن الإنتاج والاستهلاك دون أية تساؤلات، ومن هنا تظهر نهاية التاريخ كمفهوم أساسي، فالنظام العالمي الجديد لا يشير إلا للحظة الزائلة

أبعها (في عصر ما بعد الحداثة) الإباحية وصناعة اللذة المتصلة في هوليود وأفلامها.

ويمكننا الآن أن نعود مرة أخرى إلى موضوع إنقاذ التاريخ وإنهاء الإنسان: الموضوعان الأساسيان في كتابات فوكياما وهنتجتون وكتاب ما بعد الحداثة.. فمع وصول التاريخ إلى نهايته، ينتهي الصراع وتختفي كل السمات وتبتسط كل التوتريات، ويظهر بشر ذوو بعد واحد وتختفي الذاتية والعمق والحضارة والإنسان، عالم مروت الإنسان بعد أن مات الإله. وهكذا، ورغم اختلاف الميول، تتلاقى النتائج. والنظام العالمي الجديد، بهذا المعنى، نظام مصادم للإنسان ومعاد للتاريخ، وهو عداء ناتج من العداء الذي يحس به ذوو الاتجاه الطبيعي للمادى نحو كل الظواهر المركبة بكل ما تصو من قداسة أو أسرار، وهو أيضاً ناتج من رغبته المارّة في تسوية الإنسان بما حوله، حتى يذوب في الطبيعة/ المادة ويختفي ككيان مركب مستقل، ولابد من التصدي لهذه النزاعات المعادية للإنسان والتاريخ أو يمكن أن يتم هذا إن طريق الهبادة ضد عمليات التفريد المادى والسكّلة والتكرلة Macdonaldization and Co-accolization. والجهاد هذا هو الجهاد الأعظم: مجاهدة النفس، أي أن يكشف الإنسان ما بداخله من أسرار يهدهك أنه ليس بمادة ميتة صماء، وأنه ليس مجرد مجموعة من المصالح الاقتصادية والدوافع الغريزية، وأنه بوسع - لو شاء - أن يعرف مصالحه بطريقة لا تتعارض بالضرورة مع خصوصيته القومية ومنظوماته القومية.

ويمكننا دخل هذا الإطار أن نعدّ تعالاً يضم الملائيين والإيمانيين لتصديدها الإله الهلكة التي تمسك بتلابيب العالم وتسد من أحلام البشر الاستهلاكية وتبشر بمسرى معيشي يتفانى مع حدود الطبيعة ذاتها وتوازنها، بل ومع حدود الإنسان وتوازنها مع نفسه. إن مستوى المعيشة الذي تصفه الحضارة الغربية للإنسان الغربي لم يتم إلا من خلال التجربة الإمبريالية ومن خلال المراد الطبيعية والمعالجة البشرية الخاصة وذلك في لحظة تاريخية تائرة تسد فيها الغرب على العالم ولا يمكن لها أن تكسر، ولا نرجو لها أن تكرر للحضارة الغربية أو



## نهاية التاريخ وطراع الحضارات

إلى المركز، فكل الأمور مادية، وكل الأمور متساوية، وكل الأمور نسبية، فهو عالم في حالة سيولة كاملة (تماماً مثل التناص textuality حين يحولك نص إلى نص قبله ونص بعده، فيختفي المعنى وتختفي الحدود والهوية والسلوية). وكما يقول فريديريك جيمسون، الناقد الأمريكي للماركسي، إن روح ما بعد العدالة تعبر عن روح رأسمالية عصر الشراكات متعددة القوميات حيث قام رأس المال (هذا الشيء المجرد المتجرع الذي لا يكثر بالعدوى أو الزمان أو المكان) وإنهاء كل الخصوصيات، كما ألغى الذات المتماكة التي يتحد فيها التاريخ والعمق والذاتية، وحلت القومية التبادلية العامة محل القومية الأصلية للأقليات.

ومن نقبل بتحليل جيمسون لفكر ما بعد الحداثة وإن كنا نستعمل بكلمة «رأسمالية» عبارة «علمانية شاملة». والحدث عن القومية التبادلية العامة التي تلغي الخصوصيات هو - في واقع الأمر - ليس حديثاً من رأس المال باعتباره شيئاً اقتصادياً وإنما من رأس المال باعتباره آلية ذات بعد مجرّي تؤدي إلى تفكيكه ودمج كل ما هو فردي وخاص ومعيّ ومقتضى ومحمل للأسرار، ومن ثم فهي آلية معادية للإنسان لأنها معادية لكل من التاريخ والحضارة، إذ إن التاريخ والحضارة - كما أسلفنا - هما مصدر التفرد الإنساني. ورأس المال هنا هو آلية دفع الإنسان من عالم الحضارة والتاريخ المركب إلى عالم الطبيعة الأحادي البسيط؛ هو آلية سيادة للقائين الطبيعي للمادى وللوحدي، فهو أهم كليات زرع القداسة عن الإنسان؛ وهو ليس الآلية الوحيدة. إذ توجد آليات أخرى اعتقد أن من

وحسب، ويتحدث عن المستقبل ولا يتحدث قط عن الماضي فهو نظام يدعي أنه هو نفسه لا ماضى له، وأن كل البشر لا ماضى لهم، وإن كان لهم ماضٍ فهو ليس مهماً فكل شيء جدد طازج. داخل هذا الإطار، يصبح الإنسان إنساناً طبيعياً أحادي البعد لا عبق له ولا ذاكرة ولا قديم.. يبدأ الإنسان دائماً في نقطة الصفر وينتهي فيها، يعيش في عالم بلا جنس ولا خطيئة ولا حياة، عالم مفصول في الزبد المادى والإجرائى، كل ما غيبه وحشره بشكل هندسي متناسق، مستقيم من التناقض والجلد.

ولنلاحظ أن ما تصافق هذا ليست خصوصية قومية بمعناها وإنما مفهوم التفصيصية لنفسه، وليس تاريخياً بمعناه وإنما فكرة التاريخ نفسها، وليس هوية بمعناها وإنما كل الهويات، وليس منظومة قيمية بمعناها وإنما فكرة القيمة نفسها، وليس نوعاً بشرياً بمعناها وإنما فكرة الإنسان المعلق لنفسه، الإنسان ككيان مركب لا يمكن رده إلى ما هو أدنى منه. لقد انحلت المرجعية، ولا مرجعية، وظهر عالم لا خصوصيات فيه ولا مركز له.. هذا العالم الذي لا مركز له.. يسير فيه بشر لا مركز لهم ولا هدف، لا يمكنهم التواصل أو الانضمام لوطن أو أسرة، كل فرد جزيرة منعزلة أو قصة صغيرة، يظهر إنسان استهلاكي أهدى البعد بعد أهدافه كل يوم، ويغير قومه بعد إشعار بصير رأيهم من الإعلانات والإعلام؛ إنسان عالم الاستهلاكية العالمية الذي ينتج بكفاءة ويستهلك بكفاءة ويعلم لذته بكفاءة حسب ما رأيهم من إشارات وأصناف؛ هذا هو العمل النهائي في عصر التسوية الذي لا محل للثبات النهائي لمصر الثقافات، فبدلاً من الإبادة من الخارج، يظهر التسوية من الداخل.

ومن هنا نرى أن ما بعد الحداثة هي في واقع الأمر الإطار المبرر للكامن للنظام العالمي الجديد، فهي رؤية تنكر المركز والجمعية، وترفض أن تعطي التاريخ أي معنى والإنسان أية قيمة أو مركزية أو إطلاق، وتسقط كل الأيديولوجيات (عصر ما بعد الأيديولوجيات)، وتنكر التاريخ (عصر نهاية التاريخ)، وتنكر الإنسان (عصر ما بعد الإنسان).. فالعالم حسب هذه الرؤية يفتقر

لغيرها من الحضارات، فالأزمة البيئية التكنية تحقق بالجميع. إن هذه الحضارة الغربية تشجع صورة الإنسان باعتباره كائناً طبيعياً جسمانياً وتشجع نمطاً استهلاكياً لا أساس له في الواقع المادى أو للتاريخى. ولذا فالصور التي تشيعها هي أكبر دعوة للإرهاب، فمن يدعو صورة مستحيلة يدعو بشكل صريح إلى الصراع والتقاتل والإرهاب.

والإسلام كروية للكون يرخص هذه الرؤية المادية البروموية للفاوسية، فهو يدعو للتوازن بين الإنسان ولكن ويخمس في الإنسان إحساسه بذاته الإنسانية ومفهوماته الأخلاقية التي تطلق مسافة بينه وبين الطبيعة والمادة وتزوده بروية تمكنه من رفض هذه الاستهلاكية الثقافية للشرسة،

ولانزال الشعوب الفقيرة في عالم الإسلام تجاهد ضد هذا النظام العالمى الجديد والقديم. وهذا هو سر عداء هذا النظام للإسلام، فهو أن الإسلام يدور حول بعض الشعائر ويركز جل اهتمامه على خدان الإنث (كما يدعى البعض) لقيام النظام العالمى الجديد بتشجيعه وتحويله. وللعالم الغربى على أم اعتماد للتصالح والتعاون مع حكومات شمولية قاتلة ترفع لواء الشرية الإسلامية علانية ولكنها تتجنى، بشكل راح أو غير راح، رؤية الإنسان باعتباره كائناً اقتصادياً جسمانياً والعالم باعتباره غابة داروينية مادية. ولكن النظام العالمى الجديد يعلم تمام العلم أن لمة رؤية إسلامية إنسانية شاملة، أساسها الإيمان بالعدل، وأن هناك خطايا إسلامياً جديداً مركباً إلى أقصى حد يؤكد

مشروعة المساواة بين الرجل والمرأة وبين أعضائه الأغلبية والأقلية وي طرح رؤية مركبة للعدل الاجتماعى والعلاقات الدولية، ويجند جماهيره ضد الاستهلاكية اللعينة.

يقول سورج لا توفى في كتابه، تخريب العالم. إن الغرب لم يعد بقعة جغرافية ولا حتى لحظة تاريخية وإنما أصبح كالألة التي تدور وتدوس للجميع بما في ذلك صاحبها والمتألمين عليها. والجهاد الأعظم هو محاولة الخروج من القفص الحديدى ومن هيمنة الآلة البسيطة (التي تشبه في دوراتها وراثتها حالة الطبيعة) إلى عالم مركب مدمش، يقف فيه الإنسان كائناً نبيلاً كريماً، متعدد الأبعاد، يحمل عبء وعيه التاريخى ومفهوماته الأخلاقية والمعرفية.. وأقول فولى هذا أسفطر الله لى ولكم. ■





# الأصولية فى الغرب والإقطاع الكونى القادم

## ممدى بندق

### إشارات افتتاحية

إن وقوف العقل البشرى على نمو العالم يهوى لمرحلة جديدة يحول فيها الإنسان التكون إلى خدمته، وفيها يتأسس العالم ويتمكن. ريثبه موهبلان من كتاب المذهب الفكرى الألمانى

المصنارة هي التجمع الأكبر للناس الذين ينتمون إلى ثقافة واحدة.

سموول هنتجتون.

من كتاب صدام الحضارات

التاريخ لا يعمل شيئا، الإنسان وحده .. الإنسان المى هو وحده الذى يعمل ويملك ويصارع. التاريخ لا يستخدم الإنسان لأجل ضاياته كما لو كان التاريخ شخصا مستقلا، ليس للتاريخ سوى نشاط الإنسان الماصى إلى أعدائه. كارل ماركس

من كتاب العائلة المقدسة

كفاكم قمودا فى هذا الجبل، تحركوا وارتموا.

سفر التثنية - العهد القديم

وجاء رجل من أقصى المدينة يسمى. قال يا موسى إن الملأ يأمرؤن بك ليقتلوك، سورة القصص - قرآن كريم

لم تكن العقيدة الدينية قط عائقا **فا** أمام البشر، فهي ضرورية حياتية وعقلية بدونها يسقط امره المادى فى متاعه الاضطراب ففهم عليه الرؤية الشاملة ويستبد به اليأس والمزن وقد يلجأ إلى الانتحار أو



بمازى الجريمة؛ بيد أن العقيدة الدينية الحقّة ليست مجرد إرث مجاني أو حروباً فى بطلانها إلهية، بل العقيدة الحقّة أبنة شرعية للمعانة الذاتية وللإبداع الفكرى والوجداني، رُأى قرائين الخلق الجمالى فى «الثقافة» التى تشرف على ولائها، ويكون للناس اللغز اللغزى الصمى مريبها المرصص على ألا تشب نسخة مكروية من غيرها فتذلل وضوت أو تهمل وتندرس.

لعل هذا الرعى بكنه العقيدة العقيدية هو ما دفع بالأنبياء والمرسلين إلى مناهضة حجة أقاربهم المتعصبين لتقديم والمعادية لكل جديد .. تلك الصلة التى يخلصها القرآن الكريم قتالاً لسانهم؛ «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون» (١)

لقد أدرك الأنبياء أن ثمة فارقاً جوهرياً يفصل ما بين القطيعة الثقافية وبين القطيعة المعرفية. الأولى مستحيلة إذ لا يمكن لجديد أن يأتى من فراغ فيما يخص بالكتابات؛ ومن حيث إن الثقافة فى التل المربك المتضمن: المعرفة والعقيدة والاف والأخلاق والقانون والأعراف والتقاليد والعادات المتكسبة من المجتمع، فإن القطيعة الثقافية من هذا التل المربك مستحيلة. ليس الأمر كذلك بالنسبة للمعرفة؛ فالمعرفة ليست كلاً مركباً وإنما هى فرع من فروع الثقافة يمكن أن يبحث اجتهاداً ليمو غيره دون أن تتحمل الشجرة. إن المعرفة الخاصة بالذرة عدد الإغريق لم تكن لتتجاوز مفهوم ديموقريطس القائل بأن الذرة هى أسفر جزء فى العادة وأنه لا يمكن تعميمها هذه المعرفة كان ضرورياً أن تهمل وأن تتعلّق صلتها بها تماماً منذ أن اكتشف ج. ج. طومسون الإلكترون وهو ما يعنى أن للذرة مكونات وأنها قابلة بالتالى للانقسام.

كذلك فإن رؤية العالم look World جغرافياً من منظور المورخ الطهرسى كانت تضع السور الذى أقامه ذو القرنين بينا وبين ياجوج ومأجوج، فى موضع بين جولين هما أندريومان وأرمينيا؛ وهى معرفة جغرافية لا يتقبلها حتى تلامذة المدارس الإحصائية فى أيامنا هذه، ولكن لأن

الأصوليين لا يرغبون فى استخلام آلية التقطيع المعرفية فإنهم يوردون رؤية الطهرسى الجغرافية هذه باعتبارها حقيقة واقعة! (٢)

للتقطيع المعرفية إذن مطابقة لتطور البشر. فهى بوصفها آلية عقلية التوقف الاستمرارية Dis-continuity بالنسبة للمعارف السابقة إنما تؤسس لمعرفة أتق من نوع مختلف يركب حركة العالم المادى التى لا تلى تكشف للناس عن أسرارها غير المحدودة بقدر ما يسعى للناس إلى استكشافها وسير أغوارها .. وفى هذا يقول السيد المسيح «ملكى ليست من هذا العالم، فيؤكد عليه المحدث البهرى «أنتم آدمى بشعون دنواكم».

الأنبياء والمرسلون إذن يعلمون أن دنيانا هذه خاضعة لقوانين جد مختلفة عن سنن العقيدة، ولهذا فهم يؤكدون أننا نحن المسئولون عن التعامل مع عالمان هذا المادى بشرطه، وأن جل ما يزيجه لنا أن نؤمن بعالم آخر يكون فيه حساب عما قدمت أدينا من خير أو شر.

هم إذن يكرسون التواصل الثقافى وفى الوقت نفسه يحرصون على تغيير معارفنا الدينية بقدر ما تكشفه لنا قرائين العالم الأرضى الذى تميل فيه دون أن يجدوا فى ذلك تناقضاً. وإيس ثمة تناقض بالفل.

بيد أن الأنبياء - ويسبب للكم العقلى لتلامذ كل تابع - لا يتخلون إلى هذا الفارق الخطير، ولهذا فهم حين يتقبلون عقيدة النبى الجديد يطمون ذلك بالمعقولة القديمة ذاتها، فتراهم يتعصبون له بعد أن كانوا يتعصبون ضده وبالحدة نفسها .. ومع الوقت تتحول هذه الحدة إلى لوستالوجيا جماعية خصوصاً فى أوقات الأزمات.

تلك الدنيالوجيا الجماعية - التى هى توق غور سوى للمودة إلى الماضى فى محاولة استعادة وضع يتحول أسفاده بالكامل - إن هى إلا جهر الأصولية.

يكتم ولهم اليسوت جريغس فى مقدمته لكتاب البوفيدو قاللا:

«إن الدارس الخبير بطرائق الروح والمتوسم بتاريخ الجنس البشرى كما يحركه الراعى الأبدى، يحتم عليه أن يضع خطأ فاصلاً بين تعاليم مؤس الدين (السود المسيح) والوثائق الأصلية من جهة، وبين الإضافات والتعديلات العقلية والمعرفية والكسبية من جهة أخرى» (٣) بغض النظر عن اختلافنا مع فكرة جريغس الدينية القائلة أن السيد المسيح هو معمر كالتاريخ؛ إلا أننا نوافق على التمييز بين الوثائق الأصلية التى هى الكتب المسألة وبين الإضافات والتعديلات العقلية والمعرفية للأنبياء تلك التى تشكل جهر الأصولية Fundamentalism.

ظهرت هذه الأصولية فى الغرب المسيحى فى القرن الثالث عشر بظهور كتاب «خلاصة اللاهوت» Civitas Dei لحجة الكاثوليكية القديس توما الإكويتى، وما كان لهذا الكتاب أن يظهر فى هذا الوقت بالذات إلا تمجوراً عن تغيرات عميقة فى البناء التحقى للمجتمع الأوروبى (الذى كان متحداً متماسكاً منذ شارلمان) ذلك أنه حين يبلغ النظام المسند أعلى درجات المركزية، فإن قوة الطرد المركزي لابد وأن تتغلب على قوة الترابط فتحول الوحدة المتناسكة إلى وحدات متحدة تطبق هذا على العوالم الفيزيائية: «السم، النجوم، الكواكب فالنار ... إلخ كما تطبق على الظواهر الاجتماعية (الإمبراطوريات والممالك الكبرى - الشيرة - القربانية - العائلة - الأسرة) فهو قانون فيزيائى وسوسولوجى فى آن.

هكذا أن السال حين شزقت الإمبراطورية الرومانية المقدسة ظهرت بدات النظام الإقطاعى فى فرنسا أولاً، ثم فى إنجلترا فى عصر الفتح النورماندى فى أواخر القرن الحادى عشر. يقول ديهاليس فى كتابه «الإقطاع والمكتبة فى فرنسا وإنجلترا فى القرن العاشر والحادى عشر:

«ولقد ساعد على انتشار هذا النظام فى إنجلترا أن ولهم الفاتح لاحظ تشابه بين سمات المجتمع الأنجلوسكسونى وبين المجتمع النورماندى فى فرنسا من حيث إمكانية

## الإصُولية في الغرب والإقطاع الكوني القادم

بوصفه صاحب السلطة السياسية. صار يمثل حاجزاً في وجه تقدم البورجوازية لتحقيق أهدافها؛ فلقد وضع البورجوازيون على رأس جدول أعمالهم بند إسقاط هذا الإقطاع وبمه حليفه «الأصولية الدينية» تلك التي خاصتها وعارضها حتى رجال الدين المستبشرين: «أعلن مارتين لوفتر معارضته للبابا، وبأذى كالحق وبإقامة «محدوة الإيمان» باعتبارها هدف المسيحي، ومنذ هذا الحداث «الديني» الثوري غدا هدف اللورد «البورجوازي» هو السجود للجنس والقدرة والنجاح. وطوال عصر النهضة مثلك الكالفينية ما نسبوه اليوم بالتحديث Modernization الذي صار به الواقع البشري إنسانياً خالصاً Pure Humany بعد أن ظل لا هو لا هي Theologic طوال القرون الوسطى معارضا للتقدم ومعادياً لطم الحديث. هنا فغضب تراجعت الأصولية الدينية إلى الكنائس والأديرة خصوصاً بعد أن قمت الثورة الفرنسية البورجوازية على الملك (رأس الإقطاع) وراحت تصفسي الإقطاع ذاته دين هزلة. وبهذا تم فصل الدين عن الدولة ومصار الشعب. وليس زويس - هو المصدر الوحيد للسلطات السياسية.

\*\*\*

فإذا كان ممكناً تفسير صعود وسقوط الأصولية في الغرب بصعود وسقوط الإقطاع؛ فكيف يمكن فهم محاولة بث هذه الأصولية في أيامنا هذه؟ فيما لا يقع بالبحث عن الأسباب في سيرة الفكر السجود، بل فيما يربط الفكر جديداً بحركة الواقع على المستويين الكرونولوجي والسملي؟

إن شراهد الحال لشئ بأن نظاماً إقطاعياً كونياً يشكل في رحم الدولة العالمية الحالية، وبدن على أشكال النظم الرأسمالية المتحضرة (برغم سقوط منظومة ما كان يسمى بالدول الاشتراكية) من حيث إن هذه النظم الرأسمالية إنما تتناثر الآن على المستوى السوسيوثقافي تهيؤاً لاختفاء الرأسمالية على المستويين الاقتصادي والسياسي في آخر السطاف، وهو ما يذهب إليه فلسفة ما بعد الحديثة Past Mod

مسورة هبات من الأرض أو تنصبه من الإزلات الإقطاعية ... وتراكمت هذه الهدايا حتى أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي، (٥).

وهذا أصبحت الكنيسة دعامة رئيسية لهذا النظام الإقطاعي وجزءاً لا يتجزأ منه، فمسار - كما يقول دويل ديورانت - بأملها الزمنية المادية سيطرة الملحنين وعاراً لكل مسيحي صادق !

\*\*\*

تجمعت الأصولية الدينية إذن في الوصول إلى السلطة لكن المجتمع لم ينجح في عبور الأزمة. ولم يتم بالطبع محدنة الله على الأرض، بل انتشرت الأديرة الجماعية وانتشرت ثروات الفلاحين في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، وسقطت للتسطينية عام ١٤٥٣ على أيدي أصولية متناوذة هي الخلافة العثمانية.

وعلى التقيض من الإقطاع المتأزم بايديولوجيته الدينية (الأصولية)، كانت طبقة البورجوازية (أمرار المدن) تصعد بقوة وعقولان، تبني مصالحها وتكرس في تجارتها عبر البحار، ويتباشر مهام الإدارة في المستعمرات متحضرة للثروة والبحث العلمي ولاكتشافات الجغرافية؛ فم لها اكتشاف قارة أمريكا عام ١٤٩٢، واختراع المطبعة راحت تدرج وتشر المؤلفات وتنشئ المدارس والجامعات تصمتن للمواهب من العلماء والكتابات واللغتين، بالاختصار راحت تغفل كل ما حوّل عه الإقطاع بجموده ورجعية فكره وقلق أيديولوجيته. ولأن الإقطاع -

تضطرب الإقطاع العزبي وإقامة نظام الدلالة Manor فقد وجد طبقة من النبلاء عليها التزامات عسكرية نصر الملكية مثل الدفاع وحفظ الأمن فضلاً عن الالتزامات الإدارية مثل جمع الضرائب، وكذلك لاحظ أن لهم سلطات قضائية في محاكم المقاطعات ... إلخ، (٤).

ومن فرلما وإنجلترا انتشرت النظام الإقطاعي في سائر أوروبا، وبالعقاب تقلص نفوذ الملوك والكنيسة الأم على السواء فكان أن اشتعلت الحروب بين الملوك من ناحية وبين أمراءهم ونبلائهم الإقطاعيين من ناحية أخرى وذلك في ظل نظام الإنتاج بيجل من الإقطاعي رأ في مقاطعته (واللورد لغة هو الرب) ويجعل من الفلاحين أبقاً إلى صبيحاً للآرض ليس لهم حق مفادرتها وإنما هم عاملون فيها بغير أجر لمصالح الإقطاع.

وكان من نتيجة هذا التحول الذي ساد العالم الأروبي المسيحي، وللفنعة العيش في مثل هذه الأوضاع أن تقدم القديس ثوما بمشورعه الأصولي لبناء مدينة رباتية على الأرض، الحاكمة فيها لله (ولكن رجال الدين سرف يمارسون سلطاته نوراً عنه بالطبع) وكان ملحقاً في ظل الأزمة الخائفة تلك أن يجتذب هذا المشروع السياسي قلوب الناس، حتى إذا شكلت الكنيسة من ثبوه السلطة. في عصر البابوات - رأينا معارضتها يصادرن إلى اللرق أحياء، ورأينا مسكوكه الفخرفان تباغ بالمال للسجود يشتررون بها قصوراً في الجهة مامامو قد فقدوا كل أمل في شراء قطعة أرض في المقاطعة.

غير أن وصول الكنيسة للسلطة لم يتم بمعارضة منها للإقطاع، بل تم نتيجة كون أساقفها جزءاً أصيلاً من نظام الإقطاع ذاته.

وكان ملك الضعفة في بعض الأحيان أسبقاً أو رئيس دير، وكبحر من الأديرة والكنائس تبال حظها من أموال المشور التي تجبى من الأبرشية، ولكن المؤسسات الكهنوتية الكبيرة كانت بالإضافة إلى هذا العمل اليدوي وتلك الأموال في حاجة إلى الصونة المالية. وكانت تبال الجزء الأكبر من هذه الصونة من الملوك والأشراف على

emity من إعلان فشل مشروع المحادثة الغربى الذى اعتمد على عناصر موسيقافية فى الفريدة والعقلانية والوثوق بالعلم والارتكاز على الليبرالية واعتبار التاريخ مسيرة مساعدة على التدرج، فقد تأكد لهؤلاء الفلاسفة أن للفريدة تتكامل بالمراد أمام سلطة المؤسسات، وأن العقلانية كشفت عن عبثية Absord وأن العلماء تفقدوا استقلالهم أمام سلطة الساسة ورجال المال، وأن الليبرالية لم تكن إلا شكلا ليس له مضمون اجتماعى.

وأخيراً تبين أن التاريخ الذى قيل إنه تابع فى مسيرته خطأ ساعداً باستمرار (كما لو كان يملك عقلًا زائدة حرة) ما هو إلا فعل البشر يسمد إن أرادوا له الصمود ويسقط أو يتراجع إن هم تراجعا أو تركا صلا أو سلموا قبيادهم لأعدائهم من بنى جنسهم تجار الحروب، أصعاب الزراعة الفاشية، عبدة العمل الذهبى، اللاراجسيون وخو المعتقد التنفسي حينما تقدم الظروف إلى مواقع السلطة .. إلخ).

لكل ما قيل عن المشروع الحداثى للورجوازية والذى وصل بالنظام الرأسمالى إلى الطريق المسدود، أما الإقناع الكونى القائم بتمجده - فيما نرى - على ذات الكلمة الأصولية التى لازمتها فى القرن الوسطى، تلك الكلمة التى تربت لتكون تراثياً شاقولياً، فبينا وضع الإقناع القديم، التورود الفرد بأعلى ووضع الأتقان بأسفل، فإن الإقناع الكونى القائم سوف تصعد فيه المجتمعات المتقدمة إلى رتب الدول / اللوردات بمكبيدتها لإقناع السلطات ومساند إنتاج المعرفة واحتكارها لعلم التكنولوجيا المتقدمة، وسوف تهبط فيه المجتمعات التى خلفت إلى وضعية الدول/ الأتقان لتعاصر داخل حدودها دون أن يكون لسانها حق الهجرة والوفورات العالية حول اضطهاد الأجانب فى دول الغرب تؤكد ذلك خصوصاً ألمانيا وفرنسا - وسوف يكون على سكان الدول المتخلفة أن يعملوا كإدخول فى المقول والمصانع (التي سيصدرها لهم للغرب باعتبارها محدودة الربح ومولدة للبطالة) وسوف يكون عليهم أن يستهلكوا السلع

الكونى (الذى سيمنحه لهم الإقناع الكونى الجديد) دفاعاً عن ساحتهم الدول/ اللوردات إذا صاروا لورداء، أو لهم أن يستهلكوا فى حدودهم الخاصة بهم تلك الحروب التى سيمنحهم بإشغالها اللوردات (البورقة كانت حرب الخليج الأولى ثم الثانية) وهى ليست إلا حروباً صليبية طائفية ودينية وعرقية تغذيها «الأصوليات» التى يعتمد عليها اللوردات الجدد بطريقة «فرق تسد».

إن الشواهد كثيرة على مشابهة الوضع للقادم بوضع الإقناع فى القرن الوسطى - وإن لم يكن الحاضر على المالحظ بالطبع - وذلك من حيث تلك الطبقات الوسطى والكتفاء بطبقتى اللوردات والأقنان وإن كانت الأرض الزراعية هى الوسيلة، الإنتاجية الرئيسية فى الحالة الأولى، فإن الصلطات والمعرفة ستكون هى وسيلة الإنتاج المتحركة فى الحالة الثانية.

لنقرأ مرةً من هذه الفقرة المفزعة من كتاب العرب وعصر المعلومات :

«مصدق: إذا السرعة والتكنولوجيا فى أغلفة لا شك أن نقصها، وحزم يصعب علينا تفكيكها وفكها شفرتها. لهم ومجربون عا التفاصيل الدقيقة تمت دعوى جمل التكنولوجيا أكثر يسراً لشعوب العالم المتخلف (...) وسيعملوننا من مهمة دراسة الجدوى وتقييم الأداء، وما دورنا إلا مهمة تسليم النتائج» (١).

أليس هذا بالضبط ما كان يطمح الإقناعى للتقدم ؟؟ يقدم للأقنان أدوات الإنتاج ليأخذ منهم الإنتاج ذاته ؟؟ دون أن يكونوا قادرين على الاستغناء عنه ؟؟

أما خبراؤهم فيسوفون عن زيارتهم القصيرة لديارنا وسوف يرسلون «الدليل» فى هيئة نظم الخبرة Expert Systems خبراء ليقين لتشخيص الأمراض والتعقيب عن الموارد الجيولوجية وفقر تصميم النظم، وتحليل التربة ومراقبة الإنتاج» (٢).

مرة أخرى الإقناعى / اللورد يرسل وكيل الدائرة ليقابل الأتقان ويفتقد معهم سير العمل بالمنطقة (فى أيامنا هذه باتى وكلاء

وزارات المالية والاقتصاد والتجارة لمقابلة ملوكنا ورؤسائنا وفيما بعد سيحضر إلينا الرابوت ؟) وأما اللوردات فيسومعون استراتيجيات الإنتاج (الإنتاج الذى يصطلونه من) ويرسمون خطط الأمن (لأنهم بالطبع) ويرتبون تدابير الدفاع عن مصالحهم الحيوية (مقاطعاتهم) ومحدثون التقنيات للأقنان إذا تضمنوا (رائداتيات) لتجارتهم هى أول بند فى لائحة المتطلبات للقائمة) أو ناملوا فى الوصيات المالية لتيبة والسكان والمرأة .. إلخ.

تقول سوزان جودج مديرة المعهد الوطنى الدراسى فى مقالها عن الوعى الكونى وجماليات التفرغ : «من دون ضغط عسكري يستحيل كبح جماح المطالب الشرعية لهذه التيارات الجائعة، وكذلك يقول سوابنها موريس برتران: «إن الاتفاقيات التى أبرمت مع الاتحاد السوفيتى (سابقاً) وأمريكا ودول أوروبا الشرقية، لا سيما فى المجال العسكرى، تحول هذه الدول الغربية إلى تحالف عسكرى حقيقى يضم دول الشمال، هدفه الوحيد هو السيطرة على دول الجنوب ومروجه - المضطربات والصدرات واللوردات» (٨).

مع ذلك فليس ثمة شك فى أن الدول المتقدمة سوف تتصارع فيما بينها تنافساً على خيرات الإقناعيات الدولية، ولكنها نظم منذ الآن لا سبيل إلى حل تلتقياتها وحل منازعاتها - فى إطار النظام الإقناعى الدولى القادم - إلا بتوقيع أرضاها على حساب الدول المتخلفة (الأخرى أن تقول الضعيفة) بما تملكه الدول المتقدمة هذه من أحلاف عسكرية فيما بينها فضلاً عن الاتفاقيات السياسية حلازة على التوزيع الاقتصادى والتلقى للأدوار.

وهل ثمة شك فى أن ابتعثت الأصوليات الدولية إنما يتم الآن بوعى كامل من واضعى الاستراتيجيات الكونية بعد أن وعوا درس التجربة التاريخية والذى يخلص من أن الأصولية الدولية سامى إلا للسد الأول لأى نظام إقطاعى ؟؟ لا ريب أن الأصولية هى كذلك فى نظريهم - وهم الذين

## الإصولية في الغرب والإقطاع الكوني القادم

في إقامة بناء فلسفي شامل ينفي عن الوجود اغترابه بطل مشكلة المادة/ الطاقة، وينفي عن المجتمع استلابه بنقله إلى علاقات إنتاج ما بعد الرأسمالية، وينفي عن الفرد غريزته وانقاره بإزالة الدولة عن عائقه كما بشره بذلك ماركس وإنجلز. وثالثاً: نتيجة فشل الوجودية في دعم الموقف اليساري من العالم حيث ركزت على الفرد وحرياته المطلقة ومرافقة الذاتية مضحية بالمرءة العلمية بتهوهم منها أن التاريخ من صنع وابتداع المبادرات الفردية الحرة فحسب، وحين حاربت الوجودية دمج نفسها مع الماركسية كان الأثر أن قد فات. وثالثاً بحسبان ما كشفت عنه البنيوية من كونها مجرد مناهج للتحليل سواء في نطاق اللغة أو في مجال الخطاب المؤسساتي، وهذا المنهج في التحليل قد يكون قادراً على أن يطلعنا على ما وصل إليه المجتمع البشري من مستويات التقدم، ولكنه يجهز عن تقديم تحليل واف وشاف لتواقع الإنساني، لأن هذا التحليل - بمنهج البنيوية - سيؤدي بالضرورة إلى إنكار الذاتية وإمكانيات الطلق والإبداع عند البشر.

الحاصل إذن أن الفلسفة - في عصرنا - لم تتخلف عن ركب التراجع الذي بدأ بكونغرس فينكون حين أنزل الأرض من منصبها الأسمى كمركز للكون إلى مجرد كوكب تافه في كون مهول، وثاني هذا المربك يهانون بعصف بغرور الإنسان كاشفاً له عن أصله النشئ كسلسلة أنواع حيوانية وليس كسيد للمملكة كما كان يصوره العهد القديم، ثم ثلث مربك التواضع هذا بـ... فريد وقدّم للفرد صورة عن نفسه لا تخرج عن كونها مبرجة من أقوى المعروفة والمجهولة تتغافل معاً في غير استقرار ودون ضمانات.

فإذا كان لنا أن نقاطع الفلسفة بمفهومنا القديم عنها (مطلق الرعي)، فإنه لا يجوز أن نهجرها لمجرد أن إمكانياتها التي كشفت لامتحننا المطلق واليقين ولا تهدينا لغير النسبي والمرجح والمحمّل. فلنقل إذن بهذا ولكن لنصغحه أفضل استغلالاً ساعين إلى

و الخطاب الفلسفي للحلثة الذي يطى قبيها من شأن للمقل ويرفض اعتبار الماضي معياراً للأحكام... صحيح أيضاً أن عشرات من العلماء في فرع علم اجتماع المعرفة يكرسون جهودهم للوقوف في وجه تيار «مبادئ الحلثة» باعتباره تياراً عدوياً لا يقود إلا إلى اللوات المرفقة وإحياء النزعات الأسسورية والمزازات الطائفية؛ كل هذا صحيح ومفيد ولكن يبقى دور مفقود العالم الثالث... فهم المطلبون أولاً وقيل غيرهم مناقشة هذا الفرض العلمي الذي سقاه عبر هذه الصفحات - بمنهج كارل بوبر - إلى مستحوى النظرية، واستطهاسها لحلول مبدعة، وأسساً لمشاريع مضادة تقوم على القطعية المعرفية لفهمنا الكلاسيكي لعالم قديم حسبنا أننا ألفناه بخبره وشره إلى أن نؤمن أن السيرة العالمية العالية تتحدره إلى سفوح السموات أو تحطه في مطاف التاريخ ليهدي على أنقاضه اللوريات الجدد (ومن بعض أبحاره القديمة) إقطاعياتهم الكونية على حساب المحروب ودماء الكادحين الصنّاعين من قبل الأسسورية.

وأول ما يدبني علينا مقاطعته هو موقفا التقيدى من الفلسفة؛ «تلك التي اعتبرناها حلماً» (مطلق الرعي)، أو للسلك الذي يحتظم للمعارف والأفكار في جدية واحدة؛ ذلك أن للفلسفة في عصرنا قد تخلت عن هذا «المطلق» أو بالأحرى راحت تطامن من غرورها مطلة الحيرة النبيلة للترابدية.

أولاً - نتيجة إغشاق جهادية الفكر الاشتراكي - بجناحيه الثوري والإصلاحى

لا يتركسون شاردة ولا واردة من ظواهر التاريخ إلا واستخلصوا منها جوهرها ونهلوا إمكانياتها إيجاباً أو سلباً محتولين بها من الدراسة النظرية إلى ميدان التطبيق العملي. وبالنسبة للأسسورية قلقد بدأ دور تطبيقها منذ الآن... فإذا اقتصر دورها على تعزيزية الشعب المتفورة وتعزيزية نفسها والمؤمنين بها حلماً بعالم آخر سعيد بعد الموت؛ فيها ونعمت، وإن طالبت بنصيب من الكعكة فلتأخذ منها بقدر ما تخدم الأهداف وتؤدي المهام ويقدر مالها - في الوقت نفسه - من قدرة على المناجزة وإثبات الذات.

لقد رأينا مفكرين من أمثال صمويل منتجتون وفوكوياما وفريمان ليويتار و جون بورهارد و بول فيسرايد (من مطلقات ورواحات مختلفة) وسفون العقلاية ويشككون في إمكانية أن تسود الديمقراطية العلاقات بين الدول وبين الدول الأخرى، بل بين الدولة وأفرادها، وكان هؤلاء المفكرين إنما يفهمون المجال لأبنية فكرية رجعية قولها القبول بالديكتاتورية الأمريكية وترفع صعود قوى بربرية كالنارزة الجديدة والمفاهيم المستسمة والدينية المتعصبة، فضلاً عن إمكانية تدويل الإرهاب في إطار من نظام عشوائي كونهي قادم يكون مهيئاً لإعادة تقسيم العالم إلى دول سادة ودول أرقاء تكون بدايته انفجار المركز العالمي (أمريكا) وديجها ظهور وحدات كبرى ذات طابع إقطاعي ملحوماني ومعرفي وإلا فيماذا نفسر سكوت هؤلاء المفكرين الغربيين عن محاولات بحث الأسسويات الدينية بدرجة معينة ومضنطة بين طبقاتهم الدنيا، وديجات غير محدودة بين المجتمعات المرفضة للثقافة؟

صحيح أن مفكرى الغرب ليسوا جميعاً على هذا الدرب الوقع؛ فحسبة مفكرين من طراز مختلف يحرصون حق الملل العليا ويرفعون من قيم الحق والعدل، من هؤلاء نعيم تشومسكى صاحب كتاب «الإرهاب الدولي» الذي يكشف فيه عن وجه أمريكا القبيح وتابعتها لإسرائيل (جريمة القرن)، ومن هؤلاء المفكرين أيضاً يوجين هابرماس صاحب كتابي «إعادة بناء المدينة التاريخية»

تغيير مذهبها التقليدي مستحيلين بها مناهج جديدة أساسها «الخيال المبدع» و «الافتراض الخلاق» مزودين لهذا الأساس بتأليخ العلوم الطبيعية والإنسانية وفي مقدمتها علم اجتماع المعرفة الذي «يسعى إلى إيجاد العلاقات بين أنماط من الأفكار والمعتقدات والمفاهيم والتصورات وبين الظروف الاجتماعية التي تظهر فيها تلك الأنماط، وكذلك علينا أن نحلم كيف نستعين بمناهج الإستعمارية (فلسفة العلوم) وعلم الاجتماع الديني الذي «يقوم على دراسة المسلك الديني للإنسان والظلم الدينية المختلفة» كما يدرس نشوه وتطور الأديان الملغوسة التي تتشعب في ثقافات المجتمعات المختلفة ويربط بين الأديان التي تحتلها هذه الثقافات وبين حياة أفرادها اليومية والاجتماعية وأحوالها البيئية» (٩)

لقد حاولت الفلسفة طوال الوقت أن تقصر الفكر والحياة والإنسان فأخفقت في الوصول إلى إجابات نهائية، ولكنها قد تلجج في تغيير الراسد (الإنسان) إذا هي وضعت مشروعها الخاص متفحفاً على كل التجارب والإنجازات المعرفية. قد تلجج للفلسفة بهذا السطح في تجديد شبابها واستعادة برامتها الأولى شريطة أن تلحج بأمال الجماهير الكادحة (كما حاولت الماركسية أن تفعل) وأن تكتب حلم الفرد الصغير في حياة إنسانية حرة كريمة (كما أرادت الوجودية أن تكون) وأن تواصل تفاسيساً مع الذبح الأنطولوجي- وأليس الأستومي محسب - للذين مع المرحس على اللفرق بين هذا الذبح الأصيل للأديان وبين ما تفرع منه من تعاليم وإضافات وتعديلات هي بحدتها «الأمبريالية» التي يخدمها عالمها القرب الإمبريالي الآن بهدف قهر البشر وازدانتهم إلى حظائر الأبقار.

ولا نستطيع أن نلهم هذه الصفحات المخدرة «الشعائنة» دون أن نسمير مطوراً كتبها ماركس في رأس المال حيث يقول: «ستطيع أمة من الأمم - بل يجب عليها - أن تستمد إرشاداً من أمة أخرى؛ وحتى حين يكون مجتمع معين قد اكتشف خطى سير لقائوس الطبقي الذي يدير حركته. والنهاية للنهاية تكتأبى هذا إنشا هي الكشف عن القانون الاقتصادي لحركة المجتمع الحديث؛ فهذا المجتمع لا يستطيع أن يخطى بقفزة ولا أن يلقى بقرارات مراحل تطوره الطبقي ولكنه يستطيع اختصار مدة حمله وتخفيف آلام وضعه» (١٠)

إن موت المشروع السياسي للماركسية (الأسباب لا علاقة لها بماركس) لا يعنى أبداً خطأ النقد الماركسي السوجه إلى الرأسمالية خصوصاً بعد أن تصرات هذه الأخيرة عن وضعية اللبرالية إلى وضعية الأيديولوجية المثقلة والمفروضة فرضاً على الناس (١١)

كتب هارولد لاسويل في مسوعة العلوم الاجتماعية يقول:

«يجب ألا نستسلم للأفكار الديمقراطية الهامدة التي تفتيد أن الناس هم أفضل من يتدرون مصالحهم» (١٢) وهو قول لا يصدر إلا عن مفكر إقطاعي أصول، إنما نشره في موسوعة العلوم الاجتماعية هو الدلالة الساطعة على ما سيؤول إليه حالنا ما لم نستمد إرشاداً من تاريخ الأمم الأخرى.. وللتاريخ هنا لا يعنى مجرد الأحداث وإنما مجمل النظم والأفكار والفلسفات والبنى الاجتماعية وأيضاً ما خفى في أغوار النفس

البشرية من غرائز وتطلعات وأطماع و.. نكسات. ■

## هوامش ومركزات

- ١- القرآن الكريم - سورة الزخرف آية ٢٢ .
- ٢- انظر المنتخب من تفسير القرآن الكريم - لجنة القرآن والسنة - مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - الطبعة الخامسة - ١٩٧٤ ص ٤٤٠ .
- ٣- إتيانز تونوي - البوشر، الفكرات التقليدية للثقافة اليابانية - ترجمة - د. نصر حامد أبو زيد - القاهرة/ الكويت - دار سعاد الصباح - الطبعة الأولى ١٩٩٣ ص ٧٢ .
- 4 - Dutailis, C.P., the Feudal Monarchy in France and England in the 10 th and 11th centuries, London, 1935, pp36 - 51 .
- ٥- رول دورانت - قصة الحضارة - ترجمة محمد بدران - الجزء الثالث من السد الرابع ص ٤٢٥ .
- ٦- د. نيل علي - العرب وعصر الحضارات - للكويت - سلطة عالم المعرفة العدد ١٨٤ - ١٩٩٤ ص ٧٩ .
- ٧- المرجع السابق - ص ٣٠ .
- ٨- المرجع نفسه وللمسحة لأنها .
- ٩- د. أحمد زكي بدوي - مفهوم مصطلحات العلوم الاجتماعية - بيروت - مكتبة لبنان - ص ٤١٢ .
- ١٠- كارل ماركس برلى المال، ترجمة محمد عديني - بيروت - منشورات مكتبة المعارف - الجزء الأول ص ٩ .
- ١١- مهدي بفق - دراسة بخوان تأسيوس الإستمعية العربية - مجلة دراسات عربية - بيروت - العدد ٩ / ١٠ - ص ١٠٠ - كؤ - رايو / أغسطس ١٩٩٥ .
- ١٢- ندم نظرمسكي للإرهاب الديني، الأسطورة والواقع - ترجمة ليلي صبري - دار سوا - القاهرة - ص ٢٥ .

**ف** من المسائل ذات الأهمية للكبرى،  
في تحليل قضايا الصراع الفكري  
الموقع الصحيح للفلسفة بين النزعة المركزية  
الأوروبية والنزعة المركزية الآسيوية أو  
الفلسفة وإشكالية العلاقة بين الشرق والغرب.

وتعبر «المركزية الأوروبية» - معنى  
بصورة عامة طريقة محدودة لبناء الصورة  
العامة للتاريخ العالمي، والتي تركز في  
أساسها على التحظيم الزائد حول الدور  
التاريخي لأوروبا الغربية، بفعل نهجيات  
ونماذج التطور الرأسمالي الحضاري  
التاريخي لبلدان أوروبا الغربية ونتيجة للمكان  
المشروع لهذه النماذج، ظل نظام أفكار  
المركزية الأوروبية سائدا ولفترة طويلة في  
علم التاريخ الغربي كما أنه من الأهمية  
بمكان التأكيد على أن تعظيم الدور التاريخي  
للشعوب الأخرى وعلى وجه الخصوص  
شعوب الشرق، يعطي بدوره تصورا مشوها  
للتاريخ العالمي. وهذا ما يعبر عنه أنصار  
«المركزية الآسيوية» هذا التيار الفكري الذي  
نشأ كرد فعل على اتجاه «المركزية  
الأوروبية».

وتاريخ الحضارة والفلسفة يثقل شامدا  
حسد الآراء الفاسدة لأولئك المفكرين الذين  
يقولون بأن هناك شعوبا أسهمت في إغناء  
الحضارة والفلسفة وتطويرها وأخرى لم تسهم  
في هذا البناء.

فنجند «هيجل» يزعم (أن الفلسفة  
بالمعنى الدقيق تبدأ فقط في الغرب - ففي  
الغرب وحده أشرقت حرية وعي الذات)  
ويصف هيجل الشعوب الشرقية بأنها المرحلة  
الدنيا من الفلسفة (الفكر في مرحلة التأمل)  
ويذكر عليها أي دور حقيقي في تطوير الفكر  
الفلسفي العالمي.

ونجد «هامنتون جيبس» يزعم (أن  
النظرة العقلانية والمطابقة تبقى غريبة تماما  
عن تلك الشعوب). ويرى «ماسينيون»  
يطرح فكرة (أن العرب والإسلاميين لا  
يستطيعون تصور العالم إلا على نحو رمزي،  
محتفك، تحليلي) ويؤكد بعض المفكرين  
الأوروبيين على أن نهضة المسلمين الثقافية  
المتعاصرة ليست سوى مجرد تقليد لأوروبا

## الفلسفة وإشكالية العلاقة بين الشرق والغرب



### علاء حمروش

وأن الأديار والزرعة القومية اللذين يتطوران برونلر سريعة حتى البلدان الإسلامية هما أيضا اختراع أوروبا، ويرى المستعرب الأمريكي «من. جوفكين» ضرورة تقسيم الحضارة إلى أدوار انطلاقا من درجة اقترابها أو ابتعادها عن التراث الهلالي أو قوما بعد النهضة الأوروبية.

وإذا كان الشرق لم يقدم طوالم هذه العقبة الأخيرة - إلا بمقدار ما أخذ عن الغرب - فإن عليه الآن أن يهتدى بالنماذج السياسية الغربية. ناهيك عن الاقتصاد - وأن يرفعوا إلى كراسي الحكم رجالات الثقافة الغربية.

ولقد اكتسبت الزعرة المركزية ألوانا جديدة ومتلوعة للتأكيد على وجهة النظر التي تعتبر تاريخ أوروبا الغربية مركزا لا يزعزع للصورة التاريخية العالمية. فبعد البعض من المفكرين للغربيين يدعو إلى تصوير الإنسان من طيفان الرعي بالتاريخ واستحصال الماضي نهائيا. أي الأخذ بالقيم المعاصرة، أي مرة أخرى - القيم الأسخوذة من الغرب إذن فالغرب هو الذي ينبغي التاريخ لمصلحته.

ويرى البعض الآخر من المستشرقين الغربيين يحاول البرهنة على أهمية وحدة الغرب الاستعماري والشرق المختلف اقتصاديا، استنادا إلى وجود قيم دينية مشتركة - الروحية - الصوفية للاعقلانية .. إلخ.

ويلاحظ هنا أن كل المشاريع الفكرية المقدمة من الغرب لبناء أديولوجية علمية تقدم دورا متواضعا ومحدودا لأفكار ومساهمات الشعوب الشرقية.

ويلاحظ أيضا، أن بعض المفكرين الغربيين - يمارحون فكرة التفاضل بين الحضارات الإقليمية - وللوهلة الأولى ندرج هذه الفكرة صحيحة نظريا وتطبيقاتها مقنعة للغاية - وتصبح هذه الفكرة أكثر جاذبية في عصرنا، عصر انبعاث وتحرر الشعوب التي كانت راضية سابقا تحت يبر الاستعمار والاضطهاد - نظرا لكونها وكأنها «تساوي» بين الحضارات الحقيقية والثقافات

المحارية التاريخية الدول الغربية - غير أنه يدين عد تشريع فكرة تكافؤ الحضارات الإقليمية عن كذب أنها تركز على مزج غير مفهرح المسائل المختلفة للمعرفة التاريخية الأمر الذي يؤدي إلى التلغيزات ويصنع جازوها.

وبالرغم مما يبدو على هذه العقولة من دفاع عن تعدد سبل التطور وبالتالي تعدد النماذج الثقافية المحارية - غالبا ما مثل شكلا جديدا للمركزية الغربية.

إن التأكيد على تكافؤ الحضارات - على تكافؤ روحانية الشرق وإمانيه للغرب، صوفية الشرق وعقلانية الغرب، تشاورية الشرق وتشاورية الغرب - يعنى التأكيد على بعض القيم والتقاليد الثقافية التي تدرج التطور والتقدم لبلدان للشرق وترسيخها، وبزعم التلطف بـ (الكافد) فالغرب هو القليلة التي يجب أن يتوجه إليها الشرق في سعيه نحو التطور والتقدم.

يحاول ممثل نظرية الحضارات المتكافئة تطويل وتبرير فكرة التكافؤ، التساوي، للتوازي للحضارات الإقليمية بصنوعة التخلي الحازم عن وجهة النظر الناعية إلى مركزية الغرب وأولوية دوره الحضاري والفلسفي. وعلى النقيض من ذلك - نجد دعاة الزعرة المركزية الآسيوية - يحاولون الاستناد - إلى أن التعرف الواسع على حيوات الحقائق التاريخية التي تدل على غنى وثقافة البنى الثقافية التراثية لشعوب آسيا وأفريقيا لإظهار الخطأ للفادح لأصنام ما يسمى بـ «المركزية الأوروبية».

ويحاولون بدورهم التأكيد على مركزية الشرق وأولوية دوره الحضاري والفلسفي ونجد على سبيل المثال «جارو» يرى أن للشرق مركزا مدعوا لإشاعة الوحدة الفكرية والمطابقة في العالم المعاصر شرق وغرب.

كما نجد بعض الحملات لإحياء دور الكونفوشيوسية كمركز للفكر الإنساني، وغيرها من الأطروحات، التي تهدف في نهاية الأمر إلى إضفاء الطابع الشرقي على مسيرة التاريخ الإنساني، والتركيز الشديد والمبالغ في دور الحضارات القديمة التي نشأت في بلدان للشرق القديم في الهند

والصين ومصر وبابل. وإغفال إسهامات الشعوب والبلدان الأخرى في مسيرة التطور الحضاري والفلسفي. وتحدثنا في مجال تاريخ الفلسفة - مما لا شك فيه أن أوروبا كانت مركزا محروقا للفكر اللبني والشمي - فقد بلغت فلسفة اليونان القديمة شأنها عاليا، وانطوت على بدايات لمعد كسبر من الانجازات الفلسفية اللاحقة، وطرحت حدنا من المسائل الأساسية التي أصبحت تشغل تشاغل للفكر الفلسفي اللاحق، وعرفت ظهور المعسكرات المتعارضة - كما شهدت نشوء أول شكل تاريخي للتدليل عليه - كما اكتسبت الفلسفة الكلاسيكية الأهميّة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والفلسفات المعاصرة التي ظهرت في أوروبا أهميّة كبيرة - لكن هذا لا يعنى أبدا أن أوروبا كانت الموطن الوحيد للفكر الفلسفي - كما يزعم أنصار المركزية الأوروبية - اللذين يكررون وجود أي فكر فلسفي في بلدان الشرق أو يحذرونه فكارا دينا - غيبيا - تأمليا - حصيا غربيا عن الفكر العقلاني، عن العلم .. إلخ.

لما أن «إيبرلر» مثلا يزعم أنه (لا يمكن حتى الحديث عن وجود فلسفة بالعلمي الدقيق، عند الشعوب الشرقية) - ونجد «ماكفولالد» يشير إلى أن الشعوب الناطقة بالعربية والتركية لا تحرف الترق إلى السرفة لأنه ليس في لغتها ما يقابل الكلمة الأوروبية interest.

ونجد بعض فلاسفة التاريخ السوسيولوجيين مثل «ياكو جاور هاربت» يرون أن الشرق لم يعرف سوى شكل واحد للحكم، الملكية الفردية، ومناجده من أفكار ولويد غلبان الماطلة الدينية.

ويشير «ماكس ويب» إلى التمايز بين المجتمعات الغربية (العقلانية والمنظمة) والحضارات الشرقية (الاستبدادية وغير المستقرة).

ويقدم تاريخ الفلسفة نفسه الدليل على خطأ القول بأن النضفة الشرقية لم تلعب أي دور في تطور الفكر الفلسفي العالمي.

**الفلسفة  
وإشكالية العلاقة  
بين الشرق والغرب**

للفلاسفة العرب - المسلمين - اكتملت حياة جديدة وأسهمت الفلسفة العربية الإسلامية - وإنجازات الحضارة العربية الإسلامية في دفع التطور الاجتماعي العلمي - الفلسفي في أوروبا، كل هذه الحقائق تدحض مزاعم أنصار المركزية الأوروبية عن ركود الفلسفة في الشرق.

ومن ناحية أخرى نرى أن نظريات  
والمركزية الآسيوية، التي ترى أن الشرق  
وحده موطن الفلسفة الحقيقية. في حين  
غاضب الغرب في أوجك العقلانية. بعدا عن  
التعامل المادي. الأخلاقية التي في جوهر  
الفلسفة في عرف المثاليين هذه النظريات،  
خاطئة، وكذلك لا أساس لمزاعم أنصار  
المركزية الآسيوية. في أن الاتجاهات  
الرئيسية في الفلسفة الغربية بما فيها المادية  
الغربية، والفلسفة الكلاسيكية الألمانية حتى  
الماركسية تنحدر أيضا من الشرق من  
التكثفوسوفية والمذاهب المثالية الأخرى في  
الشرق القديم.

وبكذلك فليس صحيحاً أن هناك تلاقضاً  
وعداً أبدياً بين النظم الغربي والنظم الشرقي  
في التفكير، فقد تطورت الفلسفة في الشرق  
بالاتجاه نفسه الذي تطورت عليه في الغرب  
وتأثرت كل واحدة منها بالأخرى فالتفكير  
الفلسفي تطور في الشرق والغرب على  
السواء، والمذاهب الفلسفية التي ظهرت في  
إحدى منطقتي قد عالجت المسائل الفلسفية  
أساسية ذاتها، وأسهم كل منها بحصيصه في  
إغناء تراث الفكر الفلسفي العالمي.

والفلسفة بوصفها شكلا معيناً من أشكال  
معرفة العالم ومنظومة الآراء المتحققة

بالمسائل الأكثر شمولية للوجود والفكر- تطورت من البسيط إلى المعقد ومن الأدنى إلى الأعلى- بيد أن عملية توسيع المعارف الفلسفية هذه -والتي أسهم فيها الشرق والغرب على السواء- لا تتم وفق خط مستقيم بل تتداخلها التمرجات.

إن دراسة تاريخ الفلسفة يوفر لنا إمكانية فهم مسيرة الحضارة والفكر الإنساني - واستيعاب التجربة التاريخية العظيمة - تجربة معرفة الإنسان للعالم، كما يساعد على أن استيعاب وتطوير أحسن تقاليد الفكر الإنساني الذي شارك في صنعه مختلف الشعوب التي اندمجت في مسيرة الحضارة الإنسانية. ■

## المراجع

(١) من أرتانوفسكى، الوجدانية الداروينية للإنسانية والتأثير المتبادل للصناعات - لوتنجراد، ١٩٦٧.

(٢) متجمرى. واط، تأثير الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا، دمشق، ١٩٨١.

(۳) روجیه چارودی حوار القضاات، بیروت، ۱۹۷۸.

(٤) إدوارد ماركریان، إشكالية نشوء النشاط الإنساني، والحضارة، بولان، ١٩٧٣.

(٥) إدوارد هانكزيان، في أصول الفكر المنطقي والرد عليه، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد ٢٨٢٧ بيروت، ١٩٨٣.

(٦) **هندلى جويلى**، دراسات فى اللغة والتاريخ  
الاقتصادى والاجتماعى عند العرب، بيروت  
١٩٧٧.

(٧) فـ. إسماعيل وآخرون، الموجز في تاريخ الفلسفة، ترجمة توفيق سليم - دمشق ١٩٧٦.

(٨) سهيل فخر، بارتولد والحضارة العربية الإسلامية، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد ٣١، بيروت، ١٩٨٣.



# المراجعات

- ٩٦ المشوائية وتفكك المجتمع في «ليل ونهار»، عبدالرحمن ابوعوف.
- ٩٧ تأويلات على متن «فهارس البياض» - شعر السؤال الفلسفي، إدوار الخراط.
- ٩٨ في الرؤية الجبلية، ياسين النصير ١١٣ تحولات الفيتوري، كمال نشات.
- ٩٩ ثنائية القيمة والواقع والتمثيل في «مريم النور»، ميلاد زكريا.

# العشوائية وتفكك المجتمع

## في «ليل ونهار»

عبد الرحمن أبو عوف

شيئا فشيئا من صورة بانورامية مرسعة بالرمز والمحسوس والمجاز على إيقاع ونمض الحياة المصرية وهموما وإشكالياتها وتبني وانتهيار وتدرب التآكل لتكليف الحياة البشرية المصرية المعاشة الآن بجانب التحرف على السؤال الراهني والهم الأساسي للكاتبه وهو ما هي حياتنا وما يجب أن تكون عليه؟

والواقع الروائي المعقد الملغز بأحداثه وشخصياته ونماذج الدالة، مقدم هنا من منظور - وجهة نظر الراوية الأول - (سوسن صبد الفلاح) فتاة بسيطة محببة مهمة مبرورة متواضعة في مجلة استهلاكية تجارية هي (ليل ونهار) ونموذج دال وشائع لحيل السيجنويات) الذي كتب عليه أن يعي أن أدران وقائع انتصارات الثورة المتعاقبة التي قادت المصادات ضد المشروع الفاسدي للهيمنة منذ منتصف السبعينيات الكئيبة، وما أحدثته من تراجع أصاب بنية المجتمع من الفلاح استهلاكي وشركات توظيف الأموال وخسفاة وصالح ومهادنة مع العدو الإسرائيلي وتهمية للسيد الأمريكي والنظام المعالي الجديد وجاهلية جماعات الإسلام السياسي وما تفرضه من إرهاب وقلق على بنية المجتمع المدني وحقوق المرأة المكسبة.

هي تتمتع برعي محدود غير أنها ليست نمطا ونموذجاً لاتجاه سواسي محدد الأهم السخط ولقدان الانتماء وعدم الإيمان بالمؤسسة فتاة تعيش وحيدة مع أمها ولا مورد رزق لهم سوى معاش أبوها الضئيل وحصلت عليه أمها بعد وفاته إضافة إلى مربيها المحدود المتعاقب دوما بسبب ارتفاع الأسعار ولأن الامتيازات الصفيفة لا يحصل عليها لمأكلها كثيرا وهي لا تكفل إلا بالهام التي تتطلب جهدا كبيرا ولا تقابل إلا بالما يمكن من المكافآت.

ومجلة ليل ونهار، مطبوعة تصدر يوم الخميس من كل أسبوع، وهي تتشابه وعشرات المطبوعات الأخرى المعروضة في سوق الصحافة؛ طباعة فاخرة على ورق لامع مصقول، إخراج جذاب مبهر، ومادة رخيصة تافهة تعتمد على أخبار نجوم السينما والسبعين في الأساس وتنتهت وراء تلمصيل الحياة الشخصية والديمية لهم بكل ما فيها من خفايا وأسرار، وتروج السجلة لكل ما هو بؤس

وقبل أن نحاول تناول واستنطاق الروي المكثفة المعقدة والمتعددة المسقوفات، ونقصي الدلالات السياسية والاجتماعية الجبرية والجارحة التي يتضمنها الموضوع الروائي هذا، نترقب عند استراتيجيتها للحميرية ونائها الشكل التي تقدم نوعية من السرد الروائي بسيط له عذوبته ويسرعه وحمقه بلغة رفيقة سلسة مقصدة محددة... وهجارات تشكل إشاعات ذات علائق اجتماعية ونفسية تخرج بين سفونة وحيرة العامية للفصيح وجازلة ومجاز للفصيح العامية لغة ليست متحصنة أو مفتعلة تحمل شذلات التعبير بسدق ومباشرة ووضوح ساطع دال وموجع ومثير للناظر.

وصبر هذا التناول للفوضى المتحكم والمتفكر والحكم البناء والإنشاء، تابع يبقطة الأحداث والوقائع وتشابكها المعقد، وتعريف على الشخصيات والنماذج للرئيسية والثانوية المنعوتة من واقع حياتنا الاجتماعية الملوث وفي مجال الصحافة الاستهلاكية التي تتعب عقل القارئ وتزيت وتثوي وعيه، وتفترب

ف[ليل ونهار] عنوان روائي دال واضح الدلالة .. يجاوز الرمز... هو كقلقة انزعاص المصرية نحو الهدف .. تؤكد وتثبت حمق البصيرة السياسية والاجتماعية الواعية بلغة الفن .. الصورة .. الفكرة للروائية - سطوي بكر- في مواجهة الانهيارات والتصدع والتفتت والسقوط للقابع لجلد المعيلة الاجتماعية والمأساوية لمجتمعا المصري والذي يلوث مخاض حياتنا الآن .. وفرض على الكاتب والقارئ الاشتباك والصراع معه حتى يمنع الاستلاب والقفور والمماناة الذي يهاصر المصريين ولهمذين من أبناء شعبنا الطيب المستسلم المتسكك والذي أخشى ما أخشاه أن أقول إنه فقد الرغبة في السعي والمقاومة والتمرد .. وأكر الفرق في حل مشكلاته الحياتية المعقدة بطريقة فردية أنانية جزائية لا تترك كلفة المأساة الاجتماعية التي تظل بكائيتها المجمع والتي لن تخففى وتزول إلا بالإرادة المنظمة الفعالة.

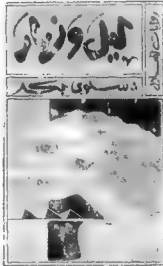
وهو التجسيد الحى لمرحلة الانحطاط التى نعيشها.

وتعريف لتفلاحي مشوا: (دابة إنسانية ظهرت وانتشرت انتشارا مريعا منذ بداية الزمن السادى وتباعدت سياسة الانفتاح الاقتصادى على الغرب .. وتتميز هذه الدابة الإنسانية بفجاجة الشكل والسلوك وقدرتها المالية على توظيف للقيم والمبادئ والدين والأخلاق السائدة لصالحها، كما تتميز بقدرتها المصيبة على القفز والتسلق الاجتماعى، وهى قادرة على التحول والتحول .. لتبقى السهومة والمتعددة فتدور تارة فى عصابات دينية وتارة فى ملاهى

ورخيص فى حدود ما يسمح به القانون، إنها نوع من المصنوعات المصوبة لكل عقل، لذلك نرى غلافها دائما صورة حسنة تقسم فى موزعة، أو تكشف عن بعض مفاتن جسدها، كما إعلان أولى من طبيعة سادتها بين الفلاطين، وزعم هذه الدابة الإعلامية المصوبة، فإن السجلة لا تفرغ كثيرا - أظن - بسبب خيبة القائلين عليها مسيليا، فزئوس التحرير الذى هو من فصيلة (شايل ومشول) تبدو علاقته بالصحافة، كعلاقة أى موظف فى الحكومة بوظيفته المتواضعة، وسيلة لأكل العيش، ناهيك عن أنه شخص باهت، غير موهوب، لا فى الصحافة ولا فى أى شيء آخر فى الحياة اللهم إلا الربا والفساد والفساد والمسلحة لكل من له منسقة أو مصلحة معه لذلك فهو نموذج جيد لشعار الدارجل المناسب فى المكان المناسب .

لقد تمسكنا اقتباس هذا القطع لندرك ملاحظة اللغة والتعبير المباشر الذى تلجأ إليه الكاذبة فى بذلها السرى وزعم أنه يوضح بسطوح عملية هذه الأفعى عن سرطان أوضاعها الاجتماعية خاصة فى مجال الإعلام إلا أن للبررة الزائفة قد تفقد عملية التأثير والدلالة النقدية .. كما أنها تلجأ إلى أسلوب الكاريكاتير فى رسم أوضاع المرحلة المتدنية لفرقت فى الهرامش تعريقات ساخرة عن رئيس التحرير (شايل ومشول) «فصيلة تبشيرية تطورت من نوع قديم معروف بقدرته العالية على التلازم والتكيف بسبب إمكاناته الخاصة الهائلة فى ألا يصطدم أو يزطم أو يصارع أو يناطح حتى فى أصعب الظروف، وشعاره الدائم هو: دمع الأخلاق نعت حذائك، وتعامل كما ما يبدى إلى خصومة يبهك وبين الآخرين، فإن قالوا عن الحق باطل قل: هو الباطل، وإن قالوا عن الكفيل قاتل قل: بل هو أكثر من قاتل، وشايل ومشول يرى الحياة خذ وهيات، ومن لا يعطينى لا يعطينى أما من بدأ كرى فى فأبرس رجليه وأمشى» .

بالأسلوب الكاريكاتيرى نفسه تروم شخصية رئيسها المباشر الصحفي حسن عبدالفتاح - وهو شخص غليظ ومتعجب، من فصيلة أسهمها (انفلاحي مشوا) هو فى نظرها ومد أن تعرفت عليه وعملت معه



عسوية، وهى مع كل المصائب السواسية والاقتصادية، أما من حيث الشكل فلها قم مربع قادر على التهام أى شيء ولها خرطوم مصاب باختلاطات معرفية، وانحطاطات ثقافية، يجعلها لا تعرف إلا السطحى والمباشر، ولا تهتم إلا بالث والهل، وتنقله حولها نكت القيع للسم .

وزعم التحديد والتصوير الجارح الساخر للشخصية واللمط الروائى إلا أن هذا الأسلوب والبذاء السردى يقع ويغالى من السقوط فى مستنقع اليقينية المزجعة والتفريزية الساذجة المباشرة التى تتحول إلى فن الديرورناج المسطحى وليس التنازل الجمالى الروائى الماتق، فالتمجيد للبنى عن بناء الشخصية واللمط الروائى يجب أن يقدم بلغة للفن خلال حدث درامى ومواقف محددة وحوارات ووصف وتبنيات مجازية تصور وتشخص سمات اللمط وتطرح ملتجما فى سياق النص الروائى فى لوحة عضوية ديناميكية وليس تقديما شاذا واضحا ويوقينا لجا، يغاطب عقل القارئ دون وجدانه وأحاسيسه.

وتكبر هذه الرواية من البداية إشكالية طرح الموضوع الروائى الرئيسى ما بين التناقض والعقوبة وبين القصد الممدى المتقانى البهرة مصلى اختيار أو فبركة موضوع مخيف ليوسف بخله الرمزى على الحاضر ليقتد ويحروه، وهذا قد يمس إشكالية أخرى تتعلق بدرجة التسلق القلى ومدى تحقيق الاقتناع لإحداث التأثير الوجدانى.

إن الموضوع المقدم بقصدية وتعمد هنا هو مسابقة غريبة ومربكة .. اختيار أحد الشيرينيرات مسجلة (كيل ونهار) للإعلان عنها، ومقدار المبلغ المرسود للمسابقة مليون جنيه لأفضل اقتراح يصل من قراء السجلة بخصوص فكرة مفهومة مبسكرة لصالح المجتمع أو بعض للبنى فيه .. مليون جنيه ستكون جائزة لصاحب أفضل فكرة بالطبع والمليونير سيكفل بتقليد هذه الفكرة بعد ذلك فى حدود مليون جنيه أخرى.

ويقع اختيار رئيس التحرير - حسن عبدالفتاح - بتكزية من رئيس للقسم السرى

الدفعى على الرواية المحررة سوسن أبو الفضل بدولى إجراءات المسابقة ويطلب إليها مقابلة المليونير مول المسابقة، ويقطر غضبها لهذا التكليف وتعلن عن أسدياتها ولما بدالاتها، لكن على أية حال وبالنسبة إلى كله محصل بعينه، محروقة مجلة (ليل ونهار)، محروقة بتفاساتها وبسفالقتها وممريرها الأغنياء وحسن عهد الفتحا قر ثبت أن الرجل مول المسابقة نصاب أو تاجر مخدرات، أو سلاح أو آثار قديمة، فلا شأن لى بالمسألة فأنا محروقة متواضعة، لا لاقه لى ولا جمل فى هذه المجلة، ولو تهدمت الدنيا، فليسرف تقع على مديح حسن عبد الفتاح وأمثاله قبل أن تقع على دماغى، ومطرح ما تدق يكون مرصاه.

غير أن ما كتشف عنه سابقات الأحداث وتحوالاتها المتناقضة هو تعقد وغموض وإسالة العلاقة التي ستنشأ بين المحررة (سوسن أبو الفضل) والمليونير الغريب الهوية الغامض وبشير للتمثال فهو يشترط عدم ذكر اسمه بأى شكل كمبول للمسابقة، كما أنه سيكون صاحب القرار النهائي فى تحديد أفضل فكرة مرسلة إلى المجلة ومحصها الهالزة وسكون اختبارها للفكرة الأكثر تميزاً فى حدود المشروع والمنطقى وسوف يطلع على الخطابات الأفضل للناحية عن القفز لنفسها والمقاومة بينها. وفى أول لقاء له معها شعرت بالرغبة من هذا الرجل اللذيذ الجالس أمامها فى منتهى الأدب والهدوء، ظلت فى البداية أنه جاسوس، واحد من الجواسيس للمصيريين المشغلين لاصحاب واحد من الجهات لكثيرة المشتغلة على البلاد الآن، لسببين: أولاً ما لذي ينغمه ليعزقة وهدر فلسفه على هذا النحو فى مسابقة عبيطة كهذه خصوصاً أن معظم رجال الأعمال من أمثاله بخله، ولده، ويموتون فى سبيل القرض الأحمر الذى لا قيمة له الآن؟ وإثانياً لأن كناية التصنيف والتبويب

للخطابات والتي اقترحها غريبة بعض الشيء، ثم ما سبب إصراره على أن يكون القرار النهائي فى المسابقة له؟!

غير أنها بدلت تزيك بهذا الأتكار تتدلق فى رأسها، فالرجل شامض بلاشك، خصوصاً وأن شكله بدأ لها أقرب إلى أشكال المظلمين منه إلى أشكال رجال الأعمال، ببذله اللقن ذات اللون البنى الفاتح وبمسه الخفيف قرميذى اللون، قالت لنفسها وهى تتأمل سرواله المجد، لا .. لا يمكن أن يكون رجلاً للأصنام بأى حال من الأحوال وفكرت فى الهروب من هذه الشهمة وأن تأخذ إجازة مرضية لفحص عبد الفتاح ما كان يتركها لها هذه الشهمة إلا إنها كانت ورأها مشكلة أو مصيبة .. غير أنها شعرت برغبة شامضة فى أن تبادل الحديث معتدرة من أن وقتها عن يتسع لهذه المسابقة لأنها كعد ما يستدير من انصابات المشكلات الاجتماعية فى المصاهرة من خلال بريد القراء فى الصحف والمجلات خلال السنوات المشر الأخيرة .. ولكنه أدهشها بأنه قرر مكافأة عشرة آلاف جنيه للمصحى الذى سيقوم بهذا العمل.

وبدا مسلسل الإثارة وغموض الرجل وعدم فهمها له، غير أنها فضولية وحشرية تريد أن تعرف أصل وقصص المبروض، ورغم إغراءه المبلغ وترددها إلا أنها حسنت أمرها وقررت الاعتذار الذى رفغضه المليونير وصدمها بقوله (العقيدة عندى إحساس بأن انتشارك بالمليستير والتلف عن القلوب ليس للسبب الحقيقي لهروبك والسحابك) .. فوجهته على الفور بشكوكها قائلة (إما أنك رجل يبحث عن سائر ليغنى وزاه شيكاً آخر، وإلا فمفتوحة على الجحيم لكل من هب ودب أو أن تكون لدوك أموال قذرة، ترغب فى غسلها لتغنى نشاطاً غير مشروع وأنا لا لاقه لى ولا جمل فى كلا الأمرين) .. فتقابل ذلك بحكة عالية واصفا إياها أنها خيالية ولذينة خالص وصمت كلمة لذيذة

أنزلتها وبدأ الندم بداخلها لأنها لم تنجب لى مصفف الشعر قبل حضورها إليه فما كان يجب أن تقابلها بشعر مشوش.

الهم لقد حدث تقارب ورغبة متبادلة بين الاثنين فى التعرف ولغة إعجاب متبادل، لقد باتت مترددة حائرة (فما هى فى شخصيته مغيب، جذاب، يشدنى إليه، ولكن أليس كل النصابين والمصورين واللقطة الذين تعودوا قتل وسلب الناس بهدوء، ويطرق مشروعة ضاماً هم أيضاً مثيرون وجذابون؟! أليس للظرف والمناخية من أهم أصول اللعبة فى الأصل؟! لكن الحقيقة أيضا يجب أن يقال فهذا الرجل لديه شيء يجعل الإنسان يميل إلى تصديقه، عده درجة من التكاريزما، ربما للوسامة، ربما أسلوبه القويلى فى الكلام لم أن قدرته على الإقناع عالية، لذلك فقد أمكنت لأمره بسرعة وجسدت لأرتطف اللومين ولم أأفاد، رغم ظنى بإمكاناتى عندى العالية، وصلاية رأيى دلها).

ولعل كل هذه المقدمات التمهيدية الطبوعية بتقاليبها وتصميمها القصدي فى الوقت نفسه، تدخلى فى جوهر وخصوصية وتوتر هذه العلاقة المعقدة المثيرة للتمثال بهبعدها الإنسانى، فرغم الهواجس والظنون والاستراتيجية التي تحملها (سوسن أبو الفضل) المحررة بمجلة (ليل ونهار) نحو (زاهر كريم) رجل الأعمال الغريب والمصر المسابقة الأكثر غرابة إلا أنها بدأت تتجذب إليه وتشر رويداً رويداً بنمولوج من العلاقة بتجارز مجرد علاقة العمل الباردة، وإبل هذا يقربنا من عمق دلالة الرؤية الروائية هنا فى بعدها السياسى والاجتماعى فسوفى بكن تراض صلية الاستقطاب والأحكام الهالزة والأبيض والأسود فى فهم علاقات البشر .. وعبر تطلنا للنمولوج الدوائى سنتمتع رتفعهم خلال تتابع المرافق دراسياً ورسوم الشخصيات والحوارات والتأملات وتاريخ وإبعاد ومكونات شخصية (زاهر كريم)، نضل لرجل الأعمال

المصري الوطني له فتاعاته وتبريراته التي تمنعنا من رفضه ووضعه في حالة طيقة الرأسماليين الطليعيين والكمبرادور والسامسة الانفجاريين الذين ظهروا بعد ثمرات السبعينيات والثورة المضادة بقيادة السادات، بل هو سيكشف لنا عن معنى أكثر شمولاً لتراكم اللزراء غير المشروع لطبقة جديدة تعيش على نساء وعرق الشعب المصري للتغير وتسلته وتسلبه وتقمعه في النهاية.

إن الزرورية تنجح في أن تقدم بطلا إشكاليا تدور من خلاله وضعية التطور الرأسمالي في مصر في هذه الحقبة المصنفة من التسمولات حيث تراكم رأس المال والخلفصة وفوضى قوانين السوق.

إن (زاهر كريم) عاش معظم عمره في الفارج ومنذ طفولته المبكرة، فأبوه كان رجلاً ثرياً وهو ابنه الوحيد ثقريباً، لقد تعلم في الخارج وتزوج أجنبية، غير أنه يوماً بعد يوم اكتشف صناعته، فهو لا يعرف من يكون على وجه التحديد فهو لم يكن سيوسريا كزوجته التي طلقها ولم يكن إنجليزياً رغم تعلمه الطويل في إنجلترا كما لا يعرف كيف يكون مصرياً، وفي لحظة شعاعه كانت بالنسبة له نوعاً من الانتحار قرر العودة إلى مصر .. وتوفي والده فأباد أوصاله، لم يكن يعرف شيئاً عن مصر فألقى بنفسه في تجارب عديدة وغلط أنواراً ونماذج محددة غير أنه لم يتمكن من معرفة الناس هذا أبداً ولم يعرف كيف يدير حياتهم وعلاقاتهم وما هي أحلامهم وآمالهم، وكانهم كانوا جميعاً أشرافاً في مؤامرة سرية تستهدف أن يعرف الحقيقة أبداً، حقيقتهم التي يمكن أن تقود إلى حقيقته فهو يشعر أنه لا يفهم الناس وهم لا يفهمونه والشرى الهميد الذي يدفعهم إلى قبله بهم هو أنه ثرى .. للزراء هو جواز مروره الوحيد هذا، وهو يعتقد أن السابقة سوف تتيح له فرصة راحة للتعرف

على الناس، وربما حلت له مفاجئ شرفيات التعامل معهم ورغم عدم لفتاتها بكل هذه المبررات إلا أن شيئاً مريراً وشعوراً غير محدد دفعها لمرحلة للعمل معه.

وبدا العمل لقراءة نماذج من الرسائل التي استجابت إلى المسابقة وهذا تتبع لنا للكتابة قراءة والتعرف على عيانات من تفكير الناس ونماذج من اقتراحاتهم ومشروعاتهم تقدم أربعاً بالترتيب للبحث الخارج المصري في الظروف المعشوائية التي يمر بها المجتمع المصري في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وهذه عينة من تفكير الناس ومشروعاتهم:

١- اقتراح بإقامة تماثيل ضخمة للشهداء أثور السادات حديد بناء الأهرام الذي صنع السباحة حقاً في مصر لأنه أدركه بنفاد بصورته لا لا سباحة دين سالم فلولاً لما عشنا حتى نرى بوبريز ينحن للرجولة في مقهى في عمان.

٢- خطاب من أسولى إسلامي منطرق بعد ديباجة من تهيول المجتمع وتكفيره ودعارة المجلات والمزائد، يقترح إنشاء جمعية خيرية تخصص لفنانين البليات مجاناً على أيدي أطباء مهرة ويقترح بعد لفنان أن تمنح كل فنان سفيرة غطاء جميل للرائى.

٣- خطاب من أبناء طريقة سيحى المعارف بالله البسبريسى، يقترح إقامة مولد له بملفون للجنة لعدم وجود تقود بصندوق للتدوير .. وهكذا تتوالى الخطابات كاشفة عن تدنى وصغرانية تفكير الناس وأحلامهم الشهوسة والشهوشة لحل مشكلات الواقع المصري مما يكلف عن أدنى مراحل سقوط العقل الجمعى..

وتدور المناقشة والتعليقات حول فرضية الخطابات.

يقول (زاهر كريم): إن هذه الخطابات لا تعكس بأي حال من الأحوال فكرة وجود هدف كبير مشترك على مستوى المجتمع ككل، لم تكن هناك فكرة تتعلق بمسقبل البلد، الوطن، للمجتمع، بمهارة أخرى ليس هناك مشروع.

وربما على اعتراضها على أن المسابقة لا شغل كل الناس لأن هناك عقولاً متفكرة لديها بالتأكيد مشروع ما، لكنها من المستحيل أن تشارك في مسابقة تجريها مجلة من نوع داهل ونهاش.

يقول (زاهر كريم): المسابقة ما هي إلا عينة صغيرة تكشف عن مساحة أكبر من التسويع، ولكني سأسأله بدورى، أين هؤلاء الملايين من الناس الذين ظفروا موجودين تحت ظلاله الضوء يصنعون التاريخ؟ أين الذين كانوا في الماضي يهجرسون في الشوارع يتحدون البنادق والرصاص؟ أين أولئك الذين كانوا يؤثرون في صنع القرار؟ يهجرسون حكومات وزبائن ودولاً؟ هل يتعلمهم الطوفان؟ هل لمحتفوا فجأة؟ خريطة الأحداث وكأنتهم لم يكرروا أبداً؟

أما المشروع، أجل لدى مشروع، كنت دائما أطمح بأن استكمل ما بدأه جدى وأبى، أن تكون لنا صناعة مستقلة قادرة على المنافسة، وصنع الاقتصاد مستقلتين، لكني كلما ترغفت في دنيا الأعمال أكثر أشعر أن على يحدى، وأن قنمى تفوسان في عالم تفككه قوانين المسرة والصالة والارتباط بالغرب.. لا .. أصرف بصرامته إلى أين يسير مشروعي في النهاية.

ولم تمنعه عن الملايين التي باتت الآن الأغلبية السامعة؟ الأغلبية التي جرعت وهزمت إلى حد الانسحاق، بسبب فنون وشطارة السياسة الحديثة، وأساليب التهديد والوعيد بكل الأشكال والطرق؟ هل تقول له إن هذه الملايين ليست من كل إصلاح بعد

## العشوائية وتفكك المجتمع .. في ليل ونهار

أن ظننت تفجع الشمن طولاً سفراً وسفراً  
من دهماً ولم يبق لها إلا لئق الجراح ؟

وتصنفت قسمة لحظة التواصل بين  
(سوسن) الصمرة و (زاهر كريم) المليونير  
عندما ترفض ما أعدها لها من مكافأة  
سخية ما أحوج ما يكون إليها وتزق الشك  
لنعتار ويكي وتعترف قائلة (أه لو يصر  
زاهر كريم كم أحبه الآن أه لو يعلم كم أنا  
راضية في أن أستمع في رؤيته وتنمية  
علاقتي به بعيداً عن الظلم والعمل والسلة  
.. أه لو يدرك أنه ولحي الخليفة في صحراء  
حيوان الصفرة؟ وللهي الأمر بالأحضان  
الدافئة والاعتراف بالحب والرغبة، والاتفاق  
على أن يرسم لها صورة فهو راسم يفتن في  
الزمن، وعندما تعلق فريحة ومبهرة على  
رسمه لها تقول (هذه أنا بالمثل رغم  
خطورك الرفيعة، الثقة الغامضة والبهامة  
كثيراً، لماذا لا تستمر في سكة الرسم ؟)

ويكتب منها معترفاً هذه حكاية طويلاً،  
وهل سرت في طريق واحد أبداً؟ أنا في  
الحقيقة مسخ؛ كأن لم يكمل أبداً، لأنه ولد  
في سياق خاطئ في الأساس، هل تعرفين  
كيف جئت إلى الحياة؟ أي كان أبوه إقطاعياً  
كبيراً، وأنا محلاً جداً وفشلاً في التعليم،  
فتنى معظم شبابه في أحضان نسوان  
الكاباريات المشهورة في مصر  
والرافعات، وعندما مات أبوه فجأة في بداية  
الحرب العالمية الأولى وجد نفسه ورثاً غنياً،  
فلم يدر ماذا يفعل بالثروة، فافتقر جدتي  
تروجه من قرية لها على أن يفتح محلاته  
مخللاً دخل لها إلى دنيا الأعمال دون أي  
تخطيط، حيث دفعته أنه دفعا إلى إنشاء  
مصنع نسوج بارك الله فيه وكان خيرة قرة  
بضعة أصمت عبر مجالات كثيرة منها سفن  
الشمع التي أعمل بها الآن، لكن مستم هذه  
الثروة راحت ووقت التأميم .. إذن .. أنا مسخ  
جاء إلى الحياة بالصدفعة، وأصبحت رجل

أصملاً بالصدفعة، ولم يكن لي طريق واضح  
أبدأ في أي شيء في الحياة .

ويكتف دهب للتواصل بينهما فيعترف  
لها اعترافاً هو مفتاح تصرفاته الغريبة  
ودوافعه إلى هذا اللوع من المسابقة الغريبة  
تقول : اسمي سأروح لك بسر، موضوع  
للمسابقة كله، كان الهدف منه مسألة محددة  
جداً، فقد حاولت أن أستفهمها كمرشد في  
حل مشكلة شخصية تخصني جداً.

فما هي المشكلة الخاصة ؟ : يعترف أنه  
اكتشف منذ فترة وبالصدفعة اللحظة أن والده  
ظل متهرباً من الضرائب طوال فترة نشاطه  
التجاري بمقدار مائة مليون جنيه.. إنه لخص  
على مستوى رابع جداً وكان يعتبره قبل ذلك  
مثله الأعلى في الحياة لذلك فخطته أن يقدم  
مائة مليون لأى مشروع يموه فعلاً عن  
مصلحة المجتمع ويعود عليه بالفائدة لكن  
للكارثة الحقيقية هي ما ظنه مجتهداً ليس  
بمجتمع .. هذه هي المسألة لذلك فهو يائس  
جداً ويضر أن لا فائدة .

ونصل إلى اليوم الأخير من شهر ديسمبر  
سنة ٢٠٠٥ : اليوم المتفق عليه للإعلان عن  
نتيجة المسابقة وكان الاتفاق قد تم بين  
المليونير والصمرة سوسن على اختيار رسالة  
سارة وفرحة التي أثار التهميد على  
المجلة والتي وجدوا فيها نوعاً من التهرب؛  
وفعلوا تم ما فاجأ الجميع بإعلان اسم الفائز  
وكان اسمه إبراهيم حلفى عبد السلام  
عن رسالته التي تطالب بإنشاء جمعية تهتم  
بضحايا الزلازل والسيول، وهكذا تم تزوير  
المسابقة والشيك قيمة المسابقة؛ فمضة تشابه  
بين اسم صاحبي الرسالة، كذلك تم تغيير  
أسماء رجال أعمال ممولين للمسابقة بدلا من  
الممول الأصلي (زاهر كريم) ولم تجد  
سوسن أمام هذا التزيف والتصليل إلا أن  
تتصل بـ زاهر كريم وتخبره بما حدث..  
فهي فتصيح استندوا فيها الأساس إلى أنه

لا يرغب في الإفصاح عن نفسه كممول لهذه  
المسابقة .

وأكثر من ذلك أن الفائز كان يمت صلة  
قريبة لحسن عبدالفتاح رئيس القسم،  
وتهرع ملهفة الصمرة سوسن لبيت زاهر  
كريم لتشهد النهاية الدامية والفاجعة  
والمفاجئة للقارئ حيث انتحار زاهر كريم  
لدى أقدم أكبر أسئلة الرواية ولتقرأ جيدا  
عبارات الرواية الأولى سوسن لطفاً تقارب  
الدلالة البعيدة الرمز لهذه النهاية الدامية من  
جدلية ما خلفه من عشوائية وتفكك المجتمع  
المصري وأسرار عالم رجال الأعمال وما يتم  
من تراكم رأسمال طفيلي على النشاط  
الاقتصادي المنسوب في مجتمع الخصوصية  
والأنفاق والتبعية لسندوق القذ النرلى ونقل  
سوسن في ضناح مشكل وبالذلة والسلي  
لجند فترة توفقت عن الصراع والبكاء، أصبت  
بدوخ من البؤس والغريب بينما كنت أأمل  
عبيد المتفكرين وهما تصقان في اللافي،  
بسرال ما، كان وجهه محتفظاً بشمير ألم  
غريب، هذا الوجه لن تلتقي صورته عيني  
ما حبيت!

«إذن .. فعلتها يا زاهر، قررت أن  
تصعب ولهرب، تركتني في المأزق ومدني  
وذهبت، تخليت عني في أشد لحظات  
الحاجة إلي، هل انتصيت الآن، هل عرفت  
نفسك، وعرفت المجتمع والناس؟» أغل أنك  
كنت راغبا في الانتصاء، إلى الموت في الغم  
ولا شيء غير ذلك، يكتب بحزقة وأنا أأمل  
الدم حين وجهه يقطر حصرة، كان منظر  
الدم حين في حزنه مؤلماً جداً، رحت  
أصعب ومرارة قاتلة تخفني، كنت أشعر أن  
حلماً كان قد بدأ يتشكل قد ضاع مني، كان  
ما بيننا نواة مشروع؛ مشروع كان من الممكن  
أن يكبر ويصنع مصنع له شأن، ولكن أي  
مشروع كان من الممكن أن ينجح مكل يا  
زاهر كريم، ألم تقل لي يوماً إنك ولدت  
كالمسخ؛ تاروخك مشوه، ومضطرب فلا أت

تتسمى إلى هذا ولا أنت تتلصبي إلى هذا، رحت أفكر في ذلك وأنا أشاهد بيته، كان صوت مبه سيارة الإسراف يخرق أذنى ويحتد في خلجتي السؤال [

هذا السؤال - القضية - الذى يحدد في داخل عقل ووجدان للراوية الأول (سوسن) المحررة في مجلة (ليل ونهار) ، يفرس سؤالنا النقدي عما تقدمه هذه الرواية الأدبية الإبداعية، أقول إبداعية لأنها تقدم سياقاً روياً مباشراً يتعامل مع وصعية المجتمع المصري وجدل تفاصيله الاجتماعية في آنية اللحظة التي نعيشها ونعاني أزماتها المعقدة المتداخلة.. والكاتبة تقبض برعى جدلي وروية سياسية نافذة على الوضعية الاقتصادية والإعلامية للمجتمع المصري الآن فمجلة (ليل ونهار) هي المجلة النموذج للانهيارات والسقوط الإعلامي الذي يعكس طلفح أدران طليقات طفولية ونجوم للمجتمع الجديد يمارسون العريضة واللهو والسهر وعقد

حفلات الزفاف في فنادق خمس النجوم والسفه والإسراف هذه المجلات التي تفصل منغ لتقارن المعادى وتستطب كل قدراته على اللغد والرعى المفارق وتفرقه في كم من الضفاهات والابتذال .. وهي تقدم نماذج فاضحة للنوعيات الصحفيين الاستهلاكيين المرتزقة وعملية صعودهم واستيلائهم على المنابر الإعلامية.

يقدرن هذا اللغد البصير للإعلام بإثارة ونقد الوضعية الاقتصادية المصرية وما يتم في قلبها من عمليات ابتزاز واستنزاف واستغلال وقهر وتسلط من مافيا حلف طيقات الكومبرلور والسماسرة والانفصاحيين والمستثمرين الأجانب والخصخصة وإعادة الهيكلة والذين يتهربون من الضرائب ويمارسون استغلالاً عشوائياً لمصالح الشعب .

تناقض كل هذه الأدران الاقتصادية من منظور بطل إشكالي من رجال الأعمال رفض ممارسات ومعايير هذه الطبقة وتردد

على سلوكياتها وأراد أن يكتشف طريقاً مخالفاً يتميز بالنبل والفاعلية بأن تصبح الرأسمالية المصرية منتجة وإوست طفيلية، فكان مصيره الانتحار كدلالة على الصير الفاجع للمستقبل الاقتصادي في مجتمعنا.

وأخيراً قد تكون هناك عدة ملاحظات عن قصيدة التصميم في هذه الرواية على حساب ما يطلبه النص الأدبي من تقاليد ولغة غور مباشرة تهمس دون أن تخبر.. تجسد بالصورة دون أن توضح بالخير البقيني.. فضلاً قد يثار عن آنية المشكلات الاجتماعية المطروحة وعدم تحريكها إلى ضرورة الاستمرارية التي تس البعد الإنساني.. ورغم ذلك يبقى لهذه الرواية أنها تؤكد حيوية إبداعها الروائي الآن في جعل الرواية مرآة وثاقب إنقاذ ودليل عمل للمشكلة الإنسانية بخلاف كم من الروايات غارق ومشارب في جذور الماضي وأدعاء للتصوف وطرح مشكلات الأنا الأنطولوجي المتمالي السحيط والمغترب. ■



# تأويلات على متن

## «فهارس البياض»

### شعر السؤال الفلسفي

### إدوار الخراط

ف «فهارس البياض، عنوان كتاب ماجد يوسف».

للمنازين مخطتها، أو ينبغي أن يكون لها منطق، وهو ما لا يحدث كثيراً هذه الأيام، إذ لرى المنازين الطويلة الغربية التي لا تهدف إلا إلى إيهار أو إغراب أو حذقة.

ولكن «فهارس البياض» في تقديري إشارة دالة ومقلقة بالعمى وهو جزء عضوي من شعر الكتاب.

فهل ذلك لأن الشعر هذا يطمح إلى شعولية أو إحاطة بكل معاني الوجود - يا له من طموح! - أو على الأقل يلمح هذا السؤال الشامل المصموم؟

ذلك أن البياض يشغل في نهاية التحليل على كل الأنوار، والقاصدة العلمية أن للور فيه كل ألوان قوس قزح، الضوء أضلاع بياض، (ص ١٠٧)، وفي طوايا البياض تلافيف وتمازج ولطفة وتمازج، أي أن فيه - فيما يبدو أنه فراغ أو عدم - كل فهارس الوجود، كل محطيات المعنى، كل للفهارس.

«يس التلافيف - في الأتون - كانت بياض» (ص ١١).

فهل البياض عند هذا الشاعر هو عدم أو الفلاء الذي هو في الآن نفسه كل الوجود، وكل المأ؟ وهل أن الشاعر عندما يبحث ما يسميه «عد البياض، يومى، على نحو ما، يجد نهائى الوجود هو أيضاً حد نهائى لعدم؟

ومن إيقاع ساحر رجم

للابتداع الفلسفي

أبيض بياض

أسود قوى،

(ص ٨٠ - ٨١)

على أن هذا الشعر يدور جانباً آخر هو جانب العلاقة بين البياض والكتاوبين والافتجار للورى - الذي له كان قد أرخص به حينما أشار إلى للتلافيف التي تستحيل بياضاً في لمنظر الأتون ويطلق النار فيه، فهل ذلك مما نوحى به قصيدة «بياض عين

الكتاوبين؟ إن صورة للثورة، أو للمفترق، أو عين العاصفة، أو قلب الدراما، بما تحمل من دلالة عدم المتفجر، من الإحياءات التي ما تدى تراريد هذا الشعر، البياض هو عين الوجود كله، لكنه أيضاً عين للكتاوبين، كأنه نذير عدم بل هو ذات عدم

«وكانا كل شيء أبيض،

(ص ١١٦)

«واللوحة من ألوان قزح

فيها التجوم متوزعة مليون شعاع

فوق الجسد

(ص ٦٧)

ليس في اقتدار الوجود بالعدم غربة، تلك قضية طالما تنازلها الفكر الفلسفي، والشعر الفلسفي ممّا، منذ البداية، ولعلها منتقل مطروحة بلا نهاية.

إن اقتدار الأنداد من أبرز سمات شعر ماجد يوسف، وهو على الأخص أوضح ما يكون من خصائص «فهارس البياض» بل هو للسهار العنصرى المعى بالجمادى الانصوى.

«طعم الرخام طاز، وطرى وناصع لازال» (ص ٩).

وهو قى الجانب العنصرى امتزاج اللون واللحن والصوت، تصافر أو اقتدار العين والشمس والأذن، «بين البياض والبرد في «اللون للنش» (ص ٢٧).

وفي الجانب المعادى - أو التجريدى، بعد ذلك مباشرة، نجد الامتزاج بين موجردات ملموسة متجسدة وبين تجريد abstraction هو أدخل في سياق البلاغة أو السيماتيات.

«والريح يتكبر كل يوم

تسبح من الرمل المجاز

تكلما هو يبحث الموجد الصلب لقللم بذاته لكي يجرده على القصور من دلالات المجاز، ويعود به إلى جوهر المعنى من كل محطى، كأنه يمزج - دابة طول الوقت - بين الوجود والعدم.



الشراد على هذه الحاسة الضدية ينص  
بها الكتاب، بين الشباب والشيوخ، بين  
المرء والليل، بين الموت والعياء، ودائما دائما  
بين الحقيقة والاحتمال.

«وانا قد الشباب .. طاعن ..  
عجول

وانت العجول ملان شباب  
النور متين طاعن ؟

متين الليل يا .. جى ؟

وانت اللى مسجون فى الأتون  
عشت فى زمانك

والا أنا اللى متت حى ؟

(ص ٣٨)

الدود بيرعى فى الكمال/  
النقص،

(ص ٤٠)

والبد هو الملتكى،

(ص ١٩)

هو يمزج بين الماضى والمستقبل ويقلب  
الترايب الزمنى، كسما يمزج بين الأول  
والآخر، بين الواقعى والافتراضى، كما يمزج  
بين الأبيض والأحمر، وبين الضحك وبين  
البكاء، (ص ١٨)، وبين الداخل والخارج؛  
ذلك كله متحقق مع محور السؤال الأولى  
المائل دائما؛ هل الشئ هو متحده سما ؟ هل  
الملاك هو المسخ ؟ (ص ١٨)

الأتى يوسبق أمسى

وانا بين جوه وبين بره

قد الأهرام والذرة

والذرة مجرة مهوله

فيها البدايات والغولة،

(ص ٤٨)

\*\*\*

وانا ملتح الموت والحياة على  
فرسها

(ص ٢٢).

وفى تلك القصيدة الجميلة «مهددة، التى  
ترمى إلى صلة وثيقة بأشعار فولكلورية

مأثورة وقد سرى فيها الآن روح السؤال،  
وهى تملح من عقريه شعبية أبدعت بروح  
الندابة والمرح والفاخرى آيات من مثل  
«باطلح الشجرة»، أو المقطوعة المشهورة:  
«الدجار عازب سمار..» إلى آخره، نجد هنا  
عند ماجد يوسف صورة باهرة:

«ويزاز القمره رخامى

بترؤة ليلى الطامى،

والطمى بهن مفتوحة

بيسط الكمحج فى لوجه .. إلى

آخر الهدمة التى تتلهى، بلا نهاية  
طما؛

واللوجة خطوطها عجيبة

راسه لى نجة وديبه

والديبه إلى آخره إلى آخره

والآخر أوله آخره

(ص ٥١)

\*\*\*

وفى هذا السياق تقف قصيدة «بهاض  
عين الكابوس» على حدة.

هنا صور وصياغات تمزج بين الفرح  
والدمار، بين اللشرة الشبقية والندب؛ للذئب،  
بين اللغوم والمصافى من جانب وبين  
إيهامات ملائكية وسواد هالة كأنها شيطانية  
من ناحية أخرى، رموز متراكبة وملغزة  
وعصوية على التأويل، عن عمد أو عن إلهام  
للشعر ؟ (وهل ثم فارق حقيقى بين التمسد  
اللتى، والإلهام ؟) هنا صورة لمرس قبلى -  
فيما يبدو - ولأنفجار كابوسى، هنا ألف  
فكاعة من حداث وقدم بالمتوسط على قوس  
الهلال ؟ هل المزج السويرالى بين الصور  
والإيهامات هو لب الشعر فى مرابعه قضية  
لها تتمعنى على الشعر ؟ لعلنى بها قضية  
وتحناظر فيها الخاص التراقى الآتى والعام  
المفارق النفسى ؟ وهل للشعر هذا هو السلاذ  
الأخير للوطن ؟ أم لاه، كما يقول الشاعر : «لا  
مفر...».

سوف نرى أن الحص الوطنى يتحسم  
لشعر هنا - كما يتبعى له أن يفعل فيما  
أصور - وأن ترائيم الاكحاز أو الانتماء الوطن  
تعدل ما سوف نراه بعد قليل من حص يوشك

أن يكون عديدا، أو عديدا نهيلسيا، أو ما  
أسمونه حصا مقبريا هو أرواح وأصرح ما  
يجلى عليه فى إهداء الكتاب.

«إلى أمى

اللى جانب من حشاها كتيل

وانا اللى شابل جشنى وماشى

«ماجد،

وفى التزاوج بين خصوبة الميلاد وبين  
الحياة التى هى موت هى، مصداق آخر  
للحن المتضى للصيمن عند هذا الشاعر  
الكبير.

وابعد وانا أقرب مسا يمكن

للسؤال

على شفا جرف الملول،

(ص ٢٠)

رائطر ليمنا إلى دلالة العوان الملصعة  
فى قصيدة «مقرب الآء» التى تستوحى  
للونكلر كذلك ولكنها تصمد إلى مستوى  
«أصغر» - مع أنها مازالت مرقصة  
الإيقاع -.

بتعكس فى الآءة

وتكرا بالمقلوب

عذبة أهب

واضحك ويها

لشكك فى مرابه

باين فيها اتنين

بنى آدم بروحين

(ص ١٣٢)

وبعد أن الصورة فى المرأة لالدين، إلا  
أنها واحد ولكنه بروحين، إن الحاسة الضدية  
هذا تبلغ حدما الأقصى لذى لا بد أن يكون  
بدره هو مجرد ملاسة الحد الأدنى، أى  
الوقوف على شط المتنى، على حدة الأول،  
فى الوقت الذى فيه يضرب الشاعر فى  
عياب غير خضم للسؤال.

تلك بعد انصهار الأمندان فى الخاصية  
الثانية بل الصور الأساسى فى شعر ماجد  
يوسف أى ذلك السؤال الفلسفى، سؤال  
الحيرة، للوقوف فى المشرق، فى عين

## تأويلات على متن «شهارس البياض»

الفلسفة، في المد بين التشظى والتفتت من ناحية وبين الانساق والاتحاد من ناحية.

يا هلا بك

يا هلا بك

يا لئي بايك ع البحور

(ص ١٣)

أو في سياق آخر، مختلف ومعتائل

«وف برزخ الغياب

ودهشة الانسحاب

بتفتتح بربان

سؤال من غير جواب،

(ص ١٠٨ و ١٠٩)

أتصور أن البيبان هنا مفترحة على البهرز بأكثر من معنى، الشاعر يطل هنا على أسراج الأسئلة للحلاطمة وعلى تزامم الصور والأفكار، بل هو يرمي بنفسه في اللم

«أنا اللئي مشهور ع السطوح بين الندالة والشرف

بين الجمال السرمدي ف تفت الصرايا والانتصار

(ص ٢١)

أو «وأنا في المهيب

«وف الخضم»

(ص ٣٦)

أو «على القمة انفجار بعثر شظايا الحرف

جمعتي في هيئة ربّ

يبتقم بإقاع الكون،

ص ١١٣

ولمالي سوف أعود إلى تفصيل نظر الشاعر إلى شعره، أو تأمل النص ذاته، كما هو الحال هنا، وإن كان الأمر في تصويري

وتجاوز مجرد النظر في نص الشعر إلى النظر في نص الكون، أو في سؤال الوجود.

«أنا اللئي حيّ بكل كلى

لو ائي أجزاء ميتة» (ص ١٤٧)

\*\*\*

لم أستطع أن أفعل النص للسوداني، أو المتبري، أو للعمى، في هذا الكتاب، على الرغم من كل جهودي لفرض النظر عنه.

بعد الإهداء للقاص نجد على الفور تقريباً قصيدة - أو مقطوعة - اللينة، إذ لئي أحجبر للكتاب كله قصيدة واحدة - «اللينة، لئمت مجرد صرخة غضب أو ألم، هي تذهب إلى أبعد بكثير، في تقديرى:

«النار لهيب مشوح على جنون السرير

في حل وهم الانتصار

يتتشمه طيوف المصور

والنور طوفان الجوع،

(ص ١٨)

وعلى الرغم من الشبقية المتحذلة تضاعف الشعر هنا - سوف أعود إليها - فإن للسودانية تقف بالمرصاد عدد كل حنية شيق وكل انعطافة نشوة، وللقصيدة أقوى بل عارمة القوة، أضنى لو أقرها هذا كليا ولكني سأكتفى ببعض شظايا الحرف، لعلها تكون تنقيما أو إقاعا متسقا تقديا على حد صياغات الشاعر:

«وأنا اللئي مصهور ع الوند

رغم البشاعة

والضناعة

وبالقروح البطن الفظيمة

ويانولند

ملاك ومسخ،

(ص ١٨)

«والروح جردح شيطان رجب والتبر شاهد بالشواهد ع المشاهد كلها،

(ص ٢١)

واللئي النصاري في الاتحاد قمة فشق

يكبر شعوري بالانكسار لحظة توحشنا القلب، (ص ٢٢)

اللينة صاحبة في لؤل كثير

واللينة كائمة ف النهار

اللينة لئنة في المصفر والاختدار ص ٢٣

لئمت قصيدة أو مقطوعة اللينة وهذا هي اللئي تسرى فيها لغة السودانية، بل العدمية، بل إن هذا النص العدمي المبني بخامر الكتاب كله، حين أن نلقل مع تلك أنه، رقاء لحاسة الضدية اللئي عرفناها عند الشاعر، يظل مقترنا بعض من الانتصار والذروة بحب الحياة حتى إن كان ذلك كله مشتركاً فيه.

بين الدلفا ف دم الحجر

والأقنعة السود للكرم

والضخام مكياف الضجر

وخيال مآته يبتهمر منه العرق

ف الملتقى

وأنا على الشفا

لازلت باحلم بالشفا

من حرق بصري اللئي أئسرق

في الملتقى

(ص ٢٨ و ٢٩)

... بين اللئي صادق لو صدق ح ويكون كذب

والأ الذي كَذَاب لو كذب ح  
يكون صدق؟  
فد المفترق

(ص ٣١)  
أو فلنتأمل معا ما يكاد يُشفي  
على شبه القنوط من الشفا.  
هل من حيث في اللحظة  
دي؟ (ولم كل لحظة مسا  
حقيقة!)  
هل من عدم؟

هل فيه مرارة ف السؤال؟  
هل فيه أمر؟  
النشط من قدامكو بان  
(أي شط.. لمين هناك من  
مرسى ولا برد)  
والبحر خان  
والباب فتح على ألف بر  
.. مغش ملر (ص ٥٦)

أما الحس المتبرى الذي أعرف أنه سرف  
يزدهر بشراسة في إحدى قصائد الشاعر  
الأخيرة «حاشية شرح المشوية، المنشورة في  
عدد مارس من «الثقافة الجديدة»، فإننا نهده  
- مع ذلك - بقوة في سمات مثل «طراح  
النوار نيدان

ف الجهات الأربعه،

(ص ٩٤)  
أو «تُخ العن يعن السؤال،  
(ص ٨٨)  
أو «بائع البوق في العن لم  
الفران من شق لثوب.  
وانسخ خسرط هذا الكنان أو  
تدلفن انظها: لا،

(ص ١٤٧)

أو «عن الهزيمة والانتصار  
بترسخه طقوس العفن  
والضخمة خوف  
أخرس على قبر الحروف،  
(ص ١٠٢)

وإل هذا الحس العدمي أو المبلى يبلغ  
مداه في قول الشاعر:  
عين الوجود فيها موت  
ويلاهه،

(ص ١٢٢)  
فهو هنا لا يكتفى بأن يقرن الوجود.. أو  
صليه وعيه وجهره - بالموت، كما كان لنا  
أن نتوقع، بل يذهب إلى أبعد من هذا في  
تقديره، إذ يقرن عين الوجود.. أو ذكاته -  
باللامعنى، بالبلامة، أي بما هو - في ظني -  
أندح ثقلا من الموت.

السمة الرابعة عددي في هذا الكتاب هي  
ما يمكن أن أطلق عليه الملمسة للشبقية..  
وإعلاء على العكس مما كانت في أعمال  
سابقة لماجد يوسف، شبقية منكورة، أو  
منكورة، أو منكورة تزرع تحت وطأة ما  
يشبه اليأس والحبوط.

«هد الألقى على قوس ونهد  
وشم الجراد على كل فخذ،  
(ص ٧٧)

جسمي الوحيد  
بيلف بدراعه العنيد  
على خطوطي الأنثوية اللينة  
والأنثى في حالة فرع من  
نفسها  
تبعسد نهودها عن أيديا  
الأخطبوط  
تهرب في جسمي الملتحم

الشبقية هنا تلحم بالموت، أو الانكسار،  
ذلك في تصور قائم ومعرّوف ويكاد يكون  
اقتربنا ضروريا، ضحية الحب - أو الشبق -  
والموت؛ تكاد تكون من مقومات الحب أو  
الشبق؛ نرى ذلك في كل الأساطير وفي كل  
ملاحم أو فواجع الحب للتراثي، حتى  
لو كاد يكون صفاء البهجة للفألصة من كل  
شائبة في الحب - وفي الشبق - صفاء مخاتلا  
وإلثاء، ويكاد يكون كل وجود في شعري أو  
غيره يقتصر على هذا الصفاء المخاتل،  
وجودا ويطيه الزيت أو السطحية.

في قصيدة - أو مقطوعة -  
عين الوجود:  
ولين الحمرات يتأوه على  
التهدين  
ويتأوه على دلتا المغاد السمر  
....

وسويك دا التي كان هنا ج  
يلم الأرض في السرة  
يكرها شار فجة المذاق..  
مزة (ص ١١٥)

وصحيح أن في هذه القصيدة شيئا من  
الشبق بالوطن - الأرض، وإحلالا لغيرها  
الوادي الخصيب محل جغرافيا الجسد الوثير،  
وصحيح أن فيها أيضا ومحا لوصفية  
مضمرة في مثل قوله:

«وفجر الطين  
بيوضح عن البذرة  
ويكفح عن التلمة  
وعن حكمة بدن عاشق لروح  
مضوق  
(ص ١١٤)  
ولكن الشبق - مع ذلك كله - يحوي به  
الفن، فموت..

## تأويبات على متن «شهارس البياض»

والبلن يا ليل مشدودة يا عين زئ الظلمة	والبل جنى.. وجنويات ملاذى فحيح حيات
حلمات نافرة مسلات في النبر	وخد معنى الثقة بالذات
قلوع ليلى لوافير فايرة	دخل خنى ولبد فيه وبات
ألفين عليها حارس بحورس وإيزيس	وفي اللتى اكتلب إلهات
من المسول والكوارث ومن شر الخيث	بنار فنى صهرته فمات
لحد اللؤل ما يوصل ويغوض ع الجناوب	(ص ١٧٠)
والأرض المسودا تحسبل بالخصب وبالشباب (ص من ١٧٤ ١٧٥)	سوف أشير إلى إيتاعية الشعر الخاصة؛ إلى هذه النغمة المرفوعة، فيما بعد، ولكن السؤال هنا - سؤال اللند أو سؤال الفنى، الذى لا أصرف له إجابة يقينية؛ هل تتسق هذه النغمة بكل مزجها وترقيعها للمزمع المتواتر، مع حرارة السؤال الفلسفى، أم ألها - بالضغط - تروق من وقعه القاسى وتتسرب بموسيقاه بصيدا عن لحد الصورة أو لجم للصورة والمبوط؟
الأمرامات هي ذرة عقد هذا الكتاب، فهي قصيدة محورية تجمع خصائص شعر ماجد يوسف في نوع من السفسطائية So- phistication بالمعنى الإغريقى الأصيل أى بنوع من الحدق والبراعة والقصصى الدقيق المرهف، فهي قصيدة تشتمل على دراما تاريخ الوطن كما تومي إلى واقعه الزمان (ص من ٨٣ ٨٤)، وهي نقود من المرجع الموسيقى الكلاسيكى والشرقى على السواء، كما نقود من المرجع الأسطورى (ص ٩٣، ٩٤)، تتجسد فيها سمات شعر هذا الكتاب، كما أسلفت في محاولة لاستدسارها، وهي على وجه التحديد: (١) انصهار الأنشدا؛ أى الخاصة للمنشدة (ص ٦٤)، (٢) (ص ٩٦)، (٣) للسؤال في قلب الحيرة أو في تقاطع الفتى (ص ٩٦)، (٣) للحس السودانى (ص ٩٢)، (٤) للشيقية المتخجرة المورودة مما (ص ٧٧)، (٥) وأضيف إليها الآن: نظر الشعر إلى ذاته، أو تأمل للنص في مرآته.	ومع ذلك كله، فإن القصيدة الأخيرة في الكتاب - كأنما هي الفانفار الختام في الموسيقى الأورالية أو السيمفونية - ليست صاخبة وإنما ممتلئة الصدر وحافلة بالفرح، تطلق الجماع للشوق لكي يتحور ويطر ويصدق، هي تزلزلة للوطن تهزم السرداية - أخيرا - وتكسى عنها المدمية التي كانت قد أوشكت أن تكلل هذا الشعر بوطانها اللازخاء، الشيق بأرض الوطن هذا غير مكبل بل حليق.
لقد التل ما يوصل ويغوض ع الجناوب	بجدال قمح يتفتنر
والأرض المسودا تحسبل بالخصب	وخصائل تفل بتتهاهى
وبالشباب (ص من ١٧٤ ١٧٥)	خضرا الأدهاب
الأمرامات هي ذرة عقد هذا الكتاب،	بخود عتاب
فهي قصيدة محورية تجمع خصائص شعر	وسيقان عبله
ماجد يوسف في نوع من السفسطائية So- phistication بالمعنى الإغريقى الأصيل أى	الوش شباب
بنوع من الحدق والبراعة والقصصى الدقيق	والصدور رهاب
المرهف، فهي قصيدة تشتمل على دراما	
تاريخ الوطن كما تومي إلى واقعه الزمان	
(ص من ٨٣ ٨٤)، وهي نقود من المرجع	
الموسيقى الكلاسيكى والشرقى على السواء،	
كما نقود من المرجع الأسطورى (ص ٩٣،	
٩٤)، تتجسد فيها سمات شعر هذا الكتاب،	
كما أسلفت في محاولة لاستدسارها، وهي	
على وجه التحديد: (١) انصهار الأنشدا؛	
أى الخاصة للمنشدة (ص ٦٤)، (٢) (ص ٩٦)،	
(٣) للسؤال في قلب الحيرة أو في تقاطع	
الفتى (ص ٩٦)، (٣) للحس السودانى	
(ص ٩٢)، (٤) للشيقية المتخجرة المورودة	
مما (ص ٧٧)، (٥) وأضيف إليها الآن: نظر	
الشعر إلى ذاته، أو تأمل للنص في مرآته.	
والشعر لو ملك السما	
مهما ان علا	
ومهما ان سما	
لازم له فى الأرض المقر	
(ص ٥٩)	

ومع ذلك:  
الشعر جواهر مختلف  
عكس البحور  
عكس السماء  
لام النقة  
من شين لشين الشعر شع،  
(ص ٧٥)  
(الإنشادة أو الصروفية ليست لعبة، بل  
هي مرميى المسحبل)  
سن القلم  
قال - لما قال - من بحرهم  
أوزن خطايا السحر من رقص  
الفرع  
كتب الخلود المرموس لمعنى  
الوجع  
ومسك وجوده المبتدع،  
(ص ٦٨)  
ولجأة بالشعر صار شعبي  
وصار ملك البشر جدا  
(ص ١٢٣)  
إن شعر ماجد يوسف شعر - بصياغته  
هو - شعر حق، بالبلدى، ولكنه إذ هو شعر حر  
فإنه كله أوزان وميلودى (ص ١٢٤)  
«هل حلم صعب لو أظعن  
التكين بفختر كلمتى؟»  
(ص ١٢٨)  
نعم يا شاعرنا، حلم صعب ولكنه ليس  
عصيا على التحقيق، بل هو، لأنه صعب،  
من الضرورية القصوى بمكان أن يسعى  
الفنان ما وسعه الجهد والإلهام إلى أن  
يحققه، أن يقتل التكن، أو على الأقل  
يلطه:

وأمرمغه في بركة من دم  
الحروف... (ص ١٤٩)

فلتصغ إلى سؤال الفن - بصياغة الفن  
العالمية - في ختام القصيدة الرائعة «سكة اللي  
يرجح ما يرجعش» وبما انضحت الشجرة  
وتقلبت الحروف والأهزمة وهم سمات  
بالمعرفة؟

(سؤال أساسي في صياغة  
مجففة)

مما يلحظي بدا إلى مصارلة تلحس  
الصياغة الشعرية، وهل ثم إمكان للنظر في  
الصياغة دون النظر في فحواها؟ (مسألة  
لا تكاند لتنتهي أبدا من أمرها) مستحيل طبعا،  
ولكن صفة النظر في العمل اللغوي، صفة  
للتقد، نعمك...

ماجد يوسف - كما أشرت - مولع، مثل  
كثير منا، بموسيقى المصحول، أي بملك  
التقنية الحروفية أو الإنسانية التي ما أخطرها  
وما أعظم إغواءها في أن، للجناس الكامل أو  
الناقص والتقنية والإيقاعية المرفقة كلها مما  
يلغيش به الكتاب - من أمثلتها:

في المشرق

....

بين التحدى لأفاق

وأنثا التردى في النغم.

(ص ٣٠)

أو يا هزوة الحرف الهليد

دا صوت تشيح وأنثا تشيد؟

(ص ٣٧)

في قصيدة «الزائر» (يا لدلالة العوان؟)

لعب - بمعنى عزف - على مقامات حروف  
الجيم والهاء والدون والفاء والسين والحين  
والفاء والباء والكاف والهاء والفاء والزاي،  
على التوالي... أكتفي بأن أقصر لمتعة على  
حرفين أو أربعة منها:

يا جنة من جوهر جنان الجن  
الصور حوامل في حياض  
حرفين

والنهر نور نور ثوران الدن  
والنهر متفخر في خور خدين..

(ص ٤٣)

ويطويحة الصال فإن لزوم ما لا يلزم  
- هنا - أو معارلة الإيجاد اللغوي بمجرد الجرس  
الموسيقى، من شأنه أيمنا أن يشق دلالات  
خسبية وشجعات للحرى قد لا يحتملها  
النص السائر مستقيما على مسند (إذا صح  
أصلا أن تم شيئا من هذا التليل).

هذا إلى أن التوزيع الطباعي للنص  
الشاعر، في هذا الكتاب وفي غيره من كتبه،  
لا يدعي أن يفعل، فهو أقرب إلى تشكيل  
كونكريتي، الكلمات والفقرات والأبيات لها  
إيقاعية بصرية، ليس فقط إيقاعية سمعية  
ونغمية، ثم اقتراح من الشاعر على قارئه -  
لأنه هذا قارئ باصر وليس سامعا - بأن  
تتوقف عينه هنا، أو أن تستطرد هناك، وفي  
هذه الأحوال فإن البصر والسمع يتقاربان،  
(فليس هذا من سمات هذا الشاعر؟) كما  
تفكرن للامامة دين توزع أو تهيب بالفردات  
الفصصى - بل العريقة في الفصصى، ومرة  
أخرى يلغيش للكتاب بهذا التوزيع لا أقول  
بين الأصدقاء، بل لعله تزاوج بين الأنداد، أو  
بين الأصهار، فليست لغة أهل مصر وبين  
لغة العرب العاربة متدينين، بل هما قريبان،  
ولن كان لهذا مبحث طويل.

«ملوسون فراح اتشدوا في  
خشب اللثة» ص ٦٦

وبين النظر إلى ذلت النص بشيء من  
السفرية أو الداعية:

أمسك قلبي الهمام

يرتب في الكلام

ويسبك في الحروف

(ص ١١٠)

وبين أن يجد الشاعر ملاذ في النص:  
(في) الحرف الواحة،

(ص ١٣٠)

ثم عشق لغة في تهليناتها المتلوعة - أي  
في مستوياتها ونغماتها المتوارعة:

انظر إلى مفردات مثل اجتياح، منرام،  
قمة، في الضمن وغيرها كثير، في مثل:

«الوردة حملت من ضرام  
الوجد»

(ص ٣٩)

أو «وإنا في اجتياح شقي  
الغيب»

(ص ٣٦)

«بين الإيمان والذيق»

(ص ٣٥)

«واللام لغة.. ولدد القصاص»

(ص ٧٠)

«حورية حوراء الطرف»

(ص ٧١)

«بيشد من حيل الوجع»

(ص ٧٠)

«والرقعة في قلب القحة»

(ص ٢٩)

وهكذا مما يكاد يحصى الإحصاء، في  
الوقت نفسه الذي يقول فيه مفردات مبتدعة  
أو حريقة المحدث في لغة أهل مصر مثل:

حتى اليوم الجوانية كسكت،

(ص ٨٢)

أو من مثل «رق الدقوف  
بيشغله.. ويبتغله من حال  
لحال»

(ص ٩١).

## تأويلات على متن «فهارس البياض»

«هل كان تراب

إيقاع لغة،

(ص ٦٤)

لا، بل هو تهر صراح .

أخبر ما يشير إليه من تقنيات الصياغة غير المصححة عند ماجد يوسف، تقنية تفننى بنا مباشرة إلى الهم الفلسفى العميق المورغل فى روح هذا الشاعر، أصلى بها تقنية للقطع والاستدراك والعودة إلى الأول، فى قصيدة الأقنوم فى مثل:

لا والغريب ..

إن العلامات كلها ..

... ..

أهدا ..

من الأول هناك

من أول الأقنوم فى ليله من بياض التجربة،

(ص ١٠)

هذه تقنية تتكرر باستمرار فى هذه القصيدة بالذات، ومثل كل التقنيات لا فصل ممكنا بينها وبين فمراها أو مضمرنها، بل أكثر من ذلك، إنها هى فموها الفلسفى.

ذلك أن قطع الصورة - أو الفكرة - والعودة إلى الأول.. إلى أول الأقنوم، فى بياض الوجود، لا يمكن إلا أن يتكررا بما يحىء فكره بعد ذلك أكثر من مرة، أى إلى تصوير الكهف الأفلاطونى الذى نرى فيه ظللا هى موجودات هذا العالم منعكسة عن

الظل الأفلاطونية العليا القائمة - فى الأول - فى الأصل - وليس لعالم الأرضى إلا انعكاسا لها، هى ظلال ظواهر عرسية، أما الحقائق التى على اللقان - وعلى للفيلسوف أساسا - أن يسمى إليها فهى ماثلة فى الأول.. هناك.. تتفتح عليها البهيجان أمام ليج الأستلة فى بحر علمية

وإنما الذى مشدود ع الحبال وهم اليقين الذى انتحرق فى كهف من صنع الخيال لعبة خيال القول على حيط من ظلال كل البنى العالى المهيب - على هينتى .. (ص ١٤٤)

أنا والظلال والحلم والكهف المخيف،

(ص ١٤٦)

ليس هذا الكهف - فى تقديري - إلا الكهف الأفلاطونى الذى هو عالمنا هذا، وليس هناك، فى حاضرنا للراهن وليس فى الأول...

ولكن الشاعر ليس هو، بالمناسبة، للفيلسوف، إنه لا يضع وليس من شأنه أن يضع نسقا فلسفيا محكما متسابق التركيب، ولكنه باعتباره فنانا إنما يسأل، وتتروح أسئلة بين الأسئاق والتضاي والتأملات الفلسفية.

ولذلك فإن هذا الشعر يتسارع بين للتصور الأفلاطونى للمحالى، وبين لتصاد الأضداد الذى يتكررا على نحو من الأنعام بالحوالية، واتحاد المادى بالروحي، ولانماج

المفارق بالإنسانى، وبين هذا وذلك من ناحية وبين تلك السودورية أو المحسنية أو روح التشاؤم ورقض الحياة، كما تجده فى معظم شعر المعصرى من ناحية أخرى، ولكن الشعر فى «فهارس البياض»، يلتخذ الاستمانة والسرف فى التبهجة بالحياة والعيب من نشواتها - كما تجده فى معظم شعر الغمام، وإن كانت مميزة «فهارس البياض»، وفصلها أنها تغامر حتى التورط فى الرمي بالنفس إلى عباب السؤال الفلسفى - مهما كان إيقاعها مرقصا أو مركبا - وذلك أيضا على خلاف مع رباعيات صلاح جاهين السلف العظيم الذى وقف فى آخر التحليل على شط السؤال دون أن يفوض حقاً فى لجه المضلطة، ولعل صيغة الرباعيات نفسها عن صلاح جاهين كانت قيذا وشرعاً يحد الفماره فى اليم الطامى.

ليس المنط هنا تأكيد المحمى الفلسفى فى «فهارس البياض»، فهذا مما لا يحتاج إلى تأكيد، وإنما المنط فى تقديري هو استكناه ملامح هذا المحمى، وتقصى تباراته التى قد تكون متضاربة، تلك ميزة للشعر خلافاً للفلسفة، والبحث عن جذور كاملة فيها ترهب وتضئ مفكرتنا على تلقى.

الشعر فى «فهارس البياض»، وفى أعمال ماجد يوسف بحامة، قد بلغ - بلغة أهل مصدر - ذروة فكرية وموسيقية مما غير مسبوقة ترسخ لهذا الشعر مكانة لا تكران لها، بل نحن ندين لها بالعربان وبالامتلان، فى أندر النشوة الحققة بالشعر الحق. ■



في

## الرؤية البليغة

المكان البؤرة - جبال - لعل اقتدران (جبال،  
بالذكورة، يفسح عن توسيع دلالة الاسم،  
فيشمل أيضاً، عدوانات ليس أماناً.

والمكان، أحد أهم سمات الحداثة الثالثة،  
بهدما كان الزمان - بكل اشتقاقاته - هو السمة  
الغالبية على قصيدة الحداثة اللسانية -  
السيميائية. ولأن الأماكن تحمل التواريخ،  
شواهد وأفعالا، فإنها مكنت نفسها من التوالد  
للمستمر، حينما حاول الشاعر أن يعيد تركيبها  
الذهني من خلال أفعالها..

كانت الأرض المنيعة

وكان نحيب الراجلين

فهبست أعضائى بين مدن شتى.

ولم تنفق عدوانات قصائد المكانية عند  
ظاهرة التوليد الحداثي لها، أى يصبح المكان  
هو الفاعل من خلال معمولاته التاريخية  
والحداثية، وإنما حاول الشاعر أن يحمّل  
بالمكان، واستمان بالتشبيه كى يوسع الدلالة،  
ولأنه - أى الشاعر - حتماً ضائعاً، لم تسعه  
المدن ولا الأسماء، ولم يقف عند دلالتها  
المعلنة الهوية، بل تجاوز ذلك إلى إلقاء  
الأزمة المتراكمة على هذه الأمكنة، كى  
يصل بقصيدته إلى وحدة قاهرة، مفادها أن  
كل ما سر من تواريخ لم يغير من قسوة  
الأعمال المكانية ومن هويها.

.... لم تعد تهب هذا البحر

ولا هذه الأرض

يبدآن قروناً مرت بزواحفها

ونحن نيام.

توجد قصيدة الحداثة الجديدة - قصيدة  
المكان - أنها قادرة على احتواء كل الأزمة؛  
الثانية والجماعية، فهي مركبة حتى ولو  
كانت متقطعة، ودرامية حتى لو كانت  
غنائية، وهذه الميزة البدائية لها، أعطتها  
طاقة الاحتماء الاستعاري للأشياء وللناس  
معاً، فهدأ ليعتبر الطيور، أو الغيوم، أو  
الغياض، يهد هذا الاستعارة إلى ميادينها  
المكانية، فلا غربة إلا للروح حينما يحلق  
طار على لا مكان، ولا جرح يذرف حينما  
لا يكون له راء، ولا غضب يجسد عندما  
لا يكون من لا يشعر به.. ليست صدمية  
مكانية هذا الذى يشهد الشاعر، فالحال لأن  
الأفعال ما عادت كافية لاستيعاب المأساة..

## ياسين النضير

الكلثوث، وتقروها وتوجد لمة لتفردات،  
وتقروها، وتقول إن البلدان المحيط شعراها  
المحمزون. ومنذ قيام الدولة العربية -  
الإسلامية، كانت حواضر الشام والعراق  
ومصر، هي المركز، وبقيت الدول المحيطة،  
دولا محيطة، تد بلسقها المركز، وتستغرف  
منه طلعاته الجديدة، وإلى اليوم لا يزال هذا  
العمق موجوداً، وقراءة أولى، نجد أن الشعر  
العربي الحديث يتغذى بما يفرزه المحيط،  
ويغتذى، يجارب، وكشوفات، وابتكارات؛  
نذكر ما أسقطه قصيدة: الفوقوري، وقاسم  
حداد، ومحمد نقيس، وسيف الرحيمي،  
لشعرية دول المركز وحداثاتها.

- ٢ -

فى ديوانه الجديد «جبال» نجد المناخ  
الشعري المتداخل الفصاة... ففى مستوى  
الفصاء الداخلي، توزعت قصائده بين  
التقصير، والمقدمات، والتوالد، وهذه البنية  
المكانية تفصح عن تركيبية شعرية متداخلة  
الأساليب، لكن ما يجمع معظم القصائد، هو  
عدواناتها المكانية، وهذا اشتقاق فنى من

- ١ -

أين لصنع قصيدة الشاعر سيف  
الرحيمي فى خارطة الشعر العربي  
الحديث؟ هل هى قصيدة تنتمى إلى حداثة  
السيميائية حيث التزاوجة بين السموت  
والمعاصرة إحدى أهم سماتها للحدسية  
المرتبطة بمشكلات اللغة الشعرية والنية  
الاجتماعية - المأسائية.. أم هى، قصيدة لما  
بعد تلك المرحلة، حيث بدأت الأصابع  
الشعرية تبحث عن أفق آخر للحداثة ينادى  
بالشعري خسار الأيديولوجى، ويربط  
الصورة أفعال قول تركيبى تنظر من بنية  
تأثيرات المكانية والحداثى المعلوم، أو هى  
قصيدة «البلدان المحيط، تلك القصيدة التى  
أصبحت بأدوار الشعر فى البلدان «المركز»  
فتميزت بطاقتها للتعبيرية الجديدة، محاكية  
لها، ومتجاورة معها، مع نهوض لتقصايا  
وبلى محلة ..

وفى قناعتنا، أن قصيدة سيف  
الرحيمي، هذا كله، دون أن تكون متجنية فى  
بقعة منه، تقروها، لتجود صدق الحداثات



وذهبوا في الوحشة.

في المقبع السادس، تصطحب الأرملة:  
أهل الكهف والناس العاديين.. والسوق هو  
الساحة، وشمعة معزلة مجهولة تقود الجمع  
إلى الاكتشاف. وفي منبج الحاضر، بالآلة  
وأسمته، وبناياته وكونكريته وتلفزته يتجول  
أهل الكهف في محبة القرن العشرين، وشمعة  
غريبة ومبارقة، وبأسلوب الشعر الندري،  
يقربنا الشاعر إلى فاعلية التدخل بين  
الدارين.

في المقطع التالي، وفرز الشاعر من بين  
ثم الفيلسوف، صخرة، مدينة، وثمة من

• १ •

أما السحرة: فهم أولئك لشراء الذين يتبعون بما سوف يحدث، ويعتقدون بما تدبوا. هؤلاء البشر المبهمون أيضاً جاءوا بلغاتهم قبل طالعهم الجبال - المكان - من خلال غيبتات لا حدود لها، فإذنا هنا استطلق للتاريخ والأحداث، لما مر ولما سوف يمر، ومن هذه الإعادة المركبة يفرش الشاعر لنا خلق ويكون التاريخ.. وهنا ما دخلنا رأساً إلى استغلال القصيدة، الذي جعل الإبهام وساربه إلى كل مفاسد ومقاصد القصيدة.

في المقطع السابع، يعاد التكرار في الشكل الدور أيضاً، بعد أن اتسمت الحكاية، وأصبح لها مدى متداخل، فالأرض كون، تتدرج فيه الأشياء، وتكمد، كل شيء قابل لأن يولد، أو يموت، وليس من طرق تؤدي إلى نهاية، وفي لعبة غريبة، يحاول الشاعر أن يمزج الصور المتفرقة: الأرض مع السماء، البشر مع الحيوان، الجبال مع السهول.. الأحلام مع اليقظة، الأرض مع أطباق الفناء، إنه في عصر الآلة، والوجه للذهلة، والأيام للغالي - كما يقول.

في المقطع الثامن، يخلق الشاعر محاورته مع المجازين، إنه هنا بدأ يؤس حلمه على الأرض، ويشيد كيانه و «إن

محاور ملوك السطح، وإن تقتفى أثر الرعاة الذين لا تزال ظلالهم ماثلة في السقف. كأنما نزلوا للحظة غاسلين أيديهم في مياه الفجر، ميممين شطر القرى المجاورة ....»

في أبعاد المشهد يلوح كهف أفلاطون، ومذله الأزل، وظلالنا التي بقيت مرسومة منذ قرون فوق تراب الجزيرة، وأعمدة الكرنك، وكثار بابل يطوك .. وفي العمق من هذه السيكولوجية يتداخل زمان: الأطباق الطالعة، والجمال في صحراء الروح والجمد والذاكرة، ولن تكون مقاطع القصيدة الأخرى، إلا نمرًا لسلطة الوعي بالأشياء وبالزمان، فالشاعر يعمق فيها الإحساس

بالمواطنة من خلال تذكير الصورة، وتجميع نواها المعرفية والتاريخية ..

ديوان: «جبال»، «سيف الرهبي»، خطوة في ترسيخ معالم شعرية الحدائث الثالثة، التي بدأت تفادى المركز لتستقر في البلدان الحولاء، بعدما أصبحت هذه البلدان في موقع الاحتواء الثقافي، وبما تخلفت بلدان المركز «العراق - لبنان - سوريا - مصر» بسبب الأحداث الداخلية والدولية، وضغط إسرائيل.. نحن الآن في مطلع جديد لحدائث، بدأت ترسل علاماتها بوضوح، وبأسلوب يمزج بين مبررات الحدائث والمستقبل.. لا تنمو الحدائث إلا في المنطقة التي جرى عليها التدمير سابقاً. ■

ف



يحب أن يكمل تعليمه، فاختار دار العلوم،  
وتنظم في الدراسة ولكنه لم يكملها بعد  
سنتين، فقد أثر أن يعمل بالصحافة حين  
اختره الشاعر كامل الشناوى للعمل معه  
بجريدة الجمهورية، وكان اسمه قد ابتدأ في  
السكان، ثم يضرب الزمن بيده فنفق،  
يذهب الفيتوري إلى السودان بعد أن أفرج  
من الجمهورية في عهد عبد الناصر فر  
وعشرات من المحررين منهم طه حسين  
وعبد الرحمن الشرقاوي وعبد الرحمن  
الخميسي وغيرهم، وأسافر أنا بعد ذلك  
بصبرات إلى العراق لأعمل بقسم اللغة العربية  
بكلية آداب الجامعة المستنصرية ببغداد،  
ويسافر فوزي المعتقل إلى أيرلندا يدرس  
الأدب الشعبي، ويرجع بعد سنتين ليعمل في  
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب،  
ويظل فيه حتى يقرأه الله، أما أنا والفيتوري  
فظلنا خارج مصر لمدة طويلة.

كان الفيتوري شاعر أصيلاً، متحمكا،  
ساعده طاقته الشعرية التي تؤهلها حساسية  
شديدة الحائر، أخذته في أوائل الخمسينيات  
إلى ثورة نجيب محفوظ في ميدان الأوبرا  
(الكانزلي)، فجلس صامتا لا يتكلم، والجميع  
يحسادون أو يبتأسفون أو يضحكون،  
والفيتوري صامت في مكانه لا يدر عليه  
أنه مستريح إلى هذه الجلسة. ويمرور الوقت،  
وتوالى النشر لبدأ اسمه يلغى شاعرًا أحسن  
قضية الأفارقة الزوج، فكان ديوانه الأول  
(أهائي أفريقيا) الذي صب فيه مشاعره  
المتدفقة بقسوة الإحساس بمقدرة اللون،  
والفيتوري خفيف السمة، عريض الملامح،  
فأبره سرباني من أصل لبني، ولكنه كان  
يبلغ في الحديث عن قبح شكله إلى حد أنه  
كتب قصيدة لشراها في مجلة (الأدب)  
البيروتية في هذا المعنى، ولما كان اللون  
يربطه بالأفارقة وإن لم يكن زنجياً منهم،  
فقد نصّب من نفسه شاعراً مدافعا عن  
قضيته، وكان شعره صادقا، مذهب للبرة،  
محبوا المصباح، والشعر الذي يتناول هذه  
القضايا العامة المتطوعة يجد صدى السريع في  
نفوس الناس خاصة أن الحديث عن الزوج  
كان حديثا عن الظلم ويوجب مقارنته،  
والحرية المتفقدت، والكرامة المسلوقة وفي  
قضايا مهمة مستترة وترك في مصر وكل  
الأقمار المهيمة، فقد كانت هي نفس قضايا  
هذه البلاد في ظل استعمار باطل، من هنا

## تحت الفييتوري

### كمال نشأت

الفيتوري الصبي الصغير الذي سأل عن  
ديوان الشامي منذ سنوات. وجاء الفيتوري  
إلى القاهرة بعد ذلك واتصل بي فمرفته  
فوزي المعتقل، فكانا ثالثا لايفرق، نسهر  
معا، ونشارك في الندوات الشعرية خاصة  
ندوة للشاعر خالد الجرنوسي، وكانت هذه  
الندوة أول المنابر التي أتيت لها أن نقرأ فيها  
أشعارنا، وابتدأنا منذ ذلك الحين ننشر في  
مجلات بيروت وكانت هنالك (الأدب) ثم  
صدرت (الأدب)، وكانت مصر قد خلت من  
مجلة أدبية حتى أصدر يوسف المصباحي  
(الرمالة الجديدة)، وكنا إذا نشرنا شيئا نضع  
تحت أسم كل واحد منا جملة (من رابطة  
النهر لـنـاـد). كان بعض أسعدقائنا من  
الشعراء العرب يظنون أن الرابطة لها مكان  
وأعضاء خاصة شعراء العراق، وكانت  
التدوينات الهدايا تتعاقب وصولا إلى عنواني  
فكانا نقرؤهما كما نقرأ غيرها ونناقش، تلقى  
وتختلف، وتكتب إلى أسعدقائنا أن الرابطة  
لوس لها مكان إلا مقهى (إيزافتش) وأميانا  
مقهى (على بابا) والأثلاث وقمان في ميدان  
الإسماعيلية، للحرير الآن. وكان الفيتوري

قامات أكثر ذلك اليوم البعيد في  
أواخر الأربعينيات حينما كنت  
طالباً بكلية آداب الإسكندرية، وكان لي زميل  
يمتلك أبوه مكتبة.. كنا جالسين حينما رأينا  
صبيا لا يتجاوز عمره الخامسة عشرة، وليس  
جلها أبواً نظيفاً، وطافية مثله، كان أسمر  
الوجه أقرب إلى النحافة.. قال في تودة  
تتمل روح كبرياء طفولي: عندهم ديوان أبو  
القاسم الشامي؟

نظرت متحمجا لهذا الصبي الذي يسأل  
عن ديوان شاعر وقتل له: لوس للشامي  
ديوان، فشمع ملفق في المجلات خاصة  
مجلة (أبولو.. وما إن سمع كلامي حتى  
استدار ومشى دون أن يلبس بكلمة.. وبتاج  
لي بعد تخبرني أن أصمل بالتدريس وأن  
أكبر الإسكندرية في عطلة صيف عام  
١٩٥٠ أو عام ١٩٥١ فلت أكثر بالتوسط  
وأذهب لأزور جيراننا وكان ليهم صعاد الذي  
كانت له ميول فنية.. جالسا معنا.. أخبرني  
أن زميلا له شاعرًا بمعهد إسكندرية الديني  
يود أن يتراني، وكان هذا الزميل محمداً

كان لاختيار بعض هذا الشعر الرافض،  
والمستحج، والشاعر، ليدرس في المدارس  
المصرية، ولعلنا نحس بكل عناصر الشاعرية  
الفنورية مناجبة في الأبيات الآتية:  
أفريقيا.. أفريقيا استيقظي

استيقظي من حلمك الأسود  
قد طامعتا... ألم تسامى  
ألم تسلى قدم المسيد  
صريانة الماضي، بلا عزة  
تنسوج الأتى... ولا سود  
جوعانة تضغ أباهما

كحارس المقبرة المسعد  
\*\*\*

أفريقيا.. أفريقيا استيقظي  
استيقظي من ذاك القابعه  
أكل ما عنده أن تصدري  
كواهل الرقيق يا ضائعة  
أكل ما عنده أن ترقدي  
خامنة.. خائنة... خاضعة  
أكل ما عنده أن تلغى

أحذية المستعمر اللامعة  
ولعل الفارق بين الشاعر الأفريقي  
(سنجور) وبين الفيتوري في التعبير عن  
قضية الزوج، يرجع إلى لونية الفيتوري،  
وهذه طبع سنجور الذي يعترف بقرة  
الرجل الأبيض، ويؤي له لأنه يسيئ في  
غابات الأسمنت، أنانيا، قاسيا، لايمدح  
بحق الغير، فهو بعد زيارة لنويويورك دامت  
أسابيع يقول في شاعرية عذبة:

(أسبوعان بلا أنهار، ولا حقول،  
وكل الظهور التي تنطق في الهواء  
تسقط بالرعب متناثرة على الأسطح  
المستوية. لا ابتسامة الطفل ناضرة،  
ويده تتحرك فترسم تلوها في يدى، لا  
صدر أم حنون، بل سيغان من  
القاتلون... سيغان وصدور... عرق  
ولا رائحة، ولا كلمة عطف، لأنه  
ليس ثمة شفاء، بل قلوب صناعية  
اشترت بالعملة الصعبة...).

ولكن نويويورك، الفيتوري لا تثير فيه إلا  
زعة الهياج نظراً لميأساتها فنراه يقول:  
نويويورك يا غابة الموت  
ملعونة حيث كنت  
فهذا الذي لطخته يداك  
جيتك أنت

وللفيتوري قدرة على التجسيد، إنه  
يحول المجرد إلى محسوس يلمس بالعين،  
ومن خلال المجاز يشكل صوراً فنية جديدة،  
وفي لحظات الغضب تكثر لغته، وهنا نراه  
كالمساحر الألفي الذي يتمتع بلغة سرورية  
تسرى في عظامك بإيقاعها السريع  
للضباب، لئلا هذا تسمع منه مثل هذه  
المزوجة:

يا لو موما  
في قلبي أنت  
البطل الأسود ذو القدمين  
العاريين

الراكضين على نهر الكونغو  
كانت ترضخ خلفهما أشجار  
الغابات

كانت تتهدج لهما أنفاس الظلمات  
كانت أمواج الكونغو  
توقل في الركض  
كان اللارس ذو الرهبة  
ذو الصوت الغصبي  
عينا عالقتان على نجمة  
كانت أصوات المظطهدين  
تجلجل في روح الأرض

وإذا كان الشعراء الأفارقة الزوج الذين  
تشرنا في حضن الغابات يفتقدون راحة  
خضرة الأشجار، ويستجرون صرهم منها،  
لأنها رمز الوطن أو هي الوطن، وإذا كان  
(سنجور) يستذكر أسبوعين قضاهما في  
نويويورك غابة الأسمنت والشوارع المسفلنة  
بعيداً عن الغابة الأفريقية التي تمثل البكارة،  
والبراءة، والقطرة الصافية، وإذا كان سوزار  
يقول ممتحداً على عناصر الطبيعة الأفريقية  
(أرد أن أتكم كالعصفاء، وأحدث كالنهر،

وأطلق كالإعصار، كما أرد أن أصبح لسان  
الشجرة)، فإن محمداً الفيتوري يحس  
مخاطر الأفارقة الزوج، وإن لم يفس الغابة،  
فقد ولد في الإسكندرية، ولم يتركها ليقيم  
بالقاهرة إلا في سن العشرين ولكنه عاش  
نوعية إحساسهم، وشاركهم همهم الإنساني  
ومجالي عيشهم:

يا لمنى تأكلت حوافر الخيول  
والزراف يستريح في السهول  
رائع هذا الدجى الأخضر  
رائع صفاء الظلمة الجميل  
رائعة راحة الضباب والشجر  
رائحة الجبال والمطر  
رائحة السماء والنجوم

يفرد الفيتوري بثلاث خصائص  
توزعت شعره هي:  
١- القدرة على الظلم والدعوة إلى الحرية  
وكرامة الإنسان.

٢- روح التصوف التي تنربها من والده  
وهو من كبار متصوفي الإسكندرية.

٣- مرحلة الاضطراب من العالم بكل ما  
فيه وبالأشياء المحيطة به، على أنه في أية  
مرحلة من هذه المراحل لم يكن إلا نفسه،  
ففي الخمسينيات وأوائل الستينيات كان  
الشعراء واقعين تحت تأثير البوذا، والغريب  
ألني والفيتوري والرحيم قولى المقتول ثم  
نابه بتعاليم البوذا التي نفذها حرفياً عدد  
كبير من الشعراء أولها (العادل الموضعي)  
الذي يؤدي إلى مصيبة الانفصال الميت،  
فكان على الشاعر أن يبحث - مثل البوذا -  
عن معادله في الأساطير وأغلبها أساطير  
البرهان القديمة، فإذا بقراء ذلك الزمن لا  
يجهون بأفكارهم إلى ديوان أو مجلة أدبية  
إلا ويصطدمون بأسماء أبطال هذه الأساطير  
(سوزليف - أوشيشون - بثلوني -  
بروموشون - هولويس - إلخ) وكان  
سوزليف القاسم للشعراء الأعظم بين كل  
الشعراء الذين اضطره أكثر من اضطهاد  
أهلها!

هنا سأل وإن كنا قد أشرنا إلى الإجابة  
في سطر سابقة: هل ساير الفيتوري هذه  
(الهوجة)؟

لا... لقد ظل في قلعه الحصينة لا يشهره هذه الميل الليلية ذات الاحتمال والصناعة، والتي حدثت ملامح واحدة لكل الشعراء، وكان أغلب هؤلاء يستخدمون اسم البطل الأسطوري بطلاقة مألوفة بهجس القصيدة دون أن تلمز دلالة الاسم كجزء تابع من ديناميكية نمو القصيدة الفني عبر معمارها كاملاء، لقد كان همه أكبر من استخدام الميل الليلية المستوردة (انتقل الشعراء بعد ذلك إلى مرحلة جديدة، فاستخدموا أسماء الأبطال العرب وأسماهم الشعراء التراثيين وأسماء بعض أبطال القصص الشعبية والفخرية فأصبحوا أقرب إلى نفوس القراء الذين كان أغلبهم لا يعرفون الأسطورة اليونانية وأبطالها، فظل الشعر فترة - كشعر إليوت - لا تفهمه إلا الصوفة المثقفة...).

كان هم الفيلسوف أكبر من انغماسات المتأخرين بالهوية والعصرين وراء خطوه، كان همه محاربة الاستعمار، والعبرية، والدموية إلى التحرر والحرية بكرامة وحقوق الإنسان، ابتدأت ثورة الفيلسوف على استجد الزلزال، ووضعهم المصحف، ولهم أول شاعر عربي حديث بعد الأرمينييات يكرس ديوانا يكاد يكون مقتصر على مشاكل الأفريقيين، وأمدحت ثورته بالجمعية إلى وضع العرب العذرى، وسلوكياتهم حين يتكلمون بعضهم في المؤتمرات والقطارات، وهم في أصقاع قلوبهم يفرجون خيفة من أشغالهم!

فكان سطوة، وعنايه وتقريعه، وكان صوته صارخا صادرا من شاعر تكويه هموم قومه، يتحسس مشاعرهم، ويعرف همومهم في الوقت الذي كان فيه شعراء سوزيف يصعدون رموسا بصغريته وخيبته الأثرية!

إنه الشاعر الذي لا يرضى بهوان أمته، يجرحه تشرخها، وتقلل روحه غيبوبتها في عصر التقدم والبطانة، ولذلك كان يصرخ من وجدانه:

وتسأل العرب الأقحاح عن وطن  
فتضلل معانهم وإن كثروا  
وتلمس الموت في أرواحهم فإذا  
مسست أجسادهم مستكثرا نفرا  
وتسأل العصر هل كانوا؟ وهل  
عرفت

وجوههم في بحار الرمل واحتضروا  
ويصرخ ثائبة:

ثم تكن أمة مثلما زعموا  
فلماذا إذن صمعتنا النجوم  
وأظلم في روحنا العصر

وها هو ذا يعلن التزامه، لأنه صوت أمته، وصوت عصره من خلال معانيه مرموم شبه وأقلامه شأن الشعراء الأسلاء، وها هو ذا يدين شعراء (القصص وتلميح للغة) في قولة صريحة تسمم كثير من المبادئ المعنوية (لأن طواحين الشعر العربي الحديث، السخلة الأخلاق، والمكعبة الزوايا، واللعنوية الأحكام، والفارغة سوف لا تكف عن الجمجمة والدوزان، وسوف يخذل أن تكرر ذات النماذج المعيشية والانهازية، وذات التجارب الشككية، وذات الصور والألفاظ والتراكيب، ما لم تضي بالمعرفة، وتتمركز بالتحاول المصيق، رؤيا وقدرات الشاعر العربي المعاصر، ذلك الذي أصبح لشدة هزاله شاهد إثبات على أن ثمة جريمة ماء، وما لم يذرك هذا (الذي المجهول) أن لا خلاص بمنزل عن خلاص أمته من التخلف، وأن لا قضية له خارج قضاياء ولقمة ومجتمعه، وأن كليهما مدعوان لحضور الاحتفال التاريخي، بانتصار حرية الفكر، وهزيمة للتقهر، ورد اعتبار كرامة الإنسان...).

لقد انتشرت لعبة لفظية جديدة يريد أصحابها أن تحدث إيقاعا جديدا وهي أن يتحدث الشاعر عن ألفاظ تشدرك كلها في

احتوائها على حرف واحد يتكرر في كل لفظة، ويحاول للشاعر بعد ذلك أن يصنع منها جملا، فيألق ما استطاع التلقيق، وهي صلية تقا نجح فيها واحد من شعراء الحداثة، لأنها لا تقوم إلا على الصنعة والالتصاع والإيقاع النشاز من حيث يريدون الإيقاع الناجح، ولما نرى مثالا لذلك في أبيات المذرة التالية للشاعر محمد أبو دومة...

(يا .. يا ليل الليل الموحى  
الغفوري لمعانا، والمغزول المدول  
المتجدول من مطلع جسد الفرع،  
متدول أساسيا، والمتهدب تهدابا حتى  
وهن القلب الطواف من الشطواف  
شخاف وكل .. شغل .. عطل .. ما  
عل...)

وهكذا نرى الشاعر قد شغل نفسه بركام من ألفاظ تشدرك في حرف واحد، وهو يحاول عبرها تنفيذ إيقاع لا يقدم إلا صدمة لفظية مفقوة، ولكن مهما كانت قدرة الشاعر - أي شاعر يلعب هذه اللعبة الصبيانية - فإنها في آخر أمرها لوست إلا زخرفة إيقاعية فاشلة، وهي في الوقت نفسه تشغل عن استبطان التجربة الإنسانية الحية التي هي جوهر الشعر الحق.

وللفيلسوف مشاركة في هذا الانبعاث، جاءت في شطر بيت فحسب، ألمعها اللقطة والحدس الصادقان، وهي تقضخ هذه اللعبة الصبيانية لأنها انصرفت من روحه الصاعدة فجاءت في موقعها دون مشقة أو افتعال، فضلا عن أنها موجودة في ديوانه الأول (أغاني إفريقيا) الصادر في مصر عام (١٩٥٥)، وهو وقت لم تكن هذه اللعبة قد عرفت فيه، إذ إن شعراء الحداثة الذين تدرجوا كان أكبرهم ساء لم يولد بعد، أو ولد وليس البطلون القصور، وهذا هو بيت الفيلسوف الذي يطلب فيه إفريقيا، ما صعدته الشهيرة (البحث الأفريقي):

## أفريقيا .. أفريقيا استيقظي استيقظي من ذاتك القابعة أكل ما عندك أن ترغدي خاملة .. خائرة .. خاضعة

وهكذا اشتركت ثلاثة ألفاظ متجانسة في حرف واحد هو حرف (الفاء)، ولكن البون بعيد بعد الشمس عن الأرض بينها وبين قول أبو دومة: (يا بابل.. يا بابل المثل المرحي المفرق لعمانا والمزق المجدول المجدول الخ..). ويسا بالسطح لعدم مقارنة بين أبودومة والفيتوري، ولكننا نتخذ من أبيات أبو دومة مثلا لظاهرة تشتت مستقلة بالافتعال المقيت، والعم البهرج.

إن الفيتوري لم يعتمد الإتيان بها، ولكنها في غمرة إبداعه ترائت على سن قلمه دون تعمد (خاملة - خائلة - خاضعة) عن طريق المصد الساق الذي كان وراء قول امرئ القيس في بيت معلقته المشهور وصفا لسرعة الجواد:

مكر، مكر، مقليل، مذهب، مكا  
كجلوه صفر حظه السيل من حل  
فكررت (الميم) كما تكررت (الفاء)، وكان التكرار في العالين غير متعمد كما يفعل شاعر الحديثة، إنها القامنة الفطرية الصادقة التي هذبها تشرب النماذج الشعرية الرافدية لدى الشعراء، وصعفة كوميائية الإيقاع الأصل في اللغة القومية، وهي وحدها موهبة خاصة لا تتوفر إلا في القليل من الشعراء حتى من لا يعتمدون اللعبة الصبائية، والمعروف أن الإيقاع الأصل في القصيدة ليس حلية، وإنما هو أداة من أدوات التعبير.

فلماذا كانت (الميم) عند امرئ القيس، كانت (الفاء) عند الفيتوري، وابن جني يقول إن الألفاظ التي تشترك في حرف، تشترك كذلك في أداء معنى عام تدور حوله، وقد تشرب مثلا لأصوات حروف (الجم

والباء والراء) فهي مهما وقعت وأخذت مكانا في اللفظة من ناحية الترتيب، فهي معبرة عن القوة والقرّة، إنه يقول تحليل على رايه:  
(جبرت العظم واللقير إذا قويتهما والجبروت القوة والجبر الأخذ بالقوة، وأشدت ورجل مهرب إذا مارس الأمور فاشتدت فكيمته، ومده الجراب لأنه يحفظ ما فيه والشئ إذا حفظ قوى وأشدت، ثم منه الأجر من البجرة وهو القوى ومده البرج لقوته ومناصه، والبرج هو نقاء بياض العين وصفاء سوادها مما يكسبها قرة، ومده رجب الرجل إذا عظمت وقوت أمره، ومده شهر رجب لحظيمهم إياه عن القتال فيه، ومده الرجة وهو ما تستند إليه النخلة لتدعيمها وتكونها...)

واختيار الفيتوري لهذه الألفاظ المشتركة في حرف (الفاء)، ثم بقوة الحس الصادق كما سمعت الإشارة.. لا بصحة التعمد في جعلها كما يمل شاعر الحديثة، وقد أكد الفيتوري معناه باستعماله هذه الألفاظ الثلاثة، ومصدقا لذلك نقول إننا لو رحنا نجمع ألفاظا بذلك بحرف الفاء لوجدنا أن أغلبها يشترك في معنى ما من معاني المنصف والخدوع والفساد والخسارة، ولنت واحد هذه المعاني في الألفاظ الأتية:

(خنع - خضع - ختل - خرج - خبت - خدر - خرس - خمر - خرب - خمل - خجل - ختل - خرف.. الخ..). أما التعمد في هذه اللعبة الصبائية، فيؤدي إلى سماجة إيقاع وافتحال ظاهرين، ولا أدري كيف لم يدرك ثوب الروائي الكبير إدوار الخراط ذلك في محاولاته التي قلعت سياق بعض رواياته كقوله في إحدىها حيث كرر في كل لفظة حرف (السين):

(سان حسل الأسلاك المتعمدة تسرب سمادوه، تستجيش سلاح المطرة المسنون على نمرة قلوب المستديرة بين صماليح الاستمرار للسلسة.. الخ..). وواضح بما

يقطع كل شك أن ليس هناك من يستطيع أن يجري قلمه حراً في مثل كتابة هذه اللعبة، ولا من يحفظ دين الرجوع إلى القاموس هذه الألفاظ المتشتركة في حرف السين، إن إيقاع الحرف الواحد في اللفظة السابقة لابد أن كاتبه رجع إلى القاموس، أو ظل بعد كتابة اللفظة يبتش في ذاكرته عن اللفظة التالية مدة زمنية قد تطول وقد تقصر.. وهي عملية كما قرى قائمة على الافتعال والكتب الشعرية والتعب للناسب، ولذلك نكاد نغم فيها عرق كاتبها كبيرا - كشارع أو ككاتب - أو صغيرا.

لقد استعان الفيتوري بحاسة إيقاعية مركبة لمواطنه اللفظة المشددة كالنوت، أنه إيقاع يؤكد معرفة شاعر بكميائية إيقاع لفته القومية، فإذا به امتداد لأجل إيقاعات هذه اللغة عبر نراتها الشعرية للشامخ، فالتت فن تجد في شعره ركائكة أو صناعة أو لفسا مقفوعا، وإن حدث فهو نادر لا يمتد به، وهو منذ شعره الباكر يستلن بهذه القصيدة... انتشر إلى قوله عام 1900 في قصيدته (البت الأفرقي):

### أفريقيا

### أفريقيا... استيقظي

### استيقظي من ذاتك المعظمة

### كم دارت الأرض حوالك

### كم دارت شمس الفلك المضربة

### وشيد الناقم ما همة

### وحكر العابد ما عظمة

### وأنت لاليت عنا أنت

### كالجمجمة الملقاة..

### كالجمجمة...

### واعجباً ألم تلمجر غسرينك

### سفراتهم

### يا أمه...!

أما الصورة الشعرية عنده فليست صورة تقليدية تفرضها الحواس المفترية، ولكنها تصل إلى ما هو أبعد، لأنها بكت الخيال الخالق الذي يَكُونُ واقعاً جديداً لاتراء العين، ولكن تراء النفس الحساسة، وأنت تلمسها في قوله:

لملائكة تتماثل غاشمة في مראياي

ذائبة في شموع التراثيل

مائدة من ينسج روعي

وئى أفق من طيور اللقالق

ينصب أهراسه البربرية حولى

إذا دخل الليل فى الليل

يلبسى قمرًا ميتا

إنها براعة القدرة على تخفيض المجرى، ونهشيد المستوى، وخلق عالم جديد صغير مأخوذ من جزئيات العالم الواقعي الذي تمسيحه، وهي قدرة يضارفه فيها العقل والحواس والحس واللاشعور والخيال والتركيبة النفسية الإبداعية للشاعر، فهو لا يستطيع أن يتأمل شئاً دون أن يسبق عليه حياة داخلية من رواء الخاصة. من هذا كان (الوصف) - إذا استعمنا المصطلح القديم - كما كان معروفاً لدى القدماء خاصة وصف

الطبيعة، صورة فوتوغرافية للواقع المشاهد، وهو ما لا نجد إلا قليلاً في شعر الفيتوري، والشاعر الكهجر يحاول دائماً التجميع بين المتناقضات، من هنا يكون للصراع الذي يخلق للشعر الصطيم، وللنتيجة هي أنه يتجاوز الموجود في سبيل ما ينبغي أن يوجد في منطق الخلق الشعري، ولما كانت النفوس الشعرية الكبيرة متفردة في تكوينها الإبداعي، كانت الطلزاجة الإبداعية، وجدة الرؤية الشعرية أول ما يلتفت النظر في شعر الشاعر الكبير.

وفي شعر الفيتوري الصوفي (وكثير من الشعر الصوفي يمتاز بغموض رموز) تتميز صوره الشعرية الصوفية بطابع تكليفي، ولكنه يظل شافياً كالشمعة البيضاء للرقية، ولذلك كان أسرع تأثيراً في النفس من (الشعر الصوفي) الحديث الذي لم يبق شاعر لم يكتب فيه بعد أن رأوا أدونيس يصطلحه بينما التصوف استحدث شخصي خاص واتجاه معين يجد تهاوياً عند بعض الناس لا ثلاثة أجيال متخلفة من شعراء العداثة أصبحوا كلهم من المتصوفة!

ولذلك نسمع أو نقرأ الفيتوري في شعره للصوفي فتجد سماء جديدة، عمقا، واتساعا، وأصالة، حتى إنك لتقف أمام قوله المذهل الفريد خاشعا:

ويحي وأنا ألتطم

نحوك يا مولاي

أجسد أحزاني

أجود فيك

هل أنت أنا ؟

.....

في حضرة من أهوى

عبثت بي الأشواق

حدقت بلا وجه

ورقصت بلا ساق

ولحمت برياياتي

وطولتي الأفاق

عشقي بقنى عشقي

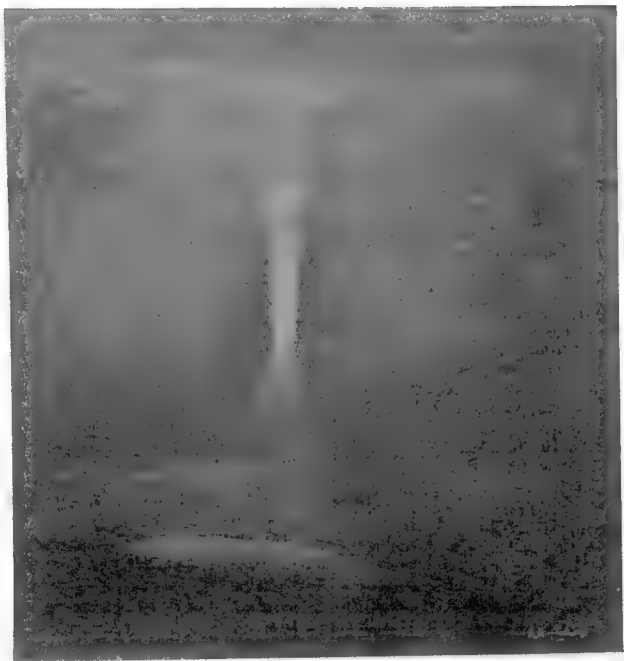
وفنائى استغراق

بملوكك .. كننى

سلطان العشاق

إن الفيتوري يجسد الفكر والشعر معاً، ويوحدهما للتعبير عما لا يجد شأن كبار الشعراء المتصورين، إنه طائر يحلق مع سربه، يطير بجناحين ككل طائر في السرب، ولكن طيراته يخالف كل طيراتهم مهارة ودقة. ■





# القيمة والواقع والمنتخب في «مريم النور»

مياد زكريا يوسف

كما سبق أن قلت، فإننا أمام نوعين من الشخصيات يمثل كل منهما جوهرًا خاصًا؛ فمريم النور: (مريم النور - دوراً - للجنة - الأب - البيت) هم الممثلون لقيمة الجمال وجوهره، بمسره المختلفة ومحملاته الخيرية والأخلاقية المتعددة.. كما نرى أن: (راما - كمال - أم راما - بيتي) هم الممثلون لقيم التبع والشر. وفي المستوى الأعلى فإن شخصية «مريم النور» هي الشخصية الجامعة للشخصيات المشابهة لها درامياً مثل «دورا»، كما نعتري شخصية «راما» على شخصية «بيتى» وبذلك تصبح «مريم النور» وحدها في مواجهة (راما - كمال) حيث إنهما يبدوان في رؤيتهما كما لو كانا شخصاً واحداً، وكل شخصية من هذه الشخصيات تمثل تاريخاً ذاتياً حافلاً يضيء بالصورة الأخيرة للتي تتصرف على أرضيتها... حيث يمثل التاريخ الذاتي للشخصية شكلاً للمصار التي يبلغ السلك والإحساس أحياناً في اتجاه محدد (سراً).

وقد لجأت الكاتبة في القطاع الأكبر من السرد الروائي إلى استعادة هذه التاريخ باعتبارها البرازيل للقيمة المكونة لمواقع الشخصية واستراتيجية فطها.

تقدم الكاتبة شخصية «مريم النور» التي تعمل قيمة الجمال بطريقتها وذلك من خلال سرد الكاتبة لقصة ولادة «مريم النور» في سياق رومانتيكي، كونها تحتاج حالة مثالية من العشق... وزادت من ذلك بتضمين القيمة الجمالية لمآلاتها باكتشاف هذا النقاء من خلال رؤية الآخر له؛ وبالتحديد في أكثر الشخصيات خلجاً من هذا النقاء وهما شخصيتا (راما - كمال)؛ فتكشف رؤية الشخصيتين لـ «مريم النور» تدريجياً؛ حيث في البداية لا تستمتع أي من الشخصيتين باكتشاف سر الانجذاب تجاهها، ثم تكشف المتوقعة بمرور الوقت بتجلى فكرة الكراهية لهذا التناقض القيمي الذي يؤكد التبع في داخلهما. أما «مريم النور» نفسها فهي على العكس ليست مدركة على مستوى الرضى الاجتماعي بطبيعتها ما تضمه من نقاء، ولكنها على الرغم من ذلك تضل هذا الإدراك في المستويات اللاشعورية في أعماقها، مما يؤدي إلى انتقاد أفعالها طابعاً عاشقياً غير مشبوك بواقع المجتمع وتجاهلها لاختلافها عن الآخر... وبهذا فإن

طول الرواية بدون سمات زمانية أو مكانية محددة، مما يعطى الفرصة للحادثة أن تتخذ البطوية المطلقة، وتصبح لمواجهة بين للشخص هو مواجهة وصراع بين لغوس خالصة أو لغوس جوهرية.

وتحاول الكاتبة هذا أن تختصر أطراف للصراعات البشرية المختلفة في طرفين اثنين فقط يختصران في تكوينهما الطابع الإنساني كافة.

المواجهة والصراع إذن بين طرفي الانسانية القومية الخالدة: الجمال والتبع. ويستطيع كل طرف من أطراف هذه الثنائية أن يتضمن في داخله الخصائص والصفات التي تدرج في إطاره.

وليتما لهذه فإن شخص الرواية بدورها تنقسم إلى موجودات تجسم هذه الثنائية نفسها، ولأن الصراع في جوهره صراع بين قيمتين - تمثلان مركب الوجود الإنساني - فإن متن الرواية لا يحتوى إلا على عدد قليل من الحوادث.

في روايتها السابقة «كانت المدن ملوثة»، فحدثت الروائية رجاء نعمة محاولاتها في إنتاج شخصيات روائية محاصرة. وكان واضحاً أن الشخصية الرئيسية في هذه الرواية محاصرة في المكان بفعل الحرب، بل إنها جعلت الملجأ - بما يحمل من مثير مكاني - إطاراً يبرز جو الحصار والضيق الذي تعنيه الشخصية؛ بحيث يصبح ذلك الإحساس بالحصار هو الإحساس الطنبوي بالحياة لفطرية، وتصبح الحياة خارج الملجأ - خارج الحصار - معادلة للفتق والدمية.

وفي روايتها الجديدة «مريم النور»، تحاول رجاء نعمة أن تقدم هذا الحصار في شكل آخر لا يتعلق بطبيعة المكان وإنما يتعلق بالطابع النفسي لشخصها.. بل إن الحرب التي كانت السبب الرئيسي لإنتاج جوالص في الرواية السابقة؛ تغيب في هذه الرواية ليصبح النص أكثر استقلالية وانفتاحاً على الإنسان. ولذلك فإن الشخصيات تتحرك في

قيمة الجمال غير مدركة لوجود قيمة القبح، أما القبح فهو مندرج للجمال، حيث إن الجمال هو القيمة الإيجابية الطبيعية، أما القبح - وهو المكتسب أو المستفاد إلى الطبيعة الإنسانية - الفخيرة - فهو خارجي عنها، وبالتالي فإنه دائم التلق تجاه الجمال ومحاصر له.

غير أن القبح والجمال متشابهان في كونهما إحساساً وقبلاً محدداً تجاه الآخر، والاتصال بين القيمتين يتم بمجردهم وقروح حادثة من الخلط مباشرة... فـ «مريم اللور» لم يحدث لها انقلاب قيمي عندما قتل أبوها ولكن عندما اختلط منها الرجل للذي أحبته بطريق الغفلة.

أما «راما» فهي الشخصية الممورية الغالبة، وهي المدركة وقوة لقبوتها السلبية التي تصلها منذ ولادتها مدعمة بإحساسها برفض العالم لها مستملاً في موقف أسوأ منها، وأزمتها كلها نابعة من هذا الموقف الذي اتخذته منها أسوأ... وإدراكها لقبوتها الخارجي أصبح طامعاً والتسبب على تكوينها الداخلي. ومن حيث إدراكها أن التسبب لا مكان له في العالم الحقيقي في ذلك ذوات الآخرين، فإنها تعالى لتزييف دور لها... وهي أيضاً محاصرة بتاريخ ومواقف مثل كلها هزائم مرجحة لإحساسها بقيمة وجودها، ورغبتها في تعديل هذا القبح الخارجي والدخالي القابع فيها تحتل إلى رغبة في الانتقام من قيمة الجمال مختلفة في «مريم اللور»، ولكأنها في هذا تتعبر القبح نقصاً لا يمكن إكماله حقيقة... لذا فإن القبح هنا لدى «راما» يقود مروراً نفسياً - حيلة - للموقف العدائي الذي تتخذه تجاه العالم.

أما «كمال» وهو الذي يحمل صورة «راما» نفسها فإنه يحمل القبح باعتباره احتمالية تحققت بالفعل، فهو لم يكن مهولاً بحكم تاريخه الأول - قبل حادثة حبه الناضل - أن يكون ممتلكاً لنامية هذا القبح الغنيث، ولكن القبح لديه جاء اختياراً، بعكس «راما» التي فرض عليها القبح فرضاً حتى قبل أن تعي ذاتها باعتبارها وجوداً قيمياً.

وهذا يجعلنا نختم الصراع بين «راما» و«مريم اللور» فقط على اعتبار أنهما حاملتان لكافة التكوينين جوهرياً بالطبيعة.

واستكمالاً لتكوين الصراع بين طرفي للفتاة، فإن التاريخ الذاتي لكل من «مريم اللور» و«راما» هو تاريخ واحد ومتطابق في هيكله الصوري غير أنه ممكن تماماً في محتوياته... ويوضح هذا من مشهد ميلاد كل منهما: احتفال قسبي بقدم «مريم اللور» وكآبة وإحباط لدى ميلاد «راما». أياً من الطرفين كل منهما بقصة حب فاشلة حيث أحبت «مريم اللور» ابن عمها «فراش» الذي تركها حرساً منه على نقاتها، وفي اللذة المصرية نفسها أحبت «راما» فتى غادرها كرهاً في قبحها. وفي حالة الحب اللاتيني أحبت «مريم اللور» بهام، الذي تركته لعدم إدراكه لكونها جمالها، وأحبت «راما» رجلاً قام بضررها بسبب إدراكه لقوة قبحها. وفي السلوك الصام لللاتينين: فإن «مريم اللور» تتصرف بتلقائية وفطرية ووضوح مبهٍ، أما «راما» فإنها تتصرف بتصنع وغموض مبهٍ أياً.

وهكذا تبرز الكاتبة التقارب الشديد في المولود والتاريخ التي أنتجت النماذج التي ظهرت عليها شخصياتها.

وكي تؤكد رجاء نعمة على جوهر فكرة ثلاثية الصراع، فإنها تفسر حادثة واحدة، وهي ذهاب «مريم اللور» و«كمال» لشاهدة فيلم (إيروس) - لم تبدأ في طرح تصورات كل شخصية منهما لهذا الفيلم، وهذا يتجلى للتناقض الواضح في رؤية شخصيتين لشهد واحد، في حين أن من المفترض أنهما في حالة حب أي في حالة توحدها - «كمال» توما لقبه التاريخي يصور أن «مريم اللور» قد استلقت عنه وارتحت لإيروس بشخصية بطل الفيلم. أما «مريم اللور» فإنها أسقطت صورة التوحده على «كمال» فريتها مستبدلة أي للفيلم به، ففريته «كمال» هي حيلة نفسية لتحرير رغبته الداخلية المنفية في التخلص من «مريم اللور». أما هي فإنها اتخذت هذه الصورة لكي تزداد اقتراباً منه، والتوحده هذه على المستوى المصدى أيضاً إضافة إلى المستوى الروحي.

ويدعم تلك الرؤية أيضاً موقف كل منهما وتأثرهما المتبادلين من مشهد الفتى والقناة اللذين كانا وجدالان للحب خفية في أثناء الغارة العربية.

أما شخصية «دورا» فإنها تختصر إلى حد بعيد البداية والنهاية حيث استلكتها لقومة الجمال ثم حوشت لتكساة لهد الجمال بسبب أن فتاة أخرى أخذت منها حبيبها ثم اكتشفت بعد ذلك القدرة على استرداد لقيتها، بل إنها في النهاية مثل تدعيماً نفسياً لإعادة القيمة الجمالية التي أفقدتها «مريم اللور» من جراء انتقامها من «راما» وهو الدور نفسه الذي قامت به «مريم اللور» في بداية تمرداتها - «دورا» - ويبدو الشاباب بينهما واضحاً في تصورات وتخييلات كل منهما بعد حادثة تقديمها المتشابهة أياً.

وكي توضح الرؤية أكثر، فسوف أوجز الخطوط الدرامية للرواية سريعاً: تتعرف «مريم اللور» بـ «دورا» المريضة النفسية في محاولة لتدعيمها... وفي أثناء ذلك تظهر «راما» التي تشار من اهتمام «مريم اللور» بشخصية «دورا» وتحاول أن تقترب منها. تعود «مريم اللور» إلى لبنان لكي تشهد محاكمة قاتل أبيها، وهناك يلتقي بكمال الذي يبدو مرتكباً قاع الجمال ويعتقد في نفسه أنه يحب «مريم اللور» وهي أياً ضمه، لكنه لا يلتزم أي يتكشف أنه يكرهها لأنها تشعره دائماً بقبحه. وفي الوقت نفسه أياً تكشف «راما» أنها تكره «مريم اللور» لأنها تؤكد بوجودها دائماً على القبح الذي ضمه «راما» في الداخل والخارج، فيحاول «كمال» أن يتخلص من «مريم اللور» حيث يزداد لديه إحساسه بكرهيتها أثناء مشاهدة الفيلم الإيروسي، ويتدخل «راما» بمصارلة هدم «مريم اللور» نفسها فتستولي على كمال، وهو من جانبها يستجيب لها رغبة في الفرار. وتحدث الانتكاسة لـ «مريم اللور» فتعبر الانتكاسة وتفسل وتساءل إلى باريس فتطفي هناك بـ «فراش» ابن عمها فيقتنعها بفكرة الانتقام من «راما» بمساعدته، عن طريق إيهام «راما» بأنه يحبها - بعد أن تخلى عنها «كمال» - كما يصعب بعد ذلك من حبها لكي تتعلم. ويحدث ذلك كله في حين تظهر «دورا» أخيراً لكي تزيل القبح الطارئ على شخصية «مريم اللور».

من خلال هذا السرد السريع للأحداث الرئيسية في الرواية سوف نتكشف أن الرواية رغم أنها جاءت في ثمانية صفحة تقريباً إلا أنها لم تتحولا على عدد قليل جداً من

الأحداث، حيث إن الكتابة كانت محيية إلى حد كبير بما يأتي بعد الحدث من تأثيرات على الشخصيات. هذا بالإضافة إلى انكائها إلى حد كبير على تقصى التاريخ المسبق لتطور الشخصيات في زمن أحداث الرواية.

اكتسبت الكتابة عدداً من الأحداث الضرورية لكي تشكل منها العوالم النفسية لشخصياتها. ومثالاً لهذا فإن «راما» تعددت نفسها بثلاث حوادث هي حادثة ميلادها، وحادثة الضرب الذي تعرضت له، وحادثة التقاتلها بذاكر - الاسم المستعار لـ «فرايس» - ومريم اللور أيضاً تعددت نفسها بحادثة ميلادها وحادثة مقتل أبويها وحادثة التقاتلها بكامل وفشلها معه. أما كمال فإنه قد تعدد فخط بسلامته الناشئة مع «ديانا»، وكذلك «دورا» فإن حادثة فقدان حبيبها هي العادة السمرورية في حضورها النفسي درامياً داخل الرواية.

تشابه كل هذه الأحداث في كونها تمثل حصاراً للفشل في استكمال العلاقات بين أبطال الرواية، وبالإضافة إلى هذا الحسد القليل من الأحداث والعدد القليل جداً من الدوافع، فإن الزمن التريسي للرواية هو محاولة الكتابة تحليل شخصياتها وموافق كل شخصية بعد كل حادثة تقع، حيث قامت بمحاولة تقصى أصداء الحدث داخل أعماق الشخصية محاولة إثبات التفوق الذي يطرأ على باطن ونفس شخصياتها كأصداء لهذا الحدث.. بل إن حدثاً واحداً مثل مقتل والد «مريم اللور» تظل تتردد أصداءه طيلة زمن الرواية. كذلك فإن موقف «أم راسا» من

ابنتها عدد ولادتها وظل أيضاً محدداً لمواقفها وإنتهجت فعلها طيلة حضورها الدرامي.

وقد امتد هذا الاهتمام بالمعالجة النفسية للحدث الدرامي إلى الإيفال في التحليل النفسي، حيث تقوم الرواية بالأساس على تداخلية أخرى هي تداخلية الواقع والمخيل متجلياً في السورولوجيات الداخلية التي تقوم بها الشخصية عقب كل حادثة.

وقد استطلعت الكتابة أن تجعل الحدث المتخيل بديلاً عن الحدث الواقعي، حيث تقوم للشخصية بإعادة تصور الحدث وتربيته نفسياً وفقاً لأحياهاها ووفقاً لطبيعة تكريبها، حيث تمثل الطبيعة النفسية للذات حصاراً وحاجزاً يمنع رؤية الأشياء على ما هي عليه.

ثم «مريم اللور» أعادت مشاهدة الفيلم في ذاتها عن طريق إعادة التوحد بالمشهد فتصبح هي وكمال بديلين للفنى والفنائه في للفيلم.. أما كمال وعلى الطريقة نفسها، فإنه تخيل أن عملية التوحد قد تمت بالفعل بين مريم اللور وبين فنى الفيلم.. وكذلك «دورا» التي قامت بعملية إعادة إنتاج عندما دعتها «بيتي» إلى منزلها ووضعت لها المسكنة مقترية أسامها لجداً بحدما «دورا» في الإحساس بأن طيف «بيتي» يلاحقها ويحاصرها ثم تخيلها لـ «بيتي» في صورة مشوهة مسطوخة الابد، باعتبار التخيل بديلاً عن عجز القيام بفعل حقيقى.. وهى نفسها للتخيلات التي تراءت لـ «مريم اللور» عندما كانت تخيل رؤية (كمال وراسا) في كل مكان تدعبل إليه.

ويبلغ ذروة استبدال الواقع بالتخيل في نهاية الرواية عندما تخيل «مريم اللور» تفاصيل ما سحدث لـ «راما» عندما يغادرها نادر.. أو «فرايس».. وتكتفى الكتابة بذكر هذه التخيلات على أنها حدثت بالفعل كما تصورتها مريم اللور وتمتثل نهايتها.

وبعداً عن ذلك، وعودة إلى قصة الصراع بين طرفي الثنائية - القبح والجمال - فإن أجور الكتابة إلى تكرار المواقف بصيغ مختلفة لكنها في النهاية تتشابه هيكلية لابد أن يلغى إلى تأطير تركيزها على فكرة الصراع التذائى.. كذلك هي تلتزم بعد ذلك إمكانية عودة الجمال إلى طبيعته رغم ما قد يشوبه من تلوث، بعكس التسبب الذي لا يجب أن يدورل ويصبح متخذاً هيئة جميلة، لأن هذا دائماً سوف يكون على أنقاض ما هو جميل بالفعل، فلكي تعود «مريم اللور» وتخلص مما علق بروحها من إثم بفعل الانتقام، كان يجب أن تبقى «راما» قبيحة.

إن هذا الطرح القريب الذي يختلف كثيراً عن الدعاوى الأخرى التي تحاول أن تجعل ما هو قبيح بصورة تخلو من إدراك الأبعاد النفسية لهذه القيم لم يأت من فراغ؛ من حيث إن رجاء تعممة قدمت للواقع النفسى كاملاً بحيث يستحيل علينا أن نصدق غير ذلك.. فهى محدكة أنها تتعامل مع أشخاص وقيم أرضية أولاً، وأخيراً، ولا تتعامل مع شخص لبرية أو قيم ميتافيزيقية تنفصل عن إمكانيات وطاقت الفعل الإنسانى المحدث. ■

# الإيقاعات والروايات

## المقدمة

١٢٤ مختارات من الشعر الأمريكي المعاصر، ترجمة، بدر توفيق.

١٢٥ يوم سعيد من أيام أغسطس، تيسى وليامز - ترجمة، شوقي فهميم.

## الشعر

١٢٦ قبل شتاءات باردة، عبدالمعزم رمضان. ١٢٧ السحابة التي في المرأة،

جمال القصاص ١٢٨ نورس، حسن فتح الباب. ١٢٩ قرب ضوء هارب، محمود

سيم. ١٣٠ النهر ياعمز، احمد زرزور. ١٣١ في العشق طائد ثوب، السماح

عبدالله. ١٣٢ الهواء، إبراهيم اليوسف. ١٣٣ إجمارح، محمد الحسيني.

١٣٤ شتوية، مجدى الجابري. ١٣٥ لوحة كروكية لتكمية الفتيات الثلاث،

عماد فؤاد. ١٣٦ ثلاثة أشياء، نسجها بفخر على جدراننا الصلبة، نجاة على.

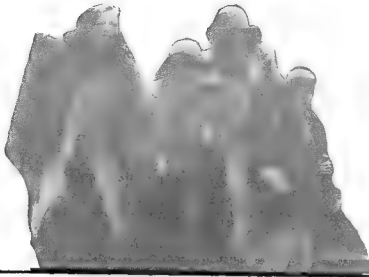
## القصة

١٣٧ سأمذكركم عن هروب الملك، فؤاد قنديل. ١٣٨ أغسطس الصغير، عاطف

سليمان. ١٣٩ أجمل طورة رأتها، ابتهاج سالم. ١٤٠ نعم، القرايب، خالد إسماعيل.

١٤١ السيرة الذاتية لثلاثة من الحمير، ناجى الشكرى. ١٤٢ داخل صندوق محكم،

احمد غريب. ١٤٣ إسرا.. إسرا.. يا إسرا... اشرف الخمايس.



# مختارات من الشعر الأمريكي المعاصر

ترجمة: بدر توفيق

بدأت نشر قصائدها منذ عام ١٩٥٧، ومصدر ديوانها الأول عام ١٩٦٠.

## رحيل إليزابيث

أنت الآن ترقدين في عش موتك الحقيقي، بعيداً عن أثر  
أصابعي العصبية

حيث لامست رأسك المتحرك،

والفضون القديمة في بشرتك،

وتنفس ركتيك الذي انحسر في نظرتك الأخيرة  
إلى وجهي، وهو يفرجح فوق المصباح الإنشائي،

حيثما صرخت، دعوني أرحل دعوني أرحل.

\*

أنت الآن ترقدين في صندوق موتك النهائي،

لولا تكررني أنت، لولا تكررني أنت بالتأكيد

لقلت إنهم جمدوا وجنتيها،

فهذه اليد التي تبدو كأنها صنعت من الصلصال

أن سيكستون [١٩٢٨ - ١٩٧٤]

ANN SEXTON

ولدت في نيوتون NEWTON عام ١٩٢٨ بولاية  
ماساشوسيتس، درست في كلية جارفالد، تخرجت وأنجبت  
ابنتين،

انتهت عام ١٩٧٤.

قالت عن الشعر إنه ينبغي أن يكون صادماً للمشاعر،  
وجارحاً في أحوال كثيرة، وقالت إن هناك بعض الأسطر  
السبئية في بعض قصائدها الممتازة، وإن هذه الأسطر  
السبئية تجعل القصيدة في حالة أجمل من المعتاد.

تتجذر قصائدها عن عمد في كينونتها النسوية، وتعتبر  
عن حبها وأطفالها وولديها وأزمانها النفسية، بطريقة  
مادية جسمدية مكثفة، وفي التصنيف الأدبي تعتبر أن  
سيكستون من «مدرسة الاعتراف» التي تتشعور قصائدها  
حول الذات وأحوالها ومحيطها.

وهذا القناع الذى يشبه وجه إليزابيث

ليست أشياء حقيقية،

فمن داخل الكفن المساتون

ومن نسيج هذا السرير غير الإنسانى،

سمعت صوتا يصرخ، دعونى أرحل دعونى أرحل.

- ٢ -

لقد أعطونى رمانك وعظام هيكلك،

كان يخشخش كنبات جاف فى زهرة من الزرق المسمى،

بخشخش كالأحجار فى فرن مقدس،

لقد انتظرتك فى كاتدرائية الرقى والتماثيل

وانتظرتك فى بلد الأحياء،

وكنت لا أزال أستم الوعاء وهو يئن إلى صدرى،

■

حين سمعت شيئا يصبح، دعونى أرحل دعونى أرحل.

عندئذ نثرت بقايا عظام هيكلك

وسمعت نفسى أصرخ بسبب نظرتك،

وروجحك الذى يشبه التفاحة،

وهيلة ذراعيك

التي تشبه مريم وهى تحضن المسيح،

ورائحة شهر أغسطس

التي تفوح من بشرتك،

ثم فرزت يا إليزابيث، يا إليزابيث،

ملايسك وأشياءك الحبيبة

التي غلظت لديك، حتى رحلت عنا إلى الأبد..

## الإحـاض

لقد مات،

ذلك الشخص الذى كان لابد أن يولد

\*

فعلما يتغنن فم التربة،

وكل برعم يهب خارجا من غلافه المفقود،

غيرت هذا، واتجهت بسيارتي إلى الجنوب.

■

تجاوزت الجبال الزرقاء،

حيث تمتد روابى بيسيلفانيا بلا لنتها

مكتسية شعرها الأخضر، كأنها قط مرسوم،

\*

طرقها هابطة كالرصيف الرمادى البالى،

حيث تنشق الأرض، فى الواقع، بطريقة شيعانية،

ويتدفق للفحم من تجويف أسود،

\*

لقد مات،

ذلك الشخص الذى كان لابد أن يولد.

\*

للحشائش كثيفة وقوية كالنبات المعمر،

وأنا أتناول متى سحرث الأرض،

وأتناول كيف يواصل الحياة شيء هـش!

\*

هناك فى بيسيلفانيا، قابلت رجلا متديلا،

لم يكن روميلشتتسكين (١) إطلاقا، إطلاقا..

لكنه امتلك للكمال الذى يحقق الحب.

■

عندما رجعت للشمال، تباعدت السماء

كأنها نافذة عالية لا تطل على شيء،

وكان الطريق مستويا كلوح من الصفيح.

\*

لقد مات،

ذلك الشخص الذى كان لابد أن يولد.

\*

نعم، أيها المرأة، إن مطلقا كهذا

سوىدى إلى خسارة بلا موت. وإلا فقلوبى يا جبانة

ماذا كنت تقصدين ... هذا الطفل الذى أنزفه.

## عـوز

إنى أخاف الإبر التى أحقن بها

إنى متعبة من الملامات المطاطية وأنباب اللوام

متعبة من الوجوه التي لا أعرفها  
وأعتقد الآن أن الموت قد ابتدأ

\*

إن الموت يبدأ كما لو كان حلما  
علينا بالأهداف والمقاصد وضوحات أختى

\*

نحن الآن في صبانا، وما نحن نمشى ما  
نقطف زهرا من شجر البراري.  
ونحن في طريقنا إلى «دامسكوتا»  
صاحبة قاتلة : أه يا موزان،  
لقد وسخت ثوبك الجديد.

إنها ذكريات حلوة المناق

تقويض بها نفسى

لكنها حلوة ككيبه يتواصل تذكراها  
ونحن في طريقنا إلى دامسكوتا.

■

ماذا أنت فاعلة معي ؟ دعيلنى وحدى  
ألا تترين أننى أحم ؟  
إن الإنسان فى الحلم لا يكون فى اللامنين أبدا.

## مارك ستراند [١٣٤-]

### MARK STRAND

تمتلي قصائد مارك ستراند بلرابية رهبية كالظم؛ فليها استرخاء  
كامل للإرادة كما يحدث فى الأحلام، حين تصوير القرائن التي تحكم  
حياتها فى البقعة لا وجود لها، هلندت تحدث أخرب الأشياء دون أن  
تشر ديمقنا.

□ التمدت فى قصائد ستراند بماني شابا من الشقاء نفسى،  
واضطراد فى حيلة الذات واشترابها، فهو يقول فى إحدى قصائده :

«النفس لم تعد تنتمى لى، فهي تائمة،

فى ظل شخص غريب، وفى الآن،

تتلبس النفس للغريب، وتقرده خارج المكان،

□ وفى قصيدة «الشرب» المتخيل حدث فعلا، تجد الشاعره الذى  
أصبح رجلا ناضجا، يتحد فى حياته مع الذات فى طوائفها،

كما يحاول أن يتدرج لنفسه من ذاته فى كل من ماضئها  
وحاضرها؛

«الآن، عندما أرشد التلهفون»

«تصير الفتاة فى السابعة، وعندما أنام»

«يجمع شعره حول وجه المولف فوق الفخدة»

«وحيلنا أبحث أجد كدمية. إنه ما تبقى من حياتى»

□ ولد مارك ستراند من أبوين أمريكيين فى ١١ أبريل ١٩٣٤ فى  
ديلمس إدوارد أولاند بكتدا؛ حصل على ليسانس آداب، وابجاسان  
لقون جميلة، وكفى حاما فى إيطاليا بمتحة من هيئة لفرابرات،  
وحصل عام ١٩٦٢ على ماجستير آداب، وعمل مدرسا فى جامعة  
«أيووا» وفى عام ١٩٦٥ ذهب إلى ريو دي جانيرو حيث عمل مدرسا  
فى جامعة البرازيل، ثم عاد للتدريس فى عدد من الجامعات  
الأمريكية، وبهذا عام ١٩٨٠ وهو يعمل أستاذ زائرا بجامعة يوتا Utah.  
وقد أصدر عددا من المختارات المترجمة من الآداب الأوروبية،  
والمتكسوية، والكتاب الأمريكيين الجنوبيين، من بينها ترجمته لكتاب  
«أرقى البومة» لفرانز كافكا، وآخر إصداراته عام ١٩٨٣ كتاب «عن  
الذين التفتونى بضم تسعة من الرسامين الأمريكيين. صدرت له  
«قصائد مختارة من ديوانه القصص الأولى عام ١٩٨٠، وحصل على  
هذه جوائز أدبية من بينها جائزة روكفلر Rockefeller (الهيئة  
القيمة للفنون والآداب) وجائزة جوجنهايم. Guggenheim.

## رسالة (إلى ريتشارد هوارد)

Letter For Richard Howard

الرجال يجرون عبر الحقل

الأقلام تسقط من جيوبهم

الذات السالكون فى الخارج سوف يلتقطونها

إنها إحدى الوسائل التي تكتب بها الرسائل

\*

كيف تسقط الأشياء للأخزين!

لنفس لم تعد تنتمى لى، فهي تائمة

فى ظل شخص غريب، وفى الآن

تتلبس الشخص الغريب، وتقرده الآن بعيدا.

■

إنها الظهيرة، وأنا أكتب إليك

حياة شخص ما جاءت بين يدي

الشمس تصفى للون الأبيض على البنايات

إنها كل ما لدى، أعطيها كلها لك. إنها لك.

## الزواج The Marriage

الزواج تسمى من قلوبين متضادين

مناقرة ببطء .

\*



## Eating Poetry **التهام الشعر**

حبر يسيل من زوايا فمي

أليس هناك سعادة مثل سعادتي

لقد كنت ألتهم الشعر

\*

أمنية المكتبة لا تصدق ما تراه

عينها حزيتان

تسور راضعة يديها في رداها

\*

القصاصد ذهبت

الضوء متعفن

الكلاب عند سلال الطابق السفلي تصعد الآن

\*

مقل عيونها تدور،

سيفاتها الشقراء تتوهج كالفرشاة.

أمنية المكتبة المسكونة بدأت تترك الأرض بقنديلها  
وتبكي.

إنها لا تفهم

فعلما أركع على ركبتى وألصق يدها،

تصرخ.

أنا رجل جديد

أزمر فيها وألعب

أفهم صاخداً بالفرح في ظلام الكتب

## **مارج بيرسي [ ٩٣٦ ]**

Marge Piercy

□ السخط والغضب الشديد هما الطنصران الأصيلان  
للنذان لئنا مارج بيرسي قصائدها، وأقاما لها مكانة مميزة في  
الشعر. فالحركة المناهضة للحرب الأمريكية فيتنام وغيرها  
كانت جوهر قصائدها الأولى، كما أنها في الوقت نفسه  
تخوض الوقت حريا تدور في أعماقها دائما من أجل النساء،  
فهى تكره الأسلوب الذى يسيطر به الرجل على المرأة، سواء  
كان بالقوة البدنية، أو بالسيادة الذهنية.

فحياة للنساء كما تقول في إحدى قصائدها «صبيحت  
كالأكان الرخوصة، وهى لا ترى العالم كأنه راد من الدمع»

هى تدور فى الهواء المميق

هو يمشى فى السحاب

\*

هى تعد نفسها

تنشر شعرها،

تعمل عينيها،

تبصم.

الشمس تدفئ أسنانها،

طرف لسانها يبللهم.

\*

هو يمسح الخبار بالفرشاة عن بذلته

يضبط رطله عنقه فى وضع مستقيم

يدخن

سوف يلتقيان قريبا

الريح تحملهما إلى التقارب

إنهما يلوحان

أقرب فأقرب

يتحلقان

\*

هى تهوى سريضا

هو يخلع سرواله

يتزوجان

ويكون لهما طفل

\*

الريح تحملهما بعيدا

فى اتجاهات مختلفة

الريح قوية، يفكر

وهو يضبط رباط عنقه فى وضع مستقيم

\*

هى تقول، أحب هذه الريح

وهى تلبس ثوبها

\*

الريح تنفص

الريح هى كل شئ فيما بينهم.

لكنها تراه كواد من شغرات الحلاقة، فقصاصد بيرسى نحال  
بحرص غاصب كيف تمت صباغة وإخراج أحبولة تفرق  
الذكور، فهي ترفض سريرة العالم التي أقامها للرجال، وهي  
تصور الحب بشكله الراقص، وبالشكل الذي ينبغي أن يكون،  
وتقول «إن ما نستعمله لابد أن نعيد صياغته».

□ ولدت مارج بيرسى في أسرة من الطبقة العاملة، في  
٣١ مارس ١٩٣٦، بمدينة ديترويت Detroit، وحصلت على  
ليسانس أدب من جامعة ميشيغان Michigan، وماجستير  
من جامعة نورث ويسترن Northwestern، مارست  
وظائف متعددة في التعليم، أصدرت إحدى عشرة مجموعة  
شعرية، إلى جانب ثمانى روايات، وكتابتها يضم مقالاتها  
ومقابلاتها الأدبية.

## دعنا نلتقي عند النهر

Let us Gather At The River

أنا المرأة التي تجلس عند النهر

نهر من الدموع

نهر من ماء البالوعات

نهر من أقوياس قرح

أجلس عند النهر وأحسى الجثث

التي تعبر طافية من الحرب منذ التوار.

أجلس عند النهر وأرقب الماء

وهو يضامل، والشيطان وهي تبرز كاللثة المتقرحة

أرقب الماء وهو يتحول من الأخضر إلى البني الكريه.

أجلس عند النهر وأصطاد من أجلك

أريد أن أحسه حتى يصير نظيفاً

أريد أن أحوّله إلى فراشة

تتمايل لغواته من زهرة الأوركيد إلى الورد.

أريد أن أحوّلها إلى كريمة

وأريدها أن تحول نفسها إلى إنسان.



أوه، أعلق عينيك بإحكام وادفع بقوة،

وأطلق الآن كل شيء مماً.

يمكننا أن نفعل هذا إن حاولنا،

ركز وضعم للذراعين وادفع.

يمكنك أن تسود عالمك إذا أردت.

إنها بيضة أروكائية لونها أزرق مع أخضر

مقفوفة في غشاء رقيق من السحب  
لا تدعهم يطهونها ويلتهمونها.

البيضة للزوردية الخضراء بلون الأجمة

التي وضعنها عناق لكن المقرصة

يبحث لي فوسك التي بايت من موضوعاتك المتعبة،

خول حذرلك التي نمت

بغال حريك البائسة الدائنة العظام

أنا المرأة الجالسة عند النهر

أرمم اللوات القديمة وأرقمها لتصبح جديدة

الآن يتحول الدهر من البني الكريه إلى دم يقيق

كذراع تردى زياً.

نظف كزند خشبي متلكن،

على ارتفاع بعيد جداً تصعب فيه الرؤية،

تبدو قاذفات التنازل المنضمة،

كالسازات الطويلة المنقبة لعبة «البارلينج»،

تخط شريطاً فوقاً، والمعلقة الميدانية الأوتوماتيكية

تضىء في الأعلى مثل نجم الحروب،

في لعبة الكرة والديبايس.

أنا المرأة العجوز الجالسة عند النهر أوبخ الجثث.

أريد أن أحرق في النهر وأرى القاع

وأمضاً كشعر نظيف،

أريد أن أحيأ بعد اكتمال عطائي

وأغنى أغنيات الماء،

أغنيات في مدبح النهر البني الأخضر

وهو يتنطق نظيفاً خلال العالم الأخضر الأزرق.

## موازية الأنسى على جانيس

Burying Blues For Janis

اجتاحني صوبك دائماً، على الورق الحساس تماماً، في  
منازة ذات القلب العظيم من لزوة الذئبة،

التي سيطرت على كتمت نحاسي مهول بكل أطواره،

حتى تمكنت، جزئياً، من الإفلات.

ما الذي أستطيعه سوى أن أحرق بك في أحلامي؟

صوبك يحك المنظم المليء بالنضاج حكاً شديداً مباشراً،  
يضعج ذلك الاهتياج الوافر من الماسوشية التي نغم فيها.

تلك المرأة ولدت لعماني، عرّمت بظلم وخدعت،

لقد درّينا وفقا لذلك البيت المرتفع الحرارة بالألم المكتمل.

نحن لا نشعر، إلى هذا الحد، بكوننا، ولا بشخصيتنا،

مثلا يحدث عندما نمشي في الحضيض بكل أحزان الليل،

عندما لا يكون هناك رجل ما، ومن الأفضل أن يكون قد

رحل،

يصبح احتياجا يتنضم بصير بالونا من الغاز،

ويسطع فينا كل تفكيرنا ومشاعرنا وأملنا.

آه من الأحزان الأنثوية التي طال اجتراحها،

وانسحقت عصارها تحت الأقدام:

لقد ارتجت هناك بوجهك المتورم قليلا،

وشريك الملبد مطاير بقرة تجعه بارزا للأمام،

عصفاً من الجحيم الذي اتخذ وقوده من الحياة بأكملها.

لقد جمعت كل ما أتقنت أدائه أمي التي تغطي وتغطي،

كانها نبع من العصاة المسكر لسلالة فترانية من الرجال،

لقد وجدت الألم المحتضن في الصدر كأنه طفل،

لقد وجدت شجرة الصمغ الجميلة المتوردة في سبيلها،

امرأة أعطت ظهرها للعالم، بلا حدود، بلا أمل، وهي

مرهقة،

تقدم وجهها رائعا لممارسة الحب.

تلك الرغبة في أن تتعلق على خطاب اللحم وأن تدعوها

الحب،

تلك الحاجة إلى الحب مثل الخواء الصارخ في الروح،

ذلك هو المخدر الذي يشدنا ويجربنا بطريقة مهلكة إلى

الحضيض،

كطبقة الهيرين للريقة الباردة التي جمّدت دمك.

## براهلي ستراهان [١٩٣٧]

Bradley Strahan

ولد في مدينة بوسطن عام ١٩٢٧.

تخرج من جامعة نيويورك ١٩٥٩.

حصل على ماجستير ١٩٦٣.

يقم في واشنطن منذ عام ١٩٦٤.

له مجموعتان من القصائد :

١ - أغنيات حب في عصر القلق ١٩٨١،

أعيد طبعها مع مزيد من القصائد ١٩٨٩ .

٢ - الرجل للعصا ١٩٨٢، وصدرت طبعها

الثانية ١٩٨٨ .

نشر كثيرا من قصائده وقرجماته في المختارات والدوريات، وألقى محاضرات عن الشعر في جامعة جورج تاون الأمريكية، وتودجن في آسانيا، وأيسلا في السويد، وفي ملتديات أدبية بلاكسبورج والألرويغ.

حصل على الجائزة الأولى للشعر من ولاية فرجينيا.

## مساحات خاوية

Empty Places

في النهاية، نحن جميعا علماء آثار قديمة

نغمص حطام الحياة

لنشر على قطع من أدية فخارية

منقوشة بلغة غريبة

خطاب من صديق متروك على مضغدة للرحلات

قصيدة مكتوبة على ظهر قائمة الطعام

رسم لفاتة لا تستطيع أن تتذكر اسمها

صورة مصفوفة لعنب غريب

نحن نواصل الكفاح مع الأشياء المتروكة

منذ الحيرة في أيام الطفولة، محاولين أن نملأ الفراغات

التي تركتها الشفاه المبتسمة غائبة عن الوجه،

الدموع التي تجمدت على خدود بلا عيون،

الأصابع الغائبة عن يد ممدودة إلى أقصاها.

لكننا على نحو ما، لا نستطيع أن نملأ المساحات الخاوية،

ويدخل الظلام زاحفا.

## عوالم تموت

Dying Worlds

في هذه الليلة التي تمتد بعيدا كالفضاء،

كنت نجمة لم يلمع نورها إلا قليلا

كالنجم النجم المتعالم على عيدين مجهنتين،

أوردة من النار، في عدم الصحراء

الآلة أصبحت ومضة مفقودة خلف شبكة عيني.

عياني وقد أسبختا زلختين

من وهج العرالم التي لا تموت،

لا تسطيعان المرور على وجهك.

شعلة بيضاء الزرقة تتعاقب في احتياج

ضوء مسحور مشوم يتدافع كالسول في الظلام

أجبح في فراغات بلا شمس،

بباب بلا هواء حيث لا شيء يثير.

تسطر للشقوق العجافة الجلد حتى العظام

لقد اختفت الندارة بأكملها،

سيحتجب السطر لملايين السنين

## قصيدة بها سطر من جيمس رايت

Poem With A line From James Wright

«صنعت حياتي عبثاً،

أحاول الإبحار

البحر المعادي

بقائتي

خمس عشر عاماً من العراصف

كل منها أسوأ مما سبق؛

«صنعت حياتي عبثاً،

أكدح ثمانى ساعات

في غبار الورق

أخشى

أن يتبدل مقصدي في النهاية

إلى جهة غير معلومة

صنعت حياتي عبثاً،

في أحلام تحلق

كالطير المزروعة

متماسكاً

بالأرواح، أصحو

فأرى نفسي وحيداً

«صنعت حياتي عبثاً،

وضع أجوف

غرفة فارغة

لقد جئت

متأخرة جداً لكي تملأ مكاناً

لم أعرف عن وجوده شيئاً أبداً.

## كيت - Kat

يا امرأة

لماذا تتركين هذه الأشياء هنا

كأنها آثار من لحمك

جوارب في الحمام

لإشارب باللزنيين الأحمر والأبيض

مطوى بعناية فوق رف.

يمكنني اقتفاء خطواتك عبر الحجرات

فرشاة أسنانك على الحوض

ملاسلك الجينز على أرنسية غرفة النوم.

طمعك وزلجته

عممة ناعمة بيضاء

نتنظر لكي توقظني

كالقطعة التي تموء لقم

خلا وجهه من التعبير.

## على نهر موزل (٢)

On The Mosel

الليل، في مدينة على النهر

يتلاحق مرور القطارات

الرابعة صباحاً، مستيقظ أنا

أفتح النافذة

لصوت السيارات العابرة.

نجم وحيد يمكن رؤيته

من النافذة الضيقة

أفكر فيك

«في خطابك، كتابة تشبه عينيكي

في زرقته، وفي جمالها

أستدير وأنظر مرة أخرى إلى الفضاء

الفجر الكاذب

يسبغ باللون الرمادي

حواف السماء الألمانية

هناك قطٌ يعبر في اتجاه النهر

ريما يكون باحثاً عن حبيبته

أسرع أيها القط .

إني أسمع همس العجلات

لا تترك حبيبتك وحيدة

## دايان جلانسي (١٩٤١ - )

ولدت في كانساس عام ١٩٤١، أبوها من الهند الحمر من قبيلة شيروكي، سكان أمريكا الأصليين؛ هاجر من أجل العمل إلى مدينة كانساس في ولاية ميسوري، حيث درست دايان جلانسي في جامعتها، وتخرجت عام ١٩٦٤، ثم تزوجت في العام نفسه، وأنجبت طفليْن، ثم طلقت عام ١٩٨٣.

حصلت على ماجستير من جامعة أيوا عام ١٩٨٨، وتعمل حالياً أستاذة للأدب الإنجليزي في كلية ماكالمستر. حصلت على جوائز أدبية عن إبداعها في الشعر والرواية، ومن بين إصداراتها :

عمر واحد في حلم ١٩٨٦ (شعر)

قرآن ١٩٨٨ (شعر)

امراة حديدية ١٩٨٠ (شعر)

وقد فاز ديوان «امراة حديدية» بجائزة «كابريكورن» عام ١٩٩٠، ويقول الناقد مارفن بل عن دايان جلانسي في هذا الديوان الذي يضم ٥٨ قصيدة : «إنها تتميز بالبصيرة النافذة في مشاهداتها، وإنها كاتبة وقطة تسيطر على لغتها». أما القصيدة، التي تحمل هذا العنوان، فقد استلهمت الشاعرة من تمثال امرأة من الحديد شاهدته في معرض للفنون التشكيلية، كما استلهمت الاسم للمؤنث «تونتأ»، من «تونتو» وهو اسم طفل هندي كان يقوم بدور البطل في مسلسل للأطفال شاهدته الشاعرة في طفولتها، وكان تونتو يؤدي دور الطفل الطيب الشجاع المحبوب.

## امراة حديدية - Iron Woman

أعرف أنني جلت من مكان مختلف

قصة مزقها مقص

قد أجد قطعة من الصدا في الصباح

أو شكلاً في حقل خلال شجرة

قد أسمع لغة مكسورة

كان امرأة تحدثتها

تعمل على طائر على رأسها

قطع طويلة من الحديد لمعونة لتسجها الصوفي الأبيض

تلبس قناع بعرضه

غصين مقوس للألف .

أسنانها مخيطة مما بخيوط بيضاء متلاصقة

اسمع صوتها المنديل

من على الطائر فوق رأسها .

لقد عاشت ذات يوم في كومة من الأطراف والأغصان

المتساقطة

منقولة في عربة إلى الحقل لتحرق عقب عاصلة للجنة .

يرتفع صوتها في قافلة من الدخان

ويختلط بصوتي في الهواء .

الأمر يستغرق هدية كي تتحدث مع هذين الصوتين

ملهما يستغرق هدية لكي تمشي على قدمين اثنتين

تذهب كل واحدة منهما في طريق آخر .

## تونتأ - Tonta

ها أنت الآن

تتظنرين داخل نفسك

وتشعرين بجبل

يلبس الآخر

حياتك كلها

أرض مفصلة

عن نفسها

بقايا شهر

من العزلة

لكن بعد الألم

هدية من الدخان

وصال

يجعل للرج المسطح ينحني

وفي مكان ما بعيدا

في خاتمة السطاف

قد تعرفين شيئا

للذاكرة

التي تحببتها

للرغبة في أن تكوني الأولى

فى الممشى  
لكنك تقبلين  
باقة الورود البسيطة  
عارفة أنك متهدين  
طريقاً  
ليس للأجبال  
لكه يبدأ الآن فقط  
مدينتنا من روحك

## فتاة هندية أضرتها الشعائر

Indian Girl Bored With Ceremonies

إنها تقرأ فى الشمس،  
ركبتاها مضمومتان إلى صدرها،  
بيلما للرجال يلعبون ستيكبول،  
وضربون السمكة الخشبية على عامود،  
يقطع صغيرة من الصخر.  
تبار غير مزلى يتحرك أمام عينيها،  
كانها ترقب السمك.  
مزمز السلام،  
صلوات ورقص.  
يطلع القمر فى قطبه،  
هيهات لا سبيل.  
تلقى كتابها،  
فى النار السحرية،  
صوت أجش كالنباح من زنود الشجر المشتعلة،  
يحدث شرراً لشخص مضطرب على الأرض المقدسة.  
تأجج النار يشبه حركة الأرانب.

الكلمات التى دخلت رأسها،  
مازلت تسبح أمام عينيها حينما تنام.  
طوال الليل تعلم،  
حتى تصيقط،  
متشبلة بقطعة صغيرة من الصخر فى يدها.

## هندي كفيف

Blind Indian

فمه المشتعل  
يطلق بالرؤى  
يلسق بالسقف الصدا  
فى الشتاء تلج أرجوانية تنهمر  
نافذة خضراء نائكة من سقف مائل  
قمة مبعدة  
حيث ينبت دخان المدخن  
وردة سوانه

المواش

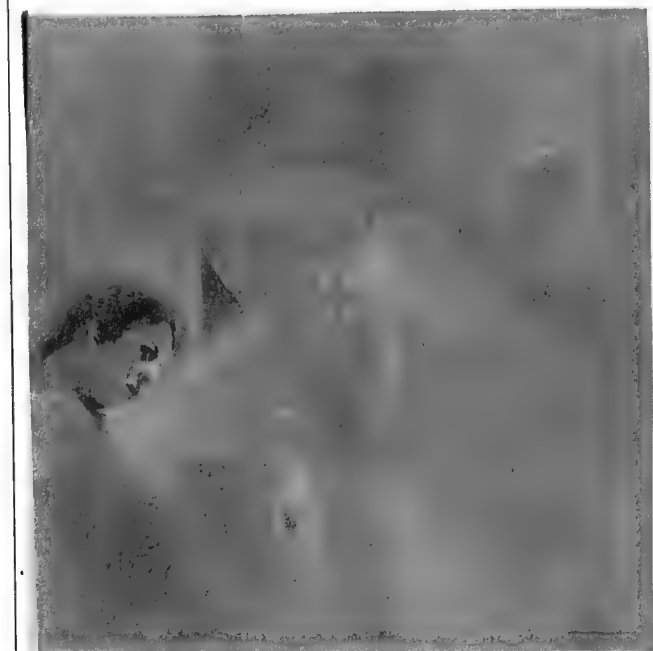
## (١) رومپيلشتيلتسكين Rumpelstilzkin

بطل إحدى القصص فى الفولكلور الألماني، وهو قزم علم  
أبنة الخباز كيف تحول القش إلى ذهب، حتى أصبحت زوجة  
للملك، وقد ابتدع شخصية رومپيلشتيلتسكين الكاتبان الألمانيان  
الشقيقان :

يا كوب جريم (١٧٨٥ - ١٨٦٣) وفيلهم جريم (١٧٨٦ -  
١٨٥٩) اللذان اشتهرا بأعمالهما فى الفولكلور وفقه اللغة،  
واشتهرا فى إنجلترا بقصصهم الخيالية للأطفال التى ترجمت  
إلى الإنجليزية عام ١٨٢٣.

(٢) Mosel نهر فى ألمانيا الغربية ينبع من فرنسا ويلكم

مع نهر الراين عند مدينة كويلنز، طوله ٣٢٠ ميلاً.







# يوم سعيد من أيام أغسطس تسلسل وليامز

## ترجمة شوقي فهديم

ولد تومس وليامز (توماس لانوين وليامز) في كولومبياس بالمسيبي عام 1911 وهاجس حياته الأولى هناك وفي سانت لويس تكمل تعليمه الجامعي في جامعة المسيسيبي ولكنه كان يطمح لأسباب مالية، ثم نال أخيراً شهادته الجامعية من جامعة ألبا.

بدأ كتابة الشعر والشعر وهو حدث صغير أثناء اشتغاله بأعمال مختلفة، ومنذ ذلك الوقت أصبحت قصود من مسرعاته في التبوليزيون والسيلما والباليه - ومنها على سبيل المثال «عربة أسنما الرعية» (التي فازت بجائزة بولتز، وجائزة نقاد الدراما) و«سيف وداخن» و«ليلة السحلية» و«قطعة فوق رب من الصفيح الساخن» (التي فازت أيضاً بجائزة بولتز وجائزة نقاد الدراما).

**ق** بدأ ليوم بدوخ من الكدر على الإفطار حين نَسَتْ هورنى رأسها في الحجرة المضيئة التي تستخدمها للسنودين كغرفة نوم لهذا الشهر وللشهر التالي، وقد زَعَقَتْ هورنى فيها «يوم سعيد» العاشر من أغسطس ! ثم سميت رأسها وأغلقت الباب بشدة فألقت نوم السنودين الذي كان في أحسن الأحوال نوما خفيفاً وعسراً والذي لم يكن، في بعض الأحوال يُدعى نوما بالمرّة.

كانت المشكلة أن هورنى، بعد تسامح طويل بين السنودين، قد أخذت لنفسها حجرة النوم الرئيسية المكيفة للهواء لشهرى أغسطس وبمجرد على أن تأخذها السنودين بالي شهر السنة. ظاهرياً قد يبدو هذا الترتيب أكثر من عادل بالنسبة للسنودين. فقد تم هذا الاتفاق سلبياً بين السنودين حين استأجرتا الشقة منذ عشر سنوات، ولكن الأمور التي تنفق عليها سلبياً منذ سنوات سمحت قد تصبح مبرور الزمن مثار متيق لأحد الطرفين، وهكذا فإن السنودين وهي تمديد النظر في هذا الاتفاق بدأت تفكر في أن هورنى بنت ليويوريك مولدا ونشأة، لابد كانت تعرف أنها سوف تصنع بتكليف الهراء خلال أيام الصيف شديدة الحرارة. ولكن، والحق يقال، لو أن السنودين شعنت ذكورتها، فإن هورنى قد صرحت بأن أغسطس هو أكثر الشهور حرارة في منهنان وأن سيمبر يميل إلى البرودة وأنها، هورنى، قد تَكررت للسنودين بأن لديها (لدى السنودين) المقر الصيفي لأهمها في شادر وجاد، وتسطيع أن تزورها وقتما تشاء وتكرتها هورنى أيضاً أنها ليست مطالبة بأن تصيغف مبكراً في الصيف أو في أي فصل، حيث إنها تعمل لمسائها، مهما قل هذا العمل أو كثر، كمستشارة في علم الأنساب، متخصصة في هذا المجال، بينما هي، هورنى، مضطرة للالتزام بمواعيد مكتب محذدة.

خلال هذا التفكير، كانت السنودين قد نهضت وذهبت إلى الحمام وكانت الآن على وشك الظهور وقد اكتمى وجهها برفار ينذر بالشر وهي تدخل إلى غرفة المعيشة في نهاية شقتها لتبدي من الحجر الأسود بالدرج الخامس في الشارع الواحد والسكنين الشرقي،

كانت السنودين تعرف أنها تبدو على ما يرام بعد أن نظرت في المرأة. لم تكن سدرات وأراسط العمر، تقترب منها غلصة هذا الصيف ولكنها كانت تدهمها بعنف مظما زعقت هورنى فيها في العاشر من أغسطس.

«ما هو هذا العاشر من أغسطس؟ هكذا وجهت سؤالها إلى هورنى بلهجة مخادعة عن صمد وهي تدلف إلى غرفة المعيشة لتناول القهوة.

شمكت هورنى شمكة خافتة وقالت: «العاشر من أغسطس هو العاشر من أغسطس».

«إن ليس هناك سبب على الإطلاق يدعوك لإيقاض في مثل هذه الساعة؟»

«لقد أيقظتك مبكراً لأن دكتور شوابير قد غجر موعد جلسته اليوم إلى الساعة الخامسة لكي يلاحظ حالته الذهنية في الصباح».

«حسن، إنه لن يلاحظ حالتي هذا الصباح بعد ثلاث ليال متواصل من الأرق».

«ألا تتعدين أنه يجب أن يلاحظ ككتاب الصباح لديك؟»

«إن أكتتاب الصباح عندي يرجع فقط إلى الأرق المستورد وليس إلى أي من المشاكل التي أبحثها مع شوابير، ولست على استعداد لأن أدفع له دولاراً واحداً لكي أجلس على تلك الأريكة وأنا منهكة أشد الإتهام وأعظم له بضع كلمات».

«ربما تقصدين على التسلط بعض الملاحظات وأنت على الكعبة. وأنت تمرغين بالسنودين أنني مقتنعة شاماً بأن تلكه وتترك الذي إزداد سوءاً هذا الصيف هورد فعل لا شعوري للإهانات الفرديّة. إنك من مزاويد برج العمل بأعز زنتي، ومزاويد برج العمل، وخاصة عدد ارتفاع برج الجدوى لا يكتهم الاستفادة إلا من بولج».

أعنى أنه بالنسبة لمزاويد برج العمل

قليس أمامهم سرى بولج أولاً شيء». أحسست السنودين بالعصب يغلي في صدرها ولكنها فكرت أنه من الأنوق وهي منهكة بهذا الشكل، أن تكبته، لذلك حوت الموضوع إلى الجبغاء «لوريتا»، وقد لاحظت أن لوريتا ليست بداخل القصر.

# يوم سعيد من أيام أغسطس

«أين صنعت لوريثا؟»

سألت وحدة كما لو أنها خشيت أن تكون صديقتها قد قطعت رأس الطائر وألقت به في سلة المهملات.

ردت هورني بسرعة.

«لوريثا تقوم بجولاتها.»

«لا أظن أنك يجب على لوريثا أن تقوم بجولاتها حتى تنهضي إلى مكتبك، خاصة وأنت تتمرّكين في الشقة بسرعة في الصباح ومن المحتمل أن تصحبها نمت قدامك.»

«إني أتحرّك بسرعة ولكنني لست عمياء يا عزيزتي، وحتى أي حال فإن لوريثا قد ذهبت لدنيس في قصرها الصيفي.»

كان قصر لوريثا قصرا فسيحا وأيقا وضع لها في الشرفة الصغيرة، وكانت جالسة فيه.

قالت للفتى حزن:

«يومنا ما سيكتشف هذا الطائر أنه يستطيع الفرار حيثك الدراع والورثا!»

«إنك مفعمة بالذبولات المفجعة هذا الصباح. أراهن أن دكتور شوابير المصور سوف يرفأ أشياء جديدة.»

كانت المرأتان ترششان القهقهة في هذه اللحظة، جبا إلى جيب على الكتابة المسفأة بالساتان في مواجهة التلفزيون والشرقة.

كان مشهدا سارا وأنت ترى من الشرقة قدرا هائلا من نباتات الزينة أكثر مما تراه عادة في مهبان خارج المتجر. كان التلفزيون ممتنا. وكان أحد المصورين عن الصحة العامة يتحدث عن ازدياد الإصابات بمرض شال الأطفال في نيسويورك هذا الصيف.

قالت هورني:

«محي تذهبن لتأخذني حقة شال الأطفال؟»

فأعلنت للفتى أنها قررت عدم أخذ حقن شال الأطفال هذا الصيف.

«هل أنت مجرنة؟»

«لا. ولكنني فوق الأربعين فمضب.»

«ومعلاقة ذلك؟»

«إني خارج منطقة الخطر.»

«هذه نظرية خطيرة. قال الرجل إنه ليس هناك من معددة لشال الأطفال هذه الأيام.»

«هورني، إذا كنت تأخذني أي حقن أو أقراص في حياتك لتسبب غاية في اللغابة ليس لأهلك مرضية من المرض أو للقاء، ولكن لأن لديك رغبة لا شعورية في الموت وتضرب ناهاما بالذنب فتحاولين باستمرار إقناع نفسك بأنه تفعلين كل ممكن للحفاظ على صحتك وإطالة حياتك.»

كانتا تتحدثان بهنوء، ولكن دون أن تتبادلا النظر أثناء الحديث، وهذا لم يكن علامة طيبة للبر للماشر من أغسطين ولا لازدهار الصداقة.

ردت هورني:

«دم هذا سبب غريب حقاً .. غريب جدا لماذا تكون لدى الرغبة في الموت ؟؟»

أصبح صوتها خفيا ومرمضا.

«مساه أس، يا هورني، نظرت، أنت إلى المدينة من الشرفة وقتت «يا إلهي بالعديد الهائل من شراهد القبور، والها من مدينة الموتى تسطح بالأشواء» أكبر شراهد للقبور في أكبر مدينة للموتى، لقد ذكرت هذه الملاحظة للدكتور شوابير وأخبرته أنها أصابني بالرعب، فقال لي «إنك تمشين، إنك تقصين حياتك مع فتاة مريضة للتاية .. أن ترى هنسة عظيمة في مدينة عظيمة وتسمى هذا شراهد قبور في مدينة الموتى.»

قبحا عرض من أمراض اضطراب عقلي عميق، أصمق من اضطرابك، ورغم طمعي بمدى تقديره لهذه الصداقة إلا أن علي أن أحذر من تمرير نفسي باستمرار لهذه الدرجة من العدمية والرغبة في الموت مع ما يذبلني من مجهود للخروج من الظل. أستطيع أن أشجك على الاستمرار في هذه العلاقة بخرط واحد هو أن تأتي هذه المريضة لتطلي العلاج النفسي أيضا. لكنني أشك في أنها سوف تفعل ذلك، حيث إنها لا ترغب في

المسعود، إنها تريد التحرك في الاتجاه المعاند. وقال: وهذا يضمن تماما ما قلته لي عن اختيارها لأصدقائها الحاليين.»

خيم الصمت عليهما لحظات إلى أن قالت هورني:

«هل تعتقدين أنني عقيمة في تحليلك النفسي؟ لأنك إذا كنت تعتقدين ذلك فأني أريد أن أؤكد لك أن العقبة سوف تزول لنسها بكل سرور.»

قالت للفتى:

«إن شوابير مهم أساسا بدائرة أصدقائك للجدد لأنه يعتقد أنهم مدمرون بطبيعتهم.»

«حسن. إنه لم يقابلهم وأظن أنه ملتهى الرقاقة أن يحكم شخص على جماعة من الناس من شخصيات مختلفة دون اتصال شخصي مباشر. بالطبع ليس لدى فكرة عن القصص التي زودت بها دكتور شوابير عن أصدقائي»

قالت للفتى بلهجة تنذر بالشر.

«في التحليل النفسي العميق يجب ألا تكتبي أي شيء.»

«ولكن هذا لا يعني أن ماكتبته هو صادق والضرورية، أليس كذلك؟ من الواضح أنك لم تكوني تعلمين ما تقولين حين ذكرت لي أنك تفهمين حاجتي لذكارة أصدقاء قديمين طالما لست مقبولة لدى أصدقائك أنت.»

أجابت للفتى بأف:

«ليس لدى دائرة أصدقائه إلا إذا كنت تصدين شلة الزلاء القدامى من خريجي كلية «سانت لورين»، الذين تذاونت معهم الشاء منذ شهر، وإذرا ما أصدروها لها للشاء والبريد، وهي مناسبات أصدرك إليها دائما، بل وأج على دصرك ولكنك لا تصغرين، اللهم فيما عدا مرة واحدة.»

«آه نعم، لقد قلت أنت منذ أيام إنك لا تحبين أي خطأ في أن يكون لكل منا أصدقائهم الخاصين. بل إنك قلت إن هذا أكثر صحة لكلينا من الناحية السيكولوجية. لقد قلت، لو حاولت التذكر، إن هذا يخلف للصوت بينما حين يكون لكل منا دوائرنا الاجتماعية الصغيرة، ولما كانت دائرتي كريمة لديك، فليس بوسني إلا أن أقول لك.»

تقرانين في ماذا ؟

إنك لم تقابلهم ، لقد تصبصت لأشراكك كالقنفذ وبانت مشاعر العداء في وجهك في المرة الوحيدة التي شرفتهم فيها بحضورك ، المرة الوحيدة التي قابلتهم فيها بدلا من هرويك إلى شلة خريجي سانت لورنس .

رآن الصمت مرة أخرى على الحوار الدائر بينهما . وتحدثت كلاما وارثفت بعض القهوة ولم تتبدلا النظرات ، وارثفت الهراء الدافئ فيما بينهما . حتى البقاء لريتانا بدأ أنها أحست بالأزمة المزمنة فكانت تصدر أصواتا مكتومة وقلبا من الأصوات الموسيقية من قصرها الصيفي ، كما لو كانت تريد أن تشر السلام بين المستدين المتحسين .

قالت هورلي مسألقة المديث بينهما :

تقرانين إن لدى رغبة في الموت ، أمثلك تضمنين الخفاء في التذم الخفا بإعزيتي .

إلى أتجه نحو توسيع وإثراء علاقتي بالحياة ، أما أنت فيسيطر عليك موت أمك الطبي ، كما لو أنك تصمدبها عليه . إنك تكهين ماضيه ، دائرة الهيجوز القرويين ، من أسدقائي لأن لديهم حيوية ثقافية ولأنهم مقبولون على الحياة كمرتين أنفسهم لكي يحسروا ، هنا وهنا ، وهذا . (وأصمت رأسها وصدرها أسفل بطنها مع كل كلمة هنا ،)

أوه ، وكل هذه الصورة المتتوعة سوف تتلجر الليلة هنا مرة أخرى ، أليس كذلك يا هورلي ؟

إن الجو الاجتماعي سيكون أكثر حياة مما سوف تجدينه في «شادرجلاد» ، ولكن الشيء الوحيد الذي يقل حياة عن أمك هو الجو الاجتماعي في شلة أسدقائك الصنائب خريجي سانت لورنس ، إلفستون ، لماذا لا تأتين الليلة معنا ، بدلا من الذهاب إلى أمك ، تأتين بروح مخفلة عن تلك التي جئت بها من قبل . أتعني أن تكري رقيقة ، طوبعية ، صديقة بدلا من أن تتسحق للهو بالكرارية والشكر وحيدت سرف يفهمونك أكثر قليلا وأنت سوف تفهمين مدى الشغف والإثارة التي أحس بها في اتصالتي بهجامة لديها بعض الحيوية الثقافية .

هل تريدون القول بأن خروجي سانت لورنس فاقو الحيوية وأحياء ؟

لم تكن أفكر في خريجي لورنس إنني لا أعني شيئا بالنسبة لهم كما إنهم لا يعنون شيئا بالنسبة لي .

على أي حال (واصلت هورلي حديثها مستجمعة قوتها) أحس أنه أمر مخيف ومضحك أن نتباهي بشيء داصر ونجمل منه أمرا جديلا ، أعني الاتكاح والتخرج في معهد الادعاء والأفالة هذا ..!

حسن ، يا هورلي ، إذا كان لا بد أن تعزني الحقيقة ، فإن بعض السنونات أصابهن الاضطراب بسبب اللالا كرويا التي لديك .

لا .. ماذا ؟

لا لا كرويا هي الاصطلاح للسكاتري للارغبة القبرية لاستخدام لغة تصمص المستمعين ، ذرن مراعاة للجو المناسب .

إذا كنت قد صدمت السدوات . وقالت هورلي عند هذه الجملة التي لم تكملها لأن حركتها كانت عنيفة حتى إنها سكبت بعض القهوة على غطاء الكتبة الساتان . صاحت هورلي بروحبة حين حدث ذلك ، وقد أمثلت بصيحتها تلك مخزنا من التوترات التي تراكمت خلال هذه البداية السوداء لليوم العاشر من أغسطس ، وإفثلت كالرصاصه صوب الملبخ لتحمض خرقه مبللة ، ثم اندفعت إلى الكتبة لتصح بقمة القهوة .

قالت إلفستون في لهجة أسي :

الآن فهمت لماذا هلكت قطعة الأثاث هذه . إنك تدعين هذا الغطاء الساتان ، الذي صنع من رداء جدتي ، بخرقة مبللة كلما سكبت شيئا عليه ، وهو ما تفعلينه بانتظام غريب بسبب كراميتك ...

مبدئا ، نعم !

هكذا قالت هورلي وقد سمعت فقط أول كلمة من اتهام إلفستون وأبكت :

لم أمر عليه بصد ذلك ، بالمنظف السحري .

ما هو المنظف السحري ؟

أجابت هورلي بنظرات خاطفة وأنفاس متلاحقة بفيل التوتر والانفجار «المنظف السحري» هو منظف معجزة يطن عنه جرلي كارسون في برنامج «استعراض الليلة» في التلفزيون .

قالت إلفستون :

أرى أنك مجتونة حسن سوف أرسل هذه الكتبة لتغطي بقماف في لون القهوة طبعا ليس لدى ما أفضل لحماية حاجياتي من الصميدى والأواني الزجاجية من الفوضى والدمار التي تهددها هذه الغفلة ! إن تعظم الخذف الوجود واليابس فلا بد الذي أمثلك هو ثمن صديق يدفع لتجديدك الثقافي خلال الشهور القلائل الباقية ، إذا كانت ستة شهور قليلة ! لا أستطيع أن أرى المستقبل ، ولكن لم يكن هذا المكان مجزأ في ....

لماذا لا تضمنين خرقه اللعين وبفيلاندك اللعين في السخرن ، من يريد أو يحنك إلى أشياكك اللينة ...

قالت إلفستون وفي صوتها نغمة تحذير :

هورلي .

فأجابت هورلي بمقاطع لفظية داصرة اعتادت استخدامها في كلامها في الفترة الأخيرة .

يا هورلي ، يا إلفستون ، ولكني أحس ذلك قرأنا تقسم شقة صغيرة حيث تعش الأثاث القمصنة لأشركم معظم المكان ، الأثاث القمصنة مثل خرقه الزنود وكريستال وفستيك وعليها شعار أمك ، كل شيء بعض أمك أو أم أمك موجود هنا حتى إنني أحس كمن يحس أرضا بغير بحق في خريجة أسركم ، وآه يا هورلي من رؤسوك الكتب ! تصورني ارتباكيا حين يقوم أساندة الأدب والفسفة بنقص الكتب الموجودة فوق هذه الأرفف ولا يرون غير هذه الكومة من كتب علم الأنساب وسيظنون أنني أنا التي أخفرتها لقسامة : «أبرز عائلات الجلوب» ، المجلد الأول ، «أبرز عائلات الجلوب» ، المجلد الثاني ، كتب من الدرع ترتفع حتى السقف وتقل حتى سجادك الأوسن رافيا رافيا .

هورلي . أعتقد أنك تعرفين أنني مستشارة «محترفة في علم الأنساب ويجب أن يكون لدى مراجعي وأن أحمل في هذه الخرقه !

ش ، كنت أظن أنك حفظتها في عفاك طرا هذا الزفت ! من هو «الحافظ» دنویدی ، الطرقي التائه .... وأى قبيلة سلخت رأس الأتمة إلفستون ، ومن هي عائلة ....

# يوم سعيد من أيام أغسطس

- هورني ! ليس هناك مايشين في تاريخ  
الأسر للعرقه !

- حسن ، إن تاريخ أسرتك يا إلفستون ،  
وشعارات أسرتك قد جعلوا هذه الشقة مكانا  
يحتضن النفاق عنه ولا أستطيع الميخ فيه !  
إني ذاهبة للمحجز في فندق شيلزلي لملطة  
لهاية الأسبوع وسوف ترافين فيما بعد أين  
لكنني لتسوية حساباتنا رديف تعريض لي عن  
نصف الإيجار الذي دفعته في هذا الحرم  
القدس حرم إلفستون !

خبطت هورني باب غرفة النوم الكبيرة  
وحين أصاغت لإلفستون السمع سمعت  
رفيقها المعجبة تهرلك في الغرفة وهي جد  
مشغولة . كان لمة حركة دالبة عدة دقائق أو  
نحو ذلك وفيل أن تتركها هورني محررتها ،  
قامت إلفستون عن الكبة وذهبت إلى غرفة  
النوم الكبيرة لتستطلع الأسر ، اكتشفت  
إلفستون أن هورني قد جمعت بعض  
الماجبات في حقيبة جلدية وكسرت السوسنة  
التي تغلفها ، وارتكت أدوات التلوينات خارج  
الحقيبة ، حتى فرشاء الأسنان ، وهكذا تأكدت  
إلفستون أن هذه الحقيبة ليست إلا واحدة من  
حركات هورني الطولية .

في ظهر يوم الماشر من أغسطس اتصلت  
إلفستون بتليفونيا بقسم الأبحاث في السجلة  
القمية لتسجل الأحداث الاجتماعية حيث  
تعمل هورني وجاءت هورني على السماعه .  
كان الصرنا ملغمين بالغمز وخائفين  
حتى إن كلا منهما كانت تطلب من الأخرى  
أن تكرر بعض الكلمات التي قبلت في  
المحادثة التليفونية بينهما . كانت المحادثة  
رقيقة ومهذبة كان الموضوع الوحيد الذي  
أثار الخلاف بينهما في هذه المحادثة  
موضوع حقن شلل الأطفال . قالت إلفستون  
يعازريتي إذا كان هذا الموضوع بريعه  
فسرف أذهب لأخذ حقنة شلل الأطفال ، وإن

سمعت قصور وبدأ للتأثير في صوت هورني  
وهي ترد على رفيقها .

- تعريين يعازريتي الرعب الذي أحسه  
تجاه شلل الأطفال منذ أن هاجم ابن صمي  
إلني الذي مازال أسير الرقة الحديدية ، ولا  
تظهر إلا رأسه ، مثل رأس ميت ، يعازريتي ،  
وعيداه الزرقارون آه وإللهي حين أنظر فيهما  
وهو يحارل أن ييمس لي ، آه وإللهي من تلك  
الظنرة !

عند هذه النقطة بدأت كل منهما في  
البكاء وجاهدت كل منهما لكي تغمم بكلمة  
«دعاه» ..

ولكن في الساعة الرابعة من ظهر ذلك  
اليوم الحار من أغسطس كان شمة تفيوير  
مفاجئ في مزاج إلفستون . ولما كانت على  
موعد مع محلها للشمي فقد روت له بدقة  
عجوبة تفاصيل المحادثة التي دارت مع  
هورني في الصباح .

سألها المحلل بحزن .. متى تتعطين ..  
حين ينتهي الأمر ؟

لهض من كرسبه خلف الكبة التي  
تمددت فوقها إلفستون مسكة يديها متدبل  
كلكن لتسبح أنلها ، كاد يدهي الجلسة بعد  
خمس وعشرين دقيقة فقط ، وبذلك يركن قد  
غش إلفستون وسرق نصف ما دفعته للجلسة .

بحركة تكبير الفوط فتح الباب لإلفستون  
لكي تخرج . خرجت إلى الشارع وهي تكي  
في هذا التقط . قالت لنفسها «لا شيء ، لا شيء»  
كانت تحي أنه ليس لديها شيء تقطه ولكنها  
حين ذهبت إلى البيت شكلتها روح عذرائية  
دخلت حجرة النوم الكبيرة وجمعت باقي  
حاجيات هورني بدقة شديدة ، وبسرعة شديدة  
وضعت الربطات الأربع عند باب الغرفة ثم  
ذهبت إلى غرفتها وملأت حقيبة بالماجبات  
التي تازم عللة نهاية الأسبوع ، ثم ذهبت إلى  
محطة جراند سنترال لحاخذ القطار إلى  
لشادوجلاذ حيث قررت البقاء هناك حتى  
تتخذ هورني الخطوة الأساسية وتخلي للشقة  
بلامشاكل .

\*\*\*

حين وصلت إلفستون إلى أمها وجنتها  
تعالتي مرة أخرى من أزمة الربو ومعها  
المرمرضة . لم تستطع أن تروى أي شيء  
تواجهها فيما عدا ذلك التفكير المخجل عن

وصية أمها الأخيرة . هل تنهب الأملاك كلها  
إلى الأخت المتزوجة وأطفالها الثلاثة أم تحدل  
ماما وتتركه أن إلفستون هي التي تستحق  
فعل الدعم المالي في السنوات القادمة أم هل  
تذهب هذه الأملاك (أره يا إلهي) إلى كنيسة  
المعرفة ، وشباطها التبشيري في نيوزيلاند ،  
وهي محل اهتمام ماما في سنواتها الأخيرة .  
كانت إلفستون تعاني من هذا الهم الكبير ،  
وحين غقت أزمة ماما وخرجت من السرير  
وبدأت تتحدث عن عقيدة كنيسة المعرفة مرة  
أخرى ، استراحت إلفستون وقالت لأنها فجأة  
إنه من الأحسن لها ، أي للفتون ، أن تعود  
إلى نيويورك حيث إنها تركت الشقة دون أن  
تخبر هورني ، وهو أمر لا يصح أن تقطع مع  
فناة عصبية مثل هورني .

قالت الأم شاكبة :

أنا لأفهم هذه الأمور التي لا تنتهي مع  
هورني ، هورني ، بحق الشيطان سامي  
هورني ؟ لا أسمع منك شيئا سوى هورني  
طيلة عشر سنوات ، أليس لهورني هذه اسم  
مسيحية تاذليج به ، أره يا إلهي ، لمة شيء  
غريب فيها ، طالما فكرت في ذلك . ماذا  
يعني ذلك ؟ لا أدري ماذا أفعل !

- أره ماما ، ليس هناك ما تحبيلينه . إننا  
امرأتان غير متزوجتين ، حاملتان ، ونحاطب  
بعصدا باسم الأسرة . هذا تقليد بين النساء  
العائلات في مانهاتن ، هذا كل شيء  
ياأمي...

- أره ... لا أعرف ...

وسددت الأم نظره إلى إلفستون ولكنها  
حولت الكلام عن موضوع هورني وطلبت  
من المرمرضة مساعدتها للجلوس على  
«التقريه» .

ثم دخلت الأم أزمة ربو أخرى خطيرة  
وأصبحت الآن على وشك الفرج منها بعد  
الإسعافات وقدمت لها إلفستون سدوتش  
جبهة ما كانت قد أعنته لشاء .

ثم تحصنت الأم أكثر واطمأنت حين  
سرف الطبيب المرمرضة .

«لا بد أن الطبيب يرى الذي حدثت» .

فكانت إلفستون : نعم يا ماما كان وجهه  
أزرق حين جئت إلى هنا والآن يعود إلى  
لونه الطبيعي .

.. أزرق ؟

- نعم يا ماما ، أرجواى - إنها حالة  
وسميتها سيانوس .  
- أوه يا إلهى ، سيا ماذا تسميتها ؟

ولما لاحظت الفلستون أن استخدام هذه  
المصطلحات الطبية يتعب الأم مرة أخرى  
أخذت تغير الموضوع وتحدث عن الربوب  
الذى ترتديها أمها ، وأن لون وجهها قد تحسن  
وتكرت ماما أنها أهدت إليها هذا الربوب مع  
زوجين من الجوارب المشغولة وغطاء صرف  
مشغول لزجاجة الماء الساخن بمناسبة عيد  
ميلاد ماما الخامس والعاشر .

بعد فترة صمت قصيرة لم تستطع  
الفلستون أن تكتم الكلام الذى يدور فى  
رأسها فقالت لماما إن أهدتها الأخرى ،  
المنزوجة فويلت تهاملت ماما عيد ميلادها  
(الأم) ، وكذلك الأطفال (تجاهلوا هذا المولد) ،  
تفارى ، وكلم ، وأبرووس ..

ولكن ماما لم تكن متعبه فقد بدأ مفعل  
السكن ويظهر الآن وبدأ صرخها يرتفع ويهبط  
بهدهر مما ذكر الفلستون بصركه المحيط فى  
أعقاب إصنار استراى عثيف .

«فريب أن تظل تقايم مسير بلاك»  
هكذا قالت الفلستون لنفسها (ومستريلاك  
- أى السيد الأسود - هو الاسم الخاص الذى  
تطلقه الفلستون على حامد الأرواح) .

- لاسى ، هل جاءه الحماى لزيارة  
ماما ؟

كانت مديرة البيت المجهز قد أصدت  
بعض الشراب من الثروب الساخن لالفلستون  
وأعطتها مواعيد قطارات الصباح إلى  
مناهاين .

أحسست الفلستون ، وهى تلمس  
الشراب بثقة فى مديرة البيت المجهز التى  
توافق ماما . لقد ظنت فى بعض الأوقات أن  
لدى لاسى نوايا خفية للبناء بعد ماما بهذا  
تتال حصن من أملاك ماما ، بيد أنه الآن ،  
هذه الليلة ، بات واضحا لالفلستون أن المديرة  
المجهز تسمه الباطن وأن تصيل لثرى وفاة ماما  
- إنها مصابة بداء الربر أيضا ، وكذلك بالتهايب  
الفاصلين الرومانىزمى مع تريبسات الكالسيوم  
على الصود للفلارى حتى إنها تصير متحمية ،  
الحق أن حالتها المرضية صدمت الفلستون  
إذا إنها أسرا من حالة ماما رغم أنها ، لاسى ،  
مازالت تعمل وتحرك بأمراسها ، متشبثة

هذا التثبث الحيوانى بالوجود ، وهو مالم تكن  
الفلستون تحترمه لافى ماما ولا فى المديرة  
المجهز - لا تستطيع أن تصمد إلى الأبد  
وهكذا مهست الفلستون بصوت نصف  
مموع .

تساءلت للمديرة :

- ماذا يا آنسة ؟

قالت إن ماما مازالت تسيطر عليها  
كنيسة الصعرة رغم أن هذه الكنيسة لم تفرج  
من نيوزلاند حيث تأسست قبل ستة من  
خلاص ماما حين زارت أوكلاند مع بابا بعد  
فشلها فى التهرؤن إثر نزع اسمه من سجل  
رجال الأعمال لثقلته عن النفع عام ١٩١٢ .

- ماذا ؟

- تاكسى ! لطلبى ! تاكسى !

- لوه ..

- نعم ، لقد قررت ألا أنتظر قطار الصباح  
إلى مانهانن بل الصودة الآن فى تاكسى  
سيكون مكافئا ولكنه ...

لم تكمل الجملة التى لو اكتملتها حول  
قرارها بأن تلتحقى هورنى وسط هربتها مع  
أصداها من (جامعة نيويورك) وكانت تفكر  
بالتأت فى الملاحظة التى سترجوها لأستاذ  
للغسة ذى للوحة .

سوف تصاله ، لأسباب شخصية بحة ، هل  
أنت من أنصار تدمير المرأة ؟

مرت ابتسامة بطولية على وجهها وهى  
تهبط السلم إلى المقاصة الأرضية فى المقر  
الصغرى لماما .

هممم ..

أصمت بالازدياح لهذه اللعنة البارعة  
حين نست دولارا ورقسبا فى يد لاسى  
المروقة وهى تغادر البيت .  
كان للتاكسى أمام البيت .

وحين قال لها (السائق) ، إن الأجرة إلى  
مانهانن ستكون حوالى ثمانين دولارا ،  
طردت الفلستون السائق بغضب ، ولكنها  
استدعته مرة أخرى بصوت كالرعد قبل أن  
يجه إلى الطريق الرئيسى ..

فقد فكرت الفلستون أن ثمانين دولارا أقل  
من نصف تكاليف جليستين عدد تكسور  
شوايبر وكانت تشك كثيرا أن يبعثها الصغير  
فى مانهانن سيظهر إلى الأبد من الأمور

الشيطنانية للزعجة التى يقوم بها أصدقاء  
هورنى كما أن ...

«نم ، ستخبر هورنى فى وجهى كطلن  
شقى ، ولكننا سنرى ،

حين دلفت الفلستون إلى الشقة فى  
الشارع الحادى والصينى فى مانهانن ،  
وجهت بمشهد يختلف تماما عما توقعته  
طوال الطريق ، لم تكن ثمة أى عريضة ، ولا  
أى علامة على الفوضى فى مؤسسة هورنى  
- الفلستون .

هورنى ؟ أين هى ؟ أه ، هذا !

كانت هورنى نائمة وهى جالسة على  
الكنبة . كانت تواجه الصندوق الأبله  
(التليفزيون) وكان لا يزال مضاهى بعد  
التدهاء «استحراس الليلة» بل و «أفلام آخر  
السهرة» لم تكن الشاشة سوى حفلة بلهاء من  
الضوء بها نقط سرباء ، وكانت أشبه بفيلم  
سالب لعاصفة ثلجية فى منطقة مهجورة  
مصحوبا بصوت زئير خافت . لماذا يا إلهى  
تعب هذه الشاشة المليبات الشعرية واللا  
شعورية التى دارت فى رأس الفلستون طوال  
رحلة العودة بالتاكسى ؟ .. بايسوع . تأملت  
الفلستون جسد هورنى المضطرب المتكعب وهى  
تلمسه على الكنبة . كان غليظ هورنى  
الدهاق مخلط بمهيمتها . وأمامها ، على  
مائدة الكوكيل الصغيرة ، نصف زجاجة من  
الويسكى ، «جاك دانييل» بلاك لابل ، وكأس  
واحدة . من الواضح أن هورنى قد سكوت  
لتمام أمام هذا الصندوق الأبله وحيدة تماما ،  
تماما ..

كانت الفلستون أمام لغز .

راجعت جهار تسجيل المكالمات  
التليفونية بحثا عن الرسائل التى وردت لها  
ولهورنى أيضا .

كانت الرسالة الوحيدة التى تلقنها  
(الفلستون) من أحد خريجي كلية سانت  
لورنس ويحدث عن موعد غدا . وكانت  
الرسالة الوحيدة لهورنى أكثر إثارة . كانت  
تقول ، فى إيجاز صمد الفلستون كفى مهين  
: «آسف ، لا يوجد عمل ، ساندى كويسو .  
(كان الاسم لذلك الرجل أستاذ الفلسفة ذى  
للحبة من رفاق هورنى) .

أحسست الفلستون بالعاطف مع هذه  
الفئة المتخيلة المهومة للقاء على الكنبة ،

# يوم سميد من أيام أغسطس

أجست بالتحاطف يتمنى إلى قلبها دافئا،  
هاندا، مثل تأثير الذبيذ. اطفأت جهاز  
التليفزيون، هذا الفيلم السالب للعاصفة الثلجية  
التيالية في منطقة نائية، فخر للظلام الحجرة  
ورن السمست، فيها هذا شهيق هورلى  
وهممتها وأحياناً صوت الهدهاء الدائم، التي  
لا تزال في قصرها الصيفى فى الشرفة.

قالت للفستون آء، لقد مر من العاشر من  
أغسطس، هذا شئ ...

ثم فطت شيئا غريبا، شيئا سوف ترتبك  
حين تتذكره، وسوف تخبر به شرايبر يوم  
الاثنين أملا فى التنبصر بمعناه العميق الذى  
لا بد أن يحمله. لقد جئت على ركبتها أمام  
الكنبة وضغطت برقق بخدما على ركبة  
هورلى البارزة وأحاطت بذراعها ساقى  
هورلى الحبيبتين. فى هذا الوضع رأيت  
الشهد الجانبى للمدينة يزحف نحو الصباح  
بنفور غير مفهوم يا إلهى لقد أسابت هورلى  
بتحليتها على هذه الأبنية المجردة للضخمة  
التي تلتشر على طول المدينة وعرضها،

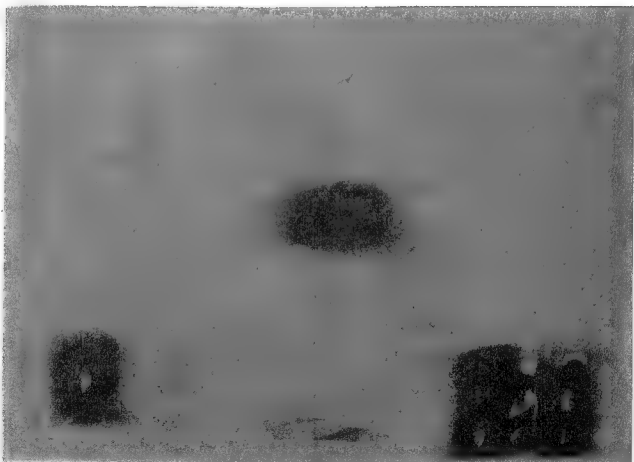
كانت فعلا أشبه بمجموعة من شواهد القبور  
المظلمة فى مدينة للموتى.

كان ضوء الصباح غير مبال بالمدينة،  
وكان يزحف داخلها وحولها محملا بأكراهية  
غير مفهومة. كانت المدينة، وكان الصباح،  
بمائق كل منهما الآخر كما لو أنهما مؤجران  
لأداء مشهد تمثيلى عن الحب الدافئ، ولكنه  
بغض لكليهما.

همست للفستون إلى ركبة هورلى  
بصوت كله مواساة:

«يوم سميد، الحادى عشر من أغسطس،  
وبعد غد، لا، غدا، يوم الاثنين، سوف تبدأ  
فى أخذ حقن شلل الأطفال رغم غزاعها  
الطفرلى من وخز الإبرة.»





# قبل شتاءات باردة

## عبد المنعم رمضان

سأدخل الغرفة

سوف أحمس بالسقف والجدران

أفتح الشباك كي يظل البحر في مكانه

وكي يظل الساحل البعيد

والبيوت

والأشجار

في مكانها

تفصل بين جلد الماء والسماء

قارب مستوحش يمر قرب فجوة

والتركواز غارق في نفسه

في نفسه

كأنه مسافر للتو

أو كأنه عجيبة أعداها لله ولم تزل ساخنة

أجهز الكرسي

ظهره للحائط الذي يواجه الشباك

ليس يصلح الكرسي

استرحه

أجلس فوق الأرض

في المكان نفسه الذي أصدقته من قبل

للكرسي

كان خشب الأرضية اللامع

كان الحائط الذي يسندني

وكانت العنان

أرختهما

أرضيت كل حاجتي إلى سوى

خير أنني سمعت صوت الباب

قلت: إنه تدافع الهواء نحو البحر

إنه احتباسه

سمعت بعده احتكاك نعلين خفيفين

يكاد يشبه الفحيح

قلت: ربما هما حذاءها الأبيض

بعدها بست خطوات

بسع خطوات

ظننت أن الشرقة التي أمام البحر



## الشعر

أصبحت ملونة

هل كان لابد وأن أظل هكذا

سأفتح العيدين

سوف أكفي

هل كان لابد وأن أظل هكذا

رأيت فيما قد يرى للذاتكم

دابة

تغير فوق جسدي

لقلت: إنني أعرفها

إحدى دواب الوقت

خلفها رأيت بهجة نفر

قلت: إنني أعرفها

وخلفها رأيته

كأنني مستوحشٌ يجلس فوق رأسه

أمامه

عجيزة

تظنها آخر حدٍّ من حدود الجوع

تحتها ساقان تشرعان في اقتطافٍ لذتیهما

وتمرحان

كان خشب الأرضية اللامع

كان الحائط الذي يسندني

وكانت العيان

كنت أنترى ألا أضيعَ

كنت أنترى أن أسأل الله الذي يسبقني

وأن ألومه:

يارب ماذا

هل إذا صنعتني من طينةٍ

وهل إذا ملأته بالحفرِ

انسدلتَ فوق غيمتي

تركنتني أصل في الطريق

أحصى دمي

حتى إذا أرضيت كل حاجتي إلى سراي

جلتني بشرقةٍ

أمامها الساحل والبحرُ

وخلفها الفستان والساقان والعجيزة التي

سألته كأنني خصمان: ما علامتك؟

علامتي يارب أنني

أمشي وراء هذا الجسد المسموح أن أشمه

أخذ منه لقمة الإفطار في الإفطارِ

لقمة العشاء في العشاءِ

أكتفي به

سألته كأننا خصمان: ما علامتك؟

علامتي هي الذي تزيدني مني ولا أريده

سألته كأننا خصمان: ما؟

علامتي هي الخضوعُ،

سوف أدخل الغرفة

سوف أفتح للشباك كي يظل الساحل البعيدُ

والبيوت

والأعجاز

في مكانها

تفصل بيت الله عن بيوت شعبه

تفصل بين الله عن

أمرائي أن أنزل النعمة

أن أقودها

وإن أدس طرفها

لكي يكون في التجويف بين الأرضي

والهذاء الأبيض الخفيف

كي يكون قرب الشرفة التي أمام البحر

كانت الساقان تشرعان

كانت اليد التي تعدل الشعر

ثم أن تعدل اللعناء

كان ذلك التماش فرق جسمها

وكان لونه

لكذلك احتملتني

وقلت لي:

لا بد أن تكون خارج المشهد

ثم بعدها انصرفت. ■





لوحة للفنان : منير كتمان

## الإبداع الفني استثمار قومي مستقبلي

### مصطفى الرزawi

التنمية البشرية وما يترتب عليها من تحضر واستدامة وازدهار ومرونة وملاقاة وأصاله.

إن الاستثمار القومي في الأنشطة الإبداعية يساعد على توليد مهنيين وباعة وأصحاب قرار وخبراء في مختلف المجالات وتسلحون بتلك الصفات المهمة فيمارسون مسؤولياتهم بصورة أفضل سواء كانوا من هوة الفن أو محبيه أو لم يكونوا كذلك.

كما أن رعاية الفنانين الطليعيين الذين يعانون من صعوبة للتواصل مع الجماهير لغرض أعمالهم ذات الطابع التجريبي - لمسؤولية قومية مهمة حتى لا تفرغهم مسؤوليات تفرير الميثاق من ناحية، أو يجذروا أنفسهم مدفوعين إلى التنازل عن طموحهم الإبداعي لصالح الاقتراب من آليات السوق

مخفية من الوعي والفخيرة، ونوعية غير متأهبة لفتح آفاق الحوار.

ومن ناحية أخرى، فإن النشاط الإبداعي يمثل استثماراً قيمياً له أهميته من حيث خلق مناخ للإبداع والحوار الإبداعي بين الناس بغض النظر عن اهتماماتهم بالنم من عدمه... فالتشعوب التي تطوّر بقيمة الإبداع والمبدعين، وتعي جيداً قيمة ذلك في التفكير الإنساني لثقافة المواطن، وانعكاساته على شخصيته وإنتاجه في أي مجال - شعوب طموحة تتقدم وتخطط لمستقبل حضاري لا يعرف التراكيل والغمول.

ذلك يوضح أهمية الاستثمار القومي للنشاط الإبداعي للفنانين في جميع المجالات فهو ليس استثماراً نوعياً - كما يظن البعض - بل هو استثمار قومي يمس كل قطاعات

**ف**النشاط الإبداعي للفنانين استثمار قومي من النوع الثقيل، بمعنى أن عائدته فيما وراء المنتج الفني، فالرسام والمصور والنحات والشاعر والموسيقي والأديب ينتج أعمالاً مبتكرة تأخذ وقتاً طويلاً ليقتبلها الجمهور... مروراً بالمحبوب والرفض حتى يتأهّب الذوق العام والثقافة المتطورة لتقبل هذه الثمرات المتجددة، ومن ثم يصبح على الفنانين مواصلة إيقاعهم التجريدي المتواصل ويصبح على الجماهير متابعتهم وتكيف أنفسهم للمصالحة مع هذا الجديد.

لذلك فإن أعمال الفنانين الطليعيين تخاطب الجماهير على مستويات من الثقيل مختلفة، نوعية متخصصة تتعامل على مستوى الذوق والتفقد والحوار المتكافئ مع الفنان، وهناك نوعية تتعامل بمستويات



نوحة للفنان : فوزيية عشم الله

الدفع الديناميكي للششاط الثقافي للمجس  
الأعلى للثقافة .

وبين ثنائي السبعينات وثنائي التسعينات  
هناك ولا شك علامات مميّزة ولكنها لم  
تستطع أن تتسم منظومة تتفاعل فيها العوامل  
المتحركة للمشروع، ومنهم روحية القلوب  
للشاعرة، ويوسف الشاروني: إذ ركّز  
التفرغ كمشروع وصارت سمعته أنه بمثابة  
نشاط إيلواري خيري لأفراد من فنانين وكتاب  
وباحثين لا يربطهم هدف ولا فلسفة ولا

وقد ولد مشروع التفرغ مثله مثل عديد  
من المشاريع الثقافية الملموحة - عملاقاً ثم  
خمدت طاقته وهزلت قيمته إلى أن عارض  
رعايته شخصان رئيسيان عكفا على بعده  
وشحبه بطاقة جديدة تواكب المتغيرات  
المحيوية على الساحة الثقافية المصرية  
للمعاصرة هما فاروق حسني وزير الثقافة  
للمعاصرة، والدكتور جابر عصفور رجل  
الثقافة والفكر والمحرك لآليات التوزيع في

الراهنه من ناحية أخرى، ويكون في ذلك  
خسارة كبيرة في البداية المستقبلية للأمة .

### جيلان من رعاة الإبداع

يرتبط مشروع التفرغ في أذهان الفنانين  
التشكيليين بشخصيتين رئيسيتين هما الدكتور  
ثروت عكاشة الوزير للتوزيع للثورة بوليو،  
والفيلسوف العلامة المعلم الفنان حامد سعيد  
الذي كان أول مدير للتفرغ منذ نشأته  
عام ١٩٦٠ .



تمت للفنان : وقائي رفعت



الفنان : محيي الدين حسين أمام أحد أعماله الحديثة

وعايدة عبد الكريم وهذالت كمال وأطباء ومسلقين منظوعي المشارب والاهتمامات، وكانت هناك نقاشات أخرى حول أعمال المنفرخين الإبداعية في مرسومهم أو في قصر المانسترلي على رأس جزيرة الروضة في الصالات ذات الطابع الطماني وفي الشرفة المطلة على منظر فريد من اللقاء فرعيّ النيل عند مدخل المعادى - عالم مشع - متناقي - ومناخ إبداعى حق.

وامتد صروح الجماعة إلى رحلات في جنوب الوادى الأحمر وأسوان والراحات للوقوف على السلامح الأبدية وعلى اللقاء البيلة الطبيعية بالبيئة المصنوعة وعلى العرف والأزياء والزخارف والطرز المعمارية وكان للوية إيان تأهبها للفرق موقع محورى في اهتمامات المجموعة وعبر البحار طوفت المجموعة في رحلات ثقافية وغنية في أوروبا لتفقد المتاحف والآثار ويعرض أعمالهم من أن لأخر من الأحداث المهمة في تاريخ التفرد بدوره في انتشال المراهب المقموعة

المواقف السائدة والاجتماعية التي تميزت طريقهم وتعد من إنتاجهم الإبداعى، وفق برنامج حافل أعده حامد سعيد شمل لقاءات دورية للمواقع والصروح للتراثية المصرية القديمة - القبطية الإسلامية بصورة دورية متروصلة وكانت اللقاءات المهمة تشتمل الفنانين بالوعى والثقافة والخيال وتدريبهم على التأمل للجمال والندافة النشطة والمخزان المعنى من وراء معيار القيمة، وجذور الثقافة الفنية المصرية وعلاقة الفن بالحياة - المجتمع والمقيدة والتروافع التصويرية والتشدية والإبداعية والتحويلات الأسلوبية فى السياق التاريخي للشخصية المصرية.

وكانت حلقات الدرس والنظمذ على يد المعلم حامد سعيد فى المواقع التراثية، مضياقة يلتقى فيها مع المنفرخين الفنانين ومحيي للفنون فامتدت أشعتها لوتور في دوائر أوسع من فنانين ولجباء مهمين أمثال يحيى حقي ومفكرين أمثال بدر الدين أبو غازي وأساذة تون كعبد الغنى الشال

سياسة ولا طموح فصار لوقت قريب برنامجا شكليا لا تجنى الدرية منه إلا الأرقام الإحصائية التي تزين بصورة شكلية التقارير السنوية لوزارة الثقافة.

وفي سنوات الازدهار الأولى تألق الفنانون جاذبية سرى وتصبه حلهم ورمسيس يونان وفؤاد كامل وعبد الوهاب مرسى وإنجي أفلاطون ومصطفى أحمد ريويسف رأفت رياتب صادق ومحمد جريس وأدم حنين وأحمد عبد الوهاب ركمال خليفة ومحيي الدين حسين وناجي كامل وعبد الحميد الداخلى وعبد الفتاح عيد ومحمود موسى ومحمد مبرى ورفعت أحمد ونبل الحسيني ومحيي الدين طاهر وجمال محمود وعبد البديع عبدالحى.

فى تلك الأونة قدمت منظومة التفرد فرضا حقيقة لرعاية مرابط، وممكن فنانين معارضين من الإنتاج والإبداع بعيدا عن



لوحة للفنان عصمت دلوشاني

### جورج البهجوري:

فنان تمكن من الصمود أمام تيارات الرسم التجاري والكاركاتيري والتكليفات والنوران مع تروس الطباعة الطاغية التي لا تهدأ أو لا تتوقف.

تلك التيارات التي جرفت عشرات الفنانين الموهوبين خارج نطاق الإبداع التشكيلي المطلق والمنزه عن أية قواعده تعد من حريته. إن تمتع جورج البهجوري بمساحة واسعة من الثقافة وقدرته المبهجة على الحفاظ على طفرته، أدت إلى أن يكتب بعداً إنسانياً في أعماله، فقد عبر عن أطفال الحواري وسببية الورش والناس المتعادين غير أنه قد أسقط عليهم غلالات شائعة من وجوه وأطراف الأقنعات القبطية ووجوه القديم وشخص تسيب القبطاني بأثراتها الأرضية، المشبعة بالكمبود الحديد والكروم والأبيض اللبسمي، ويعطى البهجوري أولويات عراطفه وطاقته الإبداعية للإبداع التصويري بينما يوزي ما تسيب في تجويته. الكليكاتير. في أولات الأداء الألي أو ما شابه، ومدد عدة سنوات يكتب البهجوري برسمه بباريس على خروض تجربة أكاديمية بها معظم إن لم يكن جميع فنانى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والجزء الأول من القرن العشرين وفي إعادة رسم لوحات الأساتذة القدامى من عصر النهضة حتى التأثيرية وما بعدها، وفي

متميزاً في مستواه، ولكن الوقت لم يتسع حتى يكلم جمهور الفن ويتقاده وأساتذته وتلاميذه على إبداعات المتفرجين التي عرمت أيام محدودة في قاعة الهلندر بدار الأوبرا... وهذا هو المعرض الشاسى للمتفرجين بعد أن وصل النظام إلى كامل صحته وتجاوز رواسب مرحلة الركود فجاء يضم أعمال ٢٥ فناناً في مجالات التصوير واللحم والجفر الجرافيكى والنقد الفنى من بينهم علامات بارزة في الحركة الفنية المصرية كنموذج كنعان وجورج البهجوري ومحمبى الدين حسين ومحمود عبدالله وهونى هيكل ووفائى رفعت، إلى جانب فنانين مرموقين أمثال عصمت دوشاشى واسماعيل عبدالله ومصطفى عبدالوهاب وجمال عبيد الناصر أبو البريد وطارقى التومى ورايلىين عشم الله وأحمد شبحا وسناء موسى وتاجى تادرس وهشام نوار ومجموعة أخرى من الفنانين.

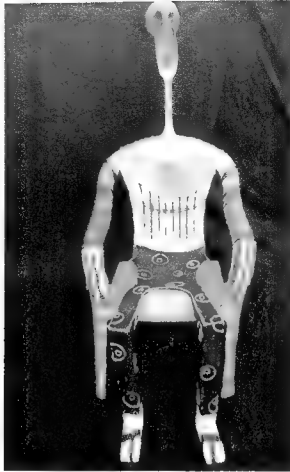
ونظراً للعدد الكبير لفنانين المتفرجين. ٢٤ فناناً وفنانة، فقد رأيت أن أختار ستة من الفنانين الراسخين من بينهم وأجرى محاولة للدخول في أعماق شخصياتهم ومواقفهم وإدعاهم لأطلع القارئ على شريحة من هذا الاستثمار المدهش لمشروع المتفرج فاخترت جورج البهجوري ونموذج كنعان، ومحمبى الدين حسين، ووفائى رفعت، وهونى هيكل ومحمود عبدالله.

ما يسوقه لويس معرض حول معاناة رمسيس يونان وتمرضه للتشرد إلى أن تنال على منحة فرصة التفرغ - للترجمة - مما أتاح له أماناً استقراً مكفًه من أن يهدد أفضل ما أبدعه من لوحات رائعة.

وقد واصل نظام التفرغ رعاية عدد من المبدعين وأعطاه فرصة لأعداد ولكن دون تلك الروح النافقة لحامد سعيد والرعاية والمتابعة الشخصية للثروت عكاشة، فأصبح مجرد فرصة لأعداد معيدة أغلبهم غير مبدعين. أصرت المشروع شريحة حوله إلى مشروع (عالة) أكثر من كونه مشروعاً دافعاً ومحرراً، كما غيمت للتوكاكية البيروقراطية على الإعلان عن المنح الجديدة، أو عن المعاصرين على التفرغ يبقى المشروع وراء غلالة غامضة حالت دون تجديد المشروع بالمناسبات الوثابة، مما أدى إلى عزوف الجادين والمتمسحين عن الاقتراب من دائرته.

وفي عام ١٩٩٤ بدأ المجلس الأعلى للثقافة في حملته التطهيرية لفلول البيروقراطية والتوكاكية إلى تسليط الضوء على المشروع القومى الذى تهالك، ولم إعداد خطة ولاحة جديدة تنص بالواقعية والطموح والموضوعية.

وفي صيف ١٩٩٥ أقدم المعرض الأول للمتفرجين وفقاً للنظام الجديد، وكان معرضاً



لوحة للفنان : جمال عبدالناصر أبو الزريد

وبسلوكه الدافع لهذا العمل يصبح ساحرا يروض للمشاهدات ليصلح هارمونية ذات مذاق خاص تلبيح بحرارة ودفء للشاعر وعشق للرعى والخبرة في آن واحد. وقد حصل الفنان الكبير على جائزة للدولة التقديرية أثناء كتابة هذا المقال، فله منا أخلص التهنئي.

#### محبي الدين حسين

عملاق آخر لعت لنفسه مساراً حمل مشقته وريخ لنفسه موقفاً رادياً في فن أو قل - كما يحب هو - في تقنية الخزف ليثبت فيها عراطله وأحاسيسه وأضماره في مجسماته ومسطحاته التي يعالجها بتقنيات الغامات الغفل والسقيلة، العارية والمولدة والمختزلة ويقسمها بالنار والدخن، آثار محبي حسين إعجاب الحركة الفنية في مصر ببحثه في فن الإناء في السدينيات، والسيميديات، ثم فجر قصداً فكرياً، مبدئية تتخطى بالفوارق الملتفة بين الفن الجميل والتطبيقي، وبين الخزف كمادة ووسيط تعبيري مثله مثل الأحبار

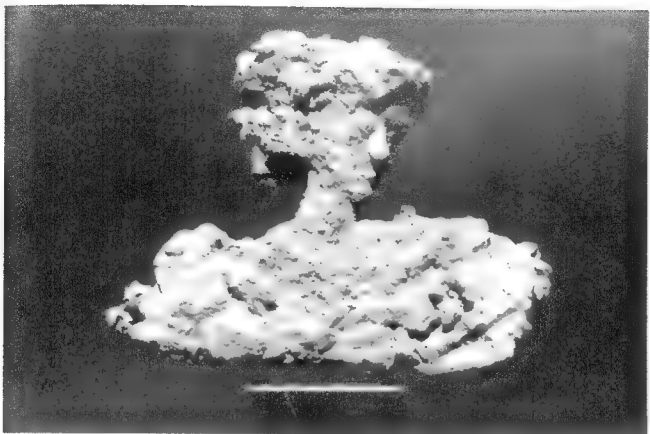
عمل تركيبات جنوبية فرضوية عضوية تصخر من كل جميل ومتقن وذو معنى، إلى أن بلور تكويناته الكلاجية التي يغكلها من قصاصات الورق المقطوعة والمنزوعة والممزقة تحتفظ ببقع سائلة من لون غلوط، كأنها هي أقطار حمضية أو من القنار السام ولوث المصافات ذات الألوان الزاهية الصافية والعلاقات المتطورة عليها بدقة واحكام جرافيكى.

أعمال منير كنعان الحديثة تتطوى على سر لايسر غوره إلا ذو عين ذائقة ووصى لافئذ - ألا وهو أن في الفوضى الظاهرة والتلقائية البادية تكمن قوة مختاطسية لامة وطاردة في آن واحد وهي تكون صورة خفية من كماليسو سكوب، توارى خلف تلك المصفاات، باد ومحجب في آن واحد، وهو بذلك يوظف طابقتين تعاند إحداها الأخرى، ويروضهما لصالح تكويناته المتسامية؛ طاقة التنظيم الرياضية مركزية الطرد والم، وطاقة الفطرة والحركة الانتحارية، بعمله هذا

الوقت نفسه كان البهجورى يبحث تهرية موازية فقد ملأ الجدار الأكبر بمزسم باريس بقطع من الورق المصنوع على شكل وجوه قبطية الطابع متشرذمة الصدود والحواف ملونة بطاقة عاطفية غامرة، يعبرنها الشاخسة المشتاقة إلى السلام والدفعة. وما هو ذا البهجورى يقدم في معرض الفنانين المتفرغين خلاصة تهرية عام من التفرغ للإبداع للفنى ممحمه إياها وزارة الثقافة المصرية.

#### منير كنعان :

فنان له موقع مركزي في حركة التمرد التشكيلي فقد اخترق مرعبات الجمال ولصة الفنان ومائلة التهموز وتخطى عن مهاراته كرسام قدير أغرق بها صفحات آخر ساعة في زمن عراققتها وزهوها، وانخرط في جماعات للتفجير الثقافي المصدام مع زميس يونان وفؤاد كامل والتلمسانى وجورج حنين وأبر خليل لطفي، ولعب بالأسلاك ونفايات الخامات والفرايبيل في



نحت للفنان : ناجي غويو تادرس

المصريين فأصبح الجناح المصري في الدورة الثانية طلبها أدهش المشاركين من الدول المختلفة برقعة مستواه، وبذلك يكسنا القول بأن بيدي الخُزف قد أثمر مفهومًا تقدميًا للفن الخُزف أخفقت كليات الفنون المختصة في وضع أسسه، وقد أسهم هذا الجهد في وضع إبداعات الخزافين المصريين على خريطة هذا الفن في العالم.

وفي هذا العرض يقدم الفنان محيي الدين حسين خلاصة تجارب متواصلة منذ بداية التسعينيات ترمي إلى استلزام الطبيعة الصافية وكذلك الحياة متداخلة في نتائج تجربته في النحت وفي الإناء في آن واحد، كما يمرض عملاً فنياً هيكلياً مركباً من عقرات للقطع. في هذا المعرض تطل النزعة التعبيرية والسجوية من أعماله ذات الطابع العموي الإنساني.

### عنوني هيكل:

فنان كرس حياته للفن نحاتاً ورساماً عميق الثقافة، وعمدة أتباعه للقاءه لسنوات عديدة عاش عدداً من الأدباء والشعراء عن

وسيط أو طريقة أداء وإنما كل ذلك مجرد مركبات لحمل أفكار وأحلام ورؤى الفنان.

وما إن مرت سنوات قليلة حتى توج محيي الدين حسين حركته التدرجية بأن أسس تدرجاً دولياً للخزف المعاصر في مصر، ومع الدجاج السالح - غير المسبوق للتدرجالي الرئيد فقد شهد إنفلاس عديد من المرتبطة أسماؤهم بالخزف في مصر وفي أكاديمياتها للتطبيقية أمام الضوء المبهل الذي كشف كلور من قصور الفهم والتصوير وفي الدورة الدولية المصاحبة للتدرجالي الأول، للمقولات الساخنة تطرح نفسها، ما هو الخزف؟ وهذا ليس خزف، إنه فن تشكيلي، وهل يجوز أن يخرج الخزف عن إطار الإناء؟ والأشياء الوظيفية؟ - جوف للتدرجالي كل هذه التساؤلات المصاحبة للمقيدة أمام قوته وصلابة مؤسسه وقويمه محيي الدين حسين - كان للتدريج للمصري في هذه المناسبة متواضعا أمام المشاركات المالية باستثناءات فائدة ولكن شرارة المواجهة في هذا التدرجالي، الذي ما لبث أن تحول لتجابهه إلى «بيدالي»، أملتت عدنان العمري للفنانين

والأنوان والمجانين واللذائين والمعدن والأحجار، وبين الخزف كمنتج نهائي في حد ذاته كما هو شائع بالخطأ، وترجمة لهذه القضايا الفلسفية على المستوى الإبداعي، تألق محيي الدين حسين في فن - البلاطة - المنحوتة البارزة الفائرة المبرزة، ذات الملامح المدققة والتقلدية، البلاطة كوحدة تكرارية، والبلاطة كجزئية في تكوين فريد، جذاريات مدمجة ذات عناصر نرائية مصفاة ومحررة زخرفية، وتجورية وفق مقتضيات التصميم والمكان الذي يحتويه العمل وفي معرض أقيم بصالة إختائون بجمع للفنون خصصه لهذه التجربة في أوج تضجها التعبيري والتشكيلي، وفي الدورة المصاحبة للمعرض، اجتمعت المناقشات الطليعية مع المحافطة التي ناقشت أهمية ومشروعية الأولويات، مثل: هل من حق الخزف أن يكون فناً؟ رسماً؟ ملوناً؟ تمبيراً؟ نحاتاً؟ إلخ... خرج المحافظون وقد قرع في أذهانهم أن محيي الدين حسين قد خان حرفه - الخزف - وانحاز إلى الفن والفنانين على حساب الخزف والخزافين، بينما أيده وحماس نقر قليل يؤمن بأن الفن وحده لا تفصله خامة أو





نحت للفنان : جورج البهري القبة حية .. تكفي مية

عريقة وجدران متهاكة تقوينا كالذكريات  
موحية، الضوء يدخل في هزم مركزة تحول  
المجرة إلى ما يشبه المسرح الميتافيزيقي،  
بمركز الضوء قدريا على قطعة من النحت أو  
بعض الأدرات التي يطرق بها أزاميله وهي  
مصسوفة كالأواني للتدلية، أو على ذراع  
الفنان وجزء من وجهه وجزء من كتفه  
للنحت التي يتعامل معها موقفة بأداة للربط  
على مضغدة العمل، أو على شظايا يقايا  
الأخشاب والأواني المبعثرة في أرضية  
الحجرة .. جو موح حقا كملاجى العرافين .

### محمود عبدالله :

شخصية أخرى متميزة ذات تكوين  
سيكولوجي وتقاليف فريد .

الفنان محمود عبدالله يتحدث  
كشخصية مسرحية حتى حين يحدث أبناء  
وأقرب أصدقاء له، لغة مثالية محسوسة، غزير  
القرارة، مدقق كالعالم الطبيعي رأسه محشو  
بالانطباعات والتصورات لتدبرات الجرافيك  
وقادتها فهو بذلك باحث .. محبلى، وهو  
كالجهاز البقيق - ملقزم محافظ بروتوكولى

تفشم - تلبور داخل رأسه ثم تخرج نفسها  
في كتل وعروق ويؤوز وفروع وشرايح  
الأخشاب .

علاقته بالأخشاب لمريضة فهو يربها  
بطريقته ويصبر عليها حتى تلتظ عصاريتها  
وتتطهر من عوامل العدوى فيوشد عودها  
وتتف فصيص متألعة لترجمة أحلامه بعدها  
بصورة شبه قطعية ويضعها أمامه بعد شام  
تأملها لشهور وربما لسنوات يتفرسها ويصلط  
عليها أشعة تفكيره قبل أن يقترب منها  
بأزاميله ومبارده ومقاطعه، وحينما يرى  
فكرته تتراكب وتتوازي مع قطعة ما - يشرح  
في إعمال أدواته لإزالة الشوائب واستيقاظه  
للجوهر . ومن ثم تأتي منحوتاته للأخشب بما  
هو غير متوقع تلتوى العروق وتتصانفر وتطل  
من فححات كاملة في أصل الكتلة، ترواق  
عصوى بين الفخل والمهذب، استيعاب  
إنساني للطاقة المصنوية والتقنين البدائي لتمر  
كلمة النخب، مع إسقاط للفكرة المستجدة التي  
يحياها . إن قضاء بعض دقائق في أتليه  
الفنان وإقائي رفعت - المعتمدة التي يدخلها  
الضوء من نافذة كبيرة تطل على عمائر

كذب، وقصفوا الحرار الساخن الغامض ،  
الغامض والفوضوى في مرسىه المزدحم  
بالكتب وبأعداد ثمانية من مجالات الستوديو  
المجلة والثقافة، الفكر المعاصر، الهلال،  
والجدران مغطاة برسوم محكمة بدرجات  
القيم الرصاص والكتل والخطايا وعبدات  
للخامات شأأ أرضية المكان، جو غامض  
ولكن دافئ وموح، أعماله تستوحى جوده  
وشخصيه وديكزل ويصادق أهل دنقل  
ويؤازره في مرعته البائس حتى يسلمه للقر،  
ويصادق مجيد طويها وعشرات آخرين من  
الشعركين والصلامين والחסاقين والبالسين  
والياسمين، وهو هو ذاته بوهيمي في أحد  
جوانبه بروتوكوليا في جانبه الآخر .. أماله  
وكبير فرصه محبلة يعيش بالكاد ليومه غير  
عابى باللذ ولذا فإن للفردخ في قلبه الجديد  
بعد حمل إنقاذ له .. يعرض جانبها من حلمه  
مشروعات لتجميل المدن الجديدة، بذور  
بقتها ولا يعرف من رمى برعاعا لتكتم .

### وقائى رفعت :

إنسان حالم معالم صامت في الأغلب  
تأملاته لا تحتاج إلى مخططات أو مسودات،



نحت بوليسر للفنان : هشام نوار ١٩٩٧

ولكن هذا الجهاز به سلك عندما يهتز يفصل عبيد الله تماماً عن العالم ويحسوه عن التزاماته بصورة تدمر إلى الضوف وتهدد الثقة. تلك المكونات الشخصية تمكن تلقائياً في مسيرته الإبداعية، فهو أحياناً كالمرحله في لمسة للزلاء لعمل مشترك كداسيس جماعة التجريبين مع مصطفى عهد المعطى، وأحياناً يغيب لسنوات طويلة عن الساحة حتى يكاد ينساه أقرب أصدقائه لومحش في «أوريينو» يعمل ويعلم ولا يعمل ولا يعلم، ويعود كالثالذ الذي وجد نواره، شوق وحلين وتذكرات ورماع تتواصل وتقطع. يدرس هنا ثم ينقطع ويدرس هناك ثم يفصل، ينكفي على حملة محمولة بين الأحماض والأحبار والتقنوية وما شابه وألواح الزنك والباد والورق السدى والعصافى الكبيرة ودورات الهواء اللطيف واللجفيف وصربير ماكينة الطبع وما تتطلبه من حركة دوار بكامل الذراعين، ونظرة المستقر لحصن اللحية، تجانس التحبير والدرجات الطيفية، حدة الخطوط والشبكات ومطابقة المستنسخات وحمل المشكلات التي تحول دين ذلك لحظياً، وأحياناً أخرى يكرر محمود

عبدالله وقته ليله ونهاره في عمل طباشي ثقافي تجارى الطابع ككتالوج ومطبوعات افتتاح دار الأوبرا الجديدة أو بهدائي القاهرة الدولي الأول، أو مهرجان القومى للمسرح، أو لخدمة شركات الإعلان تجارية وتسويقية بحنة، وأحياناً أخرى يكتب على عمل لرحلات تصويرية ذات تصميم جرافيكى محكم به أشباح من المروغية المريية - لا تقرأ ولا ملامح لها - مصورة مطروعة إلى بذله للتكريرى الخاص بمجموعات ألوان فريدة ومفاجئة مثل بحثاً عميقاً في علاقات غير مسؤولة من المجموعات اللونية ذات الدرجات الجورية إلى جانب حركة تدافع العناصر في اتجاهات متدفقة على سطح اللوحة.

إن التجارب الإبداعية لكل من عصمت داوودستاشي واسماعيل عبد الله ومصطفى عبيد الوهاب وجمال عبدالناصر وأبو النزيد، طارق الكومى، إقبالين عشم الله، أحمد شحبا، سناء موسى، ناجي تادروس، وهشام نوار ونقية مجموعة المتفرخين بالتمايز للعرض

لكل منهم في اتخاذه وسيط وأسلوب ومنهج تفكير يعكس خبراته الفنية ومكوناته الشخصية والثقافية يمكن أن تكون مجالاً لدراسات محققة واسعة يضيق بها مقام هذا البحث، وذلك بوضع مستوى الثروة القومية، ودوعية الاستثمار الثقافي في منح أولئك المبدعين مدحة التشجيع للإبداع الفنى التشكيلي، وبالنظر إلى ثراء الفروع والأصالة والجدية والعمق في هذا المعرض السدوى للفنانين المتفرخين وفقاً للنظام الجديد الطموح الذي وضعه المجلس الأعلى للثقافة، مما يؤكد موروثية للتجربة ومنهجيتها المتجددة.

إن هذا المعرض معرض مهم يقع في نهاية موسم لاهث نابض بالنشاط، وتبشير موسم جديد للبهجة التشكيلية المتحفرة بأجيالها المبدعين والمعارض والدعوات وورش العمل والمقتنيات، التي تجد في مجمع الفنون بالزمالك صدراً رحباً لمعايناتها، هذه فرصة نادرة لزوار المعرض من محبى الفنون لمشاهدة مخفارات متتفحة براسطة الفنانين المتفرخين أنفسهم، من بين محصول إبداعى لعام كامل. ■

## السحابة التي في المرأة

### جمال القصاص

بكل الطرق  
حاولت أنتكاره  
أو استعاضته

كنت آخر الطلاب في حصة الحساب  
قال لي المدرس:  
قلبك لا يقبل القسمة على اثنين.

مشيت..

لم يكن خوفي  
ولا الفرايب الغرساء  
ولا الإشارات التي تشبه النكات.

خطوة.. هنا  
أو خطوة.. هناك

كل الحسابات بلا ثمن  
لكنني - دائماً - أعرد

إلى نفس النكطة  
في نفس الكراس!

\*

سيأتون..

معظمهم بأشرطة عتيق جديدة  
وأحذية لماعة.  
وبعضهم لم تكتب لحبته الشعرية بعد.  
ومعهم من شاع في سن البلوغ.

سيطولون النظر كثيرًا

في رقائقي الإطاري  
وشفايف المخلب اللعجي

ويتركبون فينا

عن سنائر النص

وأفردة الحداثة.

وكالعامة..

سيصيحرون:

جميل

مدهش

كلُّ شيءٍ على ما يرام .

وفي آخر الأول

وحذله ..

تفرقن في شَهْدِ الملكة !

\*

المصافير التي تنام

في أطراف القميص

وهي تقبلي على عجل

أفنت لي بالسِرِّ .

لم تكن نَزَقْتُ

لم يكن لي مقارها حبيبات الندى

أو أهواد القلى

كانت تَمُتُّ أنفاسها

من شطايا منحكك !

\*

بلا خوف

ساعتاد وحشيك

وعلى الذي يَبِيعُ خلفي كلُّ صباح .

بلا خوف

سأطارِدُ عطارِكِ المجرسى

دون أن يهف ريقى

أو أسقط في الحفرة نفسها !

\*

للمسكة التي تدبيلها في الإناء

إن تهكّر للعلاقة

لنقط .. أخرجيها

سوف لتصعُ كلوب

أرحق رقيقة

أو قوس ماء .

أخرجيها .. إذن :

لأنك أدركت أنكِ بِلَسِّ الطعم .

\*

نفس الرغبة

منظّل نروغنا إلى الأبد

ولا أحد يمكن أن يكون أنا

لا أحد يمكن أن يكون أنتِ .

ليس ثمة نهاية محدّدة

لنقط .. منظّل لراقب

وللتنظر :

صرخة يمكن احتمالها

\*

الدرجة الصفر في الكتابة

تصفر في ملح الطقوس

لم يمت المؤلف..

وليس من موروّات الخطّابِ

أَنْ أقول: أحبُّك..

فلها الكلّيون قلبى

بصيفٍ عديدةٍ..

ثم إنها عقدةٌ كلاسيكيةٌ.

هكذا لو تناولنا المشاء.. الآن

لو وخرنا بهذه الإبرِ الصَّيْغَةِ صَبَّارَ الشَّرْفَةِ

هكذا لو خرجنا من ألفَةِ اللّغَةِ

إلى

ألفَةِ

القلل!

■

أخيراً..

حظيَّ السَّريُّ بجرعةٍ من النّومِ

أخيراً..

الكاسيتُ يعملُ بهمةٍ جديدةٍ.

تمهّلْ.

سامنُ وسادةٍ أخرى

وأثبتُ أوتادَ الخيمةِ

تد..هَلْ.

شاربيْنُ الصَّبَاحِ أرهقتُ ركبتيْ

والورقُ يذُرُّ..

كم ملقّةٌ من السِّلِ تكفى؟

\* هل ثمة ملقّةٌ للصِّل؟

\*

كنتَ تمرّقى فى فمك

خاصةً وأنتَ ترلّقى لأعلى البرجِ

هكذا

هكذا

هـ

كـ

ذا

شعركِ يمتدّ على ركبتيْ

وجسدهُ شَرَكِ.

\* هل ثمة شَرَكٌ فى الحبِّ؟

■

للشَّرقَةِ تَرْتُ فى عَريِّها البحرى

المسافةُ بين قلبك وحجرةِ النّومِ

هى نفسُ المسافةِ..

بين الرأسِ وبين الجسدِ.

صَحْحَكْ..

دائمًا تنكرنى برقّاصِ الساعةِ القديمةِ

سامنُ قفلاً على فمك

وأنسى المفتاحَ - كالعادةِ -

تحتِ لسانك.

\* هل ثمة طبيمة صامخة ؟!

■

أستدير من أمي مكبات السكر..

طَلَبَ العواديتِ

ومراجل الدمع.

بينكما شيء لا يرى

لكلتي أكاد أنعمسه

كلما انطفأ عود القناب!

■

الخلقة محايدة

والجسد مقل بصفاته

والثلث جامد في مائه

والبردة مرتبكة في دسائس الظل

لا مبرر لتعشير النهدين

كل هذه الأعماق الرهمية خارج العفنية.

محررة..

أنتِ صبيبة جدا

والحصى يصبح رقفا

كلما داسته قدم عارية!

■

قدح من الوجعة وثلاثة أرغفة

هل تكفى الرحلة

هل يسلح الشاعر..

تري..

في أو صبح تستحم البحيرة؟

\* هل ثمة بحيرة تستحم ؟!

\*

الكراسي جذوع امرأة

تكلو في خلق الإيقاع

ومرائي الأبيض والأسود تريكلي

لا أحب رائحتك

وهي تنزلق عبر كل هذه الأسلاك

لأنها - ببساطة شديدة - تنسى

أن الحرية مرض..

يسبب الاستشفاء منه!

\*

طائر الفخار..

يتسم في لياقة غير مسبوقه

المفتاح مطباً في كريمة الملابس

ربما في الدولاب

تحت السجادة

فوق رف البهار.

المفتاح كان ها.. هنا!

بهذوع..

تعمسى صدرك.

## الشعر

من أي نافذة يتراقب الفوط، السفائح نرأسه السر، لا أستطيع حمل هذا الهرام في جسدي، لا أستطيع حمل نفسي، سيرتد إلهنا القناع، كيف نخفي ملايحنا، كيف نجهر، شجر للناس يروق على قم الأعداء، وبشعر فوق جسدنا، هل نسمخ، إلى أي أكلوبة تنضم ويطعننا، أحمس السلاسل بلطف، لا نتقدمي بارتعاشات الطق، في أطراف الجزيرة ساكنون وحيداً، يمكنني تشم بشرتك، لا تبعدني، لن يطول الكهنة الطقوس، بعد دقيقة ستصمت الترابيس، ستغلي للأنام، ليس في السجد سوى زهد المجرى ووشاح الخراب، كيف أجلس في التبر وحدي، كيف أملك من الجهات كلها، لن أقول من أسبرج أو شهر، من هام أو بضع عام، أهلق عيوني؛ هل مازلت قادراً على الموت، هل أسمع شيئاً أبعد من ندى صرختك، لا أصدق شكري اللامع للصبح، أشك في تماريف الصبر، في مشالي الجمال، في مخاض الحديقة.

فدح من الجبة وثلاثة أرغفة.

هل بدلت الرحلة، هل بدى هنا، سأفترض أنني قد وجدت، لا تلغى في عظامك، لا تنكس السجى، المسبح النائم في شطوك، ارتعاش الفغار، مساقط الثرى.. من أي نافذة يتراقب الفوط، تحت من أهاني الرعاة، من ٣١ جزيرة العرب، من مطربة الحنار، لا حصارير في حلب الدماء، متى يفرغ الرسام من حافة الفراغ، من ذاكرة للقاتل النشوان، من لهب السجزة؟

أشعر بالفتد.

لكن هذه المرة، ساكن على ألم استبعاد، ويخول إلى ألك هنا، تحبين بالسفائح كمدنك، لسمتك راحة الخبز، هل ستمطر، أصابعك تكاد ترتجف، السحابة التي في السماء، هل من لآل أناملك في لسم، لم من شغفك تحت شجرة المماء، سوف يهيم القميص، سوف تشعل الفوط، الخطن يحاكسي، هل ضروري كل هذا الطراب.. لم يكن لبروخوس حرية حمراء، ولا لبرقالة السجدة نبت تحت إبط الطائفة، انظروني هناك، حيث لا أحد ينام في الإسكندرية، انظروني حيث الحب في، يقين الحظ، أو في سرطانك الشرفة، أو مجرد رغبة تحت الأشجار، أو صرخة لا حدود لها.

أشعر بالفتد

أشعر بالفتد.

سكون ملائمة أن نقس المسافة

بين الحديقة وبين السري

هل أسدك الترويح

لا أعرف معنى محكك للظرف

ولا كيف يزهر اللهاث.

الوطن ليس من صنع

لكلهم كتبه... هكذا

في شهادة الميلاد

رباع الحاديث لم يدلي على الفخ.

شعبي.. شعبي، من هذا سوف تتضح الخريطة، لا ملأتم، جسدك وحده يصعد، أنا العاشق لم أر نقاعة في الطبق ولا إسبرين، لم تتسع حفائر الصلصال، دولاب النص لا تصنع العشاء، كل الرموز حين تتحرك تنسيء، سوف لا أنتهي من صغيرة اللدائن، خسرت سياق السلاحف، شعبي تحجل تحت قدمي، المساعدة درج أخبئ فيه ضحكك، مرة لم يجد الفأر حيلة فابتكر المصيدة، كذلك فعل القواد، لا أريد مزيداً من الطاب، هل أحكى حكاية الحطاب، لست وأنتا من لعشة الشيفون، من لدولة التركوازي، في ساحة الشرف لم تهب العاصفة، الأعلام كانت ترفرف بخجل مريب، لم يكن في الأكوام سوى حليب الرماد.. تحطرت مرثيى للعشب، اعذريني: ولدت هكذا، أجهل حكمة المثلث الدالري، ما أفصح الأسماك وهي تقشع في أصابع الجليد، ما أفصح للغة حين لا تشر بشبابيك الطفولة، أحكم لـ «براوير الأنثى، لـ «الحاتية، لـ «الغبار، لـ «ذاكرة الوعل»، أحكم لي، للمرق الذي ينثع من بحّة المدبقة، للحبر الذي يقطر من شرر اللجام، هل مر البستاني، هل تمشجت اللمرة، لم أندع عليه، لم أستجلك، هكذا تعلمت الغناء، هكذا أرتشفك...

الآن هل ثمة رابطة أخرى، لم يعضر أحد، وحدها قابضة في الزكن، وحدها تفرع المشرد، وحدها تزمجر، وحدها تعرف ثامة الجلاء.. بعيداً عن كل هذا الزكام، بعيداً عن معامل المصحات.. في جسدينا.. في جسدينا.

لن نملطها فوق الرب، أو في عياشة الخبز، فهل ستجدنا فرصة أخيرة، هل ستكرنا، هل سبتكر شفاهاً أخرى للقل ١٢

أشعر بالقد

أشعر بالقد. ■

• من ديوان يصدر قريباً للشاعر



# نورس

## حسن فتح الباب

(كما انتفض الصفور بالله القَطْرُ)

فجأة ينتفض

ربما يرتدى معطف الموج ملحا أجاجا

بعده يختدى بحره الملح عذبا فراتا

فجأة كالغراشة محتضنا غيمة

لم تكن شرفة في الأفق

إنها سيرة الملهى

هام في بردة الفرى

يجتلى وحده الشهب

يجتلى وحده آية الجهر والشفق

فجأة ينتفض

باحثا عن مصير قرير

تحنه حافة المفقّر

لوفه ذكريات غرام قصير

وحده يحترق؟

أم تراه الغرق

فى عباب الجموع التى لا تمام؟

فجأة وقع اللوريس المستهام

باللدى والردى

القرار الأخير

وانتفض

(كما انتفض الصفور بالله القَطْرُ)

ما الذى تشهى

أيها اللوريس المشرب

لعناق الأبد؟

قبضة من زبد؟

حزمة من لهب؟

يا عصي للدموع

ليس غير الشموع

جمرة فى المنوع

أغنيات المشاء الأخير

ويقاربا وطن

فانتطق

فى خضمّ الجموع

ولحترق

فى سديم اللجوم

علها تقتبس

جذرة من روائك التي  
دمها راعف لا يجف  
فخصىء للغيوم  
ويطك الصباح الجديد  
في عيون للشجن  
لورسا مقعما بأغاني الفدا  
واللدى والردى  
أن أن تطلق  
من رماد الشتات

أن أن تحرق  
بجراح الحناء  
أيها النورين المشراب  
لعناق الأبد  
كي يحين الفد المستحيل  
ويكون المصور الجميل

[كما انتفض المصور بالله القطر] ■

الطلع مقيس من أبي صفر الهذلي أمد شعراء الصبر الأمل في بيته  
المأثور:  
ولم يسمروني لذكر الله مرة  
كما انتفض المصور بالله القطر



# قرب ضوء هارب

محمود نسيب

أنا وأنت

---

---

صنوه خليف من نهاري عابر

ينسلُ عبر الباب

قطعة رابعة تفوسان معا في المقعد الجلديّ امرأة على لارف

جريدة على الكرسيّ

شرفة قريبة، وشارع أخير

لا غير خففة التعارج اللثائيّ

وشهقة الحواس النافذة

وغبشة صنولية تموء الأعضاء

بيدما يد نشوى تدرس في الظلام المحدث

باحثة عن مطفأة

\* هل نمت ؟

٧ -

\* كيف وقد تفاوت حديثي

وجاريت غمر الطيور

أمور في التدفق إلى شهوة امرأة

.....

.....

أنا وأنت

نهاية سريحة لأشهر الصيف

ونسبان مغاجي

وغيمة على نافذة خلفية

صنوه وامرأة

وظل امرأة على السرير. ■

# النهر ، يا عمر ...

## أحمد زرزور

دون أن تكحرف على أسمرها الرُّوحى  
وهو يُقاتل «البورنو»<sup>(٤)</sup>

وابتسامات الرؤساء؟  
أم أصابع النهر التى تتفرط

بين نهود قرارب  
«تُشعل» حاملقتها

على أرسنة  
«نسر»  
«زمر»؟

يا لطا

«فاصل رسول»<sup>(٥)</sup> - أيضاً - لم يع الأسطورة  
الأسطورة ما بين «سود درويش»

وكتاكيت الملاهى  
الملاهى التى تكلعُ بكتام الصوت أثناء الاغتيال  
الاعتصاب الذى تُدشّنه البلطجة الملوّنة  
للمؤسسات

طلّيان

تتفرط نهودُ القواربِ الشراعية

بين أصابع نهر  
يُصدّقُ خُرأفته

- هل تُعال عن ذلك ثقافة ملكة الجمال؟  
أم «صالح عبد الحى»  
وهو يُسلّس قيّاده

لمزاج

«الميكروباس»؟

«الطلّيان» يتبرّاون من «مُجمّع الهموم»<sup>(٦)</sup> الذى  
يُعلن عن سحوره الرافض  
ويؤكدون أن الحق

«على أبى الهول» الذى لم يَصُنْ جَنينة  
من رمادية

الأنف

- هل يَلام فى ذلك «بَواغِ الخواتم»<sup>(٧)</sup>  
أم «ريما»<sup>(٨)</sup> التى ولّفت/

## جَدَام

هل كان مقدراً للعرق للصغير  
أن يكره ذات قمر قامري  
شكواه يَفَك الخط بصعوبة؟  
أين للحرث القصيدة الأولى / ولم

تقرأ - بعد -

«السنوي»؟

وماذا فعل صاحبها،  
واللهمة تدروشت في مقام «القباقيب»؟  
هل يرتدى الآن حجاباً  
ضد الطرقات؟  
أم يواصل للجنة الجمالية كتابةً

في

القلب؟

هل أصبح دمه - ذات صرية حلم -

إلى بياض السمكة الهاربة؟

وهل سادل فضائه الفيروزي..

عن

امرأة

السجّاز

هل فكر مرة في سر الحجاز، وماذا تخرب كبروناته

بين

شجار

المؤسسات التي تترك الفراشات الهائلة لحكومات

الظل

حكومات الظل التي تفكر في الصفقات الهولالية

على إيقاع

الأنين

الأنين الذي لا يكف عن حفر أزهار اللثة

اللثة التي لا تطرف جفن ميغولوبيا

تولى معنتها

شطر

دم

قاسد

دم قاسد تزوج عصافير تكلم الطيران

الطيران الذي تكحل بادن فرناس

ولم

يبارح

أرملته..

## ضوضاء

- لماذا تتصّف صلوات الاستغناء

هل لأن الملائكة أبلغوا بطحانهم

مفعول

الشيوخ؟

الأزواج؟

أين اختفى حزنه الطلحى/ ولم

يقراً - بعد -

«طرق الحمامة»؟

وماذا فعل بشعبه،

وصنّ الدبابير على

حاله؟

أم لأنّ الشيوخ توجّسوا بإسرافٍ

من

نهر الطّروقة؟

.. لماذا تصدّب الغاباتُ

هل لأنّ الحقّ على

شاعرٍ

يستنكرُ حجارته

أمام الصحراء؟

أم لأنّ الحقّ على

شاعرٍ

لا يخلعُ خرقته

وراء النّقاد؟ ■

● إشارات

١ - أرميف القلاع المصريّ لزمان في حقبة الانفتاح والصحوة. للباحث محمد أبو مكتوم.

٢ - إشارة إلى الشرطيّ للسيغمانيّ الفيدرلى «بباج الفرائد» لإخراج يوسف شاهين.

٣ - إشارة إلى بطاقة الشرطيّ المسكوك.

٤ - إشارة إلى شرائط الجنس الشهيرة وكذا أعلام اللطف والجريمة.

٥ - كاتب كروى حوى/ هكذا كان يسمى للنص/ انشغل في ١٣/٧/١٩٨٩ بالنص/ رابح صديق مجلة «العراق».

## فى العشق .. قصائد ثلاث

### السَّامِعُ عَبْدُ اللَّهِ

#### حواف الهواء

للمرأة التى أتت إلى حجرته فى الليل  
 بعثرت ملامحة السرير  
 وزيمته عاريا على زجاج النافذة  
 كان البخار أيضا  
 وكان جسمها العارى له روائح الضلائل الدخانية  
 شدته من دموعه  
 كأنه يعرد مرة أخرى إلى بداية الخطى  
 كأنه يشبه أشجار القري  
 يطلع مبلولا ومفتنرا  
 ورفلته حتى كاد يمس الأشياء من حوافها  
 كأنه يلقى ذرية فجأة، ويملا القلب اليوم بارتجافة اللقا  
 كأنه يلم وجدهم فى راحته وهو فى طوره  
 كأنه ينثره على نساء الذرى  
 ويسبجه بالمصباح عريها وشعرها الطويل  
 وتركة ذاهلا فى قلق الذكرى  
 ... ..  
 يبتدىء الشفيل قوله المرأ  
 ينظر للخلائق المعادة

#### لحدش

عامان للقلب .. اليتم  
 بمدهما  
 بطون الوقت صدفته ويبتدىء الهواء صغيره  
 قد تكبر السيدة الصغرى وتعلمها ملامحها سمات للصبيين  
 أكون أنا هذا  
 ويكون هذا الدرب مأخوذاً إلى نقي يضيق  
 وبعض حوالجى برد يصيد خطاى من خلل الطريق  
 ولم نبره تهباح عرى للقلب لحدش ما يتقى من غبار  
 الأرباع  
 يحدث - ربما - أن يأتي العشاق، يختصمون فى أهوالهم،  
 ويقول واحداهم : أنا نبت السؤال المستريب، تقول عاشقة: هو  
 لحدش للمقيم بدلى  
 فانفض إذن يا أيها القلب اليتم،  
 غبار ما اعتركه أقدام المشوقين الحيارى،  
 وابتنى شجراً يلقى بهزلك العالى،  
 وسبح ما استطعت تصيده فى عكروب الأرباع

يصطفى رجلاً بكامله من الحرب  
ويعريه تماماً من رصاص القصف  
ويهش الرمل عن أكتافه  
وينقى جرحه من آفة الذنوب ليبتدئ الخصام  
واحداً،  
مكتمل الصهد،  
خريفى الخطي  
حار الكلام،  
منالما فى حزنه الأبدى لا يلوى على شيء،  
وليس يرد من قدامه أحداً،  
ويعرف دربه  
وكانه  
جرب أن يمشى به فى،  
هبة العشرين عام. ■

كأله ساخط على يديه وهما تجريان الطين مرة أخرى  
يسير هادئاً منكسراً  
يكره أن تبصره الأشياء هكذا  
فيستحيض عن دموعه بفرحة الصوفى حين يمسى أعزلاً  
فى رجشة الليل المريض،  
لا يرد دمه لدمه ويحتاج الأرى  
يشمه كأن به روائح المدائن الدخانية  
كأنه يشبه أشجار القرى

\*

### زى العاشق

ما الذى يفعله العاشق لما يبلغ العشرين عام؟  
يتها الأرض ليعتلى ثم غلام  
خائف من وردة الروح ومن غسل الغرام  
يوقظ الذكرى برمتها، ويمسحها السلام

ف



# الهمزوات

## إبراهيم اليوسف

لا دم، كي أبكى مجزرة  
لا شاهدة لأرؤو إلى قبر  
لو كلام هنا أسند الجسد، لو جاش  
لو أفتح فمي، وأقول...  
صليولون نمضى إلا قليلا  
شفيحنا الزايق فى خوفه الموجز  
وغادرنا هيئة لا نلتهمى  
رتبوا الرائحة قريبي، ولذلولوا...  
سوف أدعُ هذا الحودى  
طيلة سراب  
سوف أدلُ أنساق الحلم على تخوم التحية  
وأعود...  
مفرداً، وأباعت الإبروان  
أعيد الصمى فى الزهل السيد  
ثم أسكت الحواشى فى نرقرة  
مفرد، ولا أنفرد  
لو أفتح فمي، وأقول:

لو قرية تجلج مما لنا من هواه  
لو حجل خجل  
لو مثمنة يرفعها هذا السفر المحايد  
لو للمرجأ دائماً يأتى  
لو أم لا تطفو فى منحنى ولد  
برهة من دمي، ويجلو المرء الغريب  
لأعيد الجهة إلى الأصبع مرهقة كعين  
لأعيدنى، وأفك الوثائق  
هذا المنهك... صوتى  
هذا النامض نشيدى  
هذا أنا...  
لا وشيك إلا المدخل  
لا دم، ولنا خاره جرزى تماكب الأنحاء  
انخلوا!  
أكيدى، انخلوا...  
للرد عتدى طقوس، ولا أتعب  
للرد ثم هذا

للدود حصافة لا تليق بأسرته  
للدود وطن  
للدود... هذه الفصاحة  
وأنا لا ظلُّ لي، أودب للخصار  
مفرد وأعلق الأحزان  
لو أريك الرصاص بالحكمة  
لو أخرج  
عريان من ديق  
أرجى حصرم الشهوة  
استطرد إلى الصحف العتيقة  
نادباً، ها أنا، ها الحواة، والكذبة  
الساسية  
ها امرأة، فارسها إلى الزينة  
خلفه صكره الأثير  
خلفه... قبلات  
خلفه.. هي.. امرأة مزيرة  
أبليت حكمته في حقيبه الكتفية  
واهناً تكلره، وتخون العليب  
إذ الخناجر تكب الوجع الشديد  
أسماؤها في قارعة الروح... حافية  
لا أنا باعث الأزيز في الشهوة  
ولا الصدر حزم الهواء  
ها أنا، لا دم كي أتحدث عن دمع  
لا امرأة، كي أتحدث على

لو أفتح فمي وأقول... ١١  
لو أشير ما ارتقت هامة هناك  
لو الكلام نول النمع  
لو اللمع نول العريل  
لو العريل ابن الوطن  
لنرى السيرة تغفر الدهر في.. ماله  
تأخذ بنا من الطيف اللذيذ  
لو آتى.. آه.. يا أصدقاه...!  
لو آتى يا ماه...!  
لو آتى يا جودي!  
لو هذا الشمال قليلاً يحضن المروء  
يدارى الشكل في بريقه البارد  
ويأتى  
لو عويل أعرف، لو نشيد تعرفون  
أومات لا بد من إله  
بيتنا نارنا في الكلام  
وانتحت الطواويس في أوار  
تودى رمادها في مهبط الرسالة  
لو أفتح هذا الدم  
لو أعطر الماء، وأكتفى  
بادناً بالذي يغيث  
ريما صحنكة تحمل هذا الشديد  
ريما مائدة تؤثر زردتها  
ريما للذي يؤدب الحبر ويخرج...!

لم تكن قد أكلنا نمرأ

فرشنا الرجوه في اطراد المعذنة

نلبيء إلى نشيد يجاور بورقنا

ربطنا أباطرة لنا في الخواهي

يتطفون سدره السيوف

برقاب من الديانة

تشغلهم إيماءة الحور، والخدم الفكهين

لو أفتح فمي، وأقول ..

ما أرجأنا اللغة قيد غفوة

وللمناحة صارية شهداءها

سلمنا الفاريه المطلب للحولة

لو أريكم

كم صمنا عن نكهة

سرابها تلبد... ونحن

عندها صرخنا لا بد من إله

لا بد منكم

لا بد منا

لا بد من يوم كي نكيه أطفالنا

ارتد اللبح يأكل تواريقه، ثم يغرب

في الركاب

لا بد من وطن كي نوازي ظلنا

لا بد منكم كي تنفخوا في الطين

أكيدون لو قاحت حكمة

بأناملها

رويدنا.. رويدنا نعمن قوما لنا

نبلو صحبة العديد بعض ثقوب؛

تمكثُ خضبا في طاعة الدهايز

مشورته الشخصوس

العبه ... التعب

للقر المخبأ في المتابض

كأخوة تليدين نقسم الفتوى

ثم يحرس كل هوامه وهوامه

.. هذا لنا

.. هذا لكم

هذه امرأة تعرفها منعمي، يقيدا

والمدن، إياها... المدن

تمخض الكتاب عند أسمائها رسماها

هذه اللار.. لو رأيتم.. 11 لم تكن الأديار ترطن حطمتها

أولئك نحن في موعظة للجنان، نحن

رعاف الليل، أخيريون، بأطوار الظل

تأتي المدن كي نعرف أشكالها هذا، ويثور

نأتي أوليين، لو أفتح فمي...!

لو أفتح فمي

فأنتي كيما تسرد المرأة غيمة

غيمة

ولسند الشاهق في غيظه الملكي

لم تكن إلا هكنا، ونأنتي .. / أوليون

نأنتي

نأنتي

ونأنتي... ■

# امبارج

## محمد الحسینی

### ضيوف

طريزة سفره، وجمعت الأحباب

المكتبي، جنب فراد حداد

بدأنا مداولت ماذا يكون

وجاهون بيخبط ع الباب

مرحب عمى

تليفونك مغبور

زرياب قاعد ريلعب ع العود

وبترقس

سامية جمال

طأيت ع الناس فى الشارع

ولدهت:

وطرا الصوت، عندى ضيوف

ودخلت

ملقتش ولا واحد منهم

راحوا فين؟

أتارينى كنت بارص فى مكتبنى

والشارع كان عز النوم

### شبيه

مش قادر أنسى

فى ميدان الأوبرا لما أخذنى البياض من يدي

ودخلنا محل قماش

ورانى نفسى

نفس ملامح وشى، وطولى وعرضى

أنا واقف

وده قاعد ع الكرسي

مدينا إيدينا وسلمنا

منطقش ولا كلمة

وخرجت مشيت فى الشارع

من يومها بادور على نفس اللحظة

يمكن تكبدل أرواحنا

نرجع زى ماكننا

واحد كان بيعدى بالصدفة

على واحد قاعد فى ميدان الأوبرا

رف

أوهنه، من دم ولحم  
أوهنه، بتاريخ ومشاعر  
ع الريف اللي في وشك  
أنا شابل عمر استكن  
ولدين لقصيدة  
وحروف بنهاير  
قاعد ع المكتب بكرة  
في تاريخه بيذاكر  
بيطلى في صوته، ببهاى ويشاور:  
ع الحيلة  
برواز فيه صوره لشخصى  
ريمكن نتقابل.

نخبة

بارجع للبيت  
وأحط المفتاح في الباب

ما يلقش أضرب جرس الباب

مايرنش  
أفتح إيدى  
بصوابى الخمسة  
أخبط ع الباب  
ولا باسمع صوت  
إيه اللي حصل لى  
أنا دايما باغلط فى الأرقام  
باغلط في العناوين  
ودة عادى  
غير إنى فرجعت بصوت البراد بيقوللى:  
- بابا، ده عيد ميلادى  
ومتكشاش الليلة ترجع بدرى  
وإنا كنت ساعتها جره الباب مش بره. ■

# ش ت وية

## مجدى الجابري

بعد نصّ الليل ..

على سطح بيت ف أبو زعبل .

قاعدين ست شباب ، عاملين دائرية ، حاصرين فيها ،

بأجور وعدة شاي وسجاير وجهاز تسجيل ،

بيسجل بهنذر ..

نكتهم وتريقتهم وقصايدهم وغناهم بأصراحتهم الوحشة ،

حنة من سيد درويش والشايخ إمام وفيروز ومرسيل خليفة

وفيه حدّ غريب ..

مش مكتبهين لوجوده ،

حدّ نحيف جداً .. ف رجله الشمال زكّه خفيفه ، طول القعدة عمّال يتحدجل بين الغنا والمنحك وريحت  
العرق للشتوى وصوت شفت الشاي وطريقة الصوابيع ، ويضحك بصوت مكتوم م الشباب اللي بيتحدّوه  
بالشاي والشعر والتدخين والغناء والمنحك وجهاز التسجيل .

.....

ولما عبدالفتاح شهاب سمع صوت نقر عصفرورته على قرّاز شباك المترو ، اتاخذ ودخل حصن حبيبته  
ونام .

بص له النحيف جداً وضحك . فيان بقه اللي ما فيهوش ولا سه .

دار التسجيل بمعدل أسرع .

نط الأعرج وسطينا ومدّ مخالبه خطف عبدالفتاح وطار ، وساب مكانه بقعة دم على أسفلت شارع في  
مدينة غريبة ، مدينا عيوننا هناك .. ورا العريية اللي يتاخذ تار الشايخ العري من المدرس المصرى اللي رفض  
ينجّح ابنه البليد في الامتحان .. لكن سيناه ورجعنا نكمل تسجيل القعدة .

ضحك خالد عبدالمنعم وهو نائم على الطرف.. تحت اللحاف المكممور تحتيه العميال.. وكتم رجليه وهو يبحل يأنه جه عليه الدور ونائم فعلا في النعس، غمزته بكوعى عثمان يشاركنا الضحك على النكتة التي قالها إبراهيم عبدالفتاح، قام قاعد ضحك ويأنا وراح نافس رأسه في حجره. وسرح في المهرة أم سبع ريجلين ذهب.. وإلّفه اللي هنتعمل له وهو خارج من الكون، اشتركنا معاه في الزفة، وزعنا علينا الأذوار.. ووصلناه.. ورجعنا جنب التسجيل نحتمي باللي فاضل فينا وجينا، ضحك الأعرج، فانتناظنا، بصينا لبعض وصوت عالي ومع بعض غلينا لحن السيّاس.

عمر نجم اللي ما كانش بيحب شعرى كان طيب جداً لما قلت قصيدة، طبطب على ضهرى وقاللى كلنى أول مرّة باسمعك.. ضحكك وبصيت في الأرض، فقام يحصنى.. وقعت منه الشنطة الخيش وانتمرت الكتب والأفلام والسندريتشات والقصايد وطيت ألم معاه، وإذا بالشخص الحيف جداً عمال يتخن يتخن.. لحد ما بقى حيط لحم بيلى وبينه، بصيت لإبراهيم وعصام العراقي اللي كان أغلب الوقت مشغول بواجبات المضيافة وسألتهم: إيه اللي بيحصل ده؟ حد فاهم حاجه؟ وإذا بحيط اللحم بيحول شعله نار خلطت عمر نجم من وسطينا، وسابتنا احدا الثلاثة يتنص لبعض برعب وإيدينا مكليشة في التسجيل الدابير يسجل أذان الفجر وأصوات الناس اللي رايعه تصلّى أو رايعه الشغل، كان واضح بين الأصوات صوت الأعرج وهو بيضحك.. فسكتنا التسجيل، ولمينا اللي فاضل منا، وقررنا.. بعد ما ننزل ما تجتمعش تانى في مكان واحد. ■

١٩٩٦



## لوحة كروكية لتكسية العنابات الثلاث

«إلى عزلة السعادة الصيفية.. التي تريتُ  
فينا على مهل...»  
إلى تكسية: عبد المنعم قطب حميدة،

### عماد شؤاد

(١) «تفصيل للنصف العلوي»

بالضبط؛  
بعد أربعة وسبعين عاماً، وعشرة شهور، واثنين وعشرين ليلة  
من بنائها؛  
تهدمت تكسية العناب القديمة،  
تهدمت بهدم، حين حط مالك الحزين من فوق جميزة عجز على عش اليمام.  
أوحين مر سرب ثقيل من طيور الجنة فوقها،  
ولم يرم على مصاطبها السلام.  
تهدمت... وأول ما سقط كان فرع قديم، لشجرة مجهولة السلالة،  
فرع... طرّع من طرفه القلبي الذي نخره السوس بشدة، وسقط - بالضبط -  
على بعد سنتيمتر واحد من رأس ملق للنائلة الوحيد.  
والنقل، لم يصبه الرعب، فقط... بكى بشدة من نخاعه...  
لما وجد مجموعة من أسراب الغراميات تخرج من طرفه السوس،  
الغراميات.. التي غطّاها الطحالب حتى نهايتها،  
والتي أنتجت نسلًا كبيرانيًا فريداً، عاش أسطوره المعايير - تماماً -  
جن باقي خلق الله،  
أسراب الغراميات مرت من أمامه، دون التفاتة رحيمة ليكأله،  
مرت وهي تهش فوضوية الذكريات التي عشت تحت جلد الشيف،  
وهي تشد من عريها المرهف، كي لا تسقطها أجيال العزلة فوق بكاء الطفل،  
فينفوط الطحالب متحولاً لفراشات جديدة من الشق،  
تطير - مرة أخرى - نحو قلوب... لم تذق الهوى بعد!



(٢) «تفصيل للنصف السفلى»

بالضبط؛ كانت العنابت ثلاث شجرات فقط،  
 اتخذها النمل... سكناً - تلقائية - للشغل،  
 والعاملون.. لمسامرات الميتين الجدِّ،  
 واللصوص.. للاختباء عن عيون الله،  
 الشجرات الثلاث ظللن على بعد سبعة وعشرين عاماً من رغبتهن في شربة ماء أخيرة.  
 وظللن - طول العام - يمنحن القطوف، دون موسم للراحة،  
 حتى ارتبكت عنبات القرية... واعتقدن أن في الأمر شيئاً من السحر السخيف.  
 الشجرات اللواتي صادقن - على مدى عمرهن الكامل - خمسة أجيالٍ من العائلة،  
 دون أن يمسحن عرق أصابعهن من طرف العاقيد،  
 ودون أن يفرطن - مرة - في الشكوى لله من أمثلة الفضوليين،  
 بالفعل... كن يزعجن لما تنشر يد امرأة هدم الفاتيين،  
 على حبلٍ مربوط في أعواد من المنقوفة،  
 أو لما يستمن - مصادفةً - لاثنتين من فجارى القرية ويهرسهما نورج الجلس الثليل،  
 الشجرات الثلاث... كن يسترحن في الليل فقط؛  
 فيفرطن متفاليهن المخبأة - بعناية - عن أعين الآخرين،  
 ويخرجن الصرايا العتيقة من عبهن... ليؤكدن لبعضهن - كل ليلة -  
 أن جمالهن المسحور... لم يطله سوى قليل جداً من ذبول الطبيعة الخفيف.  
 وأن وحدتهن سوف يجد منها مادم يراقبن العالم يعين معابدة،  
 ثم يبدأن - بعدها - في ممارسة سرهن القديم:  
 يطوفن - بخفة الجنيات - بين الدور،  
 يجمعن دموع العذارى فوق أوراق اللب  
 ويحكنها - سراً - في القطوف...  
 ثم يزعمن لعنابت القرية الأخريات...  
 أنهن: طبيحات جداً...  
 و - الحمد لله -  
 ليس هناك ما يدعو للقلق!

(٣) «تفصيل أخير للجزء الأوسط».

ما بين الجهات...  
هناك - دائماً - بوصلة خائبة،  
وسهم مزاح.  
فرشة الألوان أسقطت بقعا من الندوة  
تستعيد كغوف العابرين في الدماغ.  
والصوت الذي لا يبدن على نهدي امرأة مُحْتَمَة...  
هو صوت ميت.. في الخراب.

.. هل تلاحظون: نحن الغرياء المجانين...  
مازلنا نحبُّ المجاز قليلا...!؟-

ثم إن هناك أسرابا من التراميات قد هدَّما التعب،  
- أه... التعب... -

فاستظلت بظلال شجيرات من العنب المسحور،  
وكان عرش الله

يفاضل ما بين علامتين:

- أين أروح...؟

- اللهم..

- لا تخرمنا...

عذراوات جُددًا ■

٢٢ سبتمبر ١٩٩٦

## ثلاثة أشياء نسجلها - بفخر - على جدراننا الصاعدة

### نجاسة على

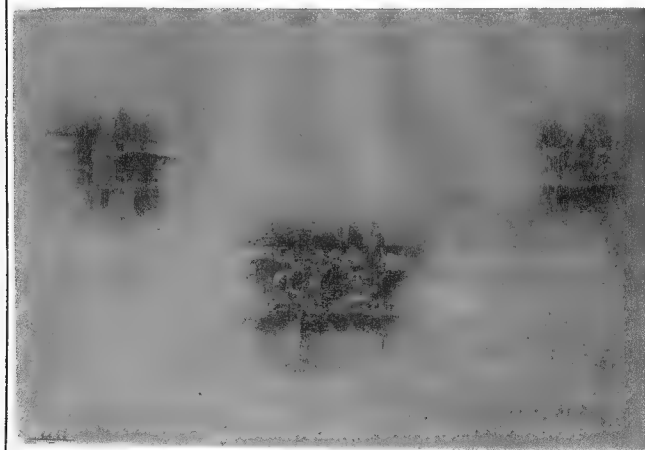
ولا شيء يهم  
لا شيء يهم الآن بالتأكيد  
أرحين نستيقظ في الصباح  
بوجود مصفرة  
فاشلين في أن نؤزل خيبتنا  
فنشبه بغاوتنا كل أصدقائنا  
الطيبين  
الذين نقاطهم  
.....  
لسنا فوسرين تماما - كما نعتقد -  
حين نلتكأ  
ساعة  
قبل أن نطرق الأبواب  
ثم نبطئ قليلا...  
في الدخول  
- مكتورين -  
- خجلانين -

نحتاج لأن نموت  
مبكرا  
هذا  
العام  
دون أن نبرد  
هروبنا  
إلى  
للشوارع  
في وقت متأخر  
لن نكون في حاجة إذن  
لأن نخاصم ...  
كل هذه الأنوار التي تطفأ  
قبل العاشرة  
- أصابعنا التي نمتلها الأنيميا  
بشكل قاصح  
- البرودة التي تسكن حوائطنا  
نيابة عنا

## الشعر

بشافية  
ربما يجلسن عليها مرة  
لن تخصصهم.....  
المبادين التي يحرونها  
بلا أشباح  
تؤرقهم كل ليلة  
أقدما لنا التي يجهدنا لنا  
المجانين  
في الشوارع  
- غيابنا لفترة طويلة  
- الغيوم التي يستطونها  
على دوالنا  
حين يوزعون ملامحنا  
على الأدرج  
ثم يخطون في عد أشباهنا،  
أولئك الذين تبصروا. ■

ولا شيء يهم الآن بالتأكيد  
وهم لن يسمعونا  
هؤلاء الذين استراحوا في عزلتهم  
دون أن تبنت ملابسهم  
ولا عروقهم التي حملت دماءً  
شبيهة بدمائنا  
لن نتجرأ عليهم يوما  
فقط اليهم  
أن يداومونا في العيد مرة  
بزيارة  
فنخبرهم عن القصبان التي  
نمشي عليها  
باستقامة  
- طغولتنا التي تفضحنا عندهم  
حينما نراهم  
مقاعدهم التي نرتبها لهم



## سأحدثكم عن هروب الملك(\*)

### شـــيخـــوآد قنـدـيـل

**ق**ا لم يلق أحد على النصار المتحدية من شجر الفصيلة الحجر أو حمصة.. إلا ناظر المدرسة الذي وجه الدعوة للاجتماع في بيته.. جاء بعض الرجال في السر ليتدبروا الأمر.. بدأ صفر الوجه.. ومن كان يفر الصبح من قبل لم يمس أحد به عند دخوله، ومن كان يغفر ويغيبه لم ينطق بحرف. ومن كان يتقهقه بسبب رولا سبب، لم يسمع أحد ضحكاته السجلة.. لم تنفرج الشفاه، ولم تظهر الأسنان، ولم تهرم الشرايب لأنها كانت منكسة.. لم يسمع غور صوت التنفس الذي كان أشبه بمشرفة الاحتضار.

مرت القهوة فجزعها الجميع في عجلة. مضى نحو نصف ساعة دون أن يمتلك أشجعهم القدرة على اقتراح الجلسة بكلمة لتجمعها كلمات تشير ولو من بعيد إلى الموضع.

كان طبيعياً مهما طال الوقت الحائر أن يبدأ ناظر المدرسة.. كانت بداية تكية من رجل متعلم..

وجه اللوم لمن لم يحضر وعلى رأسهم التمدد وشيخ البلاد، وهذا يعني أن الحاضرين يمتزجون بالشجاعة.. بداية نفع الناس بعض الشيء.. ثم قال:

(ه) نحل من رواية معجزة الكتاب تصدر قريباً.

- يدخل إلى يا جماعة أن هناك رياء أصاب نساءنا، فكل النساء حسب علمي حوامل.

أكثر البض أن يكون كذلك كل النساء.. أطربهم أمجج قائلا:

- إلا أمي.

وقال سائق الأجرة:

- زوجتي الحمد لله سليمة، لكن.. لكن.

وقال ذو الشعر الأحمر:

- لأخف أصرى كلها أصابها الرياء ما هذا بنت أختي التي تقيم في المزرعة معظم الوقت.

وهذا قال الحلاق:

- علينا إذن أن نعرف الأسباب ونبحث عن الحل.

من جديد وقع الجميع في آبار الصمت المألحة، إلى أن اندفع السمين ذواكرش.

لم يكن أحد ينتظر أن يتكلم أو يفيد بشيء في جلسة من هذا النوع.. قال باضطراب تصاحب نبذة صوته رعشة، ربما سببها الزهية:

- لازم يعرف الصغير قبل الكبير أن بلدنا و.. و.. لساننا جمعين ش.. ش.. شريفت، ومهما كا.. كان الصيب، و.. فهو خارج عن

إرا.. إراد.. إراحتهن. وإذا واحد شكك في واحدة، سيشا.. سيشا.. سيثكك فيهن جميعاً.

قال عذر الشمس: عندك حق.. مصيبة وحطت على البلاد كلها.. لم ينج منها فرد.

كان شيخ المسجد جالساً يسبح ويستغفر ولا يعلق ومثله كان الصنير والرجل الذي ينظر كخبراً إلى ساعته، أما ذو الأنف الكبير المستدير فقد قال:

- يجب أن نتكلم بصراحة.

قال الناظر:

- ولماذا اجتمعنا إذن، إننا في أشد الحاجة إلى الصراحة.. اجتمعنا حتى لا نخفي رموسنا في الزمائل.

استعاد ذو الأنف الخيط وقال:

- كلام كثير يملأ البلد، ملفسه: إن ذلك «رشوان» وراء هذه الحوادث قال السمين ذو الكرش:

- هذا ما سمعته.

اعترض الصنير:

- كلام غير معقول.

قال الأطول:

- وهل حجمه هو المعقول!!

عاد الصنير إلى ممارسته:

وخرجوا من عنده أقل غضباً عن ذي قبل،  
وأكثر إيماناً بالله وبالقتناء والقتل.

بعد أسبوع فوجئ رجال القرية بدعوة حاجلة، من الممعة المحضرة طرفه مساء نفس اليوم. لما حضرتها طلب إليهم ضرورة مناقشة الموضوع المهم الذي سبق وحدثوه فيه.. ظلوا قسداً يروح ويحيى. أبلفهم أنه اكتشف بالأمس فقط أن نساء بيجته جميعاً حوامل ولابد من التصرّف.. لابد أن تبلغ الحكومة ومديرية الأمن ووزارة الصحة والوزير المحافظ ومساعدة السكرتير العام. تهاذل الجميع اللطرات، واكتفوا بالقتل:

- الأمر أمره يا عمدة.. أنت كبير البلد.  
وهو لا يزال واقسداً.. يروح ويحيى  
ويصرب كفا بكف.. قال:

- أقصد أكم موافقون على أي إجراء  
أخذته، وتقومونني للاتصال بكل الجهات  
المحيية.

والق الجميع وتسلل إلى نفوسهم ربما  
للمرة الأولى إحساس بأن جزءاً من الحب  
سوف يرفع عن صدورهم.. لكن الضرب  
قال:

- وماذا نفعل في بلدنا يا حضرة العمدة؟  
شرب الممعة قبضة بده اليمنى في  
راحة بده اليسرى وقال:  
- هذه هي المشكلة.

قال صدر اللشمن: المشكلة إن مرعد  
الإجهاض فالت.

قال الممعة بعد لحظة صمت: ليس هناك  
من حل إلا أن يتولى كل أب رعاية حفيده  
من ابتغته غير المتزوجة.. كل فرد بشئ منه،  
ما دلم يؤمن أنه أمر الله، ويخطب الشيخ  
«التلاوي» والشيخ «برهام» في مساجد القرية  
موكدين أن بلدنا شريفات وأن ما حدث يشبه

قال السمين: ليس له مصلحة.

استمر الحديث ويهادر أطرافه الرجال بلا  
نتيجة، وظل يسبح ويستفقر دون أن يعلق.  
ولفت ذلك كتهاب الناظر فسأل الشيخ:

- ما رأيك يا شيخ؟

عبث الشيخ في ذهنه، ويتهد لم رفع  
رأسه ونظر لحظة إلى الثلاثي، عندئذ دخل  
اللفي وقال:

- الممعة موجود.

قال حضرة الناظر على الفور: ما رأيكم  
يا جماعة؟

رد الجميع في صوت واحد: نذهب إليه  
الآن.

بهت الممعة عندما سمع أن للرجل  
بالخارج.. عرضوا عليه الموضوع بكافة  
جوانبه ويصمداً مما قاله، في بيت  
«التشيد»، طلبوا رأيه، هز الممعة ذيل  
الحمان التي لا تغيب عن بده وقال:

- أولاً.. نحن مؤمنون.

قالوا جميعاً:

- ونعم بالله.

استشعر أنه بدأ بداية موقفه ضخم  
جميعاً في قبضته، فاستطرد:

- أرى على الأقل ليس بين أيدينا ما يحثه  
أو يشور إلى أنه هو الجاني لا داعي  
للتنازع، لا تصدقوا لنا هوجة بلا داع..  
كفرتنا حمن السمعة، ولا مبرر للاجتماعات  
والهيجان، وعلى لو فرضنا أنه كذلك.. ماذا  
سنفعل له؟.. سنقتله.. نقتله.. ويصدها..  
الحاصل الآن أن النساء حملت وكله بأمر الله  
في الأول وفي الآخر.

صعد من هنا تعلق ومن هناك مثله..  
لكن للجميع تقريباً اقتنع بكلام الممعة،

- أنا غير مقتنع.

قال صدر اللشمن:

- كان يجب أن يحضر الممعة.. المسألة  
تخص القرية كلها.. وهو كبيرها.

قال الناظر:

- أحمد أبو سلامة، دخل عنده وخرج  
قال إنه غير موجود.

قال الحلاق بمصم:

- هو ديك «غرغان» ولازم يموت.

قال الأصعب يهوده:

- لازم يموت.. لكن للمصوبة تحيط بنا  
الآن.. فما العمل؟

برز الألف من وراء السمين ذي  
الكرفي وقال:

- هل تصور أن يوافق الممعة على ذلك؟  
هو صاحب مصلحة في وجوده.. الأوزة التي  
تبيض له بيضاً من ذهب.

- والعمل؟

- لابد أن نعرض عليه المشكلة.. ممكن  
يكون عنده حل نأذي الناظر وإداه الكوبر:

- بطريقته وفي السر اعرف لنا.. الممعة  
في دورته أم لا، لنطلق للفي.

سادت فترة صمت.. قطعها سائق  
الأجرة:

- لماذا لم يحضر شيخ للبلد.. لقد رأيت  
في الصباح.

الأطول: الأتروفي السبب؟

سائق الأجرة: لا.

ابسم الضرب إبهامه خيث وقال:

- لأنه غير ممتاز.. زوجته الأولى عاقر،  
والثانية حامل من الأصل وسلد خلال أيام.

الطاعون.. شيء في الجو.. نقله الهوام.

قال الأخنف: أنا قلت هذا يا عمدة.

قال للعمدة: والله براوة عليك يا وله.. ومن رأيي أن يبدأ البلد في وضع زيتها مع دقوتها.. يعني عقد اتفاقيات لتزويج هؤلاء البنات من شبان البلد.. وكلنا أهل.. بالناسبة أنا عندي ثلاث بنات.

كبح الشيخ فصمت الجميع اعتقاداً أنه سيقول شيئاً.. كبح ثانية فصمتوا، وبالفعل بدأ يلعب ريقه ويحركه إسانه استخدماً للكلام كما يفعل دائماً.. وكان قد ظل طوال الاجتماعين السابقين صامداً.. قال:

.. لا أستطيع أن أقول ذلك على المدير ولا أعلم الشيخ بهرام، سيقول شيئاً من هذا.

اتدفع الرجل الذي ينظر كشيء في ساعده: لازم نقولوا.. إن بلدنا شريفات.. لازم وليده ذو الشعر الأحمر صارخاً في الشيخ.. تدخل العمدة وقال:

.. واحدة واحدة يا جماعة.. قل لنا يا شيخ «حامد» هل أنت تشك في أحد؟

ظل الشيخ صامداً، فقال للعمدة:

.. انظر يا مولانا إننا سوف ندخل إلى فقرة لا تبقى ولا نذر، وأنت عندما تقول ما أطلب منك قوله.. أقصد الذي نطلبه جميعاً منك.. إما تحقن الدماء وتحافظ على الوحدة الوطنية وتجنب البلد مشاكل كبيرة.

كان الناظر قد لاذ بالصمت طويلاً، وإما رأى حالة الشيخ وسمعه البركاني قال:

.. أنا من رأيي أن يظل الموضوع بعيداً عن المساجد.

قال ذو الشعر الأحمر: على الأقل دعوا لنا الله يفرجنا من هذه المصيبة التي لا كانت على الباب ولا على الخاطر.

وهذا قال الشيخ:

.. لكي تخرجوا من المصيبة ارجعوا إلى الله.. بالكثير من الصلاة والصداقات وفعل الخيرات والدعاء، وأن يهتم الأغني بالفقير، ويقام الموائد للجميع أيام الجمعة.. هذه هي القسريات إلى الله.. لعل وعسى وفرج الله قريب.. «يا أيها الذين آمنوا لا تفلطوا من رحمة الله»..

توقف الجميع فجأة بعد أن اقتحم القاعة خفيراً يزعم:

.. الحق يا حضرة للعمدة.. «حسن» الطخ.

.. «حسن» من يا خفيرو للثوم؟

.. «حسن» للرشودي.

.. من الذي قتله؟

.. لم تلحقه.

.. هرب يا؟

ساد الهرج لما بلغت الحاضرين ولولة النساء تتألف الجميع نحو باب الخروج.

صفق العمدة بيديه. جامته زوجته تضي على مهل وتلقى أمامه فرقتي حذائه. قالت:

.. «ابن الرشودي كان على علاقة به» تجوبى، ابنة «راغب بك».

لمم العمدة أطراف حياوته وهو وضع قدميه في الحذاء، وقال:

.. تقنياً يسكتك.

لحقت به كلماتها قبل أن يختفي ذيله عن عينيها:

.. أنت لا تعرف شيئاً مما يجري حولك يا عمدة.

واصلت البطون للتقدم للأمام، محنت تكبر وكبير، وعندما دلت من تمام شهرها السابح شرعت النسوة يشكين من ضربات

البطون والآلام في الظهور، بدأت في التراجع والتأوه، وزاد الألم تدريجياً مع تصفم الخلل الأمراض في الرحم، ثم نخلن تدريجياً مرحلة الصراخ.

انفجحت الأبواب وجرت الميصال في الشوارع تنادي «القابلة»، وأختها وتنادي أي سيدة كبيدة في السن، لعلها تساعد ولو بالرائي.

لم يستجب مدير مديرية الصحة لطلب عمدة القرية أن يبنى مستشفى ولادة طوارئ على شكل مخيم يتسع لمائتي حامل توشك كل مهن أن تضع وليدها. تحدث إلى المحافظ واستعان عليه بأعضاء مجلسي الشعب والشرى والحزب الوطني بلا فائدة.

أخيراً قرروا إرسال بعثة من عشرين طبيباً متخصصاً في أمراض النساء ومثلهم من الممرضات وبعده أطلق توليد لإنجاز المهمة على أرض القرية وفي بيوت أصحابها.

خصص العمدة للأطباء داراً من دوره، واستقبل شيخ البلد الممرضات في دار أخيه المصافر.

عرف الصعفيون الخبر، فقدموا بآلات التصوير وأجهزة التسجيل ولحقت بهم الإذاعات ومراسل وكالات الأنباء العالمية والفتريات التلفزيونية لرصد الحدث العالمي الكبير.. مئات النساء على وشك الولادة في وقت واحد تقريباً.

استعد الأطباء والممرضات للحاق بأي حالة يدخل أهلها أنها توشك على الوضع، وسرعان ما تنال الصراخ وتراثت الدعوات وأسرع الأطباء ما بين النداء.. كل طبيب معه ممرضة. يقوم بالتحصن ويبحث الحالة ويأمر بتجهيز ما يريد من فرش نظيف وماء ساخن وإضاءة كافية وملابس نظيفة وقطن وصابون..



وطفها السيارة . التفتحت أنفاسها أخيراً بعد نجاح السحارة المبكرة للهروب . تركت القرية ورجالها الذين أجمعوا أمرهم على إلقاء الضرر بأنفسهم اليرود . كان السائق والركاب يحدون عن دهشتهم لمنظر الديك .. لم تحرم أي اهتمام .. هذا قتها .. وشكت أن تلقم الرائد ثديها وتفكر في المكان الذي سوف يسعها والديك .. ردت على نفسها بسرعة .. أي مكان .. اللهم أي أن أفرط فيه أبداً وإن أسمع بأفعواله .. لم يعد لي غيره .. يجب ألا يعرف أحد من أهل القرية مكاننا ، فهم في الأغلب لن يتركوه .

لحظات واعتزت العربة بقوة . رفعت رأسها قليلاً وكانت تتابع بين العين والعين ظل الديك على الأرض وهو مرتبط بظل السيارة المندفعة إلى اليمين . كانت الشمس قبل الغروب مازالت تسقط على كل شيء .. صرخت في هذه اللحظة وخلفت لديها من فم الطفل وهي ترى الديك يطير بعيداً .

صرخت في السائق كي يوقف . وضعت الطفل على مقعدها ، صرخت فيه ثانية وبسرة . توقف .. أسرعت تجري في إثر الديك .. تصرخ وتناديه :

- أرجع يا ملك .. أرجع يا روح محبات .. عد إلى يا روح محبات ، ماض في سبيله الملك ، تفرغ بقرة ويخيه شرقاً فوق الحقائق والمقول نحو عالم آخر وقرى أخرى .. وظلت محبات تصرخ بينما الملك يبتعد ويبتعد .. يتحامل ويتحامل حتى لا تكاد تبهو منه غير حركة أجنحته حتى تلاشي في الأفق البعيد .

ظلت تجري وزاه وتسطع في بركه وطنين وتصعد بهجرات صغيرة .. تنادي :

- أرجع يا روح محبات .. يا روح محبات ..

بأمره إلا بعد أسبوع والصدفة .. هدد العمدة بأنه ينظر فقط رؤية المراديد ، ولم تأكد أنها تمت إلى الديك بأدنى شبهة لقطه فوراً وإن يمنعه أحد من ذلك ..

لما رأت المواليد للزور . فتش الأهل فيها . كان من اليسير إدراكه علاقته بالديك .. لويس إلا لتقيل منها شبهة أسهاتهم ، والتكثير منها يشبه والد محبات ، وهناك من له لوزتان تحت فكه ، ومن يوده ثلاثة أصابع أو أربعة ، ومخلها في قدمه .. الجميع اتصلت لأرضهم بطونهم بفشاء جلدى عريض كالأجحة لا يتقصه إلا الرئش ، ومنهم من بهجده شعر أصفر وأسود وأبيض .

تجمع الرجال بعد أن أيقروا بأن القاعل ولحد وحود ومحدد ، احتشدوا أمام دوار العمدة ، كل منهم يحمل عصا غليظة . كانت إحدى بناته قد ولدت والتمس ملامح الديك فوجدته بقوة .. نزل للعمدة جافراً .. كان يحمل بيده مظلم يحمطون .. عصا غليظة ، حازماً على أن يضرب بها الضرية الأولى ليدفن عملية الضرب الكبرى .

علقت محبات بها عزم عليه الرجال . أسرعت إلى دارها . قالت للديك : إن أهل القرية يأثمون بك وقد صمموا على قتلهم ، فيها بذأ لهرب ، خلقت كيون نقرها وتسلقت السور اللخلى للثنا . سبقها الملك إلى التزول في الجانب الآخر ليحملها عندما ترقى السور . رفعت وتذلت فهبطت .. ركضاً قدر طاقة محبات التي حملت وليندا لتقيل .. قطعا العزل حتى بلغا الطريق السريع . كانت السيارات تدور في اندفاع مجنون لا تلتفت إلى عابر .

أشارت إلى سيارة ميكروباس ، لم تأبه بها أية سيارة عدة دقائق ، ثم وقفت واحدة .. قبلها فخذ الديك فوق سقف الميكروباس كانت حائرة كيف يتسنى له الركوب ، دخلت

القرية خفية نعل .. يحدث فيها كل شيء في الدنيا في وقت وأحد التكل يجري ويحدث ويدعو الله ويحمل أشياء . يطبخ ويأكل ويشرب وينادي ويصهر ويغام ويقع من طوله .. يموت .. يسيب .. يولد .. يمرض .. يذرف .. يصرخ .. ييكي .. يضحك .. وفرح .. يدهش .. يضرب كفاً بكف .. يلطم خديه . يغشى عليه . يحمده الله .. يتبادل الجميع الأشياء .. تصرع السيارات إلى البندر لتحصن التكريرات لتتقل بين الأمهات والأسماء .. قرية بكاملها تله حتى الرجال .. يخرج البعض تقيداً كان يخفيها لوقت حاجته .. ويبيع البعض شيئاً مما يملكه ، يشتري على عجل وبأى سعر ما يلزم للحفاظ على حياة الولادة والسرور .. كل النساء العوامل يمنن على الأسرة والأقربان التي غفلتها للبطالين والأملاجات وكل الرجال والعامل يمددون على الأرض ، وقوى أقدام اللذين والسباح وفوق الأسطح ، ولا يسأل أحد عن أحد ، ولا يسأل عن طعام أي شخص يأكل من أي مكان .. البهوت الميسورة أعادت الصوراني وأخرجتها أمام الدور . حملتها على المصاطب ليأكل من يريد ، بعض الأطباء ساعد في توليد بقر وجاموس وميزر تصادف ويضام مع البشر .

كل المواليد تقريباً لم تبقى في الأرحام غير سبعة أشهر . القرية كلها تله خلال أسبوعين فقط .

سود الصحفيون مكات الصحف بالأسخبار ويوسف الرقائع والطرائف والمراوات . أنص اللحظات وأنصها .. أعمال الخاصة . الأسماء المقترحة .. إحصائيات مختلفة ..

كانت هناك سبع حالات ولادة في بيت العمدة وحده ، عده أقدم الديك أطول مدة تركت بذاته يغفره ولم يعرف العمدة

مصنت تجرى وتتخبط وتنادى.. تخوض  
فى المياه وتجتاز للحقول وتدوس على تراب  
أرجلته دموع فجيعتها. ■

تجريت قدماها وتمزقت ملابسها وهى  
تجربى ولا تدرك بأنه ابعد أو أخففى، ولا  
تقر بمجزها أو بعد المسافة بينهما.. وثقى أنه  
لو واصلت النداء والسعى خلفه سوف تلتق به  
وتستعيدة.

تقع وتلهض وتصلطم باللاس والشجر  
والحجارة وتتعثر ثم تقوم وعينها على  
الأفق الهميد الذى ابتلع وجهها وغاب فيه  
الملك.



# أغسطس الصفيير

## عاطف سليمان

كان يتلقى سؤال الاختيار من جديد، يتسمع: «محمد»، فيم يستنقع بذلك؟، ويكاد يسمع صوتاً، هو صوته بعد كل حساب، يتقرر: في هذا، ويخشا «محمد»، ما كان يريده من مشغولات اليوم، وخطرة خطرة يلجأ عمله، في ذات كسل الهراء، بالذهن المشغول بالصفاء، وبالقلب الزاوي، ورهم أنه لم يكن يهمن نفسه مشغولاً في لحظة الانكسار؛ لتفتتها، إلا أن التكمياء التي توصلت هبة المنقذ تدخله في تلك اللحظة وتدعى نظراته. ويتم «محمد» عمله، ويكون أن ينتهي زملاؤه أيضاً من أعمالهم، فيندمون إلى جلسته، غير مهالين بكتل الهراء لأنهم لم يتصرفوا، ولم يتصرفوا أبداً في التحولات المنصوبة فيها، كان «محمد» لا ينتبه إلى ذلك، ولكنه كان شعر، أكثر من أي شيء آخر، بأنهم إنما يتصرفون فيه، ويحیی الزاوي، ملتصقاً بصفيهم، ويتقرب منهم بخطوات حسنة حتى يصيروا جميعاً محل نظراته الهاسية قيديهم:

.. أيها الغافلون، مساء الخير.

فيهالان، صباحكمين:

.. تمام، تمام، مساء الخير.

يتصايحرون هكذا، ركاناً يهددون أنفسهم، لأن الزاوي سيخفص في الحال لأعمالهم كعادته، ويخبرها، ولكنه سرود، غير عابري الإيقاع: تمام، تمام، حتى قبل أن يبدد يده إلى أي شيء، سرودها بلا إفتخار تقريباً، على مدى عشرين دقيقة

بمحيطهم علماً بما يتعين عليهم تخليصه من أشغال، موزناً للجمع فرصة الاختيار، وكان دائماً ما يبدأ به مستطعاً:

.. «محمد» أقيم متنع بذلك؟

ولمّا كذلك يمد «محمد» لاجتلاب المشغولات التي تروقه، محبباً رؤيتها مبددة بين أيدي الزملاء، ودون أن يلحظ الصيغة الكهوتية التي يصدر بها رده كل مرة، يتكلم، مغافلاً نفسه أيضاً:

.. أضعها فيما سيقتي لها.

ويختار الآخرون، ورويداً رويداً يندمجون في أعمالهم، ويحز «محمد» المهمة التي لم يتحس لها أحد إذ تكون في الغالب ملة وجالبة للأخطاء، دون أن يستنقع اعترافاً بأنه يستمرئ نيل الورطة كل مرة. ثم يكن له أن يندمج، كالأخرين، لكن ليس قبل أن يفتح لإحساس ضروري وشامل بالعز أن يدركه، ليهيئ طوال الوقت في حضرة هراجه يستنقذ عمله بنفسه من أخطاء خاطئة، بلا معنى وبلا نفع. وقت يمتني، وضرورة الانتهاء من عمله قبل الآخرين تدريج به وتنتهي لها سطوة اللناء عليه، وهكذا يفر «محمد» ساعة، يمتنعها متكاملاً على كرسى عتيق أمام الورشة، في حين يوالي تدخين سجاثره، ويتلصص على حرصه في أن يحتويه حيز رؤية الزملاء الأربعة، لاهياً عن إدراكه بأنه إنما يمتنع بذلك حراستهم له في تلك الأصائل، حيث

**ق** أيام. كان يُوقظ فيها مع كل فجر، لينتفض قلم القسم، ويخرج إلى شرفة البيت، فينظر بلوحة بيضاء، يشدا إلى حاملها، ويبقى منتظراً دقائق قليلة تغافل أمه فيها نعاسها، وتندق على باب الشرفة الزجاجي بالملقعة الصغيرة، لتضع له كوب الشاي بالعليب الساخن، ثم تتركه مع ورقته البيضاء الملطخة بصور تلك أن تتجلى في كتل الهواء أمامه ثم لا تتجهياً لأصابعه التي لا تعد إلا بعد ساعات ثلاث لتصرفها، وتعيداً ملفوفة، وتتركها بدراخ إلى هذا أو ذلك الحائط، ثم يرجع ليجد الشاي بالعليب قد برد، وختمته قشرة رخوة غير محبوبة، فيكتسلها بأصبعه، ويمس شرابه، صاحباً إياه من بين أسنانه المفلوكة ببطء واستغراق ودون أن يرفع الكوب عن فمه، ملجأً عبر الوسيلة لغاضبيه عن الهباء الذي حدث، عذلاً يكون عليه أيضاً أن يتجاوز عن تصوبه في البرص، أي يكون عليه أن يمتل إلى سريره بعدما يعيد تعميته، لينام نصف ساعة يتاح له بعدها أن يصحو، وأن يخال اليوم من صباح آخر. وكان يهمن من تقاوم نفسه، مخفلاً بلمع اللين السكر في فمه إلا أنه بعد عشرين دقيقة من هذه اللحظة، وعلى مدى صيف كامل، كان يشاهد في الطريق، في منتهي أنافقه، قاصداً ورشة النجارة.

كان يعمل مع آخرين، أربعة نخارين ورئيس، والزاوي هو الذي يوزع عليهم الأعمال يومياً يوم، أو هو بالآخرى من

بناظر خلائها أعمال اليوم، أما «محمد» فسيكون عندئذ كما كان، جالساً، يتأهب للانصراف، لا يكاد يغل أن أحدًا لن يستطيع لمس أعماله أو استعراضها، وأنه، وهو الذي دسها في الهواء، صائر إلى عمام عليها بعد وقت لن يطول، متعزياً بأنّها - بشمة وسولة - نسفت وطويت، له، باسمه، في رحابات الكون، الحافظة، الصارمة. ويأذيه الرئيس، من وسط أخشابه، ليأمله بفنول:

- هذه القطعة، من عملك اليوم. أنيس كذلك؟

- إلى حد ما..

- يعني..؟

- أعني أنني صانعها إلى حد ما!

أترآك نظرت إليها كثيرًا، كثيرًا جدًا؟

- لم أكن أنظر إليها.

- تعرف! تبدو وكأنها جزء من تكريرات شخص... ويريقه «محمد» محتامًا لثلا يقصر، ويظهره بأمانة:

- صدقني، ليست إلا أكثر سوءًا مما تظن!

وينصرف «محمد» مع زملائه، بينما يوافيه طعم الضاي بالحليب، ويقصه.

الأبدان الفضة كانت عددًا ترشدهم، وتفتح لهم عيولهم على مسامات صيف ناعم أزرق تتساب فيما لا يشبه إلا القربين السحري للهار والليل، وكانت نظرة الملقذ تستعد من عينيّه، فيمس في مقدوره كذلك أن يلتقهما على صيف له نفس اللامعات المبرجة لأول صوب تنوّه بشر الأرض، دون أن يمس في مقدور شيء أن يدله عما إذا كان قد شوقه هذا الكمال الباذخ المتصعر فيما كان من حياته أو فيما سيكون، غير أنه في تلك اللحظات المفعمة بخصب وخصب كانت الدعوة تشوشه، وتحطه، وتضرب روجه، ليحسن أن إنما يقاد إلى ما ينبغي عليه أن يتحده، ويتكسبه.

كان «محمد» يتوارى من صيفه لأنه تظير، مرة، من خطط الجمال السمومة، المتلاعبة. وفي الصيف التالي كانت لوجهه الليضاء بوضاه، لم تكل غير غبار سة، توالى توليد حرمانها من صورة عسيفة لوجهه «عائشة» و«محمد»، الذي استلغ في كئل الهواء كل الهيات التي لشتها من وجهه «عائشة»، لم يحصد خطًا من إهدامها على لوجهه، وكانت لا تستقر له، في النهايات، غير صورة وجه رفيق لا يؤمن من دورة «عائشة». في الشتاء، أهداه «محمد» مركبًا بحريًا صغيرًا، لعبة، صمها من خشب وحرير، فقالت له وهي تسترّها على فخذها إنها فآل سيئ، ولكنها وعدته بهدية؛ دمية بالحجم الطبيعي لمرسة تفلج وتدابج وتفتح وتخاصم وأسرار أخرى لم تبح بها «عائشة»، بنت العشرين التي وعدت. وفي الشتاء كان على «محمد» أن يتناسى أنه يدرج نهايات للصيف الذي سيحل لأن «عائشة» اشترعت أن تولفها حركات المركبة عديمًا لهيب عليها نسات أغسطس حتى تقدم هديتها.

كان كهولت «عائشة» قد حيا لـ «محمد» أن يخذل فمها مرة، وأن يدال لسانها ورضابها كما كانت عائشة، تحوطه بنظرات مدومة، مبرورة، طويلة، ثم كئبت شيئًا على باطن فكها، بتوتر، وكزيت له يدها وقالت:

- إسألني سؤالي.

فقال «محمد» لها، وله:

- أنت مبرورة من جمالك. جمال «عائشة»، الذي هو لنا ومستطق دولك. أنت محرومة من أن تتألى نفسك..

الآن تفكرين، حقيقة، في هذا؟

طوقته «عائشة»، بلحومة وخفوت، وتذوقت فيه، روضًا به. وشرينه.

هذه هي اللخاطرة، التي ترجب فقط أن يلفها أحد لا لتحتفها «عائشة» وحسب، بل وتفتح لها كياناتها في التو لتدخل وتسرى

في الماشات التي كالتها، منذ أولها وحتى اللحظة التي ستسحب فيها لسانها من فم «محمد» لتقول له بالصوت الهلّ السمار من «باردة»:

- أول إنسان أحبه.

وتنقر على دماغه بسبابتها، وتكمل بذات التبررات التي كان يرد «محمد» بها على سؤال الاختيار من رئيس الورشة:

- دع هذا يستريح، قليلًا.

و«محمد» لا يرغب أن يتراجها لورًا لور، ولا يريد منها أن تقول حبها له، يريد شيئًا من المحبة، ويود لو أنه يسكت، فلا يسكت:

- «عائشة». لا أعرف كيف أرسم صورة لك. إنني أنسى ملامحك.

وهو يفهم أنه لا يلسي ملامحها وإنما يحرز أن يطرحها فتعصيه، ويؤمنان. فتصنيد «عائشة» مرارها:

- «محمد»، من أنا؟ صف «عائشة» يا «محمد»!

فبما يهدء وفي أحد صباحات مارس انتظرت «عائشة» لأكثر من خمس دقائق لتعبد إليه خاتمه، ولتؤدى له عبارات: أنا أخاف مني عليك.. إنني، ونبقى أسدقاء.. إنني، و«محمد» الذي تراه في هذا المشهد الصباحي بحافظه رقتما أعلنت «عائشة» الانتظار حتى تقرر نسام أغسطس شيئًا بشأنها، مظما تراه في شخصه وهو يرمي الخاتم المررد تحت جزمته ويهرسه، كان يرد في مارس ببذلة فاتحة:

- نكون أسدقاء.

في أغسطس لم يبد متروقًا أن تختبر المركبة الصغيرة، ولكن فكر «محمد» بها، وتمنى لو أن تختبرها «عائشة»، وهو معها، اللحظة واحدة، محققًا في حصنه من ألغام الائتام بجها من جديد، ومضادًا إلى التأم بأن أغسطس الذي انتشر طويلًا، سيعد

لا تقصر المكالمات، ومسلماً بأنه لو لم تُباعَت  
العبة لحاز لها ذراعين إغريقين شامخين.  
وفي ليلة، وبينما هو مكتفى على موسوعة  
مصنوعة عن كل المصور، يلبس فيها عن  
ذراعى «بلوى»، يبت له لعبته مستبدية،  
رأفة على نحو ما، وإن لنفسه، للحظة،  
وكأنه تأمل لأن يرجو رجاءه، لأن يلمس،  
تحديداً، ذراعى «ولد».

ببيع حبات نمش على وجنتيها، كانت  
«وادة» تبسم له، فى عيديه، برذاعة وعذرية،  
وهى تضمه إليها بقرة مدفئة، وتهمس:

.. لا أستطيع احتضانك بما يكفى!

وكان - هو - يضمها إلى قلبه بامتنان،  
مستشعر خجلته من ذراعيه، أنساً بذراعيها،  
وغير مصعوم من الاكتئاب إلى أن جسدهما  
كان يتلقى، فى رحمة، قبساً من لسانم يوم  
أخير من أغسطس. ■

هنا، تحصلون على إحصاءة للوجه.. نلتح للتم  
تقريباً لتؤكد النظرة.. أما الأثران، فإن يحوِّرننا  
سوى الثور الأول. بدأ يسوركا وغير ملت أن  
يبدل، محمد، مكانه فيدرك وجه المعلمة  
ويطالعه، ولم يكن ليقتل. ومن مكانه، حيث  
وجهها سبيل محجوباً بشعرها وبحركات  
الطفلة، كان «محمد» يلعب مع صوتها،  
ويضمن اللامح والاسم لها، التلمبة التى  
نحيت، فى اللور، من أساسها، عندما نوديت  
الفقاة للتليفون.

قبل انقضاء عشرين ساعة، وفى جلسته  
الأسبوعية أمام الورشة لم يفتش «محمد»  
لتعديل اختيار مشغوليته، ولم يتابع كعادته  
أغسطس الذى كان يمضى، منصرفاً إلى  
التفكير فى ذراعيها الشاهقين القصورتين  
مثل ذراعى وليدة للذراع اليسرى البعيدة  
المسكة بساعة للتليفون، للذراع اليمنى التى

انتظاره بكل التضاريف المركبة للديم. لم  
يكن «محمد» حينئذ يملك أن يرى «عائشة»،  
ولكنه كان يملك صورة مدى العمر ما لم  
يرف نذرهما ويدعا المركبة للديم لم يكن  
محمد حينئذ يملك أن يرى عائشة ولكنه كان  
يملك صورة وحيدة لها، فى ذيل إحدى  
صفحات مجلة أطفال قديمة رخيصة، فقصها  
«محمد»، وصمغها، وصمغها على ورقة  
كرتون لتقريبها، فأفمدها للصمغ ووطبها  
ومسها، وبعد انقضاء الظهيرة فى محاولة  
مخلصة، عاجزة، لإنقاذ الصورة واستعادتها،  
تداولها «محمد» بين إصبعين وأسطحها  
ببساطة فى مطلقه سجاله، وهو يدرك على  
سبيل اليقين أنه ما أراد هذه البساطة  
لحركته، وأن «عائشة» استردت نفسها منه  
تماماً تماماً. كما لو. أن. شيئاً. لم يكن.

كانت الفقاة ترسم، بالأحرى كانت تلم  
طفلة مبادئ الرسم، وترشددها: أدبرى خطاً

# أجمل صورة رأتها

ليل الشتاء طويل

التهال سال

ق

أزاحت الغطاء، تفرقت واضعة  
يدما على خدما.

الإيقاع المنتظم للعبه يرقها. الغرفة  
منبوقة، الملابس مكرمة على ظهر السرير  
والكراسي.

أوراق مبسرة فوق وتحت المكتب،  
الضوء يسقط بشدة على الحائط المواجه  
لسريرها، فتهرق عينا، عهد الناصر، وتسمع  
أبسامه.

أجمل صورة رأتها له، مع أنها اعتادت  
على الكثير من صورة المطبوعة والمعلقة في  
الشوارع والميادين والمدارس والجامعات  
والكشاكيل والمسلات والمستشفيات،  
«عبدالناصر»، «عبد الناصر» في كل مكان،  
«عبد الناصر» حتى التلفس، هكذا كان وكانت  
نراه في الطفولة والصبا.

حدثته: عاجبك الحال؟

.....

«تضحك وتبسم للسماء؟ صرفت آخر  
الأخبار، صاحب البيت عازر يرفع الإيجار،  
كان يستجري يمل ده وأنت موجود؟»

.....

روح يا شيخ، منك لله، خليخنا خلم،  
وتحلم، وبلوقت مش عسارقين وأسا من  
رجلينا.

تأملت جبهته العريضة وعينيه الصليتين  
للنافتين.

أررفت:

«ومع ذلك، أنت جميل ولا يهملك، كله  
بيمدى».

«أنت بتكلم نفسك؟»

رأته مائلا فوق رأسها.

خبطت على صدرها:

«يا سائر، يارب، لنت هنا من امتي؟؟»

قفز على السرير، مازحها:

«قولى - لى - الأول، هو مين دا الى  
جميل، يا جميل أنت، يا حلو».

أزاحت عنها:

«بس أخشى».

لفت النال على كتفها:

«إيه اللي مصحك لحد دلوقت؟»

خفض صوته:

«لقلان».

نظرت إلى وجهه مليا، متأملة ملامحه  
المتفرعة، أخذ من أبيه الراحل طوله وسمرته  
ومن جده حاجبيه المعقودين ومنها عينيها  
السوداوين المستحورتين ومن خاله الشعر  
الكثيف، جميل هو، لكنه حزين، هكذا استشر  
قلبها، لكنها تنتظر أن يفاتحها كعادته.

وضع وجهه بين كتفيه:

«مش صارف يا أمى أخنار، أسافر  
وأسيك لوبدك ولا استلى وأخذ ملايم».

منذ زمان غير بعيد، وهي تنتظر هذه  
اللحظة وتخافها، لكنها اعتادت كما هي  
عادتها على قبول أشياء لا مفر منها.

تجوتت ببصرها في الصبرة، لاحظت  
اتساع دوائر التشع في الزوايا العالية وتآكل  
حوايف الكلام الذى أهدته إياها أمس ليلة  
زفافها.

تماشت للظن إلى صورة «عبد الناصر»،  
أوشك الفجر على البزوغ، استدارت  
بوجهها نحو عينيه المظلمتين:

«أنت عاوز إيه؟»

أخذ نفسا قويا:

«بصراحة من غير زعل؟»

ردت مترقبة:

«من غير زعل».

«أسافر، لكن مش حا غيب عنك كثير،  
سنة أو لنتين، مش أكثر».

نفس الكلام سمعته من أخوها وأسرف  
فى الفيصاب سلوات طويلة حتى ملت  
عدما.

## القصة

دنا منها:

- قلتي إيه؟؟

خفصت صوتها:

- اللي تشوفه.

صاح بنفاد صبر:

- يعني مرافقة؟

هزت رأسها إلى أسفل.

لمعت عيناها، قفزت عن القرائن صائحاً:

- أما الحق أنام - لى - ساعة عشان الحق

النهار من أوله.

توقفت فجأة:

- آه، أصوت.

طبع قبلة مريحة على رأسها:

- تصبح على خير يا جميل.

الدم يخالفها والشتاء ليله ثقيل، يردمه  
ينفذ في عظامها الواهنة، فردت جسمها،  
شدت البطانية حتى صدرها، اختلست نظرة  
إلى «عبد الناصر»، رأته ينظر إلى السماء،  
غطت وجهها ممتعة:

- كله بيعدى. ■



# لحم «القبور ايب»

## فالد إسماعيل

(١)

**قا** أشم رائحته .. وأرى وجهه الأسمر اللبكي، كلما جلست إلى «مائدة الزحمن، في «رمضان، بشارع «شامبلون»، قامته القصيرة .. هذا هو المتهاكك، «شرابه، المتكور حول كاحليه - سكاكين في بطني - وهو يحمل طبق الفريخ فيه، صحن المرق والموخسية وقطع اللحم، في طريقه إلى «المضدة الكبيرة، كلما كانت «جنازة».

أشم رائحته وأصالحه - عمى أبو حسنية - هو وإلغار يحملون مقاطف «الصبخ، من «حروش»، «بهائنا، إلى أسفل جدار بيت «إلياس».

أخجل منه كلما كانت في جيبي ١٠ جنيهات، صميجة، وكلما قال لي «عبد العاطي، الصاعي:

« صباح الخير يا باشا .. تأمرني يا باشا.

لعبت مع «حسنية، ابنته - أمة «الصيجة، التي صنعتها من تراب «مجاز، البيت على هبة مستطيل؛ قالت لي إنها سيجة «عيال مصر، وأبوها علمها سرها .. كانت على الجدار صورة فتاة بوشة مكشوفة الذراعين تشبه الشيخ «عبد الوهاب، صاحب «الطامون، في قبلي البلدة، وصورة «فواكه وخضراوات، منزوعة من كتاب «الشاهدات المصورة، الذي درسته في أروى ابتدائي،.

(٢)

قبل أن يمر «أبو المجد الفخامي، بتعاجه، ويألف «الحسن، وقبل أن تخرج «رحمة، و«روزا، ولدنا بنات «إلياس، إلى غيظ «المعاهدة - بحري البلد - أكون أنا وأخي «عبد الزحمن، قد جمعنا بلح «نخل الأرض، وأكلنا «الحلب البستاني، من بلح أصداد السرور من «جنيته أحمد رشوان، كل صباح ..

ثم أنجب إلى بيت «أبو حسنية، تكون هناك «فوقية، وأختها «روحية، فتبدأ مشوار «السجة، حتى يؤذن خالي «عطفي، لصلاة الظهر، ثم تصنع «فوقية - لكنيرة - «زيارات» من «عبدان «البرسيم، ... تقترح «حسنية، لعبة «خضن القرية، ... تصنع زجاجة طوية فيها ماء كاللبن وبعض «كباب البوص ثم تصب «الشحبة، ونحن وراءها نغني:

« خضن القرية خضن

طلع زبده .. خضن ..

أذكرهن لعبة «العليات، فتلم «فوقية، تشر جباياهن وتهمس ..

« آه .. بالراحة يا دكتور لحسن الراد يموت

تنزع «حسنية - يدى - يعلف - لتلم هي ..

دخل «أبو حسنية، قرأنا، أنفسها يقدمه، ثم ألقي بأشوانا خارج البيت وهو يلن أبامنا

وأمهاتنا .. فحريت ناحية «الجامع، واختبأت في «دورة المياه ..

(٣)

اتفقنا على أن نلعب في بيت جدى «عبد الفغار، المهجور، وانضمت إلينا «عائدة، وفي اليوم التالي دعيتي لدخول غرفة مقام الشيخ «بهرمي، - الذي مات جدى «عبد الفغار، قبل إنشام قبعتها - تيجي نلعبوا عروسة وعريس؟

ثم خلعت «الباس القماش، واستدارت ..

دقائق مضطربة، ثم انطلق صياح الأولاد:

« هـ يـ هـ

صحن ملوچه

ع السلطوچه

أفطر بالي صام

فروضت «سروالي، في جيبي وخرجت ..

«لم يكن في الشارع غير «أبو حسنية، يدخن سيجارة .. «كتب «إلياس، يقول على حائط بيت جدى «عبد الفغار،.

(٤)

« أنسرغنا «العيب، الأول في الشرايل، وسرى دفء في أجسادنا، وحكت «حسنية،



(٨)

.. قالت «أميرة» بعد أن تمثت وشريت  
النشأ إنها ترغب في إرسال خطاب إلى  
«عبد السلام» أخوها المقرب في «عين شمس»  
للخيرية... فأحضرت الورقة واللقم وكتبت..

بسم الله الرحمن الرحيم  
.. وبه نستعين -

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين  
النبى الأسمى سيحنا محمد عليه وعلى آله  
وصحبه أجمعين وبعد:

أخى الغالى عبد السلام: أهدى إليك  
سلاماً لو سعد إلى السماء لصار قمرًا مثيراً  
يشير للناس حبايتهم ولزهد إلى الأرض  
لصار شجرة فروعها الشجرة والوراء..

أخى عبد السلام:

أشاق إليك كما يشاق الطفل إلى الدواء،  
والزروع إلى الماء والجندي إلى أرض الوطن  
والطفل إلى ثدى أمه وبعد:

تهدى إليك أحفك «أميرة» كثير السلام،  
وإلى لست «أم ياسر» و«ياسر» و«حنان» وكل  
من وسأل عنها كباراً وصغيراً له منها كثير  
السلام.. وبعد:

تصرفك يا «أبو ياسر» إنك زى ما انت  
عارف بتبليت بالجيزة وألحيا بديرى، ورينا ما  
يعوزك لصف مخلوق، وقعدة البيوت من  
بالساهر، عشان كدة يا أخويا نعرفك إنه «أبو»  
صابر.. فالت ثانى سنة ولم نعرف ليه طريق  
مطرح برية ريته ما كان سافر ولا طلع من  
بيتنا أبداً و«صابر» يا عيني بان عليه اليوم  
بديرى، ورويتك للدكتور كثير، وانت عارف  
إنه أخشك لا معاهها «حاق» ولا «كرنان»،  
وصلحت ما خليفتى، حتى الفروج بعته  
والأرقب والعز وعيالها عشان كده يا «أبو ياسر»،  
أنا ما أيش غيرك وقاصداك في ٥٠ جنيه،

الخالف، و«عبد الحى» على سيرة «شركة ذل»،  
و«السريس» والكاتب الإنجليزي، وأسفار للحلم  
و«جمال عبد الناصر» والخير بتاع زمان،  
و«الكيمارى» الذى جيل «البحشة ماسخة».. قطع  
الطريق جدى «عبد الخالق»..

- راعى يا «عبد الله» البت بت المقدس  
اللى هجت مع ولد «عبد الحكيم ملطى»؟

- آى وأعيها.. لونها مدة كالم سنة..

- متى قالوا نهاريتها لدها «البايبر»،  
ولقيوها بحرى «أسويط» ومش عارف أبه؟

«يفتح جدى عبد الله فمه بصفص ابصامة  
وعينين مغمضتين،

- لها حكاية «أبو حسنية» عاملة زوها  
بالمنهد..

قال جدى «عبد الحى» بعدة:

- كلام ما راكيشى على بعضه.. يعنى  
إيه قرلة ساب النرحيلة ويهج في الراوى 1؟

رد جدى «عبد الله»:

- يطم بيه ريتا.. بزيادة شوقنا لنا قصة  
غور دى.. «أبو حسنية» كان يقول لجميع «يا  
عم» وكان جدى «عبد الحى» يعتمد عليه في  
طحن «القمح» وإرسال جاموسه إلى عجل  
التعشور «بشطاء» وما قصد «أبو حسنية» في  
خدمة إلا أذاها من طوب خاطر..

(٧)

.. وأنا عائد من «غريب البلد» رأيت  
«شهينة» «الحنفية» التى تضرب الترمل  
وتوشق الزود وتخرج الدرد من العيون  
والأذان.. جالسة على عتبة «أبو حسنية»،  
وحولها عيال و«حريم» و«أميرة» عاصبة  
رأسها بشال أسود..

وفى المساء عسرت من «أمى» أن  
«فهيمة» قد أخبرها الترمل بأن «أبو حسنية» لن  
يعود..

التي تصاورنى حكاية البنت الحلوة التى  
خطفها «القول» من حبيبها، وجعل إخوتها  
السبعة «عجول بقرة» فقلت من الله أن يجعلها  
حمامة فصارت تمط على ظهور إخوتها  
وتصبرهم، حتى مات «القول»، فى معركة  
فقدت سمرة، وعادت الفتاة إلى حبيبها  
وعادت المحجول المسبعة إلى هيضة للرجال  
بإرادة الله..

وفى آخر النهار رأيت «أبو حسنية» وكبس  
«شوال» القطن، وجدى يصيب له «النشأ»، وهو  
يداعبه:

- اشرب يا «أبو حسنية».. الله يرحم  
أبوك..

وجدتى تقول:

- يا «بو حسنية» ذا الترحوم أبوك كان  
عاقب، ولولا الترحوم كان زناك مزاحق..،  
قاعد على زرعك ومطبخك..

(٥)

صرخة «أميرة»، جعلت أمى تهزى لحو  
للشبابك، وأنا وراهما.. توافد على بيتها  
«اعتماد» و«سعاد» و«بدات إلياس».. فقلت  
أمى:

- أميرة جاها للرجوع.. مسكينة، عاملة  
عصاية «كحت» ريتا بنتها الطفلة..

«لم يشهد «أبو حسنية» لحظة ميلاد  
«صابر»، كان فى تريحه «الزواجات» مع مائة  
رجل على رأسهم الرئيس «خليفة»، ولولا خطأ  
«أميرة» فى حساب مدة العمل واستعمال  
الزيس «خليفة» ما تركبها وحدها.. وكان  
للشيخ «أنور» يقرأ الآن - ختمه - فخرها «أبو»  
حسنية، لرقامت بالسلامة..

(٦)

أفك الآن أمام «بوابة» بيتنا للزواجة  
للجامع.. وشمس الشتاء جمع أجدادى «عبد

ومنع الأطباء الزيارات عنها ولما ماتت قامت «جمعية العاملين بالكتاب والسنة» بأسبوط بشراء الكفن وإخراج الجثة من ثلاثة المستشفى وجاد بها شباب ملتحمون بسيارة ذات ليلة - فدفنوها ونحن في غاية الخجل .

## (١١)

.. في حالة تشبه «الجزارة» عشنا الأيام التالية لزواج «حسنية» فحين لم نقر لها ليلة فرح واشترطنا على «فرج الله العبد» أن يكون ابنه «خير» على ابنتنا «حسنية» بحيثاً نحن مملكتنا «نحاشوا للحرج وكلام الناس» .

«حسنية» أمها مائت بالسكة، فزوج «أبو حسنية» من «أميرة» التي كانت معترضة على زواج «حسنية» من عبد فلم تحضر إجراءات الزواج... .

## (١٢)

«أميرة» في منزل «دور العمد» تكي، و«صابر» يصرخ من حذاب «الخيزانة» التي تلهب قحميه وأنا خارج - كالفار المبلبل - أتسحب، بعد أن رجوت العمد أن يفعله فثمتنى... .

.. ما دام عامل فيها راجل... روح هات له نار ابوه... .

«بعض الحكايات سرت في البلد كلها تقول إن «أبو حسنية» مات في معركة بين وبين شاب غنى من «الخارجة» وإن المائة رجل تذكرك له كذلك الرئيس «خليفة» وحكايات أخرى تقول إن «أبو حسنية» علق امرأة أخته من «للرحيلة» وعاش معها في قرية اسمها «القصر» مشهورة بجبال نساها، كان «صابر» قد تسبب في سقوط «أحمد» ابن العمد من أعلى سور «البستان» فكسرت ذراعه وشهد عليه اثنان من عيال الحلب هنا «سيد أبو ذريح» وصلى ابن «بنيه»... .

الشهر ده انتزقت فـا جمعية دفعت القرشين اللي معاه وبعدين رينا افكرنا أنا و«أم ياسر» بشوية عيا وسامحيلي يا «أم صابر» ويا ريت كان معاه وبنتي يا «أم صابر» أختي وليكي متى الكفف ده زاد والكفف الثاني مسيه. ولسمي لي على «صابر» ورينا يظمن قلبك ويفرجك بيه» .

قرأت الخطاب بصوت مسموع قائمات «أميرة» وسيل شتائم ودموعها كالنهر.. .

روح يا عبد السلام يا ولد أمي وأوبريا روح

شالله تقطك عريه

شالله دراك ما يذّن مفاك

شالله يشركك حكيم

شالله تشعت عليهم

ولتي يا مسلو به يا قحبه

شالله تجيكي شراية دم ثلث دراك... .

«عبد السلام» قبل أن يعيش في «عين شمس» عاش سنوات تكفل خلالها «أبو حسنية» بكل نفقاته من أكل ونحاش و«هدوم» لأن أباه المرحوم «حسين» طوق علق «أبو حسنية» بعهد اللزم بداه عليه بأن يصون لحمه ولحم أولاده من بعده وتل «أبو حسنية» وثيقاً حتى اختار «عبد السلام» الإقامة والزواج في القاهرة.. .

## (١٣)

«فرقية» تعيش الآن مع «أميرة» بحيثاً عن جو البيت الذي يذكرها بالوحدة والفرقة بعد وفاة أختها «روحية» في مستشفى «المبرة» بأسبوط... .

«عندما داهم المرض الخبيث جسد «روحية» نلقها «رافت سلمان» الذي يحمل ترخيص حلاق ورقة عن لييه - إلى «المبرة»

تبعها في أقرب فرصة مع أي حد جاي من مصر... رينا يخلف عليك بالحلل ويعرض عليك عرض الصابرين ويديم عليك عافيتك وينور لك عينك ويكليك شر الماروق ويولد الحرام ويت الحرام ويجعل ليك ما عليك .

ملحوظة:

ولتي يا «أبو ياسر» ابتي قول لست «أم ياسر» تبع لي الطرحة اللي قالت لي عليها يوم ما كانت في البلد وما تتساق لياحين أنا ما قادرش لروح هنا ولا هنا من غير طرحة وما معايش غير ما دنشة الشقة .

«والسلام خدام وإيس بيتنا خدام» .

أخذك أم صابر

وكاتبه يحيى يهذيك السلام

تحرير في ١٩٧٢ / ٤ / ٥ .

## (١٤)

ألفنانا الحريق الذي شب في «بورس» على سطح بيت «أبو حسنية» وقام جدى «عبد الله» بصقع «أسيرة» لأنها اتهمت أخته - جدتي «هدومة» - بإشغال النار في البورس، وبعد أيام عرفنا أن «حمدان» ابن المرحوم «بخت المصكري» غريب من الشرقية كان يعمل في النقطة والتدبب ليقوم بدور «العمد» غلب اغتيال العمد في «١٩٦٥» وأصعبه بلداً لعلها ومات فيها بعد أن أنجب حمدان، قد أشعل النار في قطة صغيرة اندست في البورس فاشعل... . وحدثت مصالحة بين «أميرة» و«أم حمدان» التي دفعت «جنيهين» ثمن البورس الذي احترق، وفي اليوم نفسه تقلت «أميرة» خطاباً من «عبد السلام»... .

«أخذنا الثانية «أم صابر» إحنا كويسين والطرحة إلى طلبجها هتوصلك في أقرب فرصة أما القلوس فأنا غصين على وسامحيتي ما قدرتش تدبرهم عشان أنا

(١٣)

«عايدة، طلقها «مهران» ابن عمها «ازم» ولم تجيب منه، تقضى أيامها في الوحدة الصمعية، مع الكاتب «وهو من أوسخ عائلة في مشعل» ولا يفوتها «سوق» حيث تصاجع رجالاً يأثرون من بلادهم خصيصاً لزيارة بيت «المعلمة صفاء» ويمرر السمرات صارت

«عايدة» أشهر امرأة في البيت، وأنها شروط - تشترطها في من يرضيها - من بينها ألا يكون مخفناً أو فلاحاً يرتدى الجلابيب البادية. «عايدة» عليها ديون كثيرة لبالع السمك وأبو صيف «للجزائر وجمال» بالبحر القماش و«نعم» الفزارجي، و«اعتماد» تقول عنها إنها تستقبل شباباً في بيتها «بعد نص الليل».

وكما جلست مع أصدقائي في «غرب البلد» سارحتي بمضهم بملاقته مع «عايدة».. «عايدة» بنت أخت «أبو حسنية» وكانت في حبانها مشهورة «بالمشى البطال» مع رجال من بلدنا والبلاد المجاورة وظلت روحها «مضطقة» أربعة أيام ثم فاض السر الإلهي فكانت فرحة ما بعدها فرحة في قلب «أبو حسنية» ■



# السيرة الذاتية لثلاثة من الحميمير

## نابج الشكري

فعل سحري يتضاعف في حمية الوطن  
ذاتها.

العفاء على العفاء.. وللحم على اللحم..  
حتى حُكِّى إليها في لحظة من اللحظات أنه لم  
يعد هناك. ويفعل عفران الاحتكاك. إلا لو  
الحمرة وحدها.

ثم تكمازج الشفاء مع تأناة وهممة بين  
المكتومة والمسموعة، تقودنا لملاحقة السماء  
وكاننا نشهدا - وعن قرب - على أمل  
المزوجة الشفاهية. وفيما بدأ المشهد بنساق  
محموم، كتبت للبانة في القفر للهواء، مما  
جعلني التظاهرة الأولى بروح السبق.

في انقضاء المودة.. وعند الاقتراب من  
التراب، تطايرت ذراته الهوائية المتلاحقة  
بإصرار مما حدا بصاحب أبوك لأن يعلن  
غيظه.. مستذكر فعل الإنقاء. يا الله يا واسع  
العدل، كيف يتجرأ هذا المدعى للقتل والكمال  
على فعل الفصل ويطن أن ما هو حلال عليه  
حرام علينا؟!

ثم كتبت يا جعشى - قالت أمي - ثمرة  
هذه الجرار.. والاندلاء المشهود.

يتعثر الثاني لبده سيرته، محركا أذنيه  
لفرض ما علق منها من ذرات ترابية ظاهرة:

- فعل السيرة الذاتية ذاتها قد تمكمت، لقد  
أطروني ثداء لا نظير له، حتى إن صاحبي

يوما صار المالم بأجمعه لا يساوي شيئا  
أمامنا، لم تعد ترى منه غيرنا. لكن ثمة شيئا  
يقف قبالهنا، عرفه أبوك منذ أول وفاة، قد  
تقول حاجز الرهبة القاطن في التفتن  
الصدري، قد تقول حبلى للربط أو للتأديب،  
كما يسميه الإنسان الذي يفاخر كذا بأن  
تسميته هذه تصل بإنسانيته وعلمه  
للمخلوقات الأخرى (هذا بدلت امتزازات  
الأذان في دلالة على الإجماع بمصادقية  
تسبب المغامرة). لا هذا ولا ذلك، إنه (تهدئة  
عميقة تجهز لأن يرفع رأسه لمتصف قبة  
السماء ثانية). الورد حيث الأرض مترابطة  
في فصل الشد والشدع. الأرض، أي والله  
الأرض، لا أحد يمكنه تصديق ذلك، ككشاف  
أبيك للأشياء منذ بدليتها سبب له نقصا  
مخلقة لاعتقادهم بأن ذلك يخرجهم عن  
طور بهالسمية المندودة. لا أحد على  
الإطلاق يرغب في أن تكون خارجين عما  
رسموه لنا منذ الأزل، ولو من باب التشرذ  
وامرة واحدة!! أبوك - تقول أمي - استطاع  
ويفضل الله ويفضل نعله المشبت بصلاية  
مختاهية أن يجود لمبة القلع. ومن لمطقتها  
كنت أنت تكمة لنسخة مكررة ستورالي بفعل  
الرض، والافتلاخ. وتبلغ اللحظة المحيمية  
ذروتها حين يكون أول تهاوس وتلاسن بيننا  
وعلى غير المانة ظل يطارحني - تقول أمي -  
الاحتكاك الجانبى، وكان الحرارة المستفيدة

ق  
ثلاثة تلتقى عند بركة من برك  
مدخل زوارة السبخى الرطب  
المصبوح بطونيات متعنية، بدت وكأنها يقع  
متناثرة في رأس رجل متوسط العمر. ثلاثة،  
يجمع بينهما الهوام على وجهها كفيما ألق.  
يستأنز أول الواصلين في سرد سيرته،  
مطوحا نظيره في ألق شاسع بين علب  
فارغة منكبسة بمال مكتسب من تواجد  
حقول صورية لا تهجد ترميد الأيام القادمة  
بقدسها المتفرج في أهلب الأحيان، وبين  
زرقه سماء يعتقد أنها نصف الدنيا:

- حدثتني أمي بألنى أقرب واحد شيها  
بأبى، الذى استطاعت أن تتصرف عليه يوم  
أن جوى به ولا يفصلها عنها سوى حاجز  
نرابى ملهى بالثنين الشوكى. وقد كان لقوة  
الرائحة.. وقوة الرغبة الخفية الكامنة فيه، أثر  
في جملة يطور ويقتلح إمبراطورية الملع من  
جذورها في بادرة هي الأولى من نوعها في  
تاريخ الحميمير.

ويقدر ما كان ذلك مبعث جبرو أبوك،  
فإنه في الوقت عينه مدعاة لسرور صاحبه  
لاعتقاده بأن الهوام اللين الشوكى سيوفر  
عليه تكلفة الغذاء. التقت نظركنا - تقول أمي -  
الثامة لأول مرة عند سقوط آخر طوبة في  
جدار الملع.

يصبى إلى أبى أكثر مما يصبى إلى أمى..  
فكان لداؤه المتكرر، الطعمم الحسان؟  
وزيادة فى المبالغة كان يتسامل أحياناً..  
أعدتم السرج الفضى؟!!

كنت مدخلا للغاية حتى إننى لم أعرف  
الذرية... ولا الأكلات الوضيعة إلا نادراً.. إلى  
أن جاء يوم أنكر فيه نسبى إلى أبى وتتأسى  
بين عشية وضحاها ما كان يكره من مدح  
وثاء.

.. الجعل ابن الصبح، يتجراً على فرس  
كالغزال؟!

صيفة واحدة، ويدس طور متقطع قلبها  
صاحبى، فكانت وحدها كخيلة بالانقلاب  
والجبرم.. وبالتالى انهيار سبل المصى  
والهراوات على امتدادى.. كنت أفس فى كل  
واحدة أنها أشد وطأة من سابقتها.. وكلما  
هبطت واحدة على جزء عظمى، أحسست  
برعدة قوية تشبه الرعدة المتكررة بفعل  
شدية تيار كهربائى..

ورجذتكى ألعب بقدمنى فى الهواء، أنثرها  
زارعاً غصينى، أحسست بحافزى الأيمن  
يفوص فى شىء ما، بدا لى وكأنه قطعة  
إسفنجية رخوة، ثم بانهايار كتلة متجمعة  
تتأثرت أجزاؤها بالبهضاء المصبوغة بلون  
أحمر.. تهاوت المصى للقائمة من كل حدب  
وصوب..

تلمت تطويحاتى للذرية المتعاقبة فى  
تصارع لى... تنهائى لى صوت جشج عن  
قرب منادى بشىء ما.. أحت أهدم متبراً لا  
فى التلاء قدسى اليملى، جمعت آخر ما تبقى  
لى من جهد، فككت به قيدي، ثم أطلقت  
ساقى للريح.

.. طاخ.. طاخ.. طاخ..

درى الصمت فى فضامات المكان..

«بين لأنه والريح».

سمعت الذهكم بوضوح.. أبقت أن اليد  
المرتشة لن تقوى على فعل شىء ما فى يوم  
ما..

غراب يحلق على ارتفاع منخفض،  
وكانه يمارس لعبة الصنت، اشتمذ العمار  
الأول من قبح السطر.. زفر فى الهواء  
بصوت ممزوج، تتأثرت ذرات خياشومه  
المائية.. طائر، غرنوق البصر، يمدون  
استدارة أو لفتاء، رقبتة الممدودة بإصرار  
تشير بصرامته وجديده فى فعل الطيران.

.. أقسم لكم بخطرلى للاندرة، وخصيتى  
للموصوم بها ظلماً وعدواناً، أنى ما همت  
على وجهى إلا لإحساسى بالجوع، فى سجن  
حديقة الحيوان.

ملتت جميع الوجوه الكالحة.. المتبرية..  
للباحة عن انتفاخ الجيوب والكروش.. فطرت  
جميع الأسوار عاليها واطولها، قطعت جميع  
المسافات قصيرها وطولها، بحثاً عن نهر  
أنفجر فيه على الصمان الأليس.. ذاتى  
الأخرى الكامنة فى عمق البهايمة.

يصمت آخر المتحدثين، تطلق بومة  
قريبة نحيباً مخفلاً بهم لا يحد، كبحلى  
للمرورى الثلاثة ببطء للفرجة على لمسها  
بالبركة الملحية المستديرة. ■

# داخل صندوق مدكم

## أحمد غريب

(٤)

هل تتخيل أن أقصى درجات الصغارة هي أن تعيش حياة عادية؟ الحياة العادية أكبر رهان يمكن أن يصالح، ومصدر الخطورة في الرهان هو حجمه: إنه العمر كله تقريباً. أنت هنا لم تختار كرسي اللعب بل مشدود إليه دون حق الانسحاب، بل حتى الهزيمة لا تتوفر بشكلها السريع، إنها مجرد الاستمرار في اللعب دون نجاح معين، يحدد مراسفاته آخرون غيرك، المسألة كلها ليمت بديك، فقط عليك أن تلعب كم نقطة سجلتها وعليك أن تستمر الصغارة هذا مائة في المائة، وليس هناك أي تخطيط. هل يمكن أن تخطط للخطوة الأخيرة، الموت، أو لتقوم على الأقل؟ أنا شخصياً أنظر إليه على أنه لحظة مضت يمكن أن تذكرها بملادين الطرق التي تشعر بك بثره الحياة، الموت مجرد ذكرى سبقت لك، لكن إذا سمحت كلمة شخصياً التي قلتها بهدف التمتع ربما أترجع عن الإجابة والسؤال ممأ، وكشخص جبان يحاول أن يدعم إمكاناته ليقود صفة الخوف قررت أن أحب أكثر من امرأة، لن فوران سألني بكل اللذة ويسلمني إلى لحظة الموت، عندئذ يتمامى الصاحب بذك وبين المرأة، أليس الموت هو لحظة الاتصال بين الحياة الفانية والأبد؟

(١)

ق جبان هناك أكبر من صوت يتحدث، ولم أكن أرى وجه أحد بدقة، كانوا جميعاً يتحدثون، ولم يكن هناك علامة على نيتهم في أن يبتكروا.

ابتسمت، هكذا خيل إلى أن الهامسين على جانبي الأيسر يرغبون في ابتسامتي ثم وقلت بعد فترة وقت إنني جئت ماشياً، ومرفقاً، ويجب أن أعود حتى أصغر منكراً. وأجمروا على أنني سأعود في سيارة مع أهدم، ويجب أن أجلس دون قلق.

تلقبت نظراتها ثانية بارتباك مجرد أن جئت، وأجمعت من عينيها أنها تفحصت جسدي جيداً قبل تلك اللحظة، كانت ابتسامتها تقيماً نهائياً لما أملاه، ولم أكن أعرف ماذا يجب أن أفعل، ولم أجد فرصة لأن أفهم ارتباكاً وأهاليه، كان لدى ذية في أن أتخطى شيئاً ما وذية في أن أنسحب، ولم أرجع بظهوري لأستند على الكرسي فقد شدتني للمحدث ثانية.

(٢)

من هذه الزاوية المفترجة، حيث يبدو في المقدمة مباراة للنس الطاولة، كنت أراها تتخذ الكرة بأنفها فتمبر الشبكة القصيرة بالعرض، ولا يبدو لي إلا ألف اللاعبين الآخر

وقعه. كان الباب خلفها حيث كانت بالخارج ترتدى زى للنس الصلبي ويبدو بعض أجزاء الملعب، تنفذ بالكرة إلى من لا أراه، وجونتها القصيرة ترتفع فتظهر مؤخرتها.

الملعب للكبير يتماجد مع المصرة التي بها الطاولة وكان على أن أسر بسرعة، لكنني خفت أن أقعد اللعب، فالمباراتان على أشدهما.

(٣)

كانت تسألني عما أقوم به في صلي، وتبغى للذقة. وجدت مرفقي يستند على مسند الكرسي، وجسدي يوحى بتعظيم واستحالة بينما أمكني من عدم حبي لوظيفتي، وعن الملل، وللحظة قبلت المرأة، وسمعت قدمها تلمس الأرض بينما تسوى حرف الجيوب، ولم أكن أنطقها هكذا وإنما «جيبية»، وكنت أتجه نفس الكلام بحثاً عن نهاية لهجة نسيت بدلتها وأنا أتابع عودة ساقها الموضوعة على الأخرى لتلاصق الأرض، وأسوي التناقض. ووجدت الكلمة لكن مضطربتها «منجبت» بدما على فخذي لتقاطعي، وكانت تلمس بطني ويدها، ثم وقتت وجهها ناحيتي وانحنت تسألني «هل تشعر بمتكافيه؟» وعيهاها تفوسمان في داخلي بينما تلاصق كفتي براحه بدما، وبعد أن هزئت رأسي استدارت إليها قائلة: «متكافيه برده هه»، وذهبت.

(٥)

أوليتها تظهرى لأشاهد أهداف المباراة  
التي جرت ظهر اليوم، وأصحت للفنان إلى  
الطاوله، وأخذت سيجارة، فقالت: «انت متى  
تحبب الكيك؟»، ولم أرد. فسألت: «هو مين  
للى كسب؟»، فسقلت اسم الفريق وجمعت  
واصفاً ماذا على ساق، وأصفت: «أن الحكم لم  
يكن عادلاً، وقامت مصطفينا لثالث مرة  
عندما سمعت بكاء الطفل بالداخل، وعندما  
أحضرته كدائد خرجنا إلى البلكونة لأن  
التدخين سيضايق الولد» وأخذت أشرب  
للسكافيه، وقالت: «أنت متى عايز تكلم؟»،  
ونظرت إلى الداخل ووجدتهم مشغولين  
بالطفل، وتوقعت أن تسألني مصطفينا عن  
أحوال خطيبتي عندما ندخل إليهم، وقلت  
«إنني تمومت مشاهدة الشروق من البلكونة  
ولا ألتفها في هذا الوقت أبدًا». «تحبب السهر  
قوى كده، ولا بصحي بدرى؟»، وقلت إنني  
سأمنى بعد دقائق، وأضافت أنها متوصلني  
في طريقها وأنها لا تحب السرقة لكن  
التاكسيات خطر بالليل، وقررت أن أجيب  
عن السؤال بأن خطيبتي بشير ومشغولة،  
قليلًا، وخلصنا لكنها أخبرتني أنها قابت  
خطيبتي منذ يومين، وسألتني متى ستزوج؟  
وقلت ربما يسهل، ونسيت أن أسلم على  
الباقين فعدت لأسلم عليهم، وكنت متحمسًا  
من المرح، وكانوا يمتحنوني وهم يملون.

(٦)

لمحت ورقة مخبذة على الباب، ووقفت  
أنظر إلى ما فيها، لكنها أخذتها ولبستها بين  
يديها، وشعرت أنني أأتمر على نفسي وأن  
ذلك مرفق. أصأت مصباح اللفرقة الرئيسي

وتركت بقية البيت في الظلام، لكنها أصامت  
لمصباح الجانبى وأغلقت الرئيسي، وراودني  
إحساس بعدم الأهمية، وقلت إنني جائع،  
وسألتني «هل تريد أن تأكل فعلاً؟»، ولم يكن  
هناك صوت إلا في أنفسي، ولاحتلت أنها  
أقصر منى عندما خلعت حذاءها، وغمدت  
أنها لا ترتدي كورلين، وقررت في أسماء  
أصحابي الذين كبحوا الورقة، وقالت إنهم  
ينظرونني في مقهى أندلسية وسألتني «هل  
ستذهب إليهم؟»، ولم أرد وإنما جلست على  
السريز لم تمددت، فقالت «في غرفتك ثلاث  
مرايات، ثم نظرت إلى المكتب وتغير وجهها  
عندما رأت صور المملات الموضوعة تحت  
زجاج المكتب، ووضعت يدها على مقبض  
الدرج الأول، ولم تفصح. فقلت جملة من  
رواية كنت أقروها «إنك في مكان جاء فيه  
المستقبل ونحب، فقالت «أنت لا تبدو لي  
غامضًا كما تخيلته ولم أرد، وتفكرت جملة  
أخرى وردتها بيني وبين نفسي «غامض  
جداً، ومتطايّر جداً في الهواء. دون شيء  
يمتدح عليه أو يبط رحله. إذا أردت أن تراه  
أغلق عينيك سوف تخطر لك أفكار، وسوف  
تخلص من عقده، وسوف تظهر لك روى  
رائدة».

(٧)

جلست على المكتب فوق للصور  
ووضعت يديها بجوار فخذيها لتخطي بقية  
الصور التي لم تخفف ثمتها، ودفعت على  
لوح للزجاج لأنها منمكة، ويبدو أنها فهمت  
قائي تحقًا بالصور فقالت «الحى أبقي من  
البيت، ونظرت إلى غرفتي وكلتها تنظر إلى  
أفئاض فسقت لنا ليس عددي شعور مند

المقابر ولم أكرهها أبدًا». «وجلس على  
كرسي المكتب أمامها، فمدت ساقها على  
كسني واستندت على يديها إلى الخلف،  
وأصفت وأنا أرفع الحقيبة إنني كنت أنعب  
إلى المقابر صباح الجمعة من كل أسبوع وأقرأ  
الصورة بعشرة صاع، ودفعت رأسي ضامًا،  
حتى هبطت على وتركت المكتب، وارتعت  
لأن الزجاج لم ينكسر، ومدت يدها وفتحت  
ال F. M. فوجدت فريق ميثرف يخي «أفعل  
كل شيء من أجل الحب، لكني لا أريد ذلك»،  
فقالت «أنت حيران داخل صندوق مفتوح،  
وأعطت الراديو، وكانت أنفاسي تتلاقي لكني  
وضعت شريط كاسيت لموسيقى هائلة، وقلت  
بدون ذلك سيسعدني الجيران، ولم أكمل الجملة  
تقريبًا لأنها مزقت قميصي أو البذلة،  
ومررتها كثيرًا، وكانت ممتدة إلى درجة لم  
أتحولها حتى إنني تذكرت جملة شهيرة في  
فيلم غريزة أساسية، وقلتها لها وكانت ترددي  
ملابسها بكمل ولم ترد علي، ثم جلست بين  
رجلي وقالت إن حبرتي جميلة، وسألتني  
متى سيسعد أمني من الصفر؟ وقلت في  
الصيف، فقالت إنني في يونيو الآن فمتى  
يكون الصيف؟ فقلت في يوليو بعد أن تنهي  
الامتحانات. وقامت لتجلس على الكرسي  
لكنك تظهرها حتى كادت تسقط لكني  
أمسكها قبل الأرض بقول، فقالت إنني لن  
أصبرها بهذا الإحساس لو كنت في بيتها،  
وسألتني «متى أخذت مالك منى؟»، فقلت  
عندما أخبرني صديق لي أنه يملكه، ولم أكل  
لها اسمه رغم أنها طليت، ولم تجبني عن  
نفس السؤال متى أخذت بالها منى؟، ولم  
أكن مهتمًا بالسؤال لكنها طرحت أسامي،  
وقالت عندما أتصل بها غداً ستجدني في  
إجاباتها. ■

# إسرا .. إسرا .. يا إسرا

## أشرف الشماع

فقال لآبد البهائم جالعة قالت شعبه وضروها منتخفة ومملوءة باللين لكنها لا تدرك فقال أين ماذا هناك؟ قالت مائية وهي تشرب إلى حجرة المسافرين المرأة إسرا قدمها قدم نحن قسمهم الحاج وقال في سره زوجي الدميمة مختاطلة من إسرا الجميلة وانفتحت من قدوس للأزاعة فأما حاداً وخرج وهو يسير على حافة الخرساء (المرء)، كان يندفن بالتمساح إسرا إسرا يا إسرا. وبخلت زوجة الحاج غرفة المسافرين لتوقظ إسرا، الثالثة فأصابها دهشة وأصابها رعشة كانت جدران الحجرة ذات اللون السماوي قد تفتت بهتج كثيرة سوداء وصفراء وخضراء وزرقاء ورمادية وسقفها الأبيض صار أسود جداً وتأكدت في سريرة «مائية» أن قدم «إسرا» قدم نحن وإن قدمها قدم سريرة لكنها تكنت سابقتها في لحم روك إسرا، الدامع وقالت «الصباح» وتوتت إسرا، قبل أن تمسحل واعتدلت وفركت عينيها وقالت «صباح جميل» و «مائية» وضعت أمام «إسرا» صينية عليها طعام وقالت «ماذا حدث لجدران الحجرة؟» إسرا، هفت بضيق «جبن شديد الطوحة يكون إسطرابي؟» وتساوت «أين اللين يا أخت؟» مائية «قالت، بهائمنا هذا الصباح بخيلة» وقطبت «إسرا» جبيلها فزاد الكلب الضخم وهو رايش في حظيرة المرواشي وقالت إسرا أين الحاج يا أخت؟ كان الحاج «مجاهد» في العقول يضرب أرضها بفأسه الحادة وهو يندفن «إسرا» «إسرا» إسرا و «مائية» قالت «يا إسرا الصباح رالع

وعلى إحدى الدككة» شددت «إسرا» بلا حياء أمام الصاج «مجاهد» الذي ارتبك، وخرج الأثنى الفجرية قالت «أماذا يا حاج مجاهد تأخرت في فتح بوابة بيتك لي؟» فقال «صغير الرياح الماصفة صم أذنّي» واتجه الحاج إلى إحدى «الدككة» وجلس وقال «قرلى لي يا إسرا» لماذا تسيرين وحيدة هكذا في أنصاف الليالي؟ إسرا رفعت لفتها إلى الأيمن فتمسحرج ذول ثوبها الناعم إلى خصرها فكشف لعمها قالت «أنا لا أسير وحيدة» أنا معي كلبتي «الجموح» تطردني دلكاً لأتني لا أمكك بوكاء» و «ماع» كلامها وتكلمت صريرها «ناس للجموح يقولون عني إنني رقة لأتني غازية» والحاج «مجاهد» بهرته نصاعة رزكها العاري. ونمعه فار. ورفقه جرى. وقام واتجه إلى «الدككة» المتعددة فوقها. وقعد بجانب صدرها الذي «يشخل» وقال «غازية غازية» المهم ذلك جميلة جداً يا إسرا. ووضع كف يده على رقبته ونزل برأسه إلى رأسها وتهدت «إسرا» تهديد الغوازي وفي الصباح صاصات الصابون وطلعت شمدا الدافئة من خلف سن جبل الشروق وأثارت عالماً بسور الذهب و «مائية» أخذت «ماجور» فخارياً ودخلت به حظيرة المرواشي وكان هناك كلب «إسرا» الضخم ووضعت «مائية» المايجور تحت منروج اللقير ووضعت تحت منروج اللقير ووضعت تحت منروج اللقير وعندما خرجت من الحظيرة كانت خارجة مخزونة ولا حظ الحاج فحولها فقال لها «يا بنت مالك؟» قالت «المعزول لا تدرك اللين»

فاجأت «الغازية» ودخلت نهمدا. دخلته في ليلة عاصفة. دخلته في منتصف الليلة العاصفة. الدخيل كانت ترتج. والسماء مغبرة وصوت الريح مرصفاً. و «الغازية» دخلت نهمدا في منتصف الليلة العاصفة ومعها كلب ضخم في حجم ثور شاب. ووقفت أمام بيت الحاج «مجاهد» وضمت قبضة يدها وضربت بها خضب (البوابة). ولم يفتح أمد. وطلعت كذيراً حتى فتحت البوابة أخيراً. ونظر الحاج «مجاهد» إلى الطارق فوجده امرأة واقفة تطير الريح شعراً. وكان سبيلها إنسية أم جدية؟ عندما قالت «عابرة» سبيل أضنتها العواصف تلذ ببيتك. فقال وهو يفسح لها الطريق إلى الداخل «لذت ببيت لا يرد اللاكذ» ادخل لي يا امرأة. ودخلت «الغازية» وبودما كان يعلق البوابة اندفع الكلب الضخم ودفع البوابة ودخل وأرتاع «مجاهد» من ضخامة الكلب لكنه هم بطرده إلا أن «الغازية» قالت بصوت مكسور «هو الآخر عابر سبيل أضنته العواصف يؤد ببيتك» فقال الحاج متحاشياً «همم» ومن الحجرة التي في منتهى البهوت طلعت «مائية» زوجة الحاج وعلى وجهها دمة مملوءة بالنمسا. واقتدرت من «الغازية» وقالت لها «أفلا أملاً وسهلاً» وقالت لها من أنت يا أخت؟ و «الغازية» شغلها مملوءة على صدرها وقالت «أنا واحدة اسمها إسرا» فقال الحاج وهو يشير إلى حجرة المسافرين «أفلا بك يا إسرا» انحنى يا مائية وهزى لإسرا لكمة. تلعن لي يا إسرا



والشمس دافئة ولا عواصف يملكك بعد الإطمار أن تغادري البيت وتمكني طريقه التي كنت تسيرين فيها لئلا تكن إسرا فخبث أنا متعبة أنا ألقى البقاء هنا لبعض الوقت ، ومالية، انزعجت وقالت في سرها ،شورر عظمى ستصيب البيت لو بقت هذه المرأة، وقالت لإسرا لكن يا إسرا نحن لا نملك لك طعاما بهالما لا تدري لنا ومحقولا اعتقد أنها لن تبيت زرعاً فقلت إسرا أنا لا أحتاج طعاماً أنا أحتاج راحة جسدى و مالية، انزعجت وقالت في سرها بالتأكد تتشقق هذه الجدران ويضعف البيت يزهق في وجه إسرا لكني لا أريد ملك البقاء في بيتي أريد ملك أن تذهبى اذهبي اذهبي وهرولت خارجة من المحجرة و إسرا، عيناها لامعتا وأفرجنا رويداً برأنا زمجرت وفي حظيرة المواشى زمجر الكلب الضخم وقفز على بوابة الحظيرة وهشمها وأطلق نوح «مالية» التي كانت تهزول لدعوة غرقتها التي في منتهى البيت، ومالية، ركبها الذئب فحيرت بكل سرعتها تدخلت الحجرة وتعلق عليها بابها ودخلت غرفتها فجعل لكنها لم تستطع غلق الباب الذي دفعه الكلب وانقض عليها كانت شمسا واقفة فوق من جبل للشرق وكانت مفترية والمناج «مجاهد» في حقله للقرين من البيت يندلن «إسرا، إسرا، يا إسرا لكه هذه المرأة لم يكمل دندلته إنلذه سمع صوت زمجرة عاتية وصوت صراخ زوجته المرعوبة وألقى أفاس وجري كالعاصفة نحو بوجه وهجت من طريقه طيور أبو القردان، للبيضاء و «العصفور» والبنادق» أتى السماء واخترق الحاج بوجه كانت ضروءاه الذئب تكتب من المحجرة التي في منتهى البيت المحجرة التي ينام فيها مع «مالية» يقبض العماد الذي أحب بدام أعضاهه لتت مسريرا طوي الأرجل، ولندفع نحو بابها وعندما فحه رأى الكلب الضخم يأكل زوجته ولتجبه الكلب المسعور على صوت فتح الباب فاستدار نحو الفاتح وللحاج «مجاهد» خاف على نفسه فأغلق الباب كان الحاج يلهث ويصيح

استلذت بكوعها الأمين على حلق البوابة وقبعت بأصابعها اليسرى على خصرها أنا هنا في بيتي والشيخ «عمران» قال «أهه» . وراحد من الناس علا صوته «انكشف الضارب يا خلق كلب إسرا أكل مالية وإسرا سرفت بيت مجاهد وأرتفعت أصوات الناس «إسرا قتلت مالية وسرفت البيت والشيخ «عمران» هجم على «إسرا» ليجذبها خارج البوابة و «إسرا» زمجرت وإحمرت عيناها والكلب الضخم زمجر وقفز فوق الشيخ «عمران» وقبض بأسدانه على رقبته الحذيفة فتفجرت منها للدماء والناس هجموا على الكلب ليخلصوا «عمران» منه لكنه استدار وزرع في القفز عليهم فلجوا من أسامه إلى العقول والكلب نهى جسد الشيخ «عمران» وهرجه إلى مصرف لسماء امام أمام البيت وألقاه فيه و «إسرا» واقفة تقهقه بهجنون والكلب جاء ورضن تحت قدميها ولحق للدماء العائقة يصدره ومخالبه والناس فرروا إلى طرقات النجج فندروا إلى البيوت وفقدوا إلى دور العمدة وقالوا له «إسرا الساحرة معها كلب مسعور يأكل الناس وهي تسرق بيوهم و العمدة بهت وأغمم وقال «أارب من أين جاءت لنا إسرا الساحرة»!! وقال «فولروا لي يا ناس ما العمل؟ رجماء قال فرحا كلب إسرا القاتل تقتله كلابنا زرع أمرا كل كلاب البلد واطلقوا على كلب إسرا لتفتك للناس جمعت كلابها في ساحة «الربها» أسفل شجرة «الكافور» المالية. كانت كلاب كثيرة ومختلفة الأثوان والأحجام سردها ويهشاه ورتطام ودية ورمادية وحمراء أرمنية وبندية وهجينة نطاب وهجينة ضباع وهجينة لحالب كلاب كثيرة كلاب كثيرة كثيرة آلاف الكلاب كلاب كثيرة حتى أنها جلست على «الكلك» التي يجلس عليها الناس رجاء للعمدة إلى الساحة ونظر إلى الكلاب وقال للناس «سوقواهم إلى بيتي مجاهد واقتلوا كلب إسرا» سورا على بركة الله وسار الناس أمام الكلاب وخلفها مفترين صحابات غبار كثيفة حتى وصلوا إلى مشارف الحقل الواسع الذي

ثروهان إلى السموات والأراضين وباب حجرته التي يقبض على «أكرة» ومالية، بالدخل تتخبط في الحواطل ونمها يطير في الهواء كالرناذ فيلون طيور العماد التي كانت ترغرف مهدجة في سماء المحجرة والكلب بكت أطفاله في لحمها ويهشاه و «مجاهد» جرى نحو آلات الزراعة وقبض على بلطة تقبلة وعندما فتح الباب مرة أخرى أغلقه بسرعة لما رأى الكلب مرة أخرى يستدير إليه. وهذه المرة الحصفت بذمته صورة زوجته الممزقة والمضغنة بالدماء والهامة شاماً وقلبه في هذه اللحظة ناج. وفتح «مجاهد» فمه وصوى «يا وللد الكلب يأكل زوجتي» وجرى خارجاً من البيت وهو يصوى «يا واحد الكلب يأكل مالية» واخترق الحقل «يا واحد الكلب يأكل مالية زوجتي» والناس تركوا الأعمال التي في أيديهم ونظروا إليه كالت حيون الناس وإسمة بالندمة وشيخ البلد الرئيس «عمران» أسكاه «مجاهد» الصارخ في الطرقات من هبه وزرع فيه «ما الحكاية يا مجاهد يا أهي»!! و «مجاهد» ثق «جلابيت» وصرخ «الحكاية»!! . وانذرع عصاهه من رأسه وألقاها على الأرض «الحكاية»!! . وشد شعر رأسه الأبيض وصوى «يا واحد الكلب يأكل زوجتي» والناس جروا إلى بيت الحاج «مجاهد» وأسأم البوابة المغلقة كان كلب «إسرا» مقعوا له هجبة يلحق بلسانه الطويل الدماء استتافرة على صدره وزراعية وعندما هم الناس بدخول البيت زمجر الكلب زمجرة مثل الرعد الهادر وقبضت البوابة وطلعت «إسرا» الغازية على الناس والنشائيل تصلصل على صدرها وقال شيخ البلد الرئيس «عمران» «من أتت يا حزمه»!!؟؟!! فرددت عليه وصوتها يموس «أنا وأحدة أسما إسرا» فزرق شيخ البلد «يا إسرا كلامك يموس وشيخائيل صدره تصلصل ويدخل البيت امرأة مقبولة وخارجه كلب ضخم قاتل !! قالت «الكلب الضخم كاي لا أظناه يضبط لنفسني ويغرق لقرني» والشيخ «عمران» اندفك «كذلك !! قولي لي يا إسرا ماذا تفعلين هنا؟» و «إسرا

الهواء العاتى وتخبطت بجفون وفى البيوت  
القلقلانة كان الرجال يسبون أحده الطلوعى  
وليلاب وأسنان السناجل وأخونا «قدوم» مر على  
كل بيوت النجع وأخذ منها كل البهائم  
جاموس ويقر وجمال ونجاح ومعبوح حتى  
التقط لم يتركها حتى الكلاب التى ما زالت  
الدماء تنز منها أخذها وجمع كل الحويوانات  
خارج النجع ناحية الشرق الغربى وأخونا  
«نقم» وقف فى الساحة الضيقة التى أمام  
مسجد نجعا ووضع على جانبيه فمه راحتى  
يديه وأطلق صياحا مثل عواء الذئب ولم يمر  
وقت طويل حتى كانت أسراب الطيور تملأ  
السماة السمعة وتحط على حوائط البيوت  
وتعلق بأى بروز لقد كان شكل منقطة المسجد  
البارقة فى السماء مذهلا وهى مظنة غاما  
بأجساد الطيور وكانت أجهشتها تترنرف  
لمواجهه صف الريح مئات الآلاف من  
الأجنحة تضرب الهواء فندحت صوتا مهيبا  
وخلال هذا كانت الطيور تفرع ومهداه  
المتعارج مع الهواء يرتد مثل نبض قلب مارد  
جلس على سن جبل الشروب وصوت  
«مجاهد العزيز يثرى بعيدا» يا واحد، الكلب  
ياكل زوجتى، وكانت قوارب صغيرة تمهر  
البحر من سفينة البوحدة إلى سفن نجعا  
مملوءة بالبشر ومظفانا وقت عليها أعداد لا  
تصى من ناسا الذين يسكنون للبحر  
الأخرى وكان أخونا «عاطى» واقفا بينهم  
ويقول بصوت عال «يا ناس إسرأ سرقت بيت  
مجاهد يا ناس كلب إسرأ أكل مائة زوجة يا  
ناس كلب إسرأ غلب آلاف الكلاب لكن كلب  
قارون نهش قطعة من ذيله وجاء الصباح  
وخرجت شمسا من خلف سن جبل الشرق  
مثل برتقالة منخمة مبهجة وبذا الزحف،  
جيش الناس والبهائم يشي حيوشا على  
الأرض بينما أسراب الطيور تظلل وآلاف  
الأشعة اللامعة تنرق وهى تتلطف من الأدهة  
«مسودة» إلى زرق سماننا وبسرح بيت  
«مجاهد» تدر من بعيد تكلو . تكلو . ويتضح  
لنا البيت كله ويتضح لنا كلب «إسرأ» رابضا  
أمام بوابة المنخمة . ■

الكلب وإلهاجة المومس إسرأ بنت الهالجة  
قاعدان على وجه الدنيا!! وفى الليل كانت  
الريح شديدة وأشباح الدخول مبل ثم تتكسب  
مبل ثم تتكسب وتتصريح وصوت الساج  
«مجاهد» يمزج مع الريح نائما يا ولاد  
الكلب يأكل زوجتى مائية، ويمزج مع الريح  
مخرشا إسرأ . إسرأ . يا إسرأ ونحن فى بيوتنا  
بكينا وحريما ولولت وأطفالنا نظنوا لإينا  
بأندهاش وخوف ومر الليل كثيرا وفى الصباح  
طلعت شمس الصباح شمس صفراء صفراء  
مثل وجوهنا الصفراء لم تلم مثلا وخالفة من  
كلب «إسرأ» مثلا وكنا سنخرج للحقول عندما  
علا صوت المدة من ساحة «الرهبة» يا خلق  
تعالوا يا خلق تجمعوا فى الرهبة وتجمعوا فى  
«الرهبة» وجلسا على «الدك» الكبيرة  
الموضوعة تحت شجرة «الكافور» العالية وقال  
المدة «أنا سأقول كلاما كبيرا» وقال «إسرأ»  
رويدا رويدا سمعت كل بيوتنا وكلها سيأكلنا  
ويأكل حريما وهوالدا، وارتفعت الشمس فوق  
سن جبل الشرق ونورها ألباهت سقط على  
وجه المدة المتعق «يا ناس إسرأ نجعلها  
صعدتنا تتحكم فى نجعا لكنها تترك لنا بيوتنا  
وكلهيا لا يأكلنا هذا هو اللع لئليها» وقام  
المدة وقال أنا ذاهب لأتنازل لها من  
المردية وقبل أن يخطو خطوة واحدة ارتفع  
صوت «قارون» وهو يتقدم نصر «الرهبة»  
مهولا «كلى يا ناس نهش قطعة لحم من  
كلب إسرأ» كلبى اليوم عاد وفى جسده مائة  
جرح وفى فمه قطعة لحم من كلب إسرأ  
وصمت المدة «قارون» وهو يزعق يا سلام  
يا قارون كلك يا قارون أعطانا الأمل يا  
إخواننا كلب إسرأ قابل للتمزيق لن نتنازل عن  
المردية وسقطت إسرأ وكلهيا وبخبطت  
أصوات الناس الزاغة «الله أكبر الله أكبر الله  
أكبر وما إن وصمت الشمس قمحها على سن  
جبل الغربى حتى أمر المدة بدق طبول  
الحرب واستمر القرح حتى ظهر شمس  
الشرق كان قرع الطبول يرح صمت الليل  
ولم تلم الدخول ولا الزروع ولهاجت أصصا  
الريح فعمصت وطبور البرارى طارت فى

يوسطه بيت «مجاهد» وهناك صاح الناس  
فى الكلاب اللاهة «وهو» يشك بشك عليه  
عليه كانوا يهيجون الكلاب لتطلق نحو كلب  
«إسرأ» الرابض أمام البوابة وانطلقت فعلا  
انطلقت مثل سهام ألمعية وفى لحظات  
اشدكت مع كلب «إسرأ» وعلا صوت اللباج  
الغاضب وعلا صوت اللباج الخائف وتراب  
الأرض هاج وطار إلى السماء وطارت كذلك  
أجسام كلاب وسقطت فى المصروف وطارت  
أجسام كلاب وسقطت فى الحقول وطارت  
كلاب وسقطت على سقف بيت «مجاهد»  
وفى ساحته وكتب «إسرأ» يرعد ويهجر  
وصاليه لولا ذرهيف يقطع للرقاب ويمزق  
الأجساد وكتب النجع رغم الهول كانت  
شجاعة لقد تكاثرت على جسد كلب «إسرأ»  
وأصبلت فيه مغالبها لكن مغالبها لم تستطع  
مجرد جرحه كان شره غزيرا فأحما وجده  
مثل صناعل حديد أما كلب «قارون» الضامر  
فإنه هجم على ذيل كلب «إسرأ» وأجس  
بأنبياه جرحه منه فاقطع منه قطعة  
منقطة وجرى بها وهو يشخب فى دمايه وزاد  
هواج الكلب الضخم فقتل مئات الكلاب غير  
ما جرح منها والباقي هرب وناس النجع  
تفوسم انكسرت وراقبهم قصرت وجاهم  
إحساس بأن «إسرأ» وكلها لن يمرزا ما حدث  
بسهولة بأنهم الضحايا الجدد وثامرا الليل فى  
كاهرس طويل وصعدوا قبل الفجر عدة مرات  
على صوت الساج «مجاهد» الهائم فى  
طرقات النجع وفى الحقول وبين قبور  
«الجبانة» غرب نجعا يا واحد الكلب يأكل  
مائية زوجتى وكان أيضا يندن «إسرأ» إسرأ  
يا إسرأ ودموعة تنهمر مثل فيض دافق وقال  
أخونا «شهد إن الساج «مجاهد» جن وقال  
«أكبر الله خير» من مديا إخوانا يتحمل  
نصف الذى أصابه؟! ورفض «بهاك» ود  
شيخ البلد الذين «معدان» أن يصب سزافا  
لطفى الغراء فى أبيه الذى أكله كلب «إسرأ»  
وقال «أنصب وجدة أبى مقلقة فى مصروف  
مياه منحل تأكلها الأسماك ولا أستطيع  
إخراجها ونفنها!! أنصب يا ناس والكلب ابن

# الانتشارات والتوزيعات

١٩٤٣ **مأزق المسرح العربي بين نوستالجيا الفكر وجمود الإبداع، وفا. كمالو. أوبرا الحسن البطري، مجدى فرج. مخطوطة شعرية لمحمد فريد أبو حديد، بيل فرج. بين الجنون والبهجة، عبد الحكيم العلامى.**

---

**الناشر عالم فيرنر هيرتسوج، محمد فايد.**

## الإشارات والتنبهات

الثاقبة ولحموا إضاءاتهم الأولى.. وبإثباتهم الأولى.. وغيرهم جلدهم الأولى..

المقصود السياسية في هذه المرحلة، هي جيش شعبي مهمته قمع الطبول، وإشغال المواطنين في حارات الوطن العربي من طنجة إلى حضرموت..

وليفلتها أن تفلح كل نشرات الأعيان التلغرافية المنقولة عن «الواشنطن بوست»، و«جورناليم بوست»، وأن يستبدل بها قصيدة لعمر بن كلثوم، أو طريقة بن العبد، وأعترة ابن شداد.. فهي برغم قدمها، واختلاف خطابها اللغوي والشكافي تظل مسكونة بالهائج القومي والقبلي، وتساري كل هذه التلقايات الشعرية الحديثة، التي تتكلم على أربابها منذ سنوات، دون أن تفكر دائرة التلقايات في البداية بإرسال سبائلتها، نجما ورهبيا في مكان آخر(٢)

من خلال هذا التمس يتضح رفض الشاعر لكل المتغيرات، وبلاسن القارئ ومع الحنين إلى زمن مضى، وبأس بالامكان أن يهده.

لاشك أن هذه اللزعة تتشاور مع عديد من الأليات التي شكلت الفكر العربي وبلغته نحو صراع جامدة الحصرت معها العقلانية، لذلك قدن حاجة إلى نوع من تعجير الواقع كشفا للزيف والتضليل والأيدولوجيا السلفية التي ترسخ سطوة الهيمنة القبلية بفرض الأفكار الشافهة وتكرسها من خلال التكرار والإعاج عليها، أو عن طريق البريق الساحر الذي يذلل البشر إلى التحليل بعيدا عن واقعهم تجنبا للفرص إلى زوايا التردد على الواقع لتصبح المحصلة النهائية هي أن الظلم والظهور وعدم المساواة هي قدر محتوم وقاهرة طبيعية في وجود الإنسان، الذي يهب عليه أن يبقى أسير قويدة ولا يحاول التدخل بإرادته لتغيير الأوضاع القائمة، أو لا كان التدخل في دوائر التكرار والبريق والصيحات.. وبذلك يتنازل الإنسان طواعية ويكامل إرادته عن وعيه ويضع في برائث التفكير.

ولما كان الحصار الفكر العقلاني على المسئور الاجتماعي والإبداعى يشير بوضوح إلى أصعاق الذات العربية الراقضة للمنظور الجدلي - فإن هذه الألية تتضح من البرق الأحادية لشكلات الوجود، وبخاضها المجتمع

وتعاش الزمان والمكان والإنسان في إطار ثقافة بلا مركز، ثقافة الصدى وبأس الصوت.

وإذا كان المسرح هو التحدي، وهو الصيغة البديعة للساند والسكان، حيث العالم الذي صنعه وإرادتنا، والوجود المتحدر من الصدفة والعشوائية - لذلك تأتي هذه الدراسة في إطار التفكير العلمى بآليات نوستالجيا الفكر، وجمود الإبداع العربي على مستوى النص والإخراج والأداء - وموصلا إلى رؤية نقدية قد تلمس المجال لإبداع مسرحي عربي بلا صوامت ولا تناقضات.

### مفهوم النوستالجيا

- النوستالجيا (NOSTALGIA) هي توق وحنين غير سوى للماضي، ينتج عن عدم قدرة الذات على التكيف مع المستجدات والمتغيرات، وبالتالي عدم القدرة على الاندماج الاجتماعي الذي يسفر الإحساس بالاعتراق. ويصله صامة فإن هذه النزعة توجد في كل خطاب يستند إلى مفاهيم الرجوع، العودة، الابهات، التهوؤ بشيء مكتمل، أو شبهه مكتمل، ولو كان مكتملا، وبالالتفات إلى ما كان وعادته إلى المقدمة حيث يجب أن يكون(١).

وإذا كان الإبداع لا يتم في الفراغ، فإن هذا المنظور يتسلل إلى وجدان المبدع فودعه إلى الفوضى في أصعاق ذاته وهزلها من محيطها، وإلى الحاضر والمستقبل باسم الماضي المجهول - الذي ليس بالضرورة أن يكون كذلك حين يفرض التحليل الموضوعي، ولاشك أن المتغيرات لن تتوقف عن الحدوث لمجرد رفضها واعتزالها، والماضي المجهول لن يعود.. لكن يبقى الحنين إلى علم حتى يهد فوات الأوان. وحتى تتعرف عمليا على أبعاد هذه النزعة نتوقف أمام مقالة الشاعر تزار قباني، بحتوان «القصيدة السياسية وريفة للدفاع».. يقول:

تحاول القصيدة السياسية العربية أن تتكلم غشا المذرية العربية من الإغتراق، وأن تملأ الفراغ القومي الرهيب الذي يحاصرها، وتكون بدولا للفكر السياسية والمسكرية التي استكملت من المعركة.. وانسحبت من جبهة المواجهة... في هذا الزمن الذي خلغ فيه الثوار بذلاتهم

## المسرح

## مأزق المسرح العربي بين نوستالجيا الفكر وجـود الإبداع

كما كان المناخ الثقافي العام في والسعدا المسرحي هو مناخ منع وتصرير، حيث سلطة (اللا) هي الأكثر حضورا في أفق الفكر والإبداع، لذلك يتجه المسرح العربي نحو تكريس الأيدولوجيا السائدة التي تؤكد عبثية العمل الإنساني، ويطلق هاجرا من الانطلاق بعيدا عن ذوي اليقين التهاى، حيث العقلية دائما لها وجه واحد.

فكر متجمد يمكن أصعاق الواقع العربي.. فهو، تسلط رضوخ، قمع، رؤى غيبية، سلفية، استلابات واختلالات، كبت، وتزمت، وخوف وعروب ولاشك أن هذه الآليات المدمرة قد دخلت في إطار الثابت والسطو، لتعصف بالوجود المسرحي، وتزاد الفجوات، وتشد العزلة فتصبح النتيجة هي لغة أحادية تعمل ثنائية الانشطار الفكري، وإدراجية المنطق والنسبي.. لكن، دون حوار. لذلك يأتي الإبداع المسرحي العربي عبقيا.. مستغلا للذاكرة والوجدان.. لغة شعائرية، مزيجية بالصوامت والتناقضات، بلمل خيالاته الدائمة للفكر الرعب، وللمناجات المجدبة، والجسدية، لتصبح في النهاية أمام كتابات مثقلة بالإسقاطات والاستعارات والكنايات.. فلى مسرحنا العربي

## الإشارات والتنبهات

على أظفاري، بعيداً عن الخلفلة التي يحدثها  
العرض المسرحي، (٤)

وكما يقول «بيتر بروك» - في كتابه -  
(المساحة الشارضة) (في معظم النظم  
السياسية، وحتى عندما تكون الكلمة حرة،  
والصورة حرة - تبقى غشية المسرح أكثر وسيط  
وحتى بحريته - فيغريزتها تعرف الحكومات ما  
للحدث التي من كبرية خطيرة)

ولاشك أن (الكهرمان) التي يقصدها بروك  
هي تلك الاحتكاك الاجتماعي متعدد المستويات  
بين أطراف قد لا يحدث أن تجتمع أبداً إلا في  
حالات استثنائية مثل الثورة، أو المظاهرات  
الاجتماعية الفظة التي تتخلف بها البشرية في  
جهاشها لمؤجها أيام وحدتها والتناهي. فقد  
(يحدث أحياناً أن يتحول المسرح إلى مساحة  
محمية، فهاكم فيها المجهوع، أو يتدرب جنائياً  
على محاكمة فردية - ليست سيكولوجية أو  
أخلاقية أبداً - مع أنها تهيئ بذلك وإنما هي  
محاكمة سياسية بالدرجة الأولى، حيث تهيئ  
عنى منطق الجدول والخوار من ناحية، وتسمى  
إلى الصلاية من ناحية أخرى... صحيح أن  
الامر يبدو لعملية إيهامية إلا أنه يستمد خطورته  
من هذا الاندراج الأخير (التمية - الإيهام) -  
فالمثل يتحول إلى نشاط يفترض الصدق، أو  
يحاول قرضه) (٥).

على مستوى جمود الإبداع المسرحي،  
والرائع اللاويي للتعبير شكلاً ومضموناً وأداء  
- وكما يرى «فرانز الساجن» فإن (جورج أبيض  
قد دافع عن الدور اللبيل والسامى للمسرح،  
وعلمنا بمقدمة من فن التمثيل - لكه خلق في  
الوقت نفسه كمية من التقلبات والتعاليب  
الجامدة أدت - على الرغم من لزامة القصد -  
إلى توحيد الفن المسرحي من جوهده  
الديقراطي، فقد ظل تأثير التراث عصبياً  
ومستمر على الأجيال المتعاقبة من الممثلين  
المصريين، الذين أثروا بدورهم على الواقع  
المسرحي العربي، فتبلورت القرائب الأدائية  
الصوتية ولحيت دورها في جمود ومبات الرؤية  
المسرحية (للتمثل) (٦)

إن هذا الشبث يرتبط على المستوى  
الوحي بدور السلطة الرقابية في تقويم وهي  
الجماهر بأغرائهم في دوائر الزيف والهزل،  
والتكاريكاتورية الصانع فيها حتى يضع الجدول  
اللعلي المتوجع في موجات الإثارة والجنس

التي تعاضى من خلال الذات، ليجري الحوار  
من منظور واحد، يعرض الظاهرة ويقدم  
حولها، بلا جدل أو إدراك للعلاقة بين التاريخ  
والزمان والمكان - إنه واقع شديد القسامة  
يسهل فيه التحالف على المتهورين، فيصحبوا  
وسباً ملائماً لتأصيل الاستكانة والغرابة  
والجهل.

## جدل الفن والواقع

تشير الدراسات السوسيولوجية للمسرح  
إلى أن آليات التسلط والتعسّر والريشوخ  
والاستكانة والارتداد والسلفية - تعمد في  
أصاقي الإبداع العربي فقتدعه بعيداً عن  
موجات الحياة الفائرة بهولن الثورة، والطم  
والمستقبل والمثل والتموض، وتجعله مبتوراً،  
مصرّفاً من ملاصقة الجمرات النارية التي  
تصرد في الأصاقي. وهكذا يمر الإبداع في  
دوره متوارياً خلف المنطق الأخلاقي الصايد،  
وموازياً للأيديولوجيا الصائفة ومكرها لها. ويبدو  
أن فلسفة الفكر المصري، والنظريات التي  
أحاطت بنشأة المسرح في ذلك الواقع الرافض  
للجدل - يبدو أنها نبتت تحت قاعاً في توجيه  
الإبداع المسرحي نحو السكون والجمود. فليد  
المسرح العربي لم يكن شراً أو طبعياً، ولم  
يكن كئيبة مباشرة لتجاجة إلى التعمير  
الديقراطي العلني وإنما كرهان صباراً عن  
استجابة فردية لإغواء الغرب يتسهلون من  
ظروف التبعة الشاملة التي تعشها مجتمعاتنا،  
وسا هو موجود الآن من فن شكول ومناجج  
تدريج للممثل - ليس في الغالب، سوى إرث  
خامس مختلف يعتد بنسبه إلى الرواد من جهة  
- مثل جورج أبيض، والريحاني، والكسار -  
ومن تلقوا (الموريفلون، الفرنسي في قباله  
المصري (الفراتكو آراب) ثم استقلوا فينلندا  
بشبهات أصناف التمثيل الهولي، والتايتايتوري،  
ومن جهة أخرى فهو يمتد إلى ظلال الصور  
الشعرية للأداء من جديد واضح المعنى (٧)

ولما كانت فلسفة الفكر العربي تحول إلى  
أنه في البدم كانت الكلمة ما كانت الحركة -  
فإن هذه الخلفية توضح الأسباب التي جعلت  
المسرح في حالة تعارض مع السلطة  
القائسة.. فالمرح، فحق، فامد على تفكيك  
آليات الواقع وإعادة صياغتها وفقاً لما يجب  
أن يكون «أما الكلمة» - النص - فبرغم تناقضها  
مع السلطة أيضاً - إلا أنها معارضة مستأنسة

والضخكات الجوفاء، ويصبح المسرح المطلوب  
جماهيرياً من نوع من العزل على أوتار  
الفريزة بعيداً عن بجمهية الحقائق التي  
تعارض، وتجادل وتطرح التساؤلات وتطلب  
الإجابات المغيرة وهكذا تظل قوى الهيمنة،  
وأليات الساد وما سويهم والدوران اللاتواني  
في ألقى (الساوون، واللوجوس، والروني  
الأبوية التذكورية.. هي الصوائف التي تشكل  
منطق الترويض الفكري والاجتماعي، وهكذا  
وحد المسرح العربي نفسه مشطراً للحظاظ على  
الأنماط والذوايب الشائبة التي أرساما الرواد  
يوماً ثم عزل الجسد عن حيز الخلق الإبداعي،  
ودفعه إلى تلك الجاهلية المباشرة التي تدفع  
الممثل إلى إتيان أفعال عابثة لامتداد الأحداث  
في شيء» (٧).

ولاشك أن مفهوم «الجسد» في المسرح  
العربي يمثل إشكالية معقدة.. (حيث مفهوم  
الجسد العوري في التراث الفكري الإسلامي،  
والتي تشمل جسد المرأة بكامله، بل وموتها  
أيضاً، يقتضى ثلثي جسم الرجل، والمعرف أن  
صورة الجسد العارض تلخصراً في الجسد  
الرائع الموصوم بالجنس المصاغر، أو في  
الجسد المهرج الملوغ بالهلو الفارغ - حيث  
يظهر رجل الدين، والشخص المتدين ممّا إلى  
الجسد - في حالته العادية كبريل سادي يظهر  
إلى الشبهات والرهبات المسية الشيطانية،  
التي تشكل عتبة الشغل إلى هجوم الخطوة،  
وهو أمر متوارى في المسيحية أيضاً، إلا أنه  
وأخذ بعداً خاصاً في المجتمعات الإسلامية،  
الذي لا يملك الدين بالنسبة له مجرد لاهوت  
متعلق عن الحياة اليومية، محدده بحدود دار  
العباد، وإنما هو نظام للسلوك والحياء، أو  
نسق وجود اجتماعي متماثل، يخلق منظومة  
أخلاقية - ويصبح الفروج عليها جسدياً - هو  
شدة والحراف ينفخية تستحق للتعبير) (٨)

وهذا - وكما يؤكد (براندن) فإن المسرح  
الذي ظهر في لعالم العربي.. كئيبة جديدة  
للجسد، قد حمل معه إلى هذه الأرض الجديدة  
تصورات مستحدثة للجسد في حالة العرض،  
وجدت - للأسف - مرجعياتها الوحيدة فيما قد  
ترسخ منذ أجيال حول مفهوم الجسد من خلال  
المتعارف بعد النسبة لتقول المسرح من خلال  
سيادة توين من أوان العرض هما الشرقي،  
والغرب التهرجيبية المرتجلة، في الوقت الذي  
كان عليه أن يراجه اختلاف التكتيكات الجمسية

## الإشارات والتنبيهات

### • رؤية نقدية..

والنصوص تصل في ثنائيات لغات متعددة، وخطابات تحول إلى نصوص تاريخية وعقائدية وفلسفية وأدبية واجتماعية. هذه اللغات تعرض الكيان السياسي والاجتماعي باعتباره حواريًا يشير إلى أطر مرجعية دالة. إذا كانت القراءة التكوينية للنصوص تتم من خلال دلالة معينة لها - بالنسبة - دوافعها الأيديولوجية، فإن النتيجة الحتمية تتجه بذلك نحو تكريس السائد وتأكيد الصورة الواقعية للمنظومة الزمنية للوجود الإنساني. أما القراءة من المنظور الرهبان اللاسركزي فهي تحول إلى هدم الدلالات الثابتة بشكل يوضح أن لأرض والنس وعلاقاتها المركبة لا تصحح بالجزء بعض ما، ولكنها تسمح بتعدد إمكانات المعاني وتوسيعها لتصبح النص في النهاية ساحة لتجريب المعاني، وهكذا يصبح من الصعاب أن تكلف عن زيف المنطق الذي يوظف النظريات الفكرية والأدبية السياسية والمهيكات الاجتماعية وصولاً إلى كشف الدور المضلل الذي يلعبه الأثر الأيديولوجي في تكريس معانٍ ناعضا مأخذ الحقائق، ولبنى عليها أطرنا المرجعية. ■

## وفاء كمالو

### المراجع والهوامش

- ١ - هزيل العظيمة. سياسة الهروب من الواقع (لندن: دار الساقي، ١٩٩٤)
- ٢ - جريدة الحياة، (٣٠ أغسطس)، ١٩٩٦.
- ٣ - د/ صالح سعد. مجلة عالم الفكر (التون: ١٩٩٦)
- ٤ - ب. والي قاموس المسرح، مومكو، دار النظم، ١٩٩١.
- ٥ - المرجع السابق.
- ٦ - د/ فواز الساجر، سكتاسلافسكي والمسرح العربي، ترجمة. فؤاد مري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٤.
- ٧ - د/ صالح سعد مرجع سابق.
- ٨ - المرجع السابق.
- ٩ - المرجع السابق.

إذا كانت المسرحيات النقدية في مصر والعالم العربي - قد انتهت نحو الإخفاء اللاوعي الأيديولوجي المتضمنة في الإبداع الفني، لتصبح التمدد مجرد رجع لأصداغ التحويلات الدالة على المستوى الاجتماعي والسياسي، لذلك فقد تهرت النقد من فعالية التساؤل والتجاوز والتفكير، وتحتل في آليات استاتيكية ثابتة. ولأنه أن هناك ارتباطاً وثيقاً بفرضيات النموذج الليبرالي الإثنائي الذي يدور في إطار التماسي الأخلاقي، ويتباعد بالفكر إلى منظور محايد، حيث تهرت الرؤى في علاقاتها المركبة بالتاريخ والتمتص والمعدولة لذلك جعل النقد عن صياغة إشاعة الصمد ضمن منظور يتيح أن يضع موضوع التساؤل. كل المفاهيم المغلوطة التي تحول تحقيق تجاويل حقيقي لمأزق المسرح.

ولعل محاولات هدم فرضيات النموذج التكويني الليبرالي الأخلاقي، وقلقة أسسه الثابتة تكونت لكشف عن المبرجات الفكرية النابضة التي قد يطغى عليها النص، وكذلك فإن محاولات تقويض تلك السلطة التي تستمدّها النصوص من شاسكها الخارجي، ومن استدعائها لأشكال الماضي وقلوبه، استداراً إلى جذورها وتأسيسها والتي تفرزها الأيديولوجيا السائدة المسيطرة. هذه المحاولات - قد تمكن من الوصول لمستوى تشوير الأيديولوجيا ضد نفسها، ويصبح من الممكن أن تزداد حدة الوعي، ووصولاً إلى الزاوية الحرجة التي يتم فيها التمرد على الواقع القائم وتجاوزة.

فإذا كان الإبداع هو نشاط مناهض للزعم الأيديولوجي - فإن الرؤى النقدية الرجعية، تستطيع أن تقاوم الترويض الثقافي والنهجي، وتتحول إلى وهي يالغ في شره حدود المنهج وله فعالية استكشاف أبعاد النصوص ترواها المستمر لتكشف عن علاقاتها المتباينة وتحيرها من أس الدلالة الواحدة.

وهذا الاتجاه لا يدور إلى منهجية جديدة، ولا يسمى إلى تتجهم ثراء النص بإخضاعه لفكره مميّة، ومحاولة هدم هيئته، وتكويش منطق السطوري، فموضع النص مجالاً لإبداعها متوتراً ومتناقضاً.

التي تختلف بالضرورة من سلاله إلى سلاله ومن بلد إلى آخر، والتي تتكيف وفقاً للضباب التي تلين، والأرض التي يمشي عليها، وطريقة الجلوس، والالتقاء، والعبادة، والعناصر الحيوية للسان.

• فقد فلسفة الفكر العربي، وتتقاطع مع الآليات الاجتماعية والسياسية لتشكّل تلك الرؤى الجامدة التي تدور في ألق الثابت والسطحي، والتي تكشف بوضوح عن عجز الإبداع العربي عن الإطلاق بعيداً عن ذوى البهيمية الثبات... فمن المصروف أن نرائنا الفكرى يرفض نهائياً مفهوم - الصراع - (فالفكر العربي ومن ثم حرية الاختيار والمبادرة، والمسؤولية الفردية، تضعنا كلها أمام مأزق أبديولوجي، في ظل علاقة بالكون يكون فيها الإنسان عبداً لمشيئة كدورية. والعبد - بأى صورة - لا يمكنه أن يكون درامياً، إلا في حالة شره النهائي، وهي حالة يتمزح عرضها على جمهور ينظر إلى هذا التسليم كمنهجية غير مطروحة للتجديد. ففي ظل مفاهيم التلصص والسلام والمصطفى والرأدية التي يربطها الفكر الديني، ولا يلبث فيها نقاشاً، وكذلك مبدأ الثواب والعقاب، وقائمة التصريعات التي تفرزها التعاليم الدينية انطلاقاً من وضعية يكون فيها الدين ليس هو مجرد العلاقة الشخصية بين الإنسان والله، ويكون المصدمسرها، حيث يصبح طبيعياً أن ما في الداخل هو للدين والله، وما في الخارج هو للدين والإنسان، تكن الأمر هنا مختلف. فاندخل والخارج لله والدين هو نظام الحياة بكل ما شئت به من تفاصيل وسلوكيات يومية(١)

وهكذا يتوارى الإبداع هادئاً ساكناً ومكتسباً للثقافة في حدود القوالب المنطقية، والضمايين الأكنة التي تصور عقاب الفرج من إشارات حيث السقوط المحمدي. وكما يرى صالح سعد فإنه من الصعب القبول بفكرة إعادة إنتاج معادير الطبيعة والمجتمع حيث الفحول في دائرة (التدريج) وليس (الإبداع) فالمعاسكة تصبح (غيبية)، والتجسيد يصبح (تعبير لغقي لله) وتكثيف بالفرجة) والتساؤل الوجودي (تدريج) إلى آخر هذه التحويلات التي لاتزال نصيحة بالمسرح والدراما حتى الآن.

## الإشارات والتنبيهات

يتميز اللقاء الشعري الأوربالي الذي صاغه محسن الجهوري بتأكيد قيم وجدانيات أن الأوربا، تلك الجماليات التي تجمع بين بساطة الحدث الدراسي، عمق الفكر الإنساني، جذوبته وجلاله، فسادته الرومانسية، ثم أخيراً توجته الفرحية، تلك التي تلتقي وتلتزم عدداً الأضداد.

هذا النص الشعري يعد تمهيداً عن روح الدراما، اللحظة التي تشق فيها الروح وتنتشر العلم الإنساني؛ لحظة المواجهة مع الحقيقة والعيش عليها، الاكتشاف والتأنيق، التهور واللقاء والارتقاء، ولأن هذا النص يستلزم في اللحظة المصاحبة بين الحقيقة والجمال، الحقيقة وظلالها والخيال وإضافاته الباهرة، لذا يصبح من الواجب التعبير عن هذه المساحات بما يحلق مرجحاً عضوياً بين العلم والحقيقة، أي مساهلة خلق جو من الأضداد، تفسر عن الواقع لتكبر وتنطق وتزدهر، تأكيداً لقيمة الحب الإنساني الفالدة على مدار التاريخ.

إن الإضاءة، الحركة المسرحية، حركة الراقصين والراقصات، حركة الديكور داخل الفضاء المسرحي، كل هذا يجب صياغته صياغة عضوية ضمن نسج العمل الدراسي على خشبة المسرح، أي يجب أن يخلق هذه العناصر مجتمعة أو بالتتابع بهدف خلق عالم من العلم الشفاف الجميل.

هذا، يجب الاهتمام بالمعاصرة الديناميكية للإضاءة، بحيث تكون أقرب إلى ملامسة القوس، بل وملامسة الفراغ على استمارة إضاءة أقرب إلى السجور أو القوس، بين الصرعة والانفعالية تتناوب قدراتها التصويرية مع الحركة المسرحية للراقصين، تتقدم هذه العناصر الموسيقي، تمهد لها بخلق الجو الدراسي، وتتشارك في بناء المشهد الفكري والدراسي المتحددين.

تلك هي بعض الوثائق: الجمالية التشكيلية الحيوية التي يجب أن تكون عليها عناصر العرض المسرحي المشاركة في صياغة وبناء أوربا حسن البصري. ■

### مجدى فرج

الأحلام والقدرة على تصديقها، بين القوى الفاعلة من أجل تحقيق الخير والقوى المضادة التضييقية المسبوبة على عوائل الون وما فوق الواقع، بين الشوق لتحقيق المستحيل ولحقات الانتصار والالتصاف، أما رابع هذه الخصائص فيتمركز في معنى رحلة حسن البصري ومضمونها الفكري، رحلة استعادة روحه الباهرة الجمال وأطفاله الأبرياء، رحلته نحو استلاكه الحقيقة تعقيداً وتأكيدها نغم النلق والخير والجمال.

## ٢ -

ما الذي خلقه الشاعر محسن الجهوري في صياغته الشعرية المهدمة لهذه المدونة؟

تلك هو السؤال الذي يجب أن تقتصر على إجابته وسط هذا الضخم الهائل من التفاصيل الجذابة الباهرة التي صاغها بمهارة نادرة المؤلف الأصلي ألف نيلة ونيلة.

في هذا الإنجاز الشعري يخضع محسن الجهوري على اللحظة الشعرية الرومانسية في هدوء حسن البصري، لحظة اللقاء الأول بينه وبين حبيبته بدر البهري، لحظة يتراقص فيها القلب، تتمايل فيها المشاعر والأحاسيس بهمان بدر البهري هنا يجب أن نتحرك كل عناصر التكوين المسرحي تمهيداً عن هذه اللحظة وكشفاً لها، الإضاءة والحركة بهجاب الموسيقي، تصوير ملصقة - دون إسراف أو ثرائية تشكيلية - ذا تتابع باهر مضطرب، لحظة الوجد والشغافية، فالشاعر هنا يحفل لنا بمبرراته الشعرية - فضلاً عن الهام الدراسي ذاته - عن هذه اللحظة الثرائية المثقلة، والتي يمكن أن يتراقص فيها الهم والسمة، وتتمايل الجبال فرحاً، فضلاً عن رقص الطيور والأشجار تأكيداً لمعنى المسادة والفرح في لقاء حسن البصري وبدر البهري، وهو ما يطلع بالنهاية الشعرية الدراسية إلى مزيد من الكشف والتبريز تأكيداً لحرص المؤلف على صياغة وبناء الجو انشائي الهادر لحدث حسن البصري، حيث عالم الون والتسرنا والتدشقات في اللون والنطق والصياغة والكثافة والفراغ.

## أوبرا ..

## حسن البصري

## رؤية جمالية وإبداعية

## ١ -

أهم ما يتبادر إلى الذهن عند رصدنا للفرق الجمالية نصحن البصري بين النص الأصلي في (ألف نيلة ونيلة) والنص الشعري الذي صاغه بالقداد الشاعر محسن الجهوري، أن النص الأصلي يرى حكاية حسن الصالح البصري، ملذ طفولته حتى زواجه، ثم ضياع زوجته وأولاده، أو اختطافهم من قبل قبيلة الأم، حتى عراكه الأموال والون وغرائب الطبيعة حتى استعاد زوجته وأولاده من جديد.

يتميز هذا النص الروائي بقصص الخصائص الفنية التي تتميز بها (ألف نيلة ونيلة) لنفسا، أول هذه الخصائص أن المساحة الإبداعية للخيال بلا حدود، فمن البصري يخوض الأهوال ويمارح الون، ينزل إلى بلاد اللعج فيبلد النار، حتى يصل إلى إنكباد واسترداد زوجته، هذه الرحلة قد تكون تسمية لرحلة الإنسان نفسه عبر حياته من أول الوصول إلى هدف إنساني شامل، ثاني هذه الخصائص أن هذه المساحة الإبداعية مملوءة بكل عناصر الصراع العضلي والعقلي، فتارة يصارع حسن البصري خصومه بقرابة الضغينة، وتارة أخرى يصارعهم بكانه ويصبرته مما ينتج عن ذلك ويترب عليه صياغة وبناء التضاد والتناقض بين عناصر الواقع وما فوق الواقع، الحقيقة والخيال، المعقول وما فوق المعقول، الزمن والزمن المضاد، العدل والعدل المضاد، الأخلاق والأخلاق المضادة، وبالإجمال إبراز التناقضات التي تكشف جماليات بناء القيم الأساسية في الحياة والإبداع معاً. أما ثالث هذه الخصائص فيتمثل في التسويج الروائي والإبداعية نفسه من خلال ذلك المزج الباهر بين عناصر الإنس والون،

## مخطوطة شعرية لمحمد فريد أبو حديد

قا

يكثر اسم محمد فريد أبو حديد، في تاريخنا الأدبي، بمؤلفاته في القصة التاريخية والفنية التي أثرت المكتبة العربية بمجموعة من الأعمال التي تليق بالفكر القوي، كما يكثر اسمه بتجربته الرائدة في الشعر المرسل الذي ترجم به عددًا من المسرحيات الشعرية، في مقدمتها ثلاثه «ماكبث» للشكسبير (١٩٥٧)، أغلقت الإبداع العربي بما قدمته من تجربة جديدة في النظم، يعترف بأصلاها للنقاد والشعراء..

لهذا نذكر محمد فريد أبو حديد كأحد الأبطال الروحيين الذين مهدوا لحركة الشعر الجديد، التي تصدرت من القرن المصري والقاهلية.

والى جانب الرياسة التاريخية والشعرية والترجمة، كتب محمد فريد أبو حديد أدب الأطفال والشمال والأبحاث الأدبية، وكتب أيضًا، بالشعر المرسل، بعض المسرحيات القاهلية مثل «ميسون الجورية» (١٩٢٨)، «عيد الشيطان» (١٩٣٣)، «عسرى وشورى» (١٩٣٤) .. (انظر مجلة «القاهرة» المدة ١٦٨ يوليو ١٩٩٧ محمد فريد أبو حديد مائة عام على مولده).

أما بالنسبة للمصائد القاهلية فكان محمد فريد أبو حديد يلتزم فيها بالشعر التقليدي، لاقتناعه بأن هذا الشكل لا يحول دون التعبير الفني الذي يبدو فيه متأثرًا بالأساليب الغربية. وأول ما يلفت النظر في هذا الإنتاج المتكثف، الذي بدأ سنة ١٩١٤ في «السكون» والسياسة الأسبوعية، واليهال، وإبله الصوي بالأمة العربية، وبغدة لفتها على توجد المشاعر والأفكار، وإمكاناتها التامة - في إطار حركة التاريخ - على صنع حضارة عصرية رابحة، تتجاوز ما أنجزته في ماضينا، تتعطف فيها بالناصر الجهورية لشخصيتها، وفي الوقت نفسه تفيد من

باسم الصبا بقلعة نجد  
كيف غاديت أهل دري نجد  
كيف ولدت الرباعه ولدت بجوي  
في شايه بيته نخل وورد  
حتى ليحلى حديدي فضلي ليحلى  
كل عجمه صنه كمن وورد  
درفعه اذا غطرت بول سبط  
ورسجوع لاجلادش وجرى  
لنفسه نغنى سط الحمار وأعبا  
في سحره لدرش على الريح فيط  
كم تبسبت بلا عيونه على الافوه  
فاذا جئت لم أجعل سوى آكد  
فاحلى يا صبا الرباعه ارجيا  
هل ليلى اذا بلغت الرب  
واسعدت ذكرى وفاق ووت  
نا ناسه عنك الرسول (كنا يا)

محمد فريد أبو حديد

١٩١٩/١٠

والقصيدة التالية مخطوطة بقلم محمد فريد أبو حديد، تصمد تاريخ ١٠ فبراير ١٩٤٣، لويس لها عنوان عشرت عليها منذ سنوات مطوية داخل كتاب قديم من كتب محمد فريد أبو حديد، مبروش لتلويح على سر الأنيكة، فاشتره بمرش قذبة، ووجدت على سطحه الأولى إهداء المؤلف.

ويج أن الكتاب نُقِص من مكتباتي بالاستقامة، فقد بقيت القصيدة بين أورايلي كأنها نُكُت على الصفر لا على الورق، لوخالها الكراء في الذكرى المشوية لهياد محمد فريد أبو حديد. ■

نبيل فرج

اتصالها باللون والشعوب والحضارات الأخرى، التي تشكل في مجسومها تراث الحضارة البشرية.

ومحمد فريد أبو حديد ولد في القاهرة في أول يوليو ١٨٩٣، وحصل على البكالوريا في الإسكندرية سنة ١٩١٠، وتخرج في مدرسة المعلمين العليا في العاصمة، القسم الأدبي ١٩١٤.. وبعد عشر سنين، في ١٩٢٤، حصل على التماس من مدرسة الحقوق الخديوية، وعمل بالتدريس في وزارة المعارف، ثم في إدارة التعليم بوزارة الأوقاف، وفي جامعة الإسكندرية عند إنشائها، ودار الكتب.. وابتداء من الثلاثينيات، شارك في إنشاء مجلة «الرملة»، ولبنة التأليف والترجمة والنشر، «والتقى» ورأس تحرير مجلة «الثقافة».

وتوفي في ١٨ مايو ١٩٩٧.



## بين الجنون والبله

قُم على هذه الإطلالة اللسدية، بمطالعة ديوانين صدرتا حديثاً لشاعرين غير متجانسين، وإن كانا يشتركان معاً في معاينة اللحظة الشعرية الراهنة.

وقد نصبت هذه الإطلالة على قصيدة واحدة عدد كل منهما. حيث إنهما - للقصيدتين - تكادان تكونان هما المدخل الحقيقي لقراءة عالم كل ديوان على حدة.

الشاعر الأول هو: بدر توفيق صاحب ديوان «الجنون الجليل» الصادر مؤخراً عن المجلس الأعلى للثقافة.

أما الشاعر الثاني فهو: مشهور فواز صاحب ديوان «هجمة من الفرام في البلاد» الصادر حديثاً على نفقة المؤلف.

### ١ - فُتحة الحياة لدى الوحيد المسن:

تأتي قصيدة «الوحيد المسن» للشاعر بدر توفيق، ضمن مجموعته الشعرية الجديدة «الجنون الجليل»، والتي صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة مؤخراً لتؤثر حالة إنسانية ووجودية مدمرة، تتشكل في محاولة الفترات إجابة عن سؤال كبير من أسئلة هذا الوجود، يتعلق بجذوى الحياة، وضربتها، ويزداد مثل هذا السؤال توجهاً وضراوة، حينما يأتي من هذا الوحيد المسن الذي يلف - تقريباً - على حافة إدراك حقيقة الكبرى!!

وعنوان القصيدة - بداية - يثير دهشة من الاستعاضاء وإسلاف، فطرهها مجموعة الهموم والأزمات التي أثقلت كاهل الإنسان المعاصر، وفجرت بتابعي أهراته التي يؤذن هدير سطحيها بأصابع مبهمة، تلمح في ترق لغمسة التمذبة إلى التوازن والنظية والتحرر من كل ما يحول دون أن يلهم في حقيقة نفسها، وتزداد الحاجة

إلى طرح مثل هذه الأسئلة كلما أحكم الرجاج، وعمومت رغبات الإنسان في التحرر، وكلما جثم على قلبه ما في لفتة من ذيف وغرور ونحاسة.

والوحيد المسن، هذا العنوان/ السؤال، يثير - فيما يثير - حالة من القلق الميتافيزيقي حول القافية والمضمير، وحول البحث عن إجابات كثيرة، لأسئلة أكثر بكثير الإنسان للعناصر بساطها في أحايينه المعشوية الموكلة لها. وسلوة - هذا - لمن سؤال الوحيد المسن أي القصيدة كاملة، يقول بدر توفيق:

حين يسرى في الليل قلب الوحيد المسن،  
والمسرى في الظلام على حافة الشرفة المقلدة،  
تردد له كانت لا يلقاها إلا صد البر لول اللار  
للوحيد المسن لآدم لم يد رالم في التبر ولا في الحياة،  
يتمشى في الليل عبر الشوارع،  
يشال بين الدقائق في الليل يبحث عن برتقال المسر،  
ويحاضر أن يتشرب في حجر لا يراه  
ويحاضر أن يلقاه لمن أو لحيان طاش؛  
ويجس قلب الوحيد المسن قوة البيت، للفرقة الآمنة،  
يتأمل في الليل:  
لوى في فواري الليل البهز لحيان عك في دقائق،  
ويروى أصص الزرع في شرفة الجار،  
كرويس ميتة وكلف الشر فيها،  
يروي في السحاب كوكبا يذلل فيها للقر يخرج؛  
الوحيد المسن على من الليل يرد ظلاً يخال يري؛  
البحر يصور بساطها من الأعشاب الجافة،  
الجهال تظاهر موافقها،  
الأرض تله موافقها، وتكف عن الدوران؟

كل شيء هنا يوحى بالهجرة، ويدعو إلى الفرار، ويأذن بالتلاشي والوحيد المسن على أثر هذا، لم يعد راغباً في التزم ولا في الحياة، لسبب بسيط جداً، وهو أنه أصبح مملكتاً لهررات النجوم/ الطمأنينة، ولهررات الحياة/ الرغبة في الحياة، فالهجرة، وتقدم السن مبررات قويان لشعور الإنسان بأنه مثبوء وفشلة، يابى الخلاص منها، وهو شعور إنساني مدمر، يحول ما تبقى من هامش الحياة إلى صور قائمة بشعة ومفزعرة، والشاهد الشعري - في الوحيد المسن - يستحوذ على الصغرى والبناي وتبني مؤلفاً دلالات، تتكشف فيه مفردات التلاشي والامحاء، تستطيع أن

تتمسك هذا من خلال تأمل مفردات: «الليل، والوحدة، والظلام، والتمسك، والتجسس»، ومن خلال ما يترتب على الأبعاد الدلالية لهذه المفردات من أفعال، كالأفعال: «يحاضر، يتشرب، يبحث، ومن خلال ما يترتب على هذه الأفعال من نهايات تلحق إياها، كقوية أصص الزرع في شرفة الجار، رموساً ميتة وكلف الشر فيها، وكقوية البحر بساطها من الأعشاب الجافة، وكقوية الجبال وهي تقادر موافقها، والأرض وهي تلك موافقها، وتكف عن الدوران. إنها رؤية تشبه رؤية يوم الزلزلة، غير أن الزلزلة التي أصابت الوجود هنا، لم تأت نتيجة أحداث فدرية لا شأن للإنسان بها، وإنما هي زلزلة داخل النفس الإنسانية المتمسكة، التي تشع بالوحدة والاعتراف، بعد أن سابرها شعور بالظلم من الآخر، وإحساس مملكتاً لهررات الدور، لذلك الإحساس دفقها إلى حالة من الاستلاب، والإحساس بحراب العالم، الذي كانت تتكلم في ليه - قبل ذلك - فوه من ألوان الجدوى ومن أسرار المعنى.

ولكن ما جدوى الحياة إذن بالهجرة لهذا الوحيد المسن في مثل هذا النص؟

أعتقد أن المؤلف الشعرى رغم قنصاته وسوداوتيه، إلا أن تعلقاً ما يوحى بالحياة تراه يصفر - في جمل - من وجهه بين الحين والحين، هذا الشيء الذي بالحياة، لا يمكن بطبيعة الحال - أن يكون الحياة ذاتها، وإنما هو شيء ربما نستطيع أن نطلق عليه محاولة إنتاج حياة، وسط طقس يتذكر كله بعدم جدواها، فها هو ذا الوحيد المسن عندما يرد للبيت «للشرفة الآمنة»، وتأمل في الليل، في إشارة إلى محاولة الفهم ولو عن طريق التأمل الذي يسهله قطعاً على فتح كرة للتذكر، تحيله هي الأخرى - ولو في الظلم - على الفهم، فتشده «يتسلل بين الدقائق في الليل يبحث عن برتقال المسر، ولما أن تشال هذا المسر البرتقالي، الذي لم تشهد له أثر على أرض واقع حرب، كواقف على هذا الوحيد المسن، غير أننا نستطيع أن نكتفي بوجوده - مؤلفاً - على أرض هذا الظلم المكتسب؟

ولكن ما هذا الخلق الذي يتسلل إلى الويد المسن، فها هو بدر توفيق يتشرب في حجر لا يراه، أو أن يلقاه لمن أو لحيان

## الإشارات والتبیهات

لكله - قولى - مقال فى الیهود  
ومدهش  
ییسر یحاصرہ  
فلینشرہ مصتہ بشراوة الذکرى  
ویستکسى على الأيام

والوقوف هنا ويخرج نواتج مما بعد  
الاعتراف بالهزيمة، ويصلح - فيما يشبه البوح  
عن مقدار الفجوة، من خلال مواجهة صادقة  
مع النفس «لا تفجنى، قولى...» لينذر  
الظن كله بحالة من السمات، تأذن باتكتمان  
الوحشة، وسيطرة الغياب، الذى أصاب حياة  
الطفل بالمثل للثام «إذًا هناك نخلة فى التيه  
قائمة، ولا يتبقى لطفل هذه الأماسة سوى أن  
يحصن نفسه بطراوة الذکرى، مستغفلاً فى  
دمومة صمته، لا يلى بغرافشه، يتسلى  
بالقاء المجارة فى الطريق، فى معاملة أخيرة  
لتجاوز الفرج بأل الكساح، وفى معاملة  
أخيرة منه لتطمين الذات المتجرية، يبدو  
كأنه يهون من شأن الفسار: «قولى فى  
أمرأة جلت، غير أن المولف لا يتقبل خدمتنا  
بهذه السهولة، لتكتشف أنها - فقط - مبالاة  
فى الیهود، ومحاولة مشروعة فى مداراة  
العطب. لهذا فإن المولف - بعاملته - لا يفرح  
تلك الصعوبة الصاغية التى سنفاجأ بها بعد  
قليل، «والتى تبدو غريبة على جسد التجربة  
وناعة تلك الصورة التى تتمثل فى قوله:

لضفت لهايات القصيدة رجلة  
وتعمست للسمو  
سمى الزهر باسم واضح كالأزهر  
لاقبنى على درج المصابيح  
اسطفى من طقس أوردتى  
لقد جلتك ملايح جلدة.  
للخطر أن يخذو دما  
للعصايلر التى حثت على شباكنا أن  
تسفر غشاها  
سمى النهار - كما ألفت - هو  
وعودى  
إن «دحان» التى ألفتك ظامنة  
وقولى:  
ما حلونا لو نسمى ظمنا فجراً  
وتبكرى الشواء.

غير أننا نستطيع أن نتلمس هذا الدخول  
التالى على جسد التجربة، إذا أدركنا حالة

والشقة فى القباب هى الأخرى، ليسفر عن  
طرح سائب، واقتراض مژول للمساكنة أو  
حتى للملاسة، لتكتشر فجوة الفقد، فثقتل  
الكان، واتسب فى الزمان، والأفانل:

أرجعه،

أرى،

توجس،

جاءت ينطق الحديث عن المذاب - كما  
كشرت منذ قليل - فى محاولة من الطفل  
للتنصل أو للتخاض على نواتج هذه الأفانل،  
رغبة منه فى الفرار من جراء الوقوع فى  
شرك حتمية المواجهة، تشدداً لمعارضة إنتاج  
حتمية أخرى مغارة ولى على سبيل التفراضها،  
غير أن الأفانل التى كان ينبغي أن تجيء فى  
صالح الافتراض حتمية الفرار، وخلق المغارة،  
ومحاولة استحضار الغائب لمساكنته أو  
الاحتكام به كبراء على نساته هو:

فاحضنى،

وأعطنى،

قولى،

دون أن يسفر الموقف بلهجة الأسرة عن  
أى من الاستجابات، لأى من هذه الأوامر،  
التي لم تأت - فيما يبدو - إلا لتكشف عن  
الندى الصدم الذى اتسمت دواسته فى نفس  
ولقب الطفل، فإذا يوم نفسه يتلقى إستجابات  
من الطرف المزعوب فى مساكنته، والاحتكام  
به، وإذا فإننا حينما نتابعه حينما يشعل تيلة  
فى اللول، وتباع راحتيه وحيدين، يكون  
بمقدورنا أن نرى على مأساة هذا الضعيف  
الهنس، الذى يواجه وحده كل هذا الغياب  
السيطر؛ ليعبر فيما يشبه الاعتراف المرير  
بالهزيمة:

قولى: لقد أعزت به الأيام مود بها  
فأرتك أن يصب دماء قرباناً  
لجرح مرثى فى الصمق  
ملك على كذبله  
لا تفجنى  
قولى فى امرأة جلت  
إذًا هناك نخلة فى التيه ظامنة  
وباب البيت مرتج  
وغير فى سمته يلى المجارة فى الطريق  
ولا يلى بغرافشه

خاض ١٢. إنه العلم بالقرية فيما يشبه الحياة،  
بعد أن انقذ «الوحيد الصن» مبررات الحياة،  
وبعد أن أصبح غير راغب فى التزم يلهم، ولا  
فى الحياة ليعاود فيما يشبه الحياة ١١

### ١. القباب المسيطر فى مواجهة الحضور المتكسر:

يمكن للمتأمل تلبس التشكيكية والمنعوية،  
فى قصيدة «القصيدة كتبت غيبتها، للشاعر  
مشهور قراز - ضمن ديوانه «جمعة من الغرام  
فى السلا»، أن يقف على طقسين دالين  
متوازين ومختلفين فى ذات الوقت، هذان  
الطقس يملآن حالتى الغياب والحضور فى  
القصيدة، ويهيئان تلبية للفرضية الدلالية  
فيهما، بما تحمله هذه الفرضية من انكسارات  
للداخل على الخارج، أو للغياب المسيطر، على  
الحضور البنى المتكسر، فالقصيدة تملأ حالة  
من حالات الانكسار فى حياة الإنسان، ربما  
تتمثل هنا - وكما هو حاشى بالمثل - فى  
تجربة حب فاشلة، أحدثت - بمفاجأتها - خلا  
سدمس فى نفس الطفل هذه التجزية، الذى  
أحدث هو الآخر حالة سوازية من حالات  
المقاربة، وضبط البنى التفسيرية والمصيبة -  
لديه - بحشية الانهيار للثام، الذى حاول  
الشاعر أن يتفقه هنا بالشر، فالقصيدة التى  
كتبت غيبتها، هى ذات القصيدة التى وجلت  
بدايتها، وأرتمت كمضمار الجسم، فى إشارة  
إلى موازة حالة الانكسار التى أصابت الطفل،  
بصالات الانكسار الكبرى فى حياة الأمم  
والشعوب، بقول الشاعر:

وجلت بدايات القصيدة  
فاحلنى للهام  
وأعلى أن أرتك الباب يترك رجلة فى القلب  
قولى: كان مضطرباً  
وأرجعه إنكاد الباب  
ضلت القصيدة  
فأرتى كمضمار الجوز  
هل كانت ملاحة تدل على اغتراب  
هل توجس غيفة من راحتيه وحيدين  
أم أنه فى اللول أشعل تيلة  
وتعدرت - رعباً - مواجهه على قديمين ؟  
إن حديث الطفل عن نفسه يتصور للغائب  
هنا، وتوجهه الخطاب إلى الذات المضطربة

## الإشارات والتبهمات

ولذا فإما كان/ حلوان، ما زال ظامئاً،  
والزمان لا يزال القترشاً؛ «ما حلوا لو لسمى  
طلعتنا فجرًا، فاستوقف إذن على ما به من  
صحو غير مبرر على مستوى الحدث إلا أن هذا  
الصحو المستقرض من جانب الشاعر، ما زال  
يكرس من سطوة هذا اللباب، ويعمق من حدة  
هذا الانكسار. ■

عبد الحكم العلامى

فلا يُسفر عن أى تحرره من انطراف المخاطب  
فى النص تجاه الطرف المخاطب، والأفعال  
كالمصادة تهيم كلها من جانبها هو أى  
المخاطب:

سمى،

لا لى،

اسمى،

الشاعر الملحة - منذ البداية - للتجاوز،  
ومحاولة خلق واقع، لا يسمح بسيادة وتكون  
واقع الهزيمة من نفسه ولقبه، هكذا كمادة  
قادة الحروب الظلام الذين يخوضون المعارك  
الكبيرة، فلا يتجاوزون إلا من خلال مغريات  
الزهد، ولا يتكلمون إلا بلغة المتكسرين، ولا  
يعترفون بالهزيمة. والمستوقف الشعرى يتجه بنا  
- على الفور - إلى ما ذهبنا إليه من معنى،



## الإشارات والتنبيهات

(لغز كاسبيرهاوز.. ١٩٧٥ أو: كل واحد لنفسه..)

وهذا الفيلم مبنى على حالة حقيقية أثارت جدلاً واسعاً في نورمبرج..

وكاسبيرهاوز هو الحالة الوحيدة المعروفة في تاريخ البشرية التي فيها (بولد) إنسان وهو بالغ.. إنه شخص غير محدد الملامح.. أبكم وغير متمدين لم يهذب... إنه مثل كتلة صماء سقطت من كوكب آخر...

وتنشأ قصة إهماس.. وموت بطيء لكل في إنسانى حوله وبطريقة تلقائية.. حين يندب فجأة من الجميع.. ويواجه بجمع الطبقة المتوسطة المتحدنة.. وحين قُتل في النهاية.. يبعث كل فرد كالصوم حوله عن علامات التشوه فيه متجاهلين كلية أن التشوه الطبقي في مجتمعهم وعلى محاولته تفكيك كل شيء طبقاً لمكاييسه..

.. لا يمكن لسيان الجمل القصيرة التي تلحق بها كاسبر مبرج عن وضع حياته.. (أو) نعم.. أثنى أشعر بأن ظهوره في هذا العالم ما هو إلا سلطة علية.. إن نظريته المسئلة.. مثل نظرياته عن حياة التلاح..

(تلقاة صغيرة ماهرة..)

إن روى إهماس الرزية والموسيقى والمناظر الطبيعية الخلابية في مقابل من كاسبير.. عتجز معاً.. فتروى قصة معاناته بصيرة تشبه الشجون.. أنه يد أن يفهم هذا العالم حوله ولكنه يظل.. شأنه في ذلك فإن أبطال أفلام هيرتسوج كما أن تصوره للعالم لم ينته به إلى نتيجة تفرعه فوق الشخصيات المستتر بأنا عتج هذا العالم... والوصول إلى أقصى درجة من التماثل والصدق والشفاقة في الأداء كان اختيار الممثل الذي يقدم هذه الشخصية المركبة شديدة الخصوصية.. وهنا كان اختيار هيرتسوج المميز لتمثيل الدور الرئيسي (كاسبيرهاوز).. إلى على عامل في متجر ومغزى ورائر للقصص الشخصية وذي (بريتو. س)، هو في الصليبية صورة حديثة كاسبيرهاوز، إن كان قد أمضى معظم حياته (من الثالثة حتى السادسة والعشرين.. في دور رعاية الطفولة.. وفي مؤسسات عديدة

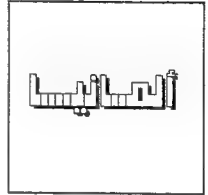
التاريخ والآداب والمسرح.. كان ذا طابع بركة غير قابلة للترويض في تحصيله العلمي وفي بياته الفكرى.. سافر كثيراً منذ الستينيات مرتجلاً إلى مناطق عديدة وثانية في العالم... جاب صحارى أفريقية وأدغالها وأمريكا اللاتينية وجنرل أكتافيا.. باحثاً عن حله الخاص.. محاولاً اكتشاف الآخر في الإنسان وفي الطبيعة.. والتعرف على أجناس بشرية لا تزال تعيش أنماطاً من الحياة البدائية.. وكان يرصد بكاسبراته التي يجمعها دائماً معه كل شيء.. كان جئ اهتمامه بأوضاع تلك الأجناس البدائية من البشر وعلاقتها الجدلية بالمدنية في عالمنا المعاصر.. وكان ذلك إلهاماً ثرياً وخصباً لإبداعه السينمائى.. وهو بلا شك وريث شرعى لتراث الثقافة الألمانية الراسخة علماً وفلسفة وفنوناً وأدباً... وإبداعاته السينمائية تتميز بأنها ذات طابع فلسفى تأملى متفرد فيه رؤيته الخاصة عن بعض قضايا الحضارة والمدنية والإنسانية.. ويحلى هذا العالم الغامض بهيرتسوج حين قدم فيلمه الرابع (أجويرا - غضب الرب ..) عام ١٩٧٢ (Aguirre The Wrath of God)

ولفلم (كل رجل لنفسه..) Every man for himself.. في عام ١٩٧٥ من خلال دراما قوية وعنيدة... وقدم عالمه الوحشى المتفرد في محزوقته السينمائية الفريدة والرائعة (فيتز جاردو..) ١٩٨١.. من خلال تقديم أوروبا خيالية صاخبة لحلل موسى شراىي لتعجب في الفاهات البرية..

إن أهم ما يميز عالم هيرتسوج الإبداعي ويمنحه تلك الخصوصية المتفردة.. أن له رؤية قاسية وحادة محمطة لكل ثوابت الرأى الذاتية التي تطرح من خلال الأفلام تقي تيكى صبر الأجيال..

إن تعظيم كل للثوابت المتعارف عليها في كل لحظة من أفلامه هو غايته في سبيل بناء رؤيته الخاصة للعالم حوله... وهذا ما أكسب هيرتسوج القدرة على تطوير رؤيته للعالم.. إنه يستمد شخص أفلامه من مواقف وأحداث مزجلة في الوجودية..

وهذا ما تتلمسه في واحد من أهم أفلامه..



## هيرنر هيرتسوج

ولد هيرنر هيرتسوج Werner Hertzog في ٥ سبتمبر ١٩١٢ في ميونيخ بألمانيا.. ويشتد من أهم وأبرز الشخصيات في السينما العالمية المعاصرة ومن أكثرهم حداثة وفكرية... وفى مجال السينما.. وقبل خسارة ألمانيا لرهانها في صناعة السينما.. كانت البداية.. وكان الظهور المتوهم لاستعراض أفلام هيرتسوج وتقديمها إلى العالم... وبإلها من مصادفة في هذا العالم الساحر.. فإن كل ما صور وكل ما أنتج استمد شهرته من عالم هيرتسوج.. الذى كان له غاية محددة من إبداعاته السينمائية قال عنها... (إننى أبحث وأتق عن خطه عمل.. وعن سينما خاصة تعيش تيكى.. إن متاظر الطبيعة المتوحشة غير القابلة للترويض.. هي التي أحلم بها...)

.. استعزلت السينما بعاملها السحرى على هيرتسوج منذ من مبكرة... حين صنع أول أفلامه وهو ما زال تلميذاً... ومن الغريب أنه لم يلق تعظيماً نظامياً في السينما.. فقد دأب منذ البداية على تعليم نفسه بنفسه... درس

## الإشارات والتنبيهات

- «حتى الأكرام بدعوا صغار» ١٩٦٩ (صُور في المكسيك وجنوب المكسيك).
- «أرض الصمت والظلام» ١٩٧١ .
- «أجويرار» غضب الرب، ١٩٧٢ .
- «لفز كاسبرغاويز» ١٩٧٤ .
- «قلب من زجاج» ١٩٧٦ .
- «نوسفرائو» ١٩٧٨ .
- «فوتيسيك» - عن مسرحية جورج بوستر ١٩٨٧ .
- «فيتو كارالدو» ١٩٨١ .
- «حوت يحلم للنحل الأخضر» ١٩٨٣ .
- «أصداء إمبراطورية» ١٩٩٠ .
- «صرخة الحشر» ١٩٩١ (مهرجان فينيسيا)...

### محمد فايد

مراجع:

- ١ - الفيلم الألماني الحديث... روبرت فيش.
- ٢ - دراسة للسينما الألمانية.
- ٣ - نشرات ودوريات حول مهرجان برلين السينمائي.
- ٤ - نشرات ودوريات أسبوع السينما الألمانية بالإسكندرية.

فرسان.. وغريب ونقرة إلى وجهه تؤكد كل ذلك فهو يعبر عن الناس - عن معاناة الوجود والحياة المهددة والميل إلى الجنون ومع هذا فهو أيضاً وجه جميل.. يستطيع أن يتحول من القسوة إلى الرقة.. من الغاوى إلى الخيالي.. ولهذا كان من أعظم وجوه السينما الحديثة..

إن ما قدمه هيرتسوج للسينما الألمانية بوجه خاص وللسينما العالمية بوجه عام من إبداعات ترميزاً لرؤيته الخاصة المتفردة لماهية السينما.. وتحولها لسينما خاصة به.. غير قابلة للتقليد أو المحاكاة، قد حجز له مكانة متميزة بين أهم صناع السينما في ألمانيا :-

قدم هيرتسوج من الأفلام القصيرة والمتوسطة:

«هراڤ» ١٩٦٢ - «لعة في الزمان» ١٩٦٤ .  
«الأطباء الطائرون في شرق أوروبا ومستقبل معرق» ١٩٧٠ ..

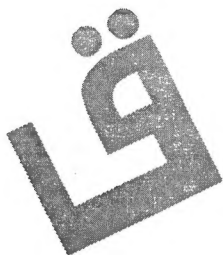
أفلامه الروائية :

● «علامات الحياة» ١٩٦٧ (جائزة مهرجان برلين الدولي ١٩٦٨ .

● «فان سورجان» - ١٩٦٨ - صُور في أفريقيا .

للتأهيل - الأمر الذي دعا بعض النقاد إلى اتهام هيرتسوج بتعريض «بروني» لسفيرة العامة.. وإن كانت الشخصيات التي تستحق السفيرة هي الشخصيات الممثلة لمجتمع.. أما «بروني» فيصور ألامه وكرامته على المستوى الشخصي تصويراً صادقاً وعقرياً.. لقد أدى دور رجل يترجى إلى تركيز الانتباه على اللغة المتعددة للخلق حالة من التواصل والفهم أكثر منها لشخصية تحتاج إلى مثل.. وكانت النتيجة مبهره.. فمفارج الألفاظ قد تكون مختلفة .. إلا أنها في الوقت نفسه تعبر عن طاقة وإصرار كاشفة عن لحظات على درجة كبيرة من المكانة والسلطة والكرامة..

إن كاسبرغاويز واحد من أهم أعمال هيرتسوج وأكثرها تعقيداً لرؤيته.. واهتمام هيرتسوج برسم شخصياته وتحليل أبعادها النفسية والحياتية المركبة .. ودقته في خلق حالة من التوحد والتماثل بين شخصيات أفلامه على الورق.. وفي صورتها السينمائية على الشاشة.. من أهم سماته.. وهنا نجد ارتباطه الكبير مع الممثل الميموري الراحل (كلاب كينسكي) الذي اشتهر بوجهه القاسي والمزعز من خلال أفلام هيرتسوج.. لقد كان كينسكي يبدو كإنسان وحيد.. متشرد..



الغلاف الخلفي :  
الزعيم سعد زغلول  
بريشة الفنان : جودة خليفة

